141

الحياة السياسية

للامام الرضا عليه السلام

جعفر مرتضى العاملي

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحیاهٔ السیاسیهٔ للامام الرضا علیه السلام

کاتب:

سید جعفر مرتضی عاملی

نشرت فی الطباعهٔ:

جامعه مدرسین

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الحیاة السیاسیة للامام الرضا(ع)

اشارة

نام کتاب: الحیاة السیاسیة للامام الرضا علیه السلام

نویسنده: جعفر مرتضی العاملی

وفات: معاصر

تعداد جلد واقعی: ۱

زبان: عربی

موضوع: امام رضا علیه السلام

ناشر: جامعه مدرسین

مکان نشر: قم

سال چاپ: ۱۴۱۶ ق

نوبت چاپ: سوم

الإهداء

إلیک یا أعز من فی الوجود علیّ ... یا من تعیش لأجلی، و تشعر بآلامی، و تحسّ بمشاکلی ... دون أن أراک، و دون أن أعرف مکانک، بل و حتی دون أن أفطن فی کثیر من الأحیان لوجودک ...

إلیک یا أملی الحی، الذی یمدنی بالقوة، و یجدد فیّ العزیمة ...

و یا قبس الهدی و النور، الذی لولاه لکنت أعیش فی الظلام، ...

ظلام الوحدة، و الحیرة، و الضیاع ...

إلیک. یا من تملأ الأرض قسطا، و عدلا، بعد ما ملئت ظلما، و جورا ...

إلیک ... یا سیدی، و مولای، یا صاحب الزمان ... أرفع کتابی هذا ...

راجیا منک القبول ...

جعفر.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷

مقدمة الطبعة الثانیة:

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحیم و الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی أشرف الخلق و أعز المرسلین، محمد و آله الطیبین الطاهرین.

و بعد:

فهذه هی الطبعة الثانیة لهذا الکتاب، نخرجها إلی القراء الکرام، بعد حوالی ثلاث سنوات من ظهور طبعته الاولی، التی نفدت نسخها

بسرعة.

و انني إذ أعتزّ باقبال القراء على هـذا الكتاب، لا يسعنى إلا أن أقف موقف التقـدير و الاكبار لهـذه الرغبة الصادقة منهم فى الاطّلاع و المعرفة، و هو أمر يبعث على الأمل، و يبشر بمستقبل مشرق إن شاء اللّه تعالى ...

هذا الكتاب:

لقـد جاء التفكير فى هـذا الكتاب فى نفس الوقت الـذى نشـرت فيه مجلـة لبنانيـة مقالا لبعض السـطحيين، من طالبى الشـهرة و المال!! يتهجم فيه على ساحة قدس الإمامين العظيمين: الحسن المجتبى عليه السلام؛ لصلحه مع معاوية ...

و الامام الرضا عليه السلام؛ لقبوله بولاية العهد، من قبل المأمون العباسى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:٨

فاما قضـية الصلح فقد كان قد بحثها الباحثون، و اهتم بها العلماء و المؤرخون، و كشفوا عن جانب كبير من ظروفها و ملابساتها؛ و من هنا فقد انصبّ اهتمامى آنئذ على بحث قضـية ولاية العهد، و التى كان البحث فيها شاقا و صـعبا للغاية، لاسـباب لا يجهلها من له أدنى اطلاع على واقع الكتب التاريخية، و مؤلفيها، و ظروف تأليفها ...

و لعل ذلك المقال نفسه أيضا، قد كان هو الحافز لسماحة العلامة البارع، السيد محمد جواد فضل اللّه رحمه اللّه، ليكتب كتابه الشّيق، الذى أسماه:

«حيـاة الامـام الرضـا (ع)»، و عقـد فيـه فصـلا للحـديث عن ولايـة العهـد أيضـا؛ فشـكر اللّه سـعيه، و تغمـده برحمته، و جزاه خير جزاء المحسنين ...

الجديد فى الكتاب:

و أودّ أن أشير هنا، إلى أنه ... إما لسوء حظى، أو لحسن حظّ القارئ!! لم تتهيأ لى الفرصـة لاعادة النظر فى الكتاب من جديد، بشـكل يسمح لى بالتعديل و التطوير فيه؛ و لذا فقد اكتفيت باصلاح كثير من الأخطاء المطبعية، مع زيادات طفيفة، لا تكاد تذكر.

تنبيه و ختام.

و بعد هذا ... فإننى أود أن انبه: على أن كلمة «التشـيع» الواردة فى هذا الكتاب لا يراد بها المعنى الخاص إلا نادرا ... كما أن المقصود من كلمة: «علوى» و «علويين» هو كل من يتصل نسـبه بأمير المؤمنين على بن ابى طالب صـلوات اللّه و سلامه عليه و على ابنائه الطيبين الطاهرين ...

و فى الختـام ... فـاننى أعود فـأكرر رجـائى الأكيـد من كـل القراء الكرام أن يكتبوا الى بملاحظـاتهم، و وجهات نظرهم، و أنا لهم من الشاكرين.

و الحمد للّه، و له المنة، و به الحول، و عليه التكلان.

۲۲/ ۱/ ۱۴۰۰ ه. ق.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:٩

تقديم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* و الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی خیر خلقه أجمعین، محمد و آله الطیبین الطاهرین: و بعد:

فقد کان هذا الکتاب نتیجة دراسة استمرت ثلاث سنوات ما بین مد و جزر ... و هو یبحث فی ظروف و أسباب حدث تاریخی هام فی التاریخ الاسلامی ... ألا و هو: «أخذ البیعة للامام الرضا علیه السلام بولایة العهد للمأمون» ...

و رغم الأهمیة البالغة لهذا الحدث، و کونه جدیرا بالدراسة، و البحث، و التمحیص ... فاننا رأینا المؤرخین و الباحثین- و لأسباب مختلفة- یضربون عنه صفحا، و یحاولون تجاهله، و التقلیل من أهمیته ...

و علی کل حال ... و مهما کانت الحقائق التی أوردتها فی هذا الکتاب موافقة لهوی قوم، و مثیرة لحنق آخرین ... فإن ما أرید أن أؤکد علیه هو:

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰

إنی لثقتی من نفسی بأننی ما ادخرت وسعا، و لم آل جهدا فی تمحیص الحقائق، و ابراز المعالم الأصیلة للصورة، التی أرید- لسبب أو لآخر- طمسها، و تشویه معالمها. و أیضا لحسن ظنی بالقارئ، و ثقتی بنزاهته، و نظرته الواعیة ...

من أجل ذلک أقول- و بکل رضی، و ارتیاح، و اطمئنان-:

إننی لا أرید أن أفرض ما فی هذا الکتاب من آراء، و استنتاجات علی أحد ... بل سوف أترک الحکم فی ذلک للقارئ نفسه، الذی یمتلک کامل الحریة فی أن یقبل، أو أن یرفض، إذا اقتضی الأمر أیا من الرفض، أو القبول ...

و اللّه ولینا ... و هو الهادی إلی سواء السبیل ...

جعفر مرتضی الحسینی العاملی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۱

تمهید

صلة الماضی بالحاضر و المستقبل:

... بدیهی أن بعض الأحداث التاریخیة، التی تمر بالأمة، تؤثر تأثیرا مباشرا، أو غیر مباشر فی واقعها، إن حاضرا، و إن مستقبلا ... بل و قد تؤثر فی روح الأمة، و عقلها، و تفکیرها ... و من ثم علی مبادئها العامة، التی قامت علیها قوانینها و نظمها، التی تنظم لها مسیرتها، و تهمین علی سلوکها ... فقد تقوی من دعائمها، و تؤکد وجودها، و استمرارها، و قد تنسفها من أسسها، إن کانت تلک المبادئ علی درجة کبیرة من الضعف و الوهن فی ضمیر الأمة و وجدانها ... و علی صعید العمل فی المجال العملی العام ...

فمثلا ... نلاحظ أن الاکتشافات الحدیثة، و التقدم التقنی قد أثر أثرا لا ینکر حتی فی عاطفة الإنسان، التی یفرضها واقع التعایش ... و حتی فی مواهبه و ملکاته، فضلا عن سلوکه، و أسلوب حیاته ...

و حیث إن المبادئ الاجتماعیة لم تکن علی درجة من الرسوخ و القوة فی ضمیر الإنسان و وجدانه، و لم تخرج عن المستوی الشکلی فی حیاته العملیة- و إن انغرست فی أعماق بعض أفراده أحیانا فی دورات تاریخیة

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۲

قصیرة- نری أنها بدورها قد تأثرت بذلک، و نسفت او کادت من واقع هذه الأمة، و عدمت أو کادت من دائرة حیاتها ... و لیکون البدیل- من ثم- عنها لدی هذا الکائن هو «الذاتیة» الکافرة بکل العواطف الاجتماعیة، و العوض عنها فی نفسه هو المادة الجافة، التی لا ترحم و لا ترثی، و لا تلین، لا یجد لذة العاطفة، و لا حلاوة الرحمة، و لیعود الانسان- بعد لأی- متشائما حاقدا، لا یثق بمستقبله، و

لا يأمن من يحيط به، و لا يطمئن إلى أقرب الناس إليه ...

و بطبيعة الحال، سوف يتأثر النشء الجديد بذلك، ثم ينتقل ذلك إلى الجيل الذى يليه ... و هكذا ...

و هكذا ... فإن الحدث التاريخى الذى كان قبل ألف سنة مثلا، أو أكثر قد نجد له آثارا بارزة، حتى فى واقع حياتنا التى نعيشها اليوم.

و إذن ... فنستطيع أن نستخلص من هذا: أن الأحداث التاريخية مهما بعدت، و من أى نوع كانت تؤثر فى وضع الأمة، و فى تصرفاتها، و فى حياتها، و سلوكها على المدى الطويل ... و تتحكم- إلى حد ما- فى مستقبلها. و ان العامل التاريخى له أثر كبير فى فرض المستوى الذى يعيشه المجتمع بالفعل، سواء فى ذلك الأدبى منه، أو العلمى، أو الدينى، أو السياسى، أو الاقتصادى، أو غير ذلك ...

و غنى عن القول هنا ... أن التأثر بالأحداث يختلف من أمة لأخرى، و من عصر لآخر ...

لما ذا كان تدوين التاريخ:

و من هنا تبرز أهمية التاريخ، و نعرف أنه يلعب دورا كبيرا فى حياة

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:١٣

الأمم: مما يجعلنا لا نجد كثير عناء فى الإجابة على سؤال: لما ذا عنيت الأمم على اختلافها بالتاريخ، تدوينا، و درسا، و بحثا. و تمحيصا؟! فان ذلك لم يكن إلا لأنها تريد أن تستفيد منه، لتتعرف على واقعها الذى تعيشه؛ لتستفيد من ذلك لمستقبلها الذى تقدم عليه ... و لتكتشف منه عوامل رقيها، و انحطاطها، و لتنطلق من ثم لبناء نفسها على أسس متينة و سليمة ...

فمهمّة التاريخ إذن- تاريخ الأمة المدوّن- هى: أن يعكس بأمانة و دقة ما تمر به الأمة من أحوال و أوضاع، و أزمات فكرية، و اقتصادية، و ظروف سياسية: و اجتماعية، و غير ذلك.

و نحن ... هل نملک تاريخا؟!!

و نحن أمة ... لكننا لا نملك تاريخا- و أقصد بذلك كتب التاريخ- نستطيع أن نستفيد منه الكثير فى هذا المضمار؛ لأن اكثر ما كتب لنا منه تتحكم فيه النظرة الضيقة، و الهوى المذهبى، و التزلف للحكام.

و أقصد ب «النظرة الضيقة»: عملية ملاحظة الحدث منفصلا عن جذوره و أسبابه التى تلقى الضوء الكاشف على حقيقته و واقعه ...

نعم ... إننا بمرارة- لا نملك تاريخا نستطيع أن نستفيد منه الكثير؛ لأن المسيرة قد انحرفت، و الأهواء قد لعبت لعبتها «۱» و أثرت أثرها المقيت

---

(۱) و من أراد أن يعرف المزيد عن ذلك، فليراجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية من ص ۷۲ إلى ص ۷۹، و الغدير ج ۵ ص ۲۰۸ إلى ص ۳۷۸، و ج ۱۱ من ص ۷۱، إلى ص ۱۰۳، و ج ۹ من ص ۲۱۸ إلى آخر المجلد، و غير ذلك من مجلدات هذا الكتاب و صفحاته و الاحتجاج للطبرسى، و خمسون و مائة صحابى مختلق للعسكرى، و غير ذلك كثير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۴

البغيض، حتى فى تدوين التاريخ نفسه.

و إنه لمما يدمى قلوبنا، و يملأ نفوسنا أسى و ألما، أن نكون قد فقدنا تاريخنا، و دفناه تحت ركام من الانانيات، و العصبيات، و الأطماع الرخيصة، حتى لم يبق منه سوى الرسوم الشوهاء، و الذكريات الشجية ...

و مرة أخرى أقول: إن كل ما لدينا هو- فقط- تاريخ الحكام و السلاطين، الذين تعاقبوا على كراسى الحكم. و حتى تاريخ الحكام هذا، رأيناه مشوها، و ممسوخا؛ حيث لم يستطع أن يعكس بأمانة وحيدة الصورة الحقيقية لحياة أولئك الحكام، و أعمالهم و

تصرفاتهم؛ و ما ذلک إلا لأن المؤرخین لم یکونوا أحرارا فی کتابتهم للتاریخ. بل کانوا یؤرخون و یکتبون حسب ما یریده الحکام أنفسهم، و یخدم مصالحهم ...

إما رهبة من هؤلاء الحکام، او رغبة، او تعصبا لمذهب، أو لغیره ...

و من هنا ... فلیس من الغریب جدا أن نری المؤرخ یعتنی بأمور تافهة و حقیرة؛ فیسهب القول فی وصف مجلس شراب، أو منادمة، حتی لا یفوته شیء منه، أو یختلق و یفتعل أحداثا لم یکن لها وجود إلا فی عالم الخیالات و الأوهام، أو یتکلم عن أشخاص لم یکن لهم شأن یذکر، بل قد لا یکون لهم وجود أصلا ... بینما نراه فی نفس الوقت یهمل بالکلیة شخصیات لها مکانتها، و خطرها فی التاریخ، أو یحاول تجاهل الدور الذی لعبته فیه ... و یهمل أو یشوه أحداثا ذات أهمیة کبری، صدرت من الحاکم نفسه، أو من غیره، و من بینها ما کان له دور هام فی حیاة الأمة، و مستقبلها، و أثر کبیر فی تغییر مسیرة التاریخ، أو یحیطها- لسبب أو لآخر- بستار من الکتمان، و الابهام.

و من تلک الأحداث ...

و فی طلیعة تلک الأحداث التی کان نصیبها ذلک: «البیعة للامام

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۵

الرضا علیه السلام بولایة العهد ...»، من قبل الخلیفة العباسی عبد اللّه المأمون!! ...

هذا الحدث الذی لم یکن عادیا، و طبیعیا، کسائر ما یجری و ما یحدث، و الذی کان نصیبه من المؤرخین أن یتجاهلوه، و یقللوا ما أمکنهم من اهمیته، و خطره، و أن یحیطوا أسبابه و دوافعه، و ظروفه بستائر من الکتمان ... و عند ما کانت تواجههم الأسئلة حوله تراهم یرددون تلک التفسیرات التی أراد الحکام أن یفهموها للناس، دون أن یکون من بینها ما یقنع، أو ما یجدی ...

إلا أننا مع ذلک، لم نعدم فی هذا الذی یسمی، ب «التاریخ» بعض الفلتات و الشذرات المتفرقة هنا و هناک، التی تلقی لنا ضوءا، و تبعث فینا الرجاء و الأمل بالوصول إلی الحقائق التی خشیها الحکام؛ فقضوا علیها- بکل قسوة و شراسة- بالعدم، و الاندثار ...

و لو فرض: أنه کان للمؤرخین القدامی العذر- إلی حد ما- فی تجاهل هذا الحدث، و التقلیل من أهمیته، لظروف سیاسیة، و اجتماعیة، و مذهبیة معینة .... فان من الغریب حقا أن نری الباحثین الیوم- مع أنهم لا- یعیشون تلک الظروف، و ینعمون بالحریة بمفهومها الواسع- یحاولون بدورهم تجاهل هذا الحدث، و التقلیل من أهمیته، عن قصد أحیانا، و عن غیر قصد أخری، و إن کنا نستبعد هذا الشق الأخیر؛ إذ أننا نشک کثیرا فی أن لا یسترعی حدث غریب کهذا انتباههم، و یلفت أنظارهم ...

و أیا ما کان السبب فی ذلک، فان النتیجة لا تختلف، و لا تتفاوت؛ إذ انها کانت فی الواقع الخارجی سلبیة علی کل حال.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۶

و بدافع من الشعور بالواجب ...

و من هنا ... و بدافع من الشعور بالمسؤولیة، رأیت أن أقوم بدراسة لهذا الحدث بالذات، للتعرف علی حقیقة دوافعه و أسبابه، و واقع ظروفه و ملابساته ...

و کانت نتیجة تلک الدراسة، التی استمرت ثلاث سنوات ما بین مد و جزر هی: هذا الکتاب الذی بین یدیک ...

و لا أدعی: أن کل ما فی هذا الکتاب من آراء و استنتاجات، لا تعدو الحقیقة، و لا تشذ عن الصواب.

و لا أدعی أیضا: أننی استطعت أن أضع یدی علی کل خیوط القضیة، و أن أنفذ إلی جمیع جذورها العمیقة و الرئیسة؛ فان ذلک لیس من الأمور السهلة بالنسبة لأی حدث تاریخی مضی علیه العشرات و المئات من السنین؛ فکیف إذا کان إلی جانب ذلک مما قد أرید

له- كما قلنا- أن تبقى دوافعه و أسبابه طى السرية و الكتمان، و ظروفه و ملابساته رهن الابهام و الغموض ...

لا ... لا أدعى هذا، و لا ذاك ... و إنما أقول:

إن هذا الكتاب قادر- و لا شک- على أن يرسم علامة استفهام كبيرة حول «طبيعية» هذا الحدث، و حول المأمون، و نواياه، و تصرفاته المشبوهة ...

و انه- على الأقل يمكن أن يعتبر خطوة على طريق الكشف الكامل عن جميع الحقائق، و التعرف على كافة العوامل و الظروف، التى اكتنفت هذا الحدث التاريخى الهام ....

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۷

تقسيم الكتاب ... باختصار ...

و من أجل استيفاء البحث من جميع جوانبه، كان لا بد لنا من تقسيم الكتاب إلى أقسام أربعة:

الأول: يتناول قيام الدولة العباسية، و أساليب دعوتها، و يعطى لمحة عن موقف العلويين، و العباسيين، كل منهما من الآخر، و ردود الفعل لذلک، و غير ذلک من أمور ...

الثانى: يبحث حول ظروف البيعة، و أسبابها، و نتائجها ...

الثالث: يتكفل بالقاء أضواء كاشفة عن المواقف، سواء بالنسبة إلى المأمون، أو بالنسبة إلى الإمام (ع) ...

الرابع: نعرض فيه لبعض الأحداث التى تلقى لنا ضوءا على حقيقة نوايا المأمون، و تكشف لنا عن بعض مخططاته ... و غير ذلک مما يتصل بذلک، و يرتبط به، بنحو من الارتباط و الاتصال ...

هذا:

و قد وضعنا فى آخر الكتاب بعض الوثائق التاريخية الهامة، التى آثرنا أن يطلع القارئ بنفسه على نصها الكامل ...

و نسأل اللّه أن يوفقنا جميعا ... و يهدينا سبيل الرشاد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۹

القسم الأوّل ممهدات ...

اشارة

۱- قيام الدولة العباسية.

۲- مصدر الخطر على العباسيين.

۳- سياسة العباسيين ضد العلويين.

۴- سياسة العباسيين مع الرعية ...

۵- فشل سياسة العباسيين ضد العلويين.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۱

قيام الدولة العباسية

العلويون فى الماضى البعيد ...

بعد أن أمعن الأمويون فى الانحراف عن الخط الاسلامى القويم، و أصبح واضحا لدى كل أحد، أن هدفهم ليس إلا الحكم و السيطرة، و التحكم بمقدرات الأمة و امكاناتها ... و أن كل همهم كان مصروفا إلى الملذات و الشهوات، أينما كانت، و حيثما وجدت ... و ليس لمصلحة الأمة، و سعادتها، و رفاهها عندهم أى اعتبار ...

و بعد أن لجوا فى عدائهم لأهل البيت عليهم السلام، و بلغوا الغاية فيهم، قتلا، و عسفا، و تشريدا ... و خصوصا ما كان منهم فى وقعة كربلاء التى لم يعرف التاريخ أبشع، و لا أفظع منها ... و جعلهم لعن على عليه السلام سنة لهم، يشب عليها الصغير، و يهرم عليها الكبير ...

ثم ملاحقتهم لولده، و لكل من يتشيع لهم، تحت كل حجر و مدر، و فى كل سهل و جبل؛ ليعفوا منهم الآثار، و يخلوا منهم الديار ...

بعد كل هذا ... و بفضل جهاد أهل البيت المتواصل، فى سبيل توعية الامة، و تعريفها بأحقيتهم، و بحقيقة، و واقع تلك الطغمة الفاسدة ... كان من الطبيعى أن ينمو تعاطف الناس مع أهل البيت

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۲

و يزيد، كلما ازداد نفورهم من الأمويين، و نقمتهم عليهم؛ و ذلك تبعا لتزايد وعيهم، و تكشف الحقائق لهم، و لأنهم أدركوا من واقع الأحداث التى مرت بهم: أن أهل البيت عليهم السلام هم: الركن الوثيق، الذى لا نجاة لهم إلا بالالتجاء إليه، و ذلك الأمل الحى، الذى تحيا به الأمة، و تحلو معه الحياة ...

العرش الأموى فى مهب الريح ...

و لهذا نجد: أن الثورات و الفتن ضد الحكم الاموى كانت تظهر من كل جانب و مكان، طيلة فترة حكمهم. حتى أنهكت قواهم، و اضعفتهم إلى حد كبير، و فنوا و أفنوا، حتى لم يعد باستطاعتهم ضبط البلاد، و لا السيطرة على العباد ...

و كانت تلك الثورات تتخذ الطابع الدينى على العموم، مثل: ثورة أهل المدينة المعروفة ب «وقعة الحرة»، و ثورة قراء الكوفة و العراق، المعروفة ب «دير الجماجم» سنة ۸۳ ه ... و قبلها ثورة المختار و التوابين سنة ۶۷ ه. و أيضا ثورة يزيد بن الوليد مع المعتزلة على الوليد بن يزيد؛ للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، سنة ۱۲۶ ه. و كذلك ثورة عبد اللّه بن الزبير، الذى تغلب على البلاد ما عدا دمشق، و ما والاها مدة من الزمن ... ثم الثورة التى قامت ضد هشام فى افريقيا.

و ثورة الخوارج بقيادة المتسمى ب «طالب الحق» سنة ۱۲۸ ه ...

و أيضا ثورة الحارث بن سريح فى خراسان، داعيا إلى كتاب اللّه، و سنة رسوله سنة ۱۱۶ ه. إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۳

و اما ما كان منها بدافع غير دينى، بل من أجل الحكم، و السلطان، فنذكر منها على سبيل المثال: ثورة آل المهلب سنة ۱۰۲ ه. و ثورة مطرف بن المغيرة ...

و أما فى زمن مروان ...

و فى زمن مروان بن محمد الجعدى، المعروف بمروان الحمار، كان الوضع فى السوء و التدهور قد بلغ الغاية، و أوفى على النهاية؛ حيث بلغ من انشغال مروان بالثورات و الفتن، التى كانت قد شملت اكثر الاقطار: أنه لم يستطع أن يصغى إلى شكوى عامله فى خراسان نصر بن سيار، الذى كان بدوره يواجه الثورات و الفتن، و من جملتها دعوة بنى العباس، التى كانت تزداد قوة يوما بعد يوم، بقيادة أبى مسلم الخراسانى ...

من خلال الاحداث ...

کـل ذلـک یکشف عن مـدی تبرم النـاس بحکم بنی أمیـۀ، و بسـلطانهم، الـذی کان قائما علی أساس من الظلم و الجور، و الابتزاز، و التحکم بمقدرات الأمۀ، و امکاناتها ... و یتضح لنا ذلک جلیا إذا لاحظنا:

أن مـا کان یتقاضاه الولاۀ لا یمکن أن یخطر علی قلب بشـر؛ و یکفی مثالا علی ذلک أن نشـیر إلی أن خالـدا القسـری، کان یتقاضـی راتبا سنویا قدره «۲۰» ملیون درهم، بینما ما کان یختلسه کان یتجاوز

الحیاة السیاسیۀ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴

ال «۱۰۰» ملیون «۱». و إذا کـان هـذا حـال الولاـۀ، فکیف تری کـان حـال الخلفاء، الـذین کانوا یحقـدون علی کل القیم، و المثل، و الکمالات الانسانیۀ ... و الذین وصف الکمیت رأیهم فی الناس، فقال:

رأیه فیهم کرأی ذوی الثّلۀ فی الثائجات جنح الظلام.

جزّ ذی الصوف و انتقاء لذی المخّۀ، نعقا و دعدعا بالبهام «۲».

نعم ... لقـد کانت الأمـۀ قـد اقتنعت اقتناعا کاملا و نهائیا: بأن بنی أمیۀ لیس لهم بعد حق فی أن یفرضوا أنفسـهم قادۀ للامۀ، و لا روّادا لمسیرتها؛ لأن نتیجـۀ ذلک سـتکون- حتما- هی جرّ الامـۀ إلی الهاویـۀ، حیث الـدمار و الفناء؛ فلفظتهم، و انقلبت علیهم، تأخـذ منهم بعض الحقوق التی لها عندهم. إلی أن تمکنت أخیرا من أن تخلی منهم الدیار، و تعفی منهم الآثار ...

و کان نجاح العباسیین طبیعیا ...

اشارۀ

و من هنا نعرف: أن نجاح العباسیین فی الاستیلاء علی مقالید الحکم-

---

(۱) السیادۀ العربیۀ ص ۳۲، ترجمۀ الدکتور حسن ابراهیم حسن، و محمد زکی ابراهیم.

و فی البدایۀ و النهایۀ ج ۹ ص ۳۲۵: أن دخل خالد القسری کان فی کل سنۀ «۱۳» ملیون دینار، و دخل ولده یزید بن خالد کان «۱۰» ملا-یین دینـار سـنویا. و لا- بـأس بمطالعـۀ کتاب السـیادۀ العربیـۀ، لیعرف ما أصاب الناس، و خصوصا العراقیین و الخراسانیین فی عهد الامویین ...

(۲) الهاشمیات ص ۲۶، ۲۷. و الثلۀ: القطعۀ الکثیرۀ من الضان. و الثائجات: الصائحات.

و انتقاء: اختیار. و أراد بذی المخۀ: السمینۀ. و نعقا: أی صیاحا. و الدعدعۀ:

زجر البهائم ...

یقول: رأی الواحـد من هؤلاء الخلفاء فی رعیته، و معاملته لها کرأی أصـحاب الغنم فی غنمهم؛ فلا یراعون العدل، و لا الانصاف فیهم ...

الحیاة السیاسیۀ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۵

فی ذلـک الحین- لم یکن ذلـک الأـمر المعجزۀ، و الخـارق للعـادۀ. بـل کـان أمرا طبیعیـا للغایـۀ؛ إذا ما أخـذت الحالـۀ الاجتماعیـۀ، و الظروف و الملابسات آنئذ بنظر الاعتبار؛ فان الامۀ کانت مهیأۀ نفسیا لقبول التغییر، أی تغییر ... بل کانت تراه أمرا ضروریا، لا بد منه، و لا غنی عنه؛ إذا کانت ترید لنفسها الحیاۀ الفاضلۀ، و العیش الکریم ...

و لهذا ... فلیس من الغریب أن نقول:
إنه کـان بامکان أیـة ثورة أن تنجـح، لو أنها تهیأت لها نفس الظروف، و سارت علی نفس الخط، و اتبعت نفس الأسالیب، التی اتبعها العباسیون فی دعوتهم، و ثورتهم.
و نستطیع أن نتبین أسالیب العباسیین تلک فی ثلاثة خطوط عریضة و واضحة ...

الخط الأول:

«کانوا یصورون أنفسهم علی أنهم ما جاءوا إلا لینفذوا الأمة من شرور بنی أمیة، و ظلمهم، و عسفهم، الذی لم یکن یقف عند حدود. و کانت دعوتهم تتخذ اتجاه التبشیر بالخلاص، و أنهم سوف یقیمون حکما مبدؤه العدل، و المساواة، و الأمن و السلام. و قد کانت و عودهم هذه کسائر الوعود الانتخابیة، التی ألفناها من ساسة العصر الحدیث ... بل لقد کانت الأمانی التی خلقتها الدعوة العباسیة فی الجماهیر مسؤلة الی حـد کبیر عن ردود الفعل العنیفـة، التی حـدثت ضـد الحکم العباسـی بعـد ذلک؛ حیث کان حکمهم قائما علی الطغیان المتعطش إلی سفک الدماء «۱» ...».

---

(۱) راجع: امبراطوریة العرب، للجنرال جلوب، ترجمة: خیری حماد.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۶

الخط الثانی:

إنهم لم یعتمـدوا کثیرا علی العرب، الـذین کانوا یعانون من الانقسامات الداخلیـة الحادة، و إنما اسـتعانوا بغیر العرب، الـذین کانوا فی عهـد بنی أمیـة محتقرین، و منبوذین، و مضـطهدین، و محرومین من أبسط الحقوق المشـروعة، التی منحهم إیاها الاسـلام ... حتی لقد أمر الحجاج أن لا یؤم فی الکوفة إلا عربی ... و قال لرجل من أهل الکوفة: لا یصلح للقضاء إلا عربی «۱» ...
کما طرد غیر العرب من البصرة، و البلاد المجاورة لها، و اجتمعوا یندبون: وا محمدا و أحمدا. و لا یعرفون أین یذهبون، و لا عجب أن نری أهل البصرة یلحقون بهم، و یشترکون معهم فی نعی ما نزل بهم من حیف و ظلم «۲».
بل لقد قالوا: «لا یقطع الصلاة إلا: حمار، أو کلب، أو مولی «۳» ...»
و قد أراد معاویة أن یقتل شطرا من الموالی، عند ما رآهم کثروا، فنهاه الأحنف عن ذلک «۴» ...
و تزوج رجل من الموالی بنتا من أعراب بنی سلیم، فرکب محمـد بن بشـیر الخارجی إلی المدینة، و والیها یومئذ ابراهیم بن هشام بن اسماعیل،

---

(۱) ضـحی الاسلام ج ۱ ص ۲۴، و العقـد الفرید ج ۱ ص ۲۰۷، و مجلـة الهادی، السـنة الثانیـة العدد الأول ص ۸۹، و تاریـخ التمدن الاسلامی المجلد ۲ جزء ۴ ص ۳۴۳.
(۲) السیادة العربیة ص ۵۶، ۵۷، و لا بأس بمراجعة: تاریخ التمدن الاسلامی المجلد الأول ج ۲ ص ۲۷۴.
(۳) العقد الفرید طبع مصر سنة ۱۹۳۵ ج ۲ ص ۲۷۰، و تاریخ التمدن الاسلامی جزء ۴ ص ۳۴۱.
(۴) المصدران السابقان ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷

فشکا إلیه ذلک، فأرسل الوالی إلی المولی، ففرق بینه و بین زوجته، و ضربه مأتی سوط، و حلق رأسه، و حاجبه، و لحیته ... فقال محمد ابن بشیر فی جملة أبیات له:

قضیت بسنة و حکمت عدلاو لم ترث الخلافة من بعید «۱» و لم تفشل ثورة المختار، إلا لأنه استعان فیها بغیر العرب، فتفرق العرب عنه لذلک «۲».

و یقول أبو الفرج الاصفهانی: «... کان العرب إلی أن جاءت الدولة العباسیة، إذا جاء العربی من السوق، و معه شیء، و رأی مولی، دفعه إلیه، فلا یمتنع «۳».»

بل کان لا یلی الخلافة أحد من أبناء المولدین، الذین ولدوا من أمهات أعجمیات «۴».

و أخیرا ... فان البعض یقول: إن قتل الحسین کان: «الکبیرة، التی هونت علی الأمویین أن یقاوموا اندفاع الایرانیین؟ إلی الدخول فی الاسلام «۵» ...».

و بعد هذا ... فان من الطبیعی أن یبذل الموالی أرواحهم، و دماءهم و کل غال و نفیس فی سبیل التخلص من حکم یعاملهم هذه المعاملة، و له فیهم هذه النظرة؛ فاعتماد الدعوة العباسیة علی هؤلاء کان منتظرا

---

(۱) الأغانی ج ۱۴ ص ۱۵۰، و ضحی الاسلام ج ۱ ص ۲۳، ۲۴.

(۲) السیادة العربیة و الشیعة و الاسرائیلیات ص ۴۰، و لا بأس أیضا بمراجعة: تاریخ التمدن الاسلامی، المجلد الأول، الجزء الثانی ص ۲۸۲، ۲۸۳.

(۳) ضحی الاسلام ج ۱ ص ۲۵.

(۴) ضحی الاسلام ج ۱ ص ۲۵، و العقد الفرید ج ۶ ص ۱۳۰، ۱۳۱، طبعة ثالثة، و مجلة الهادی، السنة الثانیة، العدد الأول ص ۸۹.

(۵) الصلة بین التصوف و التشیع ص ۹۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۸

و متوقعا، کما أن اندفاع هؤلاء فی نصرة الدعوة العباسیة کان متوقعا، و منتظرا أیضا ...

الخط الثالث:

أنهم- أعنی العباسیین- قد حاولوا فی بادئ الأمر أن یربطوا دعوتهم و ثورتهم بأهل البیت علیهم السلام ...

و طبیعة البحث تفرض علینا أن نتوسع فی بیان هذه النقطة بالذات و ذلک لمالها من الأهمیة البالغة، بالنظر لما ترکته من آثار بارزة علی مدی التاریخ، و لأنها کانت الناحیة التی اعتمد العباسیون علیها اعتمادا کلیا، و تعتبر السبب الرئیس فی وصول العباسیین إلی السلطة، و حصولهم علی مقالید الحکم ... و لهذا ... فنحن نقول:

دولة بنی العباس فی صحیفة ابن الحنفیة:

قد نقل ابن أبی الحدید «۱»، عن أبی جعفر الاسکافی: أنه قد صحت الروایة عندهم عن أسلافهم، و عن غیرهم من أرباب الحدیث، أنه: لما مات علی أمیر المؤمنین علیه السلام، طلب محمد بن الحنفیة من أخویه: الحسن، و الحسین میراثه من العلم، فدفعا إلیه صحیفة، لو اطلعاه علی غیرها لهلک. و کان فی هذه الصحیفة ذکر لدولة بنی العباس. فصرح ابن الحنفیة لعبد اللّه بن العباس بالأمر، و فصله له ...

و الظاهر أن تلک الصحیفة انتقلت منه لولده أبی هاشم، و عن طریقه وصلت إلی بنی العباس. و یقال: إنها قد ضاعت منهم أثناء

(۱) شرح نهج البلاغة ج ۷ ص ۱۴۹، ۱۵۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹

حربهم مع مروان بن محمد الجعدى «۱»، آخر خلفاء الأمويين ...

و قد ذكرت هذه الصحيفة فى كلام بنى العباس، و خلفائهم كثيرا، و سيأتى لها ذكر فى رسالة المأمون للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه ...

متى بدأ العباسيون دعوتهم، و كيف؟

و بعد هذا ... فان الشيء المهم هنا هو تحديد الزمن الذى بدأ به العباسيون دعوتهم، و كيف؟.

و نستطيع أن نبادر هنا إلى القول:

إن الذين بدءوا بالدعوة أولا هم العلويون، و بالتحديد من قبل أبى هاشم، عبد اللّه بن محمد بن الحنفية. و هو الذى نظم الدعاة، و رتبهم، و قد انضوى تحت لوائه: محمد بن على بن عبد اللّه بن العباس، و معاوية ابن عبد اللّه بن جعفر بن أبى طالب، و عبد اللّه بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب، و غيرهم ... و هؤلاء الثلاثة هم الذين حضروه حين وفاته، و أطلعهم على أمر دعاته ...

و قد قرأ محمد بن على، و معاوية بن عبد اللّه تلك الصحيفة، المشار إليها آنفا، و وجد كل منهما ذكرا للجهة التى هو فيها ...

و لهذا نلاحظ: أن كلا من محمد بن على، و معاوية بن عبد اللّه، قد ادعى الوصاية من أبى هاشم؛ مما يدل دلالة واضحة على أنه لم يخصص أيا منهما بالوصية، و إنما عرفهما دعاته فقط ...

(۱) شرح نهج البلاغة ج ۷ ص ۱۴۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۰

هذا ... و بعد موت معاوية بن عبد اللّه، قام ابنه عبد اللّه يدعى الوصاية من أبيه، من أبى هاشم ... و كان له فى ذلك شيعة، يقولون بامامته سرا حتى قتل ...

و أما محمد بن على فقد كان بمنتهى الحنكة و الدهاء، و قد تعرف- كما قلنا- من أبى هاشم على الدعاة، و استطاع بما لديه من قوة الشخصية، و حسن الدهاء أن يسيطر عليهم، و يستقل بهم «۱»، و يبعدهم عن معاوية بن عبد اللّه، و عن ولده، و يبعدهما عنهم ...

و استمر محمد بن على يعمل بمنتهى الحذر و السرية ... و كان عليه أن:

۱- يحذر العلويين، الذين كانوا أقوى منه حجة، و أبعد صيتا.

بل عليه أن يستغل نفوذهم- إن استطاع- لصالحه، و صالح دعوته ...

و لقد فعل ذلك هو و ولده كما سيتضح ...

۲- و كان عليه أيضا أن يتحاشى مختلف الفئات السياسية، التى لن يكون تعامله معها فى صالحه، و فى صالح دعوته ...

۳- و الأهم من ذلك أن يصرف أنظار الحكام الأمويين عنه، و عن نشاطاته، و يضللهم، و يعمى عليهم السبل ...

و لذا فقد اختار خراسان، فأرسل دعاته إليها، و أوصاهم بوصيته

(۱) شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۵۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۱

المشهورة، التی یقسم فیها البلاد و الامصار: هذا علوی، و ذاک عثمانی، و ذلک غلب علیه أبو بکر و عمر، و الآخر سفیانی ... إلی آخر ما سیأتی «۱» ...

---

(۱) و لقد بذل محمد بن علی جهدا جبارا فی إنجاح الدعوة، و کانت أکثر نشاطاته فی حیاة والده، علی بن عبد اللّه، الذی یبدو أنه لم یکن له فی هذا الأمر دور یذکر. و توفی والده علی ما یظهر فی سنة ۱۱۸ ه. و کان قد بدأ نشاطاته، حسب ما بأیدینا من الدلائل التاریخیة من سنة ۱۰۰ ه. أی بعد وفاة أبی هاشم بسنتین. إذ فی: سنة ۱۰۰ ه. وجه محمد بن علی من أرض الشراة میسرة إلی العراق و وجه محمد بن خنیس، و أبا عکرمة السراج، و هو أبو محمد الصادق، و حیان العطار إلی خراسان.

و فیها أیضا جعل اثنی عشر نقیبا، و أمر دعاته بالدعوة إلیه، و إلی أهل بیته ...

و فی سنة ۱۰۲ ه. وجه میسرة رسله إلی خراسان، و ظهر أمر الدعوة بها و بلغ ذلک سعید خذینة، عامل خراسان؛ فأرسل، و أتی بهم، و استنطقهم، ثم أخذ منهم ضمناء و أطلقهم ...

و فی سنة ۱۰۴ ه. دخل أبو محمد الصادق، و عدة من أصحابه، من أهل خراسان إلی محمد بن علی؛ فأراهم السفاح فی خرقة، و کان قد ولد قبل خمسة عشر یوما، و قال لهم: «و اللّه، لیتمن هذا الأمر، حتی تدرکوا ثارکم من عدوکم».

و فی سنة ۱۰۵ ه. دخل بکیر بن ماهان فی دعوة بنی هاشم ... و فیها مات میسرة؛ فجعل محمد بن علی بکیرا هذا مکانه فی العراق ...

و فی سنة ۱۰۷، أو ۱۰۸ ه. وجه بکیر بن ماهان عدة من الدعاة إلی خراسان، فظفر بهم عامل خراسان؛ فقتلهم، و نجا منهم عمارة؛ فکان هو الذی أخبر محمد ابن علی بذلک.

و فی سنة ۱۱۳ ه. صار جماعة من دعاة بنی العباس إلی خراسان؛ فأخذ الجنید بن عبد الرحمن رجلا منهم؛ فقتله، و قال: «من اصیب منهم فدمه هدر».

و فی سنة ۱۱۷ ه. أخذ عامل خراسان أسد بن عبد اللّه وجوه دعاة بنی العباس، و فیهم النقباء، و منهم سلیمان بن کثیر؛ فقتل بعضهم، و مثل ببعضهم، و حبس آخرین ...

و فی سنة ۱۱۸ وجه بکیر بن ماهان عمار بن یزید- و هو خداش- والیا علی شیعة بنی العباس؛ فنزل مروا، و دعا إلی محمد بن علی؛ ثم غلا ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۲

و أمرهم- أعنی الدعاة بالتحاشی عن الفاطمیین، لکنه ظل هو شخصیا، و من معه من العباسیین، الذین استنوا بسنته، و ساروا من بعده بسیرته- ظلوا- یتظاهرون للعلویین بأنهم معهم، و أن دعوتهم لهم. و لم یکن إلا القلیلون یعرفون بأنه: کان یدبر الأمر للعباسیین.

و قد أعطی دعاته شعارات مبهمة، لا تعین أحدا، و صالحة للانطباق علی کل فریق، کشعار: «الرضا من آل محمد» و «أهل البیت»، و نحو ذلک ...

مدی سریة الدعوة:

و الظاهر ... أن عبد اللّه بن معاویة کان من جملة أولئک المخدوعین بهذه الشعارات؛ إذ قد ذکر المؤرخون، و منهم أبو الفرج فی مقاتل الطالبیین ص ۱۶۸، و غیره: أنه بعد ان استظهر ابن ضبارة علی عبد اللّه ابن معاویة توجه عبد اللّه إلی خراسان، و کان أبو مسلم قد ظهر بها؛ فخرج إلی أبی مسلم طمعا فی نصرته!! فأخذه أبو مسلم؛ فحبسه، ثم قتله ...

و فی سنة ۱۲۰ ه. و جهت شیعة بنی العباس سلیمان بن کثیر إلی محمد بن علی فی أمر خداش.

و فی سنة ۱۲۴ ه. قدم جماعة من شیعة بنی العباس الکوفة یریدون مکة. و فیها أیضا اشتری بکیر بن ماهان أبا مسلم ...

راجع فی ذلک کله:

تاریخ الطبری مطبعة الاستقامة ج ۵ ص: ۳۱۶، ۳۵۸، ۳۶۸، ۳۸۷، ۳۸۹، ۴۲۵، ۴۳۹، ۴۴۰، ۴۶۷، ۵۱۲، و غیر ذلک من کتب التاریخ.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۳

و هذا یدل دلالة واضحة علی أن عبد اللّه بن معاویة کان یظن أن أبا مسلم سوف ینصره، و أنه- یعنی أبا مسلم- کان یدعو إلی أهل البیت، و الرضا من آل محمد علی الحقیقة، و لم یخطر فی باله: أن الدعوة کانت للعباسیین، و بتدبیر من أعظم داهیة فیهم!! ..

بل لعلنا نستطیع أن نقول: إن محمد بن علی قد استطاع أن یخفی هذا الأمر حتی عن ولدیه: السفاح، و المنصور، و لذا نراهما قد التحقا مع جمیع بنی هاشم العباسیین و العلویین علی حد سواء، و بعض الأمویین «۱» و وجوه قریش بعبد اللّه بن معاویة الخارج سنة ۱۲۷ ه. فی الکوفة، ثم فی شیراز؛ حیث تغلب علی: فارس، و کورها، و علی حلوان، و قومس، و اصبهان، و الری و علی میاه الکوفة، و علی میاه البصرة، و علی همدان، و قم، و اصطخر، و عظم أمره جدا «۲».

و قد تولی المنصور من قبل عبد اللّه بن معاویة هذا علی «إیذج» «۳» کما تولی غیره غیر ذلک من الأمصار ... فقبول المنصور لولایة «إیذج» من قبله، باعتباره من الهاشمیین یکشف عن أنه لم یکن یعلم: أن والده کان ابتداء من سنة مائة، أی قبل خروج عبد اللّه بن معاویة ب «۲۸» سنة یسعی جاهدا، و یشقی و یتعب فی تدبیر الامر للعباسیین، و ترکیز الدعوة لهم ... و انما کان یعلم أن الدعوة کانت لأهل البیت، و الرضا من

---

(۱) الأغانی ج ۱۱ ص ۷۴، و مقاتل الطالبیین ص ۱۶۷، و الوزراء و الکتاب ص ۹۸.

(۲) راجع أنساب الأشراف ص ۶۳، و الأغانی ج ۱۱ ص ۷۴، و مقاتل الطالبیین ص ۱۶۷، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۵، ۲۶، و ص ۳، و عمدة الطالب، و زاد فی تاریخ الجنس العربی: المدائن، و نیسابور ...

(۳) أنساب الأشراف للبلاذری ص ۶۳، و عمدة الطالب فی أنساب آل أبی طالب طبع بمبئی ص ۲۲، و الوزراء و الکتاب ص ۹۸ و ۹۹، و فرج المهموم فی تاریخ علماء النجوم ص ۲۱۰. و فیه: أن سلیمان بن حبیب بن المهلب أخذه؛ فحبسه، و أراد قتله، فسلم المنصور منه بعد أن أشرف علی القتل ... و لیراجع الجهشیاری أیضا.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۴

آل محمد، المنطبق- بالطبع- علی العلویین أکثر من غیرهم علی الاطلاق ...

و إلا فلو کان لمحمد بن علی دعوة واضحة، و مشهورة، و متمیزة، و کان المنصور یعلم بها لکان تولیه لإیذج من قبل عبد اللّه بن معاویة مضرا جدا فی دعوة أبیه، و ضربة قاضیة لها ...

اللهم إلا أن یکون ثمة غرض آخر أهم؛ فیکون ذلک منهم حنکة و دهاء ... کأن یکون نظرهم إلی أنه: لو نجحت دعوتهم، فبها ... و إلا ... فلو نجحت دعوة عبد اللّه بن معاویة، فباستطاعتهم أن یحتفظوا فیها بمراکزهم، و نفوذهم؛ إذ لهم أن یقولوا: إننا کنا من المعاونین و المساهمین فی هذه الدعوة ... کما أن بذلک تنصرف أنظار الحکام عنهم، و یأمن العلویون جانبهم؛ فلا یناهضون دعوتهم و لا یقفون فی وجهها ...

و بهذه الاسباب نستطیع أن نفسر بیعة العباسیین جمیعا، اکثر من مرة لمحمد بن عبد اللّه العلوی، و به أیضا نفسر جواب المنصور لسائله عن محمد بن عبد اللّه هذا، حیث قال: «هذا محمد بن عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن، مهدینا أهل البیت» و یأخذ برکابه، و یسوی علیه ثیابه «۱».

و أیضا قوله فی مجلس البیعة لمحمد هذا: «ما الناس أصور أعناقا، و لا أسرع إجابة منهم لهذا الفتی ...» کما سیأتی ...

و مما یوضح أیضا مدی تکتم العباسیین بأمر دعوتهم، أن: إبراهیم الامام قد بشر بأنه قد أخذت له البیعة بخراسان- و هو فی نفس الاجتماع الذی کان قد عقد لیجددوا فیه البیعة لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن ... و سیأتی المزید من الشواهد لهذا أیضا إن شاء اللّه تعالی.

و هکذا ... فان النتیجة تکون هی: أن العباسیین ظلوا یتسترون

---

(۱) مقاتل الطالبیین ص ۲۳۹، ۲۴۰.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۵

بالعلویین، و یخدعونهم، علی اعتبار أنهم لو نجحوا فی دعوتهم السریة، فان بیعتهم للعلویین، و دعوتهم لهم لا تضرهم، و إذا ما فشلوا فانهم سوف یحتفظون بنفوذهم و مراکزهم فی دولة أبناء عمهم ...

هذا مجمل الکلام بالنسبة للدعوة العباسیة، و لکن طبیعة البحث تفرض علینا التوسع فی بیان المراحل التی مرّت بها هذه الدعوة، و لا سیما فیما یتعلق بربطها بأهل البیت علیهم السلام، و العلویین، و مدی اعتمادهم علی هذا الربط ... فنقول:

لا بد من ربط الثورة بأهل البیت ...

إنه کان لا بد للعباسیین من ربط الثورة و الدعوة بأهل البیت علیهم السلام، حیث إنهم کانوا بحاجة إلی:

أولا: صرف انظار الحکام عنهم ...

ثانیا: کسب ثقة الناس بهم، و الحصول علی تأییدهم لهم.

ثالثا: أن لا- تقابل دعوتهم بالاستغراب، و الاستهجان، حیث إنهم لم یکونوا معروفین فی أقطار، و انحاء الدولة الاسلامیة المترامیة الأطراف، و لا کان یعرف أحد لهم حقا فی الدعوة لأنفسهم، کما هو الحال بالنسبة إلی العلویین، مما یجعل الدعوة لهم مع وجود العلویین مستغربة و مستهجنة إلی حد ما ...

رابعا:- و هو أهم ما فی الامر- أن یطمئن إلیهم العلویون، و یثقوا بهم، حتی لا تکون لهم دعوة فی مقابل دعوتهم، لأن ذلک بلا شک سوف یضعفهم، و یوهن قوتهم، لما یتمتع به العلویون من نفوذ و مکانة فی نفوس الناس بشکل عام ...

و لهذا نری أبا سلمة الخلال، یعتذر لابی العباس السفاح، عن کتابته

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۶

للامام الصادق علیه السلام، بأن یجعل الدعوة باسمه، و یبایعه- یعتذر- بأنه: «کان یدبر استقامة الأمر «۱»».

نعم ... لقد کان لربطهم الثورة بأهل البیت علیهم السلام أثر کبیر فی نجاح ثورتهم، و ظهور دعوتهم. و قد أکسبها ذلک قوة و منعة، و جعلها فی منأی و مأمن من طمع الطامعین، و تطلع المتطلعین، الذین کانوا یرجون لأنفسهم حظا من الحیاة الدنیا، و ما أکثرهم ...

کما و أن ذلک قد أثر أثرا بالغا فی اکتسابهم عطف الأمة، و تأییدها، و خصوصا الخراسانیین، الذین کانوا لا یزالون یعیشون الإسلام بعیدا عن أهواء المبتدعین، و تلاعب المتلاعبین، و الذین: «و إن کانوا أقل غلوا (أی من أهل الکوفة)، فقد کانوا أکثر حماسة للدعوة لأهل البیت» «۲»؛ و ذلک لأنهم لم یعاملوا معاملة حسنة فی الواقع، و لم یسر فیهم بسیرة محمد و القرآن إلا علی بن أبی طالب علیه السلام «۳» ...

کما أنهم لم ینسوا بعد ما لا لاقوه فی الدولة الأمویة من العسف و التنکیل؛ و لذا فمن الطبیعی أن نراهم مستعدین لتقبل أیة دعوة لأهل البیت علیهم السلام، و التفاعل معها، بل و التفانی فی سبیلها. کما أن بلدهم کان بعیدا من مرکز الخلافة بالشام و لم یکن فیه فرق و أحزاب متناحرة کالعراق الذی کان فیه شیعة و خوارج و مرجئة و غیر ذلک. و کانت وطأة الحکم العباسی علی العراق و مراقبتهم

لکل حرکة فیه أشد منها فی خراسان ...

و بالفعل لقد شید الخراسانیون، الذین کانوا یحبون أهل البیت علیهم السلام أرکان دولة بنی العباس، و قامت خلافتهم علی أکتافهم، و استقامت

---

(۱) تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۷.

(۲) السیادة العربیة، و الشیعة، و الاسرائیلیات ص ۱۰۶.

(۳) نفس المصدر ص ۳۹.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۷

لهم الامور بفضل سواعدهم، و أسیافهم، و سیأتی إن شاء اللّه المزید من الکلام عن الایرانیین، و عن سر تشیعهم، و خاصة الخراسانیین منهم فی فصل: ظروف المأمون الخ ... و غیره من الفصول ...

المراحل التی مرت بها عملیة الربط:

اشارة

و لقد مرت عملیة الربط هذه بثلاثة مراحل أو أربعة، طبقا للظروف التی کانت قائمة آنذاک ... و إن کانت هذه المراحل قد تبدو متداخلة، و غیر ممیزة فی أحیان کثیرة «۱» ... إلا أن ذلک کان تبعا للظروف المکانیة، و الزمانیة، و الاجتماعیة، التی کانت تتفاوت و تختلف باستمرار إلی حد کبیر ... و هذه المراحل هی:

الأولی: دعوتهم فی بادئ الأمر «للعلویین».

الثانیة: دعوتهم إلی: «أهل البیت»، و «العترة».

الثالثة: دعوتهم إلی «الرضا من آل محمد».

الرابعة: ادعاؤهم الخلافة بالارث، مع حرصهم علی ربط الثورة بأهل البیت، بدعوی: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلویین، و لیرفعوا عنهم الظلم الذی حاق بهم ...

المرحلة الأولی:

و إذ قد عرفنا أن الدعوة کانت فی بدء أمرها للعلویین، فلا یجب

---

(۱) قال فی العیون و الحدائق ص ۱۸۰: «و کان قد انتشر فی خراسان دعاة من الشیعة، و قد انقسموا قسمین: قسم منهم یدعو إلی آل محمد علی الاطلاق. و القسم الثانی یدعو إلی أبی هاشم بن محمد بن الحنفیة، و کان المتولی لهذه الدعوة إلی آل رسول اللّه (ص) ابن کثیر، و کان الدعاة یرجعون فی الرأی و الفقه إلی أبی سلمة الخ ...».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸

أن نستغرب کثیرا، إذا قیل لنا: إن جلة العباسیین، حتی ابراهیم الامام، و السفاح، و المنصور کانوا قد بایعوا للعلویین اکثر من مرة، و فی اکثر من مناسبة، فإن ذلک ما کان الا ضمن خطة مرسومة، وضعت بعنایة فائقة، بعد دراسة معمقة لظروفهم مع العلویین خاصة، و مع الناس بشکل عام ...

و يمكن أن نعتبر بيعتهم هذه هى المرحلة الأولى من تلك المراحل المشار إليها آنفا ...

فنراهم عدا عن تعاونهم الواضح مع عبد اللّه بن معاوية، قد بايعوا محمد بن عبد اللّه بن الحسن أكثر من مرة أيضا، فقد:

«اجتمع آل عباس، و آل على عليه السلام بالأبواء، على طريق مكة، و هناك قال صالح بن على: «إنكم القوم الذين تمتد إليهم أعين الناس، فقد جمعكم اللّه فى هذا الموضع، فاجتمعوا على بيعة أحدكم، فتفرقوا فى الآفاق، فادعوا اللّه، لعل أن يفتح عليكم، و ينصركم»، فقال أبو جعفر، أى المنصور: «لأى شيء تخدعون أنفسكم؟ و اللّه، لقد علمتم: ما الناس أصور (أى أميل) أعناقا، و لا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى»، يريد محمد بن عبد اللّه العلوى ...

قالوا: «قد و اللّه صدقت، إنا لنعلم هذا»، فبايعوا جميعا محمدا، و بايعه ابراهيم الامام، و السفاح، و المنصور، و صالح بن على، و سائر من حضر» طبعا ما عدا الامام الصادق عليه السلام ...».

و خرج دعاة بنى هاشم عند مقتل الوليد بن يزيد، فكان أول ما يظهرونه فضل على بن أبى طالب و ولده، و ما لحقهم من القتل، و الخوف، و التشريد، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل فريق الوصية إلى من يدعو إليه ...

و لم يجتمعوا (أى المتبايعون الآنف ذكرهم) إلى أيام مروان بن

محمد، ثم اجتمعوا يتشاورون، إذ جاء رجل إلى ابراهيم الامام، فشاوره بشيء، فقام و تبعه العباسيون، فسأل العلويون عن ذلك، فاذا الرجل قد قال لإبراهيم: «قد أخذت لك البيعة بخراسان، و اجتمعت لك الجيوش ...».

بل لقد بايع المنصور محمد بن عبد اللّه العلوى مرتين: إحداهما:

بالأبواء على طريق مكة. و الأخرى: بالمدينة. و بايعه مرة ثالثة أيضا:

فى نفس مكة، و فى المسجد الحرام بالذات ...

و من هنا نعرف السبب فى حرص السفاح و المنصور على الظفر بمحمد ابن عبد اللّه العلوى، فان ذلك لم يكن إلا بسبب ما كان له فى اعناقهما من البيعة «۱» ...

---

(۱) قد اقتبسنا هذه النصوص كلها من كثير من المراجع، و خصوصا: مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الاصفهانى، صاحب الأغانى ص ۲۳۳، ۲۳۴، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۹۵، و غيرها ... و على كل فان كون الدعوة العباسية كانت فى بدء أمرها باسم العلويين، يبدو مما لا شك فيه، و مما اتفقت عليه كلمات المؤرخين، و النصوص التاريخية، التى سوف نشير إلى شطر منها فى هذا الفصل ...

و لا ـ بأس أن يراجع بالاضافة إلى مقاتل الطالبيين فى الصفحات المشار إليها: النصوص التى وردت فى: النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵۰، و تاريخ ابن خلدون ج ۴ ص ۳، و ج ۳ ص ۱۸۷، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۶۴، ۱۶۵، و تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴ ص ۳۹۷، ۳۹۸، و البحار ج ۴۷ ص ۱۲۰ و ص ۲۷۷، و عمدة الطالب، طبع بيروت ص ۸۴ و الخرائج و الجرائح ص ۲۴۴، و جعفر ابن محمد، لعبد العزيز سيد الاهل ص ۱۱۵، فما بعدها، و غاية الاختصار ص ۲۲، و إعلام الورى ص ۲۷۱، ۲۷۲، و ارشاد المفيد ص ۲۹۴، ۲۹۶، و كشف الغمة ج ۲ ص ۳۸۳، ۳۸۴، و ابن اعثم الكوفى فى كتابه: الفتوح على ما نقله فى طبيعة الدعوة العباسية، ... و أشار الطبرى إلى ذلك فى تاريخه ج ۱۰ ص ۱۴۳، فقال:

قد ذكروا أن محمدا كان يذكر أن أبا جعفر ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة، حين اضطرب أمر بنى مروان ... و أشار إلى ذلك أيضا ابن الأثير ج ۴ ص ۲۷۰، و يراجع أيضا شرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۴، و ص ۱۰۴.

۱۰۵. و غير هؤلاء كثير ...

و قد ذكر أبو فراس الحمدانى هذه البيعة فى قصيدته المشهورة، المعروفة ب «الشافية»، فقال:

بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسن أباهم العلم الهادى و أمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهمو لا يمين، و لا قربى، و لا ذمم و ذكر ابن الأثير: أن عثمان بن محمد، بن خالد بن الزبير، هرب بعد مقتل محمد إلى البصرة، فأخذ و أتى به إلى المنصور، فقال له المنصور: يا عثمان، أنت الخارج على مع محمد؟!. قال له عثمان: بايعته أنا و أنت بمكة، فوفيت ببيعتى، و غدرت ببيعتك. فشتمه المنصور، فأجابه، فأمر به فقتل «۱» ...

و ذكر البيهقى: أنه لما حمل رأس محمد بن عبد اللّه بن الحسن إلى المنصور، من مدينة الرسول، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال لمطير بن عبد اللّه: «أ ما تشهد أن محمدا بايعنى؟.» قال: «أشهد باللّه، لقد أخبرتنى أن محمدا خير بنى هاشم، و أنك بايعت له ...» قال: يا ابن الزانية الخ:

و كانت النتيجة: أن المنصور أمر به، فوتد فى عينيه، فما نطق!!. «۲»

إلى آخر ما هنالك من النصوص الكثيرة، التى يتضح معها بما لا ـ مجال معه للشك: أن الدعوة كانت فى بدء أمرها لخصوص العلويين، و باسمهم، ثم استغلت بعد ذلك لمصلحة العباسيين ...

المرحلة الثانية ...

ثم رأينا بعد ذلك: كيف أن الدعوة العباسية تستبعد العلويين،

---

(۱) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۲.

(۲) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ۴۸۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۱

و تتحاشى التصريح باسمهم، بطريقة فيها الكثير من الدهاء، و السياسة، حيث اقتصروا فى دعوتهم- بعد ذلك- على أنها ل «أهل البيت»، و «العترة»، و هذه هى المرحلة الثانية من المراحل الأربع التى أشرنا إليها ...

و كان الناس لا يفهمون من كلمة: «أهل البيت» إلا العلويين، لانصراف الأذهان إليهم عند اطلاق هذه العبارة، و ذلك بسبب الآيات و الروايات الكثيرة، التى استخدمت هذا التعبير للدلالة عليهم، دون غيرهم ...

فهذا أبو داود يقول للنقباء: «... أ فتظنونه- أى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- خلفه- أى العلم- عند غير عترته، و أهل بيته، الأقرب، فالأقرب؟! ...

إلى أن قال: ا فتشكون أنهم معدن العلم، و أصحاب ميراث رسول اللّه (ص)؟! .. «۱»»

و هذا أبو مسلم الخراسانى القائم بالدولة العباسية، يكتب إلى الإمام الصادق صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يقول: «إنى دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت، فان رغبت فيه، فأنا أبايعك؟.».

فأجابه الامام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «.. ما أنت من رجالى، و لا الزمان زمانى»، ثم جاء أبو مسلم، و بايع السفاح، و قلده الخلافة «۲».

و قال السيد امير على بعد أن ذكر ادعاء العباسيين للوصاية من أبى هاشم: «.. و قد لاقت هذه القصة بعض القبول فى بعض المناطق الإسلامية. أما عند عامة المسلمين، الذين كانوا يتعلقون بأحفاد محمد،

---

(۱) الطبرى، طبع ليدن ج ۹ ص ۱۹۶۱.

(۲) الملل و النحل للشهرستانی، طبع مؤسسة الحلبی فی القاهرة ج ۱ ص ۱۵۴، و طبع العنانیة ص ۸۷، و ینابیع المودة للحنفی ص ۳۸۱، نقلا عن: فصل الخطاب، لمحمد بارسا البخاری.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۲

فقد ظل دعاة العباسیین یؤکدون لهم أنهم یعملون لحساب: أهل البیت.

و حتی ذلک الوقت کان العباسیون یظهرون الولاء التام لبنی فاطمة، و یخلعون علی حرکتهم، و علی سیاساتهم مظهر الوصول إلی هدف ضمان العدالة، و الحق لأحفاد محمد .. و کان ممثلوا أهل البیت، و محبوهم، لا یخامرهم الشک فی الغدر، الذی تبطنه هذه الاعترافات من العباسیین؛ فشملوا محمد بن علی، و جماعته بعطفهم و حمایتهم، الذین کانوا فی حاجة إلیهما ..» «۱».

و یقول: «... و کانت کلمة: «أهل البیت» هی السحر الذی یؤلف بین قلوب مختلف طبقات الشعب، و یجمعهم حول الرایة السوداء ...» «۲».

المرحلة الثالثة:

اشارة

ثم تأتی المرحلة الثالثة، و یتقلص ظل العلویین، و أهل البیت عن هذه الدعوة، أکثر فأکثر، کلما ازدادت قوتها، و اتسع نفوذها، حیث رأینا أخیرا انها اتسعت بحیث تستطیع أن تشمل العباسیین أیضا مع العلویین.

حیث أصبحت إلی: «الرضا من آل محمد»، و إن کانوا لا یزالون یذکرون فضل علی، و ما لحق ولده من القتل و التشرید، کما یتضح بأدنی مراجعة لکتب التاریخ ...

و هذه العبارة، و إن کانت لا تختلف کثیرا عن عبارة: «العترة، و أهل البیت»، و نحوها ... إلا أنها کانت فی أذهان العامة أبعد من أن یراد بها العلویون علی الخصوص ... و لکن مع ذلک بقیت الجماهیر

(۱- ۲) روح الاسلام ص ۳۰۶ و ۳۰۸. و لا بأس بمراجعة ما ورد فی کتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۱ جزء ۲ ص ۵۳۲. و السیادة العربیة و الشیعة و الإسرائیلیات ص ۹۴. و امبراطوریة العرب ص ۴۰۶، و طبیعة الدعوة العباسیة، و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۳

تعتقد أن الخلیفة سیکون علویا، کما کان العلویون یعتقدون ذلک ...» «۱»

علی حد تعبیر أحمد شلبی ... و إذا صح هذا، و فرض- و لو بعیدا- أن شعار: الرضا من آل محمد لا یختلف عن شعار: العترة، و أهل البیت فی أذهان عامة الناس، فلسنا نصر علی جعل هذا مرحلة مستقلة، بل یکون داخلا فیما سبقه، و تکون المراحل حینئذ ثلاثة، لا أربعة ...

ملاحظات لا بد منها فی المرحلة الثالثة:

اشارة

و قبل الانتقال إلی الکلام علی المرحلة الرابعة، و الأخیرة. لا بد من ملاحظة أمور:

أ:

انهم فی نفس الوقت الذی نراهم فیه یبعدون الدعوة عن أهل البیت، کما یدلنا علیه قول محمد بن علی العباسی لبکیر بن ماهان:

«و حذر شیعتنا التحرک فی شیء مما تتحرک فیه بنو عمنا آل أبی طالب؛ فإن خارجهم مقتول، و قائمهم مخذول؛ و لیس لهم من الأمر نصیب، و سنأخذ بثأرهم ...» «۲».

و کما یدلنا علیه ما رواه الطبری من أن محمد بن علی نهی دعاته عن رجل اسمه: غالب؛ لأنه کان مفرطا فی حب بنی فاطمة «۳» ...

نراهم من جهة ثانیة: و حتی لا یصطدموا بالعلویین وجها لوجه ...

کانوا فی جمیع مراحل دعوتهم یتکتمون جدا باسم الخلیفة، الذی یدعون الناس إلیه، و إلی بیعته، بل إن الشخص الذی کانوا یدعون

---

(۱) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة لأحمد شلبی ج ۳ ص ۲۰.

(۲) طبیعة الدعوة العباسیة ۱۵۲، نقلا عن: مخطوطة العباسی ص ۹۳ أ، ۹۳ ب.

(۳) راجع: تاریخ الجنس العربی ج ۸ ص ۴۱۱.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۴

الناس إلیه، و إلی بیعته ... بل و کان الناس یبایعونه ما کانوا یعرفونه، بل یعرفه الدعاة فقط، و علی الناس أن یبایعوا إلی «الرضا من آل محمد» و لا بأس بمراجعة نص البیعة فی تاریخ التمدن الاسلامی، المجلد الأول، الجزء الاول ص ۱۲۵.

و لعل هدفهم من ذلک کان أیضا: هو أن لا یربطوا الدعوة بفرد معین، حتی لا تضعف إذا ما مات، أو اغتیل ...

و علی کل فقد نص ابن الأثیر فی الکامل ج ۴ ص ۳۱۰، حوادث سنة ۱۳۰ علی أن أبا مسلم کان یأخذ البیعة إلی الرضا من آل محمد ...

و مثل ذلک کثیر فی کلمات المؤرخین، و إلیک بعض النصوص التاریخیة، التی تدل علی ذلک:

ففی الکامل ج ۴ ص ۳۲۳ نص علی أن محمد بن علی بعث داعیا إلی خراسان یدعو إلی «الرضا من آل محمد» و لا یسمی أحدا، و لعل الذی أرسله هو أبو عکرمة الآتی ذکره ...

و قد قال محمد بن علی العباسی لأبی عکرمة: «فلتکن دعوتک إلی: «الرضا من آل محمد»؛ فاذا وثقت بالرجل، فی عقله، و بصیرته، فاشرح له أمرکم ...

و لیکن اسمی مستورا من کل أحد، إلا عن رجل عدلک فی نفسک، و توثقت منه، و أخذت بیعته ...».

ثم أمره بالتحاشی عن الفاطمیین «۱» ...

و یقول أحمد شلبی: «... کانوا (أی العباسیون) یوهمون العلویین بأنهم یعملون لهم، و لکنهم فی الواقع کانوا یعملون لأنفسهم» «۲» ...

---

(۱) طبیعة الدعوة العباسیة ص ۱۵۵، نقلا عن:DIC .PO ص ۹۵ أ/ ۹۵ ب.

(۲) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳ ص ۲۰.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵

و یقول أحمد أمین: «... و مع هذا فکان من إحکام أمرهم أنهم لم یکونوا یصرحون عند دعوتهم فی کثیر من المواقف باسم الإمام؛ لیتجنبوا انشقاق الهاشمیین بعضهم علی بعض ...» «۱».

و لو کان الخلیفة معینا و معروفا عند الناس، لما استطاع أبو مسلم، و أبو سلمة، و سلیمان الخزاعی، أن یکاتبوا الإمام الصادق علیه

السلام، و غیره من العلویین، أنهم یبایعونهم، و یجعلون الدعوة لهم، و باسمهم …

و قد تقدمت رسالة أبی مسلم للإمام الصادق علیه السلام، التی یصرح فیها بأنه: إنما دعا الناس إلی موالاة أهل البیت فقط، أی من دون تصریح باسم أحد …

و قد قال أحدهم: کنت عند أبی عبد اللّه علیه السلام، فأتاه کتاب أبی مسلم؛ فقال: «لیس لکتابک جواب. أخرج عنا» «۲».

و قال السید أمیر علی عن أبی مسلم: «و قد ظل إلی هذا الوقت موالیا، بل مخلصا، بل متحمسا لابناء علی «۳»».

و قال صاحب قاموس الأعلام: «و عرض أبو مسلم الخراسانی الخلافة ابتداء علی الامام الصادق، فلم یقبلها «۴»».

---

(۱) ضحی الاسلام ج ۳ ص ۳۸۰، ۳۸۱.

(۲) روضة الکافی ص ۲۷۴، و البحار ج ۴۷ ص ۲۹۷.

(۳) روح الاسلام ص ۳۰۶.

(۴) راجع المجلد الأول، الجزء الأول من کتاب: الامام الصادق و المذاهب الأربعة ص ۵۷، نقلا عن: قاموس الاعلام ج ۳ ص ۱۸۲۱ طبع استانبول، تألیف:

ش. سامی …

و رغم أن أبا مسلم قد قضی علی عدة ثورات قامت باسم العلویین، علی ما فی کتاب:

طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۵۱، ۲۵۳، فاننا نعتقد أن رسائله هذه، و رسائله التی أرسلها إلی المنصور یظهر فیها الندم علی أنه زوی الأمر عن أهله، و وضعه فی غیر

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶

و أما أبو سلمة: فانه عند ما خاف من انتقاض الامر علیه، بسبب موت ابراهیم الإمام، أرسل- و السفاح فی بیته- إلی الامام الصادق علیه السلام یطلب منه القدوم علیه لیبایعه، و تکون الدعوة باسمه، کما أنه کتب بمثل ذلک إلی عبد اللّه بن الحسن … لکن الامام علیه السلام، الذی کان فی منتهی الیقظة و الحزم. رفض الطلب، و أحرق الکتاب، و طرد الرسول «۱» …

و قد نظم أبو هریرة الأبار، صاحب الامام الصادق علیه السلام هذه الحادثة شعرا، فقال:

و لما دعا الداعون مولای لم یکن لیثنی إلیه عزمه بصواب

و لما دعوه بالکتاب أجابهم بحرق الکتاب دون رد جواب

محله … هی السر، و السبب الحقیقی الکامن و راء قتله، مع أنه مؤسس الدولة العباسیة (و من سل سیف البغی قتل به)، و مشید أرکانها … و قد استظهر ذلک أیضا المستشرق العلامة (بلوشیه) علی ما فی کتاب طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۵۱، و أشار إلیه أیضا السید أمیر علی فی کتابه: روح الاسلام ص ۳۱۱.

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۳، ۲۵۴، و ینابیع المودة ص ۳۸۱، و تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۶، و الوزراء و الکتاب ص ۸۶، و هامش ص ۴۲۱ من امبراطوریة العرب، و الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۱۵۴، ۱۵۵، و روح الاسلام ص ۳۰۸، و عمدة الطالب، طبع بیروت ص ۸۲، ۸۳ و الکامل لابن الأثیر …

و نقله فی المناقب لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۲۹، و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۲ عن ابن کادش العکبری فی: مقاتل العصابة … لکنهما (أعنی المناقب و البحار) ذکرا أن الذی کتب للامام هو أبو مسلم … و فی المناقب ج ۴ آخر ص ۲۲۹، و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۳ نقلا عن رامش الافزاری أن الذی کتب إلی الامام هو أبو مسلم الخلال!!! …

و واضح أن هذا هو السبب الحقيقى لقتل أبى سلمة، و قد صرح بذلك جمع من المؤرخين و الباحثين.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۷ و ما كان مولاى كمشرى ضلالةو لا ملسا منها الردى بثواب

و لكنه للّه فى الارض حجةدليل الى خير، و حسن مآب «۱» و كتب إليه أبو سلمة أيضا مرة ثانية، عند ما أقبلت الرايات: «إن سبعين الف مقاتل وصل إلينا، فانظر أمرك». فأجابه الامام بالرفض أيضا «۲» ...

و أما سليمان الخزاعى: المدبر الحقيقى للثورة فى خراسان، فانه اتصل بعبد اللّه بن الحسين الأعرج، و هما يسايران أبا جعفر المنصور فى خراسان، عند ما أرسله السفاح إليها، قال سليمان لعبد اللّه: «إنا كنا نرجو أن يتم أمركم، فاذا شئتم فادعونا إلى ما تريدون!!»، فعلم أبو مسلم بالأمر، فقتل سليمان هذا «۳» ...

بل إن هذا إن دل على شيء فانما يدل على أن كثيرا من الدعاة ما كانوا يعرفون: أن الخليفة سيكون عباسيا، فضلا عن أن يكونوا يعرفونه باسمه الصريح ...

قال الدكتور فاروق عمر: «على أننا نستطيع القول: إن اسم الامام كان معروفا لدى الحلقات الخاصة من الشيعة الهاشمية، أو العباسية، و أن الكثير من الأنصار، الذين ساندوا الثورة، و منهم ابن الكرمانى نفسه، لم يكن يعرف أن «الرضا من آل البيت» سيكون عباسيا، مع أن ابن الكرمانى كان قائدا كبيرا، و كان يطمع إلى الاستيلاء على

---

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۳۰. و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۳.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۲۲۹، و البحار ج ۴۷ ص ۱۳۳، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۱ ص ۴۷.

(۳) الطبرى ج ۱۰ ص ۱۳۲، و الامامة و السياسة ج ۲ ص ۱۲۵.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۸

خراسان «۱» ...».

ب:

يلاحظ أن العباسيين قد موهوا على الناس، و استطاعوا أن يخدعوهم، حيث خيلوا لهم فى بادئ الأمر أن الثورة كانت للعلويين ...

ثم بدءوا يعدون العدة لما سوف يقولون للناس عند اكتشافهم لحقيقة الأمر؛ فصنعوا سلسلة الوصاية المعروفة عنهم من على بن أبى طالب، إلى محمد ابن الحنفية، فإلى أبى هاشم، فإلى على بن عبد اللّه بن العباس ...

و هكذا ... و هى فى الحقيقة نفس عقيدة الكيسانية، كما سنشير إليها فى بعض الهوامش الآتية.

و قد جازت حيلتهم هذه على الناس، الذين كانوا يظنون أنهم يعملون للعلويين «۲»، حتى لقد خفى أمرهم عن عبد اللّه بن معاوية حسما قدمنا، بل لقد كان من جملة المخدوعين، الذين اكتشفوا الحقيقة بعد فوات الأوان، سليمان الخزاعى، الذى تقدم أنه- باعترافه- كان يرجو هذا الأمر للعلويين، و أبو مسلم الخراسانى الذى صارح المنصور بأن السفاح كان قد خدعه ... و أنه خدع أيضا من قبل ابراهيم الإمام، حيث ادعيا الوصاية و الامامة، و حرفا الآيات الواردة فى أهل البيت لتنطبق عليهم، مما كان من نتيجته أن زوى الأمر عن أهله، و وضعه

---

(۱) طبيعة الدعوة العباسية ص ۲۰۹ ... و لقد اشتبه الأمر على الدكتور فاروق عمر؛ فان ابن الكرمانى كان من عمال الامويين، و لم يكن من الشيعة فى أى وقت من الأوقات، و انما استماله أبو مسلم توطئة للغدر به ... و لم يكن أبو مسلم و لا غيره من الدعاة و النقباء ليصرحوا لعدوهم بمثل هذا الأمر الذى يخفونه عن أخص الناس بهم، بل حتى عمن هم مثل المنصور.

(۲) امبراطورية العرب ص ۲۰۶، و غير ذلک کثير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۹

فى غير محله «۱».

أما انخداع ابن الكرمانى فهو من الامور الواضحة و المعروفة. بل لقد رأينا البعض يذكر أن أبا سلمة الخلال كان أيضا من جملة المخدوعين، حيث كان يتوهم: أن الخليفة سيكون علويا لا عباسيا «۲» ...

ج:

و مما تجدر الاشارة إليه هنا، هو ما تقدم: من رفض الامام القاطع لعرض كل من أبى سلمة، و أبى مسلم فى جعل الدعوة له، و باسمه ...

و ما ذلک إلا لعلمه عليه السلام: بأن هؤلاء ليس لهم من هدف، إلا الوصول إلى مآربهم من الحكم و السلطان، ثم يتخلصون من كل من لا- يعودون بحاجة إليه، إذا اعتبروه عقبة فى طريقهم ... كما كان الحال فى قتلهم أبا مسلم، و سليمان بن كثير، و أبا سلمة ... و غيرهم ... شاهدنا على ذلک جواب الإمام عليه السلام لأبى مسلم: «ما أنت من رجالى، و لا الزمان زمانى» ... و كذلک المحاورة التى جرت بينه عليه السلام، و بين عبد اللّه بن الحسن، عند ما جاءه كتاب من أبى سلمة مثل كتابه ...

و أيضا قوله عليه السلام: مالى و لأبى سلمة، و هو شيعة لغيرى ... بل و مما يدل على ذلک دلالة قاطعة ... ما قدمناه من اعتذار أبى سلمة للسفاح، عن مراسلته للصادق، و غيره من العلويين، بأنه: «كان يدبر استقامة الأمر» بل يذكر الطبرى ج ۶ ص ۱۰۲ و ابن الأثير ج ۵

---

(۱) الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الأول، جزء ۲ ص ۵۳۳، و سنشير إلى مصادر اخرى لذلک فيما يأتى إن شاء اللّه ...

(۲) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۲۵۴. و فى كتاب: السيادة العربية لفان فلوتن ص ۹۷: أن النقباء أمروا بعض الدعاة بستر اسم المدعو له، و أخفوا اسم المدعو له عن البعض الآخر ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۵۰

ص ۴۳۷: أنه عند ما جمع السفاح خاصته ليستشيرهم بقتل أبى سلمة و أخبرهم بمكاتبته للعلويين ... نجد أن بعض خاصته انبرى ليقول: ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان من رأى أبى مسلم «۱». و عليه فلا يصح قول صاحب العيون و الحدائق ص ۱۸۱: «و لم يكن هوى أبى سلمة معهم، و إنما كان هواه مع الصادق جعفر الخ ...» فإن لجوءه إلى الصادق إنما كان لأجل استقامة الأمر. بل إن بعض المحققين لا يستبعد أن يكون من جملة أهدافهم من رسائلهم تلک، إلى الصادق، و عبد اللّه ابن الحسن، و غيرهما من العلويين ... هو معرفة إن كان هؤلاء يطمحون إلى الحكم، و يرغبون فيه أولا ... و ذلک ليستعد العباسيون- من ثم- لمواجهة دعوتهم، و رصد كل حركاتهم، و سكناتهم، و من ثم شل حركتهم، و القضاء عليهم ... و هذا أسلوب استعمله المنصور من بعد، لكن الإمام الصادق عليه السلام تنبه للمكيدة، و عمل على احباطها ...

د:

و تصريح أبى سلمة هذا و موقف الإمام منه، و قوله: إنه شيعة لغيره يلقى لنا ضوءا على الروايات التى تتهمه، و تتهم أبا مسلم بميول علوية ... و أن أبا مسلم أراد أن يعلن خلافة علوية، بمجرد وصوله إلى خراسان، كما عن الذهبى، و شارح شافية أبى فراس، و تاريخ الخميس. فان ذلک لا شاهد له إلا رسائلهما التى أشرنا إليها ... مع أنها لم يكن الهدف منها إلا استقامة الأمر للعباسيين ... خصوصا إذا

لاحظنا أن أبا مسلم قد قضی علی عدة ثورات للعلویین، و باسمهم- کما أشرنا إلیه-

---

(۱) و أما کتابه للصادق فهو لا یدل علی اخلاصه له، بل هو فقط- کان یدبر استقامة الأمر، و قتله من قبل العباسیین بهذا الجرم لیس إلا تغاضیا عن حقیقة الأمر بهدف الوصول إلی أهدافهم فی التخلص منه بطریقة مشروعة.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۵۱

و أنه کان یلاحقهم تحت کل حجر و مدر، و فی کل سهل و جبل، علی حد تعبیر الخوارزمی «۱» ...

المرحلة الرابعة:

ثم تأتی المرحلة الرابعة و الاخیرة، و هی: ادعاؤهم الخلافة بالإرث، کما أشرنا إلیه ... و لکنهم استمروا یربطون الثورة بأهل البیت علیهم السلام من ناحیتین:

الأولی: ادعاؤهم الخلافة بالارث عن طریق علی بن أبی طالب، و محمد بن الحنفیة، کما سیأتی بیانه.

الثانیة: ادعاؤهم أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلویین ... فأما ادعاؤهم استحقاقهم الخلافة بالارث، عن طریق علی بن أبی طالب علیه السلام، و احتجاجهم بقرباهم النسبیة من رسول اللّه (ص)، فاننا نلمحها فی کثیر من مواقفهم، حیث کانوا یستطیلون علی الناس بهذه القربی، و یحتجون بها فی مختلف المناسبات «۲» ...

---

(۱) و لکننا لا نجد فیما بأیدینا من الشواهد التاریخیة، ما یؤید دعوی الخوارزمی هذه عدا ما ذکروه من أنه: قتل عبد اللّه بن معاویة بن عبد اللّه بن جعفر، و عبید اللّه بن الحسین بن علی بن الحسین.

(۲) حیث قد ظلوا بحاجة لأن یصلوا حقهم الذی کانوا یدعونه ... بحق علی بن أبی طالب علیه السلام، و وصایتهم بالوصایة التی له، و التی لا یجهلها أحد، و لیصححوا بهذه الوسیلة خلافتهم، و یتقبلها الناس ... فکانت السلسلة التی سیأتی بیانها هی معتمدهم، مضیفین إلیها تبرأهم من أبی بکر و عمر و عثمان ...

و فی الحقیقة أن تلک هی عقیدة الکیسانیة انتحلوها لأنفسهم یوحی من مصالحهم الخاصة ...

حتی إذا ما وصلوا إلی الحکم نراهم قد قطعوا حبل صلتهم بعلی، و ولده، و جعلوا

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۵۲

فقد قال داود بن علی، أول خطیب لهم علی منبر الکوفة، فی أول کلام له أمام السفاح: «... و إنما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبنی عمنا «۱» ...».

و نری السفاح فی خطبته الأولی أیضا فی مسجد الکوفة، بعد أن ذکر عظمة الرب تبارک و تعالی، و فضل النبی (ص) «قد قاد الولایة و الوراثة، حتی انتهیا إلیه، و وعد الناس خیرا «۲» ...».

و یقال: إن من جملة ما قاله السفاح فی خطبته الأولی: «... فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، و أوجب علیهم حقنا و مودتنا، و أجزل من الفیء، و الغنیمة نصیبنا، تکرمة لنا و فضلا علینا ...

و زعمت السبائیة الضلال: أن غیرنا أحق بالریاسة و السیاسة ... إلی أن قال: ورد علینا حقنا «۳» ...»

الخلافة حقا للعباس و ولده ... ثم تخلوا عن ذلک کله فیما بعد، و رجعوا إلی العقیدة التی أسسها معاویة، و لکنهم اختلفوا عنه بأنهم أدخلوا علیا، و جعلوه فی المرتبة الرابعة، و کان ذلک بدایة وجود أهل السنة بخصائصهم، و ممیزاتهم المذهبیة، و لهذا البحث مجال

آخر، و اللّه هو الموفق و المستعان.

(۱) الطبری، طبع لیدن ج ۱۰ ص ۳۱، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۴۱، و شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۵۴، و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۵.

(۲) تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۲۹، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۶، و الطبری ج ۱۰ ص ۳۷، طبع لیدن.

(۳) الطبری ج ۱۰ ص ۳۹، ۴۰، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۵۷، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۴۱، و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۴، ۳۲۵ ...

لکن الظاهر أن لعن السبائیة (و هم الشیعة الامامیة حسب مصطلحهم) مفتعل علی لسان السفاح؛ لأن کلمة داود بن علی المتقدمة تدل علی إنکار العباسیین - فی بدء أمرهم - خلافة أبی بکر، و عمر، و عثمان، و تمسکهم بخلافة علی علیه السلام، حیث یصلون حبل وصایتهم بها ... و إن کانوا قد رجعوا عن هذه العقیدة بعد ذلک حسبما أشرنا إلیه إلی العقیدة التی کان قد روجها معاویة ... و لکن من المؤکد أنهم استمروا علی عقیدتهم تلک، أعنی إنکار خلافة الثلاثة، و وصلهم حبل وصایتهم بعلی علیه السلام، إلی زمن المنصور، الذی کان أول من أوقع الفتنة بین العباسیین و العلویین کما سیأتی ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۵۳

و یقول داود بن علی فی خطبته الأولی فی مسجد الکوفة أیضا:

«... و أحیا شرفنا و عزنا، ورد إلینا حقنا و إرثنا ...» «۱».

---

(۱) الطبری ج ۱۰ ص ۳۲، طبع لیدن، و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۵.

(أمر هام لا بد من التنبیه علیه:) إننا إذا تتبعنا الأحداث التاریخیة، نجد: أن کل مطالب بالخلافة کان یدعی أول ما یدعی الرحمیة و القربی من رسول اللّه (ص). و أول من بدأ ذلک أبو بکر فی یوم السقیفة، و تبعه علی ذلک عمر؛ حیث قررا أن لیس لأحد الحق فی أن ینازعهم سلطان محمد؛ إذ أنهم أمس برسول اللّه رحما (علی ما فی نهایة الإرب ج ۸ ص ۱۶۸، و عیون أخبار ابن قتیبة ج ۲ ص ۲۳۳، و العقد الفرید ج ۴ ص ۲۵۸، طبع دار الکتاب العربی، و الأدب فی ظل التشیع ص ۲۴، نقلا عن البیان و التبیین للجاحظ)؛ و لأنهم هم أولیاؤه و عشیرته، علی ما ذکره الطبری ج ۳ ص ۲۲۰، طبع دار المعارف بمصر، و الامامة و السیاسة ص ۱۴، ۱۵ طبع الحلبی بمصر، و شرح النهج المعتزلی ج ۶ ص ۷، ۸، ۹، ۱۱، و الامام الحسین للعلائلی ص ۱۸۶، و ص ۱۹۰، و غیرهم. او لأنهم عترة النبی (ص) و أصله و البیضة التی تفقأت عنه کما فی العثمانیة للجاحظ ص ۲۰۰. فأسقطا بذلک دعوی الأنصار عن الاعتبار.

کما أن أبا بکر قد استدل علی الأنصار بالحدیث الذی صرح باستفاضته جهابذة أهل السنة (علی ما فی ینابیع المودة للحنفی)، و هو قوله (ص) مشیرا إلی خلفائه الاثنی عشر:

«یکون علیکم اثنا عشر خلیفة کلهم تجتمع علیه الامة، کلهم من قریش».- استدل به- بعد أن تصرف فیه، بأن حذف صدره، و اکتفی بذکر: أن الأئمة من قریش علی ما فی صواعق ابن حجر ص ۶، و غیره ...

و أصبح کون الأئمة من قریش تقلیدا متبعا، بل و من عقائد أهل السنة المعترف بها، و قد استدل ابن خلدون علی ذلک بالاجماع.

و لکن قول عمر: لو کان سالم مولی حذیفة حیا لولیته، قد أوقع ابن خلدون، کما أوقع غیره من جهابذة أهل السنة فی حیص بیص؛ لعدم کون سالم قرشیا، فضلا عن أن یکون أمس رحما برسول اللّه من غیره، فراجع مقدمة ابن خلدون ص ۱۹۴، و غیره من کتبهم ...

أما ابن کثیر فانه قد استشکل بالأمر من ناحیة اخری؛ حیث قال- و هو یتحدث عن فتنة محمد بن الأشعث الکندی-: «... و العجب کل العجب من هؤلاء الذین بایعوه بالامارة،

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۵۴

و لیس هو من قریش، و انما هو کندی من الیمن؛ و قد اجتمع الصحابة یوم السقیفة علی أن الإمارة لا تکون إلا فی قریش، و احتج علیهم الصدیق بالحدیث فی ذلک، حتی أن الانصار سألوا أن یکون منهم أمیر مع أمیر المهاجرین، فأبی الصدیق علیهم ذلک ... ثم مع هذا کله ضرب سعد بن عبادة، الذی دعا إلی ذلک أولا، ثم رجع عنه» ... انتهی ... راجع البدایة و النهایة ج ۹ ص ۵۴.

فتراه یستشکل فی عمل من بایعوا محمد بن الاشعث بامرة المؤمنین، التی رآها مخالفة للاجماع المدعی یوم السقیفة ... و تراه یعترف بمخالفة سعد ثم یدعی أنه رجع عن ذلک ...

و لست أدری کیف رجع عنه، مع أنه من المتسالم علیه تاریخیا: أنه استمر علی الخلاف معهم، حتی اغتیل بالشام- اغتالته السیاسة، علی حد تعبیر طه حسین فی کتابه: من تاریخ الأدب العربی ج ۱ ص ۱۴۶، و غیره ... و ذلک أشهر من أن یحتاج إلی بیان.

و علی کل حال ... فان ما یهمنا هو الاشارة إلی أن کون الأئمة من قریش لیس فقط أصبح تقلیدا متبعا، بل قد أصبح من عقائد أهل السنة المعترف بها ...

و لکن ما تأتی به السیاسة، تذهب به السیاسة؛ إذ بعد تسعمائة سنة جاء السلطان سلیم، و خلع الخلیفة العباسی، و تسمی هو ب: «أمیر المؤمنین»، مع أنه لم یکن من قریش.

و بهذا یکون قد الغی هذا التقلید عملا من عقائد طائفة من المسلمین، و أبطله ...

و مهما یکن من أمر فان أول من ادعی استحقاق الخلافة بالقربی النسبیة من رسول اللّه (ص) کان أبو بکر، ثم عمر، و جاء بعدهما بنو أمیّة؛ فعرفوا أنفسهم بأنهم ذوی قربی النبی (ص) حتی لقد حلف عشرة من قواد أهل الشام، و أصحاب النعم و الرئاسة فیها- حلفوا- للسفاح:

علی أنهم لم یکونوا یعرفون إلی أن قتل مروان، أقرباء للنبی (ص)، و لا ـ أهل بیت یرثونه غیر بنی أمیّة ... فراجع النزاع و التخاصم للمقریزی ص ۲۸، و شرح النهج للمعتزلی ج ۷/ ۱۵۹، و مروج الذهب ج ۳ ص ۳۳ و فتوح ابن أعثم ج ۸ ص ۹۵ بل لقد ذکر المسعودی و المقریزی: أن إبراهیم بن المهاجر البجلی، الموالی للعباسیین قد نظم قضیة هؤلاء الامراء شعرا، فقال:

أیها الناس اسمعوا أخبرکمعجبا زاد علی کل العجب

عجبا من عبد شمس إنهمفتحوا للناس أبواب الکذب

ورثوا أحمد فیما زعموادون عباس بن عبد المطلب

کذبوا و اللّه ما فعلمهیحرز المیراث إلا من قرب و یقول الکمیت عن دعوی بنی أمیّة هذه:

و قالوا: ورثناها أبانا و امناو لا ورثتهم ذاک أم و لا أب

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۵۵

و فی العقد الفرید ج ۲/ ۱۲۰ طبع دار الکتاب العربی: أن أروی بنت الحارث بن عبد المطلب قالت لمعاویة: «... و نبینا (ص) هو المنصور؛ فولیتم علینا من بعده، تحتجون بقرابتکم من رسول اللّه (ص)، و نحن أقرب إلیه منکم، و أولی بهذا الأمر الخ ...».

ثم جاء العباسیون، و ادعوا نفس هذه الدعوی، کما هو واضح من النصوص التی ذکرناها، و نذکرها ... بل لقد ادعی نفس هذه الدعوی أیضا أکثر إن لم یکن کل من خرج مطالبا بالخلافة، سواء کان خروجه علی الامویین أو علی العباسیین ...

و هذا یعنی أن العامل النسبی قد لعب دورا هاما فی الخلافة الاسلامیة، و کان الناس بسبب جهلهم، و عدم وعیهم لمضامین الاسلام یصدقون و یسلمون بأن القربی النسبیة تکفی وحدها فی أن تجعل لمدعیها الحق فی منصب الخلافة. و لعل أکثر ما ورد فی القرآن الکریم، و السنة النبویة الشریفة من الوصایا بأهل البیت علیهم السلام، و الأمر بمودتهم، و محبتهم، و التمسک بهم جعل الناس یظنون

أن سبب ذلك هو مجرد قرباهم النسبية منه (ص) ... و كان أن استغل الطامحون فهم الناس الخاطئ هذا ... بل لقد حاولوا ما أمكنهم تكريسه، و تثبيته ...

إلاـ أن حقيقة الأمر هى غير ذلك؛ فان منصب الخلافة فى الاسلام، لا يدور مدار القربى النسبية منه. بل هو يدور مدار الأهلية و الجدارة، و الاستعداد الذاتى لقيادة الامة قيادة صالحة، كما كان النبى (ص) يقودها، يدلك على ذلك أننا لو رجعنا إلى النصوص القرآنية، و إلى ما ورد عن النبى (ص) بشأن الخليفة بعده، فلعلنا لا نعثر على نص واحد منها يفهم منه أن استحقاق الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص)، و حسب.

و كل ما ورد فى القرآن، و عنه (ص) من الأمر بموالاة أهل بيته، و حبهم، و التمسك بهم، و من تعيينه خلفاءه منهم، فليس لأجل قرباهم النسبية منه (ص). بل لأن الأهلية، و الجدارة الحقيقية لهذا المنصب قد انحصرت فى الخارج فيهم. فهو على حد تعبير الاصوليين:

من باب الاشارة إلى الموضوع الخارجى ... و ليس تصريحه (ص) بالقربى لأجل بيان الميزان و المقياس و الملاک فى استحقاقهم الخلافة.

و واضح أنه كان لا بد من الالتجاء إلى اللّه و رسوله لتعيين الشخص الذى له الجدارة و الأهلية لقيادة الامة؛ لأن الناس قاصرون عن إدراک حقائق الامور، و نفسيات، و غرائز، و ملكات بعضهم البعض ... إدراكا دقيقا و حقيقيا، و عن إدراک عدم طرو تغير أو تبدل عليه فى المستقبل ... و نقد عينه (ص) بالفعل، و دل عليه بمختلف الدلالات،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۵۶

بالقول: تصريحا، و تلويحا، و كناية، و نصا، و وصفا، و غير ذلک ... و بالفعل أيضا، حيث أمره على المدينة، و على كل غزوة لا يكون هو (ص) فيها، و لم يؤمر عليه أحدا، و غير ذلک ...

هذا هو رأى الشيعة، و هذا هو رأى أئمتهم فى هذا الأمر، و كلماتهم طافحة و مشحونة بما يدل على ذلک. و لا يبقى معه مجال لأى لبس أو توهم؛ فراجع كلام الامام على فى شرح النهج للمعتزلى ج ۶ ص ۱۲، و غيره مما قد يتعسر استقصاؤه ...

و مما ذكرنا نستطيع أن نعرف أن ما ورد عن الامام على عليه السلام، أو عن غيره من الأئمة الطاهرين، من قولهم: أنهم هم الذين عندهم ميراث رسول اللّه (ص)؛ فانما يقصدون به الميراث الخاص، الذى يختص اللّه به من يشاء من عباده، أعنى: ميراث العلم؛ على حد قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...» و قد اعترف أبو بكر نفسه لفاطمة الزهراء بأن الأنبياء يورثون العلم لأشخاص معينين من بعدهم. و على كل فلقد أنكر على عليه السلام مبدأ استحقاق الخلافة بالقرابة و الصحابة أشد الإنكار، فقد جاء فى نهج البلاغة قوله عليه السلام: «وا عجبا!! أ تكون الخلافة بالصحابة و القرابة؟!!». هكذا فى نهج البلاغة، شرح محمد عبده، و لكن الظاهر هو أنها محرفة، و أن الصحيح هو ما فى نسخة ابن ابى الحديد، و هى هكذا: «وا عجبا!! أن تكون الخلافة بالصحابة، و لا تكون بالصحابة و القرابة!!».

و أما ما يظهر منه أنهم يستدلون لاستحقاقهم الخلافة بالقربى من رسول اللّه (ص)، فانما اقتضاه الحجاج مع الخصوم؛ فهو من باب: «الزموهم بما الزموا به أنفسهم». و يدل على هذا المعنى و يوضحه ما قاله الإمام على عليه السلام لأبى بكر، عند ما جىء به ليبايع؛ فكان مما قاله: «... و احتججتم عليهم (أى على الأنصار) بالقرابة من النبى (ص) ...

و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى الخ» ... راجع: الامامة و السياسة ج ۱ ص ۱۸.

و يشير أيضا عليه السلام- إلى هذا المعنى فى بعض خطبه الموجودة فى نهج البلاغة فمن أراد فليراجعه ... كما و يشير إليه أيضا ما نسب إليه عليه السلام من الشعر (على ما فى نهج البلاغة) و هو قوله:

فان كنت بالشورى ملكت امورهمفكيف بهذا و المشيرون غيب

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهمفغيرك أولى بالنبى و أقرب و لكن أحمد أمين المصرى فى كتابه: ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۶۱، و ص ۳۰۰، و ص ۲۲۲، و ص ۲۳۵. و كذلك سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الاسلام ص ۵

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۵۷

و الخضرى فى محاضراته ج ۱ ص ۱۶۶: إن هؤلاء ينسبون إلى الشيعة القول: بأن منصب الخلافة يدور مدار القربى النسبية منه (ص) و حسب ... رغم اعتراف أحمد أمين فى نفس الكتاب، و بالتحديد فى ص ۲۰۸، ۲۱۲: بأن الشيعة يحتجون بالنص فى خصوص الخليفة بعد الرسول ... بل و الخضرى يعترف بذلك أيضا حيث قال: «أما الانتخاب عند أهل التنصيص على البيت العلوى، فانه كان منظورا فيه إلى الوراثة الخ» ...

و هى نسبة غريبة حقا- بعد هذا الاعتراف الصريح منهم، و من غيرهم- فان عقيدة الشيعة- تبعا لأئمتهم هى ما ذكرنا، أى ليس منصب الخلافة دائرا مدار القربى النسبية منه (ص)، و أدلة الشيعة تنطق و تصرح بأن القربى النسبية وحدها لا توجب بأى حال من الأحوال استحقاق الخلافة، و إنما لا بد من النص المعين لذلك الشخص الذى يمتلك الجدارة و الأهلية و الاستعداد الذاتى لها ...

إنهم يستدلون على خلافة على عليه السلام بالنصوص القرآنية، و النبوية المتواترة عند جميع الفرق الاسلامية، و لا يستدلون بالقربى إلا من باب: ألزموهم ... أو من باب تكثير الأدلة، أو فى مقابل استدلال أبى بكر و عمر بها، و إذا ما شذ واحد منهم، و استدل بذلك، معتقدا بخلاف ما قلناه عن قصور نظر، و قلة معرفة، أو لفهمه- خطأ- ما ورد عنهم عليهم السلام، من أن عندهم ميراث رسول اللّه (ص)؛ فلا يجب، بل لا يجوز أن يحسب على الشيعة، و من ثم القول بأن ذلك هو قولهم، و أن تلك هى عقيدتهم ...

و لعل أحمد أمين لم يراجع أدلة الشيعة!! أو أنه راجعها، و اشتبه عليه الأمر!! أو أنه ... لا هذا ... و لا ذاك ... و إنما أراد التشنيع عليهم؛ فنسب إليهم ما ليس من مذهبهم! و يدلنا على صحة هذا الاحتمال الأخير، اعترافه المشار إليه، بأن الشيعة يستدلون على إمامة على عليه السلام بالنص، لا بالقربى!! ...

و خلاصة القول هنا: إن القربى النسبية ليست هى الملاک فى استحقاق الخلافة. و لم تكن دعوى أنها كذلك، لا من الأئمة، و لا من شيعتهم. و إنما كانت من قبل أبى بكر، و عمر، ثم الامويين، فالعباسيين.

و إذا كان أهل السنة- تبعا لأئمتهم- قد جعلوا كون الإمامة فى قريش من عقائدهم.

و إذا كان غير أهل البيت هم الذين ادعوا هذه الدعوى، و هللوا و كبروا لها ... فمن الحق لنا إذن أن نقول:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۵۸

و عند ما ذهب داود بن على إلى مكة، واليا عليها، من قبل أخيه السفاح، و أراد أن يخطب فى مكة خطبته الأولى، طلب منه سديف بن ميمون أن يأذن له فى الكلام؛ فأذن له؛ فوقف؛ و قال من جملة ما قال:

«... أ تزعم الضلال: أن غير آل الرسول أولى بتراثه؟! و لم؟! و بم؟! معاشر الناس؟! ألهم الفضل بالصحابة، دون ذوى القرابة؟ الشركاء فى النسب، و الورثة للسلب ...» «۱».

و يقول داود بن على فى نفس المناسبة، أعنى فى أول خطبة له:

«لم يقم فيكم إمام بعد رسول اللّه (ص)، إلا على بن أبى طالب، و هذا القائم فيكم ...» و أشار إلى السفاح «۲».

«رمتنى بدائها و انسلت».

و أخيرا ... فلقد كان من أبسط نتائج هذه العقيدة لدى أهل السنة، و قبولهم أن القربى النسبية تجعل لمدعيها الحق فى الخلافة ... أن

سنحت الفرصة لأن یصل أشخاص إلی الحکم من أبرز ممیزاتهم، و خصائصهم جهلهم بتعالیم الدین، و انسیاقهم وراء شهواتهم، أینما کانت، و حیثما وجدت، جاعلین الحکم و السلطان وسیلة إلیها، مسدلین علی حماقاتهم هنا، و تفاهاتهم هناک ستارا من القربی النسبیة منه (ص) ... و هو من هؤلاء و أمثالهم بریء ...

و لما لم یعد ذلک الستار یقوی علی المنع من استکناه واقعهم، و حقیقة نوایاهم و تصرفاتهم، کان لا بد لهم من الالتجاء إلی أسالیب اخری، تبرر لهم واقعهم، و تحمی تصرفاتهم، و تؤمن لهم الاستمرار فی الحکم. و لعل بیعة المأمون للامام الرضا علیه السلام بولایة العهد هی من تلک الأسالیب، کما سیتضح إن شاء اللّه تعالی ...

(۱) تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۹، و العقد الفرید، طبع دار الکتاب ج ۴ ص ۴۸۵

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۷ و ۲۵۶، و الطبری ج ۱۰ ص ۳۳ و ۳۷، و عیون الأخبار لابن قتیبة ج ۲ ص ۲۵۲، و تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۷، ۸۸ و الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۲۶، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۲۹ و ۱۷۳، و امبراطوریة العرب ص ۴۲۲، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۴۲، و شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۵۵، و فیه: «إنه لم یخطب علی منبرکم هذا خلیفة حق إلخ» ... و بروایة اخری فیه: «اقسم باللّه قسما برا، ما قام هذا المقام أحد بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، أحق به من علی بن أبی طالب، و أمیر المؤمنین هذا» ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۵۹

و قال المنصور فی خطبة له: «و أکرمنا من خلافته، میراثنا من نبیه ...» «۱».

و لکنهم بعد المنصور- بل و حتی من زمن المنصور نفسه کما سیتضح- قد غیروا سلسلة الارث هذه، و جعلوها عن طریق العباس، و ولده عبد اللّه، و لکنهم أجازوا بیعة علی؛ لأن العباس نفسه کان قد أجازها ...

کما سیأتی بیانه .. فکانت استدلالات الخلفاء ابتداء من المنصور ناظرة إلی الارث عن هذا الطریق ...

فنری المنصور یبین فی رسالة منه لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن: أن الخلافة قد ورثها العباس فی جملة ما ورثه من النبی (ص)، و أنها فی ولده «۲» ...

و کان الرشید یقول: «ورثنا رسول اللّه، و بقیت فینا خلافة اللّه «۳»».

و قال الأمین عند ما بویع له، بعد موت أبیه الرشید: «... و أفضت خلافة اللّه، و میراث نبیه إلی أمیر المؤمنین الرشید «۴» ...».

و مدح البعض المأمون، و عرض بأخیه الذی غدر به، فقال فی جملة أبیات له:

إن تغدروا جهلا بوارث أحمد و وصی کل مسدد و موفق «۵»

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۰۱، و الطبری ج ۱۰ ص ۴۳۲.

(۲) الطبری ج ۱۰ ص ۲۱۵، و العقد الفرید طبع دار الکتاب ج ۵ ص ۸۱، إلی ۸۵ و صبح الأعشی ج ۱ ص ۳۳۳، فما بعد، و الکامل للمبرد، و طبیعة الدعوة العباسیة ...

(۳) البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۱۷.

(۴) تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۱۶۳.

(۵) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۹۹.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۶۰

إلی غیر ذلک مما لا مجال لنا لتتبعه ... و لنعد إلی ما کنا فیه أولا، فنقول:

دعوی الأخذ بثارات العلویین:

و أما ادعاؤهم: أنهم إنما خرجوا للأخذ بثارات العلويين، و استمرارهم على ربط الثورة بأهل البيت، حتى بعد نجاح ثورتهم، و تسلمهم لأزمة الحكم و السلطان- و هذه هى الناحية الثانية من المرحلة الرابعة- فذلك أوضح من أن يخفى ... و قد تقدم قول محمد بن على لبكير بن ماهان:

«و سنأخذ بثارهم ...» يعنى بثارات العلويين. و تقدم أيضا قول داود ابن على: «و انما أخرجنا الانفة من ابتزازهم حقنا، و الغضب لبنى عمنا ...» ...

و يقول السفاح، عند ما أتى برأس مروان: «ما أبالى متى طرقنى الموت، فقد قتلت بالحسين، و بنى أبيه من بنى أمية مائتين، و أحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على، و قتلت مروان بأخى ابراهيم ...» «۱».

و يقول صالح بن على لبنات مروان: «أ لم يقتل هشام بن عبد الملك، زيد بن على بن الحسين، و صلبه فى كناسة الكوفة؟. و قتل امرأة زيد بالحيرة، على يد يوسف بن عمرو الثقفى؟! أ لم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد، و صلبه بخراسان؟!

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۵۷، و فى شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۳۱، و حياة الامام موسى بن جعفر للقرشى ج ۱ ص ۳۳۷، نقلا عن مختصر أخبار الخلفاء، هكذا ... «... و قد قتلت بالحسين ألفا من بنى أميّة ... إلى أن قال: و قتلنا سائر بنى أميّة بحسين، و من قتل معه، و بعده من بنى عمنا أبى طالب» ...

أ لم يقتل الدعى عبيد اللّه بن زياد، مسلم بن عقيل بن أبى طالب بالكوفة؟! أ لم يقتل يزيد بن معاوية الحسين «۱»؟! ...

و برواية ابن أبى الحديد، أنه قال لهن: «... إذن، لا نستبقى منكم أحدا؛ لأنكم قد قتلتم ابراهيم الإمام، و زيد بن على، و يحيى بن زيد، و مسلم بن عقيل.

و قتلتم خير أهل الأرض حسينا، و إخوته، و بنيه، و أهل بيته، و سقتم نساءه سبايا- كما يساق ذرارى الروم- على الأقتاب إلى الشام ...» «۲».

و لا بأس بمراجعة ما قاله داود بن على عند ما قتل ثمانين أمويا مرة واحدة «۳».

و كذلك فانهم ما لقبوا أبا سلمة الخلال، أول وزير فى الدولة العباسية ب «وزير آل محمد»، و أبا مسلم الخراسانى ب «أمين، أو أمير آل محمد «۴»» ... إلا من أجل الحفاظ على ربط الدعوة بأهل البيت عليهم السلام، و لتبقى- من ثم- محتفظة بقوتها، و حيويتها ...

و أخيرا ... فلم يكن اتخاذهم السواد شعارا إلا تعبيرا عن الحزن و الاسى

---

(۱) الكامل لابن الأثير ج ۴ ص ۳۳۲، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۴۷، و لا بأس بمراجعة خطبة السفاح فى مروج الذهب أيضا ج ۳ ص ۲۵۷.

(۲) شرح النهج للمعتزلى ج ۷ ص ۱۲۹.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۹۲.

(۴) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۵۵، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۷۱، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۵۴، و الطبرى ج ۱۰ ص ۶۰، و تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الأول، جزء ۱ ص ۱۵۲، و غيرهم. فانه مما نص عليه أكثر المؤرخين ...

لما نال أهل البيت فى عهد بنى أمية «۱» ...

و هکذا ... یتضح، بما لا مجال معه للشک: أنهم کانوا یستغلون سمعة العلویین، و دماءهم الزکیة فی محاولاتهم للوصول إلی الحکم، و تثبیت أقدامهم فیه ...

بل إن من الملاحظ أن کثیرا من الثورات التی قامت بعد ثورة بنی العباس، کانت تحاول ذلک- بطریقة أو بأخری- أی أنها کانت تظهر للناس ارتباطها بأهل البیت علیهم السلام، و أنها تحظی بتأییدهم، و موافقتهم، و کثیر منها کان یرفع شعار: «الرضا من آل محمد».

نهایة المطاف ...

و بعد کل ما تقدم ... یتضح لنا بجلاء، الاسلوب الذی انتهجه

---

(۱) هذا یصح بالنسبة للملابس السوداء ... و أما کون الرایات سوداء؛ فیحتمل أن یکون لأجل ذلک، حسبما صرح به ابن خلدون ص ۲۵۹، و یحتمل أن یکون لما ورد من أن رایة علی علیه السلام یوم صفین کانت سوداء، علی ما نص علیه فان فلوتن فی هامش: ص ۱۲۶ من کتابه السیادة العربیة. أو لأن رایات النبی (ص) فی حروبه مع الکفار کانت سوداء؛ یقول الکمیت مشیرا إلی ذلک:

و إلا- فارفعوا الرایات سوداعلی أهل الضلالة و التعدی و فی صبح الأعشی ج ۳ ص ۳۷۰، نقلا- عن القاضی الماوردی فی کتابه: «الحاوی الکبیر»: أن السبب فی اختیارهم السواد هو أن النبی (ص) قد عقد فی یوم حنین و یوم الفتح لعمه العباس رایة سوداء ... و فی صبح الأعشی أیضا ج ۳ ص ۳۷۱ نقل عن أبی هلال العسکری فی کتابه «الأوائل» أن سبب ذلک هو قتل مروان لإبراهیم الامام، حیث لبس شیعته السواد حدادا علیه؛ فلزمهم ذلک، و صار شعارا لهم ...

و نرجح أن حادثة قتل یحیی بن زید، و لبس الخراسانیین السواد علیه سبعة أیام، هی التی شجعت العباسیین علی اتخاذ السواد شعارا لهم؛ إظهارا للحزن و الأسی لما نال أهل البیت فی الدولة الامویة. و یذهب إلی هذا الرأی السید عباس المکی فی نزهة الجلیس ج ۱ ص ۳۱۶. بل صرح البلاذری فی أنساب الأشراف ج ۳ ص ۲۶۴ بما یدل علی ذلک فراجع.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۶۳

العباسیون، و الخطة التی اتبعوها، من أجل کسب ثقة الناس بهم، و تأییدهم لهم، و صرف أنظار الحکام عنهم ...

و أیضا الطریقة التی اتبعوها فی ابعاد العلویین عن مجال السیاسة، و أن بیعتهم لهم ما کانت إلا- خداعا و تمویها، من أجل تنفیذ خطتهم، و انجاح دعوتهم ...

کما و ظهر أن کون الدعوة- فی بادئ الأمر- باسم العلویین، لم یکن أمرا عفویا، و تلقائیا ... و انما کان ضمن خطة دقیقة، و مدروسة، وضعت بعنایة فائقة، کما توضحه لنا النصوص المتقدمة ...

و ظهر أیضا: کیف أن العباسیین قد حرصوا کل الحرص علی ربط الثورة بأهل البیت علیهم السلام، و کانوا یعتمدون علی هذا الربط کل الاعتماد، و یصرون، و یؤکدون علیه، کلما سنحت لهم الفرصة، و واتاهم الظرف، حتی عند ما وصلوا إلی الحکم، و فازوا بالسلطان ...

و قد انقاد الناس لهم فی البدایة، و استقامت لهم الأمور، ظنا منهم بحسن نیتهم، و سلامة طویتهم ...

و لکن ... ما ذا کانت النتیجة بعد ذلک، بالنسبة للناس عامة، و بشکل خاص بالنسبة للعلویین، الذین قامت الثورة باسمهم و نجحت بفضلهم؟! و ما ذا کان نصیبهم، و مصیرهم، من هذه الثورة و معها؟! هذا ... ما سوف نحاول الاجابة علیه فیما یأتی من الفصول.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۶۴

مصدر الخطر علی العباسیین

العلویون هم مصدر الخطر:

قـد تقـدم معنا: أن الدولـة العباسـیة إنما قامت- فی بدایة أمرها- علی الدعوة لخصوص العلویین، ثم لأهل البیت، ثم إلی الرضا من آل محمد ... و أن سرّ نجاحها لیس إلا ربطها بأهل البیت علیهم السلام ...

و إن کانت قد انحرفت فیما بعد، حیث تحکم العباسیون و تسلطوا علی الأمة بدعوی القربی النسبیة من الرسول الاکرم (ص).

و من هنـا ... فان من الطبیعی، أن یکون الخطر الحقیقی الـذی یتهـدد العباسـیین، و خلافتهم، هو من جهـة ابناء عمهم العلویین، الـذین کانوا أقوی منهم حجة، و أقرب إلی النبی (ص) منهم، باعتراف العباسیین أنفسهم «۱» ...

---

(۱) سیأتی اعتراف عیسی بن موسی بـذلک، و اعتراف الرشـید للکاظم علیه السـلام و المأمون للرضا علیه السلام فی الکتاب الـذی سنورده فی أواخر هذا الکتاب، و أیضا قوله للرضا علیه السـلام: أنتم و اللّه أمس برسول اللّه رحما، و بیعة السـفاح و المنصور و غیرهم لمحمـد بن عبـد اللّه العلوی و کلاـم المنصور فی مجلس البیعـة یـدل علی ذلـک أیضـا، إلی غیر ذلـک ممـا لاـ مجال لنا هنا لتتبعه و استقصائه ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۶۵

فادعاؤهم الخلافـة إذن، له مبرراته الکاملـة، و لا سـیما و أن من بینهم من له الجـدارة و الأهلیـة، و یتمتع بأفضل الصـفات و المؤهلات لهذا المنصب من العلم، و العقل، و الحکمة، و بعد النظر فی الدین و السیاسة ... هذا بالاضافة إلی ما کان یکنه الناس لهم، من مختلف الفئات و الطبقات، من الاحترام و التقدیر، الذی نالوه بفضل تلک الممیزات و الصـفات، و بفضل سـلوکهم المثالی، و ترفعهم عن کل المشینات، و الموبقات ...

أضف إلی ذلک کله ... أن رجالات الاسـلام، و أبطاله، کانوا هم آل أبی طالب «رضی اللّه تعالی عنه»؛ فأبو طالب مربی النبی (ص) و کفیله، و علی علیه السـلام وصـیه و ظهیره، و کـذلک الحسن، و الحسـین، و علی زین العابـدین، و بـاقی الأئمـة. و منهم زیـد بن علی الخارج علی بنی أمیة، و غیرهم، ممن یطول المقام بذکرهم، رضوان اللّه علیهم أجمعین.

و لقـد کـانت بطولاـت العلویین، و مواقفهم علی کـل شـفة و لسان، و فی کل قلب و فؤاد، حتی لقـد ألفت الکتب الکثیرة فی وصـف تلک البطولات، و بیان هاتیک المواقف ...

و خلاصـة الأـمر: إنه لم یکن هنـاک مجـال لانکار نفوذ العلویین الواسع فی تلک الفترة، أو تجاهله؛ فان ذلک إما أن یکون عن قصـر نظر، و قلة معرفة، أو مکابرة و عنادا ...

تخوف العباسیین من العلویین:

و قد کان الخلفاء من بنی العباس یدرکون جیدا مقدار هذا النفوذ، للعلویین، و یتخوفون منه، منذ أیامهم الأولی فی السلطة. و مما یدل علی ذلک:

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۶۶

أن السفاح، من أول عهده کان قد وضع الجواسیس علی بنی الحسن؛ حیث قال لبعض ثقاته، و قد خرج وفد بنی الحسن من عنده: «قم بـانزالهم و لا تأل فی الطافهم. و کلما خلوت معهم؛ فأظهر المیل إلیهم، و التحامل علینا، و علی ناحیتنا، و أنهم أحق بالأمر منا، و أحص لی ما یقولون، و ما یکون منهم فی مسیرهم، و مقدمهم «۱» ...».

و قد تنوعت هذه المراقبة، و تعددت أسالیبها بعد عهد السفاح، یظهر ذلک لکل من راجع کتب التاریخ «۲» ...

خوف المنصور من العلويين

و مما يـدل على مـدى تخوف العباسـيين من العلويين وصـيـهٔ المنصور لولـده المهـدى، التى يحثه فيها على القبض على عيسـى بن زيد العلوى، يقول المنصور:

«... يا بنى، إنى قـد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفهٔ قبلى، و جمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفهٔ قبلى، و بنيت لك مدينهٔ لم يكن فى الاسلام مثلها. و لست أخاف عليك إلا أحد رجلين:

عيسـى بن موسـى، و عيسى بن زيد. فأما عيسى بن موسى، فقد أعطانى من العهود و المواثيق ما قبلته، و و اللّه، لو لم يكن إلا أن يقول قولا لما خفته عليك؛ فأخرجه من قلبك. و أما عيسـى بن زيـد؛ فانفق هـذه الأموال، و اقتل هؤلاء الموالى، و اهـدم هذه المدينهٔ، حتى تظفر به،

---

(۱) الطبرى، طبع ليـدن ج ۱۱ ص ۷۵۲، و العقـد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ ص ۷۴، و تاريخ التمدن الاسلامى، و غير ذلك ...

(۲) و قد اعترف المنصور نفسه بهذه المراقبهٔ فى بعض خطبه؛ فراجع: الطبرى ج ۱۰ ص ۴۳۲، و مروج الذهب ج ۳ ص ۳۰۱.

الحياهٔ السياسيهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۶۷

ثم لا ألومك «۱» ...».

و ليس تخوف المنصور إلى هـذا الحـد من عيسـى بن زيد لعظمهٔ خارقهٔ فى عيسـى هذا، و انما كل ما فى الأمر أن المجتمع الاسـلامى كان قد قبل- فى تلك الفترهٔ من الزمن- أن الخلافهٔ الشرعيهٔ إنما هى فى ولد على عليه السلام ... و إذا ما قام عيسى بن زيد بثورهٔ، فانه سوف يلقى تأييدا واسعا؛ فهو من جههٔ ابن زيد الشهيد، الثائر على بنى أميهٔ ...

و من جههٔ أخرى. كان من المعاونين لمحمد بن عبد اللّه العلوى- قتيل المدينهٔ- الذى كان السـفاح و المنصور قد بايعاه، حسبما تقدم، و الـذى ادعى على نطاق واسع- باسـتثناء الامام الصادق عليه السـلام- أنه مهـدى هـذه الأمهٔ ... كما أنه- أى عيسـى بن زيد- كان من المعاونين لإبراهيم أخى محمد بن عبد اللّه الآنف الذكر، و الذى خرج بالبصرهٔ، و قتل بباخمرى ...

و مما يدل على مدى خوف المنصور من العلويين أنه:

عنـد مـا كـان مشـغولا بحرب محمـد بن عبـد اللّه، و أخيه ابراهيم، كـان لاـ ينام الليل فى تلك الايام. و أهـديت له جاريتان؛ فلم ينظر إليهما؛ فكلم فى ذلك؛ فنهر المتكلمـهٔ، و قال: «... ليست هـذه الايام من أيام النساء، لا سبيل لى إليهما، حتى أعلم: أ رأس ابراهيم لى، أم رأسى لإبراهيم؟ «۲»».

---

(۱) الطبرى طبع ليدن ج ۱۰ ص ۴۴۸.

و تحسن الاشارهٔ هنا إلى أن الأموال التى خلفها المنصور للمهدى تبلغ ۶۰۰ مليون درهم، و ۱۴ مليون دينار ... راجع امراء الشعر العربى فى العصر العباسى ص ۳۵.

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۹۵، و الطبرى ج ۱۰ ص ۳۰۶، و تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۱۴، و البدايهٔ و النهايهٔ ج ۱۰ ص ۹۳، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۸.

و أنساب الأشراف ج ۳ ص ۱۱۸، و لكنه يذكر أنهما امرأتان من قريش كانتا قد خطبتا للمنصور.

الحياهٔ السياسيهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۶۸

و هيئت له آنئذ عجهٔ من مخ و سكر، فاستطابها، فقال: «أراد ابراهيم أن يحرمنى هذا و أمثاله «۱»».

و أرسل إلی کل باب من أبواب عاصمته- و هی الکوفة آنئذ- إبلا و دوابا، حتی إذا أتی إبراهیم و جیشه من ناحیة، هرب هو إلی الری من الناحیة الأخری «۲» ...

و فی حربه- أی المنصور- مع محمد بن عبد اللّه اتسخت ثیابه جدا، حیث لم ینزعها عن بدنه أکثر من خمسین یوما «۳» ...

و کان لا یستطیع أن یتابع کلامه من کثرة همه «۴» ... الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ۶۸ خوف المنصور من العلویین ..... ص : ۶۶

أخیرا ... فکم من مرة رأیناه یجلب الامام الصادق علیه السلام، و یتهدده و یتوعده، و یتهمه بأنه یدبر للخروج علیه و علی سلطانه.

فکل ذلک یدل دلالة واضحة علی مدی رعب المنصور، و خوفه من العلویین، و ما ذلک إلا لإدراکه مدی ما یتمتعون به من التأیید، فی مختلف الطبقات، و عند جمیع الفئات ...

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۹۸ و هذا یعبر بوضوح عن نوعیة تفکیر خلیفة المسلمین و نوعیة طموحاته ...

(۲) الطبری ج ۱۰ ص ۳۱۷، طبع لیدن، و تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۱۱۳، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۲۹۹، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۱۶، و فرج المهموم فی تاریخ علماء النجوم ص ۲۱۰، نقلا عن تجارب الامم لابن مسکویه ج ۴ ...

(۳) الطبری ج ۱۰ ص ۳۰۶، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۹۵، و الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۸، و المحاسن و المساوی ص ۳۷۳، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۹۳، و أنساب الأشراف للبلاذری ج ۳ ص ۱۱۸.

(۴) البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۹۳. و قال الیافعی فی مرآة الجنان ج ۱ ص ۲۹۸، ۲۹۹:

«... و لم یأو إلی فراش خمسین لیلة، و کان کل یوم یأتیه فتق من ناحیة ... هذا، و مائة ألف سیف کامنة له بالکوفة؛ قالوا: و لو لا السعادة لسل عرشه بدون ذلک» ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۶۹

حتی إنه عند ما سئل عن المبایعین لمحمد بن عبد اللّه أجاب: «...

ولد علی، و ولد جعفر، و عقیل، و ولد عمر بن الخطاب، و ولد الزبیر بن العوام، و سائر قریش، و أولاد الانصار «۱»».

و سیمر معنا أن المنصور ادعی أن ولده هو المهدی، عند ما رأی أن الناس- ما عدا الامام الصادق علیه السلام- قد قبلوا بمهدویة محمد بن عبد اللّه العلوی ... و سیمر معنا أیضا طرف من معاملته للعلویین فیما یأتی إن شاء اللّه تعالی ...

خوف المهدی من العلویین:

و أما خوف المهدی من العلویین، فذلک لعله من أوضح الواضحات، فمثلا نری أنه: عند ما أخرج الامام الکاظم علیه السلام من السجن، یطلب منه أن لا یخرج علیه، و لا علی أحد من ولده «۲».

کما أنه قد مکث مدة یطلب عیسی بن زید، و الحسن بن ابراهیم، بعد هربه من السجن ... فقال المهدی یوما لجلسائه: «لو وجدت رجلا من الزیدیة، له معرفة بآل حسن، و بعیسی بن زید، و له فقه؛ فاجتلبه عن طریق الفقه؛ فیدخل بینی و بین آل حسن، و عیسی بن زید»؛ فدله الربیع علی یعقوب بن داود؛ فلم یزل أمره یرتفع عند الخلیفة المهدی، حتی استوزره، و فوضه جمیع أمور الخلافة، و خرج کتابه علی الدواوین

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۹۴، ۲۹۵.

(۲) راجع: مروج الذهب، و ابن خلکان، ترجمة الامام الکاظم، و فصل الخطاب، و ینابیع المودة، و کشف الغمة، و مرآة الجنان، و

صفة الصفوة.

و صرح فی ينابيع المودة ص ۳۸۲، ۳۸۳ باتفاق المؤرخين على ذلک.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۷۰

بأنه: قد آخاه «۱» ... کل ذلک من أجل أن يدله على الحسن بن ابراهيم، و عيسى بن زيد، مع أن يعقوب هذا کان قد سجنه المنصور، لخروجه عليه مع ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، و المهدی هو الذی أطلقه ...

و لکنه لما لم يدله على عيسى بن زيد اتهمه بأنه: يمالیء الطالبيين فسجنه «۲»، و بقی فی السجن إلى زمن الرشيد؛ فأخرجه، و قد کف بصره و صار شعره کالانعام ...

خوف الرشيد من العلويين:

و أما الرشيد «الذی ثارت الفتن فی زمنه بين أهل السنة و الرافضة «۳»»،

---

(۱) الطبری، طبع ليدن ج ۱۰ ص ۴۶۴، ۵۰۷، ۵۰۸، و مروج الذهب ج ۳ ص ۳۱۲، و الفخری فی الآداب السلطانية ص ۱۸۴، ۱۸۵، و ليراجع: الوزراء و الکتاب ص ۱۵۵ و غير ذلک. و سيأتی فی فصل: ظروف البيعة المزيد من الکلام حول نفوذ يعقوب هذا ... و نکتفی هنا بالقول: إنه قد بلغ من نفوذه، أن جاز لبشار أن يقول أبياته المشهورة:

بنی أميّة هبوا طال نومکمإن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتکم يا قوم فالتمسواخليفة اللّه بين الزق و العود

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۱۲، و ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۲، و الطبری، و غير ذلک ... و فی مرآة الجنان ج ۱ ص ۴۱۹ و غيره: أنه حبسه فی بئر، و بنى عليه قبة، و ليراجع الوزراء و الکتاب ص ۱۵۵ أيضا.

و قد دخل مروان بن أبی حفصة على المهدی بعد أن سجن يعقوب، و قال له:

«إن يعقوب رجل رافضی» ...

و مع ذلک ... فاننا نرى البعض يتهم يعقوب هذا بأنه هو الذی وشى للرشيد بالامام موسى ابن جعفر عليه السلام، فراجع عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۷۳، و غيره ...

(۳) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۷۷.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۷۱

فقد کان معنيا بالمسألة عن آل علی، و کل من کان ذا نباهة و شأن منهم. کما سيأتی.

و قضيته مع يحيى بن عبد اللّه بن الحسن، الذی کان قد خرج فی الديلم، و حالته السيئة، و همومه فی أيام خروجه، أشهر من أن تحتاج إلى بيان ... و کيف لا تأخذه الهموم، و تذهب به الوساوس، و قد اتبع يحيى «خلق کثير، و جم غفير، و قويت شوکته، و ارتحل إليه الناس من الکور و الأمصار؛ فانزعج لذلک الرشيد، و قلق من أمره» ... و کان الساعی بالصلح بينه و بين يحيى هو الفضل بن يحيى، و بسبب تمکنه من إخماد ثورة يحيى عظمت منزلته عند الرشيد جدا، و فرح بذلک الصلح فرحا عظيما «۱». و إن کان قد غدر بيحيى بعد ذلک، کما هو معروف و مشهور ...

کما انه عند ما ذهب إلى المدينة لم يعط الامام موسى بن جعفر عليه السلام، سوى مائتی دينار، رغم أنه کان يعطی من لا يقاسون به الآلاف منها، و کان اعتذاره عن ذلک لولده المأمون: أنه لو أعطاه اکثر من ذلک لم يأمن أن يخرج عليه من الغد مائة الف سيف من شيعته، و محبيه صلوات اللّه و سلامه عليه «۲» ...

(۱) راجع فی ذلک کله: البدایهٔ و النهایهٔ ج ۱۰ ص ۱۶۷، و عمدهٔ الطالب، طبع بیروت ص ۱۲۴، و شرح میمیهٔ أبی فراس ص ۱۹۰.

(۲) عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۹۲، و البحار ج ۴۸ ص ۱۳۱، ۱۳۲.

و قد رأینا أن العباسیین ابتداء من المنصور، بل السفاح- مع الامام الصادق علیه السلام- کانوا دائما یتهددون الأئمهٔ- الذین ما کانوا یجدون الفرصهٔ لأی تحرک، و من أی نوع، کما سنوضحه- و یتهمونهم بأنهم کانوا یدبرون فی الخفاء للخروج علیهم؛ لیجدوا الوسیلهٔ من ثم- للتضییق علیهم، و المبرر لسجنهم، و مصادرهٔ أموالهم و و ...

و کان الأئمهٔ ینفون ذلک، و یدحضون تلک التهم باستمرار ... لکنهم ما کانوا یقبلون منهم ذلک!!

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷۲

ثم عاد و سجنه بعد ذلک بحجهٔ أنه کان یجبی إلیه الخراج، ثم یدس إلیه السم، و یتخلص منه، و ذلک هو مصیر اکثر الائمهٔ علی ید الخلفاء قبله و بعده ...

و أما فی زمن المأمون!!

و أما فی زمن المأمون: فقد کان الأمر أعظم، و أمر، و أدهی؛ حیث قد شملت الثورات و الفتن الکثیر من الولایات و الأمصار، حتی لم یعد یعرف المأمون من أین یبدأ، و لا کیف یعالج. و أصبح یری، و یؤلمه أن یری مصیره، و مصیر خلافته فی مهب الریح، تتقاذفه الانواء، و یضری به الإعصار.

عقدهٔ الحقارهٔ لدی العباسیین:

و کان ذلک بطبیعهٔ الحال یزید من رعب العباسیین، و یضاعف من مخاوفهم ...

لا سیما بملاحظهٔ أنهم کانوا یعیشون عقدهٔ الحقارهٔ و المهانهٔ ...

یقول أبو فراس مشیرا إلی ذلک:

ثم ادعاها بنو العباس ملکهمو مالهم قد فیها و لا قدم

لا یذکرون إذا ما معشر ذکرواو لا یحکم فی أمر لهم حکم

و لا رآهم أبو بکر و صاحبهاهلا لما طلبوا منها و ما زعموا

فهل هم یدعوها غیر واجبهٔأم هل أئمتهم فی أخذها ظلموا و قد کتب ابو مسلم للمنصور، من جملهٔ رسالهٔ له: «... و أظهرکم اللّه بعد الاخفاء، و الحقارهٔ و الذل، ثم استنقذنی بالتوبهٔ الخ «۱» ...».

(۱) البدایهٔ و النهایهٔ ج ۱۰ ص ۶۴. و غیره.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷۳

و فی رسالهٔ أخری: «... حتی عرفکم من کان جهلکم «۱»».

بل لقد صرح المنصور بذلک لعمه عبد الصمد بن علی؛ حیث قال له: «نحن بین قوم رأونا بالأمس سوقهٔ، و الیوم خلفاء؛ فلیس تتمهد هیبتنا إلا باستعمال العقوبهٔ، و نسیان العفو ...» کما سیأتی ...

فی مواجههٔ الخطر:

و إذا کان العباسیون یدرکون: أن الخطر الحقیقی الذی یتهددهم، إنما هو من قبل أبناء عمهم العلویین، فان علیهم إذن ... أن یتحرکوا ...

أن یفعلوا شیئا ... أن یواجهوا الخطر المحدق بهم بکل وسیلة، و بأی أسلوب کان ... سیما و هم یشهدون عن کثب سرعة استجابة الناس للعلویین، و تأییدهم، و مساندتهم لکل دعوة من قبلهم ...

فکیف عالج العباسیون الموقف؟! ...

و ما هو مدی نجاحهم فی ذلک؟ إن کان قدر لهم النجاح!!.

---

(۱) البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۶۹، و الامامة و السیاسة ج ۲ ص ۱۳۳، و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷۴

سیاسة العباسیین ضد العلویین:

مما سبق:

قد تقدم معنا بعض ما یدل علی مدی نفوذ العلویین، و علی المکانة التی کانوا یتمتعون بها علی العموم ... و أنهم هم الذین کانوا یشکلون الخطر الحقیقی علی العباسیین، و مرکزهم فی الحکم ...

و قد کان العباسیون یدرکون بالفعل هذه الحقیقة، فکان علیهم أن یبعدوهم عن مجال السیاسة بأی وسیلة کانت و أن یحدوا ما استطاعوا من نفوذهم، و یضعفوا ما أمکنهم من قوتهم ...

و قد اتبعوا من أجل ذلک أسالیب شتی، و طرقا متنوعة:

فحاولوا فی بادئ الأمر أن یقارعوهم الحجة بالحجة ...

تطویر نظریة الارث:

و کان من جملة أسالیبهم فی ذلک أنهم غیروا و بدلوا فی السلسلة، التی کانوا یواجهون بها الناس فی تقریرهم لشرعیة خلافتهم من النبی (ص) ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷۵

و ذلک لأنهم کانوا فی بدایة أمرهم یصلون حبل وصایتهم بأمیر المؤمنین علیه السلام، ثم منه إلی ولده محمد بن الحنفیة، ثم إلی ابنه أبی هاشم، ثم إلی علی بن عبد اللّه بن العباس، فإلی ولده محمد بن علی، فإبراهیم الامام، ثم منه إلی أخیه السفاح «۱» و هکذا ... هذا ... مع إنکارهم لشرعیة خلافة أبی بکر و عمر، و عثمان، و غیرهم من خلفاء الامویین، و غیرهم ...

و یتضح انکارهم و تبرؤهم هذا من کثیر من النصوص التاریخیة ... فمن ذلک قصة أبی عون مع المهدی، التی ستأتی فی بعض هوامش هذا الفصل ...

و من ذلک أیضا قول أبی مسلم فی خطبته فی أهل المدینة فی السنة التی حج فیها فی عهد السفاح، قال: «... و ما زلتم بعد نبیه تختارون تیمیّا مرة، و عدویا مرة، و أسدیا مرة و سفیانیا مرة، و مروانیا مرة، حتی جاءکم من لا تعرفون اسمه، و لا بیته [یعنی نفسه] یضربکم بسیفه؛ فأعطیتموها عنوة، و أنتم صاغرون، ألا و إن آل محمد أئمة الهدی، و منار سبیل التقی، القادة الذادة السادة الخ «۲» ...». و تقدم قول داود ابن علی: «لم یقم فیکم امام بعد رسول اللّه الخ ...»

و روی أبو سلیمان الناجی، قال: «جلس المهدی یوما یعطی قریشا صلات لهم، و هو ولی عهد، فبدأ ببنی هاشم، ثم بسائر قریش. فجاء السید [أی الحمیری]؛ فرفع إلی الربیع حاجب المنصور رقعهٔ مختومهٔ، و قال: ان فیها نصیحهٔ للامیر؛ فأوصلها إلیه. فأوصلها؛ فإذا فیها:

---

(۱) تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۳، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۸، و وفیات الأعیان ج ۱ ص ۴۵۴، ۴۵۵، طبع سنهٔ ۱۳۱۰، و امبراطوریهٔ العرب ص ۴۰۶، و غیر ذلک، و قد أشرنا إلی أن هذه هی عقیدهٔ الکیسانیهٔ، فراجع ...

(۲) شرح النهج للمعتزلی ج ۷ ص ۱۶۱، ۱۶۲.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷۶ قل لابن عباس سمی محمدلا تعطین بنی عدی درهما

احرم بنی تیم بن مرهٔ انهمشر البریهٔ آخرا، و مقدما

إن تعطهم لا یشکروا لک نعمهٔو یکافئوک بأن تذم و تشتما

و إن ائتمنتهم أو استعملتهمخانوک، و اتخذوا خراجک مغنما

و لئن منعتهم لقد بدءوکمبالمنع؛ إذ ملکوا و کانوا أظلما

منعوا تراث محمد أعمامهو ابنیه، و ابنته عدیلهٔ مریما

و تأمروا من غیر ان یستخلفواو کفی بما فعلوا هنالک مأثما

لم یشکروا لمحمد انعامهأ فیشکرون لغیره إن أنعما

و اللّه من علیهم بمحمدو هداهم، و کسا الجنوب، و أطعما

ثم انبروا لوصیه و ولیهبالمنکرات، فجرعوه العلقما قال: فرمی بها إلی عبد اللّه معاویهٔ بن یسار، الکاتب للمهدی، ثم قال: اقطع العطاء؛ فقطعه. و انصرف الناس. و دخل السید إلیه؛ فلما رآه ضحک، و قال: قد قبلنا نصیحتک یا إسماعیل ... و لم یعطهم شیئا «۱» ...».

و نری السید الحمیری فی مناسبهٔ أخری ینشد المنصور أبیاتا یهجو بها سوارا القاضی، من جملتها:

إن سوار بن عبداللّه من شر القضاهٔ

نعثلی، جملی،لکم غیر مواتی «۲»

---

(۱) الأغانی ج ۷ ص ۱۶، طبع دار الفکر، و الغدیر ج ۲ ص ۲۵۴، ۲۵۵، و الأدب فی ظل التشیع ص ۲۰۷، و مستدرک أخبار السید الحمیری للمرزبانی ص ۵۸، باختصار و دیوان السید الحمیری ص ۳۷۷، ۳۷۸، نقلا عن الأولین، و عن:

أعیان الشیعهٔ ج ۱۲ ص ۱۷۸، و تاریخ الاسلام ج ۲ ص ۱۴۷، و تاریخ آداب اللغهٔ العربیهٔ ج ۲ ص ۶۷، ۶۸.

(۲) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۳۴، و الأغانی ج ۷ ص ۲۶۱، و الغدیر ج ۲ ص ۲۵۶

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۷۷

و یقول القاسم بن یوسف:

هاشم فخر قصی کلهاأین تیم وعدی و الفخار

لهم أید طوال فی العلیو لمن ساماهم أید قصار

لهم الوحی و فیهم بعدهآمر الحق و فی الحق منار

و هم أولی بأرحامهمفی کتاب اللّه إن کان اعتبار

ما بعید کقریب سببالا و لا یعدل بالطرف الحمار إلی أن قال:

خسر الآخذ ما ليس لهعمد عين و الشريك المستشار

و لفيف ألفوا بينهمبيعة فيها اختلاط و انتشار

و رسول اللّه لم يدفن فماشغل القوم اغتمام و انتظار

كان منهم قبل آل المصطفى أن يلوا الأمر حذار و نفار «۱» إلى آخر الابيات ...

و القاسم بن يوسف معاصر لكل من الرشيد و المأمون، و توفى سنة ۲۱۳ ه.

و كل ما ذكرناه يدل على انكار العباسيين لشرعية خلافة أبى بكر و عمر ...

و مثل ذلك كثير لا مجال لنا هنا لاستقصائه، و حسبنا هنا أقوال المؤرخين، فانها القول الفصل، و الحكم العدل ...

هـذا ما كان فى بدايـة الأمر ... أى أنهم كانوا يصلون حبل وصايتهم بعلىّ عليه السلام، و ينكرون شرعية خلافة الثلاثة، ثم عدلوا عن ذلك بعد فترة ... و ذلك لما يتضمنه من الاعتراف بأن الوصاية كانت فى ولد علىّ عليه السلام.

---

(۱) الأوراق للصولى ص ۱۸۰، و أخبار شعراء الشيعة للمرزبانى ص ۱۰۸- ۱۰۹.

فأسس المهدى فرقة «۱» تـدعى: أن الامـام بعـد رسـول اللّه (ص) هـو العبـاس بن عبـد المطلب، ثم ابنه عبـد اللّه، ثم ابنه على، ثم ابنه محمـد ... و هكـذا إلى أن ينتهى الأـمر إليهم ... هـذا ... مع الاسـتمرار على البراءة من أبى بكر، و عمر، و عثمان. و لكنهم أجازوا بيعة على ابن أبى طالب؛ لأن العباس نفسه كان قد أجازها «۲». و تسمى هذه الفرقة ب: «الراوندية و الشيعة العباسية».

و لكننـا لاـ نجـد لهـذه الفرقـة أثرا فى عصـر المأمون، لأن سـياسة الخليفـة قـد اقتضت تجميـد هـذه المقالـة، و لو لفترة من الزمان كما سنوضحه و على كل حال فيقول منصور النمرى يمدح الرشيد و يشير الى ذلك:

لو لا عدى و تيم لم تكن وصلتإلى أمية تمريها و ترتضع

إن الخلافة كانت إرث والدكممن دون تيم، و عفو اللّه متسع «۳»

---

(۱) هـذا ... و لكن الذى يبدو هو أن صاحب الفكرة الحقيقى هو المنصور. كما يظهر من رسالته لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن، و من كثير من كلماته، و خطبه ... و المهدى كان هو المنفذ لها، و المخرج من عالم القوة إلى عالم الفعل ... بل لقد سار المنصور فى إشاعة هذه الفكرة، و تركيزها شوطا بعيدا، حتى لقد تقرب إليه بها الشعراء؛ فهذا السيد الحميرى يقول- على ما يرويه لنا المرزبانى فى أخباره ص ۳۷ و يروى أيضا مكافأة المنصور المهمة له على ذلك- يقول السيد:

يا رهط أحمد إن من أعطاكمملك الورى و عطاؤه أقسام

رد الخلافة و الوراثة فيكمو بنو أميّة صاغرون رغام

لمتمم لكم الذى أعطاكمو لكم لديه زيادة و تمام

أنتم بنو عم النبى عليكممن ذى الجلال تحية و سلام

و ورثتموه و كنتم أولى بهإن الولاء تحوزه الأرحام إلى غير ذلك مما لا مجال لنا لتتبعه و استقصائه.

(۲) فرق الشيعة للنوبختى ص ۴۸، ۴۹، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۳، و مروج الذهب للمسعودى ج ۳ ص ۲۳۶، إلا أن النوبختى ذكر أنهم لم يجيزوا حتى بيعة على أيضا.

(۳) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۲۴۴، و الشعر و الشعراء ص ۵۴۶.

تشجيع الخلفاء لهذا الاتجاه:

و قد شجع الخلفاء هذه النحلة، أو فقل هذا الاتجاه. و استمروا يناصرونه إلى زمن هارون ...

و قد حصل مروان ابن أبى حفصة من الخليفة العباسى «المهدى» على أعظم جائزة تعطى لشاعر فى تلك الفترة، على قوله مخاطبا آل على:

هل تطمسون من السماء نجومهابأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة عن ربكمجبريل بلغها النبى فقالها

نزلت من الأنفال آخر آيةبتراثهم، فأردتم ابطالها يشير إلى آية: «أولو الأرحام ...».

فزحف المهدى من صدر مصلاه إعجابا، و أعطاه مائة ألف درهم، لكل بيت ألف درهم. و كانت هذه أول مائة ألف تعطى لشاعر فى دولة بنى العباس «۱».

و أعطاه هارون بدوره على هذه الأبيات، بعد أن أصبح خليفة مائة ألف أيضا.

كما أن المهدى قد أعطى مروان هذا على قوله:

أنى يكون و ليس ذاك بكائنلبنى البنات وراثة الأعمام أعطاه ثلاثين ألفا من صلب ماله، و كساه جبة، و مطرفا، و فرض على أهله و مواليه ثلاثين ألفا أيضا «۲».

---

(۱) تاريخ بغداد ج ۱۳ ص ۱۴۴، ۱۴۵، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۳۲۱.

(۲) و لكن فى العقد الفريد ج ۱ ص ۳۱۲، الطبعة الثالثة، و المحاسن و المساوى ص ۲۱۹:

أنه أخذ منه ثلاثين، و من أهل بيته سبعين. و لعل هذا هو الأقرب إلى الواقع؛ فقد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۸۰

و ينسب هذا الشعر لبشار بن برد كذلك ...

و بعد ذلك يقف مروان بن أبى الجنوب (و يقال: بل مروان بن أبى حفصة، و قد أنشدها المتوكل، على ما فى الغدير ج ۴ ص ۱۷۵)، و ينشد الخليفة قصيدته التى مطلعها:

لكم تراث محمدو بعدلكم تشفى الظلامة إلى أن يقول:

ما للذين تنحلواميراثكم إلا الندامة فيخلع عليه أربع خلع، و ينثر ثلاثة آلاف دينار، يأمره بالتقاطها، و يعطيه عشرة آلاف درهم، ... ثم يعقد له- مع ذلك كله- ولاية على البحرين و اليمامة «۱» بل لقد تمادى هارون، و أراد أن يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أراد أن ينكر حتى شرعية خلافة الامام على عليه السلام، فأحضر «أبا معاوية الضرير» و هو أحد محدثى المرجئة «۲»، و قال له: «هممت أنه من يثبت خلافة على فعلت به و فعلت ...». فنهاه أبو معاوية عن ذلك، و استدل له بما أعجبه، فارتدع، و انصرف عما كان عزم عليه «۳» ...

ذكر فى المحاسن و المساوى ص ۲۲۰: أن مروان هذا قال فى هذه المناسبة:

بسبعين ألفا راشى من حبائهو ما نالها فى الناس من شاعر قبلى بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته ...

و فى طبقات الشعراء ص ۵۱ اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالا عظيما ...

(۱) راجع: الكامل لابن الأثير ج ۷ ص ۳۸، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثانى، جزء ۳ ص ۲۲۸.

(۲) المرجئة الاولى كانوا لا يتولون عثمان و لا عليا، و لا يتبرءون منهما.

(۳) راجع تفصیل ذلک فی تاریخ بغداد ج ۵ ص ۲۴۴، و نکت الهمیان فی نکت العمیان ص ۲۴۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۸۱

بل إن بعض النصوص التاریخیة تفید أن المهدی أیضا کان لا یرید أن یجیز بیعة علی علیه السلام «۱».

الامام علی فی میزان الاعتبار:

و إذا ما عرفنا أن اظهار المأمون حبه لعلی بن أبی طالب، و ولده، لیس إلا لظروف سیاسیة معینة کما سیأتی توضیحه ... فاننا سوف نری أنفسنا مقتنعین بأن تأرجح الامام علی علیه السلام فی میزان الاعتبار فی تلک الفترة و التی بعدها عند العباسیین، لم یکن إلا أمرا ظاهریا أملته الظروف السیاسیة، و الاجتهادات المختلفة فی أسالیب مواجهة العلویین ...

و لهذا نری ارتباکهم فی ذلک ظاهرا للعیان من وقت لآخر، و من فترة لأخری ... و هکذا ... نجد أن الإمام علیا لم یکن معتبرا عند المأمون،

---

(۱) فقد ذکر ابن الأثیر فی الکامل ج ۵ ص ۷۲، و الطبری فی تاریخه حوادث سنة ۱۶۹ ه.: أن المهدی عند ما رأی فی وصیة القاسم بن مجاشع التمیمی المروزی عبارة:

«... و یشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أن علی بن أبی طالب وصی رسول اللّه، و وارث الامامة من بعده ... الخ» ... رماها من یده، و لم ینظر فی باقیها ...

کما أنه عند ما ذهب لعیادة أبی عون، الذی کان من کبار رجال الدعوة، و الذی أرسله أبو مسلم فی ثلاثین ألفا فی طلب مروان بن محمد، و کان هو الذی أنهی أمره فی مصر علی ما فی الامامة و السیاسة ج ۲ ص ۱۱۶، ۱۱۹، ۱۲۰.- عند ما ذهب المهدی لعیادته-، و طلب منه أبو عون أن یرضی عن ولده، الذی کان یری رأی الشیعة فی الخلافة، أجاب: أنه علی غیر الطریق، و علی خلاف رأینا. فقال له أبو عون: هو و اللّه یا أمیر المؤمنین، علی الأمر الذی خرجنا علیه، و دعونا إلیه؛ فان کان قد بدا لکم، فمرونا، حتی نطیعکم ... راجع الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الأول، جزء ۲ ص ۵۶۹، و قاموس الرجال ج ۵ ص ۳۷۳، و الطبری، و غیر ذلک ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۸۲

غیر معتبر عند المنصور و الرشید، بل هو غیر معتبر عندهم جمیعا.

و لسنا هنا فی صدد تحقیق هذا الأمر، و لکن قد تکفی الاشارة فی کثیر من الأحیان.

استغلال لقب المهدی:

هذا ... و نلاحظ: أن المنصور أیضا قد حاول أن یقارع العلویین بالحجة، و لکن بنحو آخر، و أسلوب آخر ...

فانه عند ما رأی أن الناس قد قبلوا علی نطاق واسع (ما عدا الإمام الصادق علیه السلام) بأن محمد بن عبد اللّه العلوی هو المهدی ... حاول أن یموه هو بدوره علی النّاس، فلقب ولده، و الخلیفة بعده ب «المهدی»، من أجل أن یصرف الناس عن محمد بن عبد اللّه هذا ...

فقد أرسل مولی له إلی مجلس محمد بن عبد اللّه، و قال له:

«اجلس عند المنبر، فاسمع ما یقول محمد»، قال: فسمعته یقول:

«إنکم لا تشکون أنی أنا المهدی، و أنا هو» فأخبرت بذلک أبا جعفر، فقال: «کذب عدو اللّه، بل هو ابنی «۱»» ...

ثم ... و من أجل اقناع الناس بهذا الأمر، وجد المنصور من یضع له الاحادیث، و یکذب علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و طبق

واضعوها «مهدی الامهٔ» علی ولده الخلیفهٔ «المهدی» «۲». و یقول القاضی النعمان الاسماعیلی فی أرجوزته:

---

(۱) مقاتل الطالبیین ص ۲۴۰، و المهدیهٔ فی الاسلام ص ۱۱۷.

(۲) تجـد بعض هذه الأحادیث فی: الصواعق المحرقهٔ ۹۸، ۹۹، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۷۲، و البدایهٔ و النهایهٔ ج ۶ ص ۲۴۶، ۲۴۷، و غیر ذلک.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۸۳ من انتظاره و قد تسمیبهذه الاسماء ناس لما

تغلبوا لیجعلوها حجهٔفعدلوا عن واضح المحجهٔ

إذ مثلوا الجوهر بالاشباهمنهم محمد بن عبد اللّه

ابن علی من بنی العباسذوی التعدی الزمرهٔ الارجاس

إذ وافق الاسم تسمّی مهدیو هذه من الدواهی عندی «۱» و قد أقر أحمد أمین المصری بکذب هذه الاحادیث، و وضعها «۲»، کما أقر غیره بذلک ...

بل إن المنصور نفسه- الـذی کان قد اعترف بمهدویهٔ محمد بن عبد اللّه العلوی، و تبجح، و افتخر بها «۳»- قد کذب نفسه فی ذلک، و کذبها فی مهدویهٔ ولده أیضا ...

یقول مسـلم بن قتیبـهٔ: «أرسل إلی أبو جعفر، فدخلت علیه، فقال: قد خرج محمد بن عبد اللّه، و تسـمی بالمهدی، و و اللّه، ما هو به، و أخری أقولها لک، لم أقلها لأحـد قبلک، و لا أقولها لأحـد بعـدک ... و ابنی و اللّه، ما هو بالمهـدی، الـذی جاءت به الروایهٔ. و لکنی تیمنت به، و تفاءلت به «۴» ...». و الخلیفهٔ المهدی نفسه یقر بأن أباه فقط یروی أنه المهدی الذی بعده فی الناس «۵».

و أما اتخاذهم الزندقهٔ ذریعهٔ للقضاء علی خصومهم، سواء من العلویین، أو من غیرهم ... فسیأتی توضیحه إن شاء اللّه تعالی ...

---

(۱) الارجوزهٔ المختارهٔ ص ۳۱.

(۲) ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۴۰.

(۳) مقاتل الطالبیین ص ۲۳۹، ۲۴۰، و المهدیهٔ فی الاسلام ص ۱۱۶، و جعفر بن محمد لعبد العزیز سید الأهل ص ۱۱۶.

(۴) مقاتل الطالبیین ص ۲۴۷، و المهدیهٔ فی الاسلام ص ۱۱۷.

(۵) الوزراء و الکتاب ص ۱۲۷.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۸۴

و کل ذلک لم یکفهم:

و لکن العباسیین قد وجدوا أن ذلک کله لم یکن ینطلی علی أحد.

و أن الامور- مع ذلک- تسیر فی غیر صالحهم؛ و لهـذا فـان من الافضـل و الأجـدی لهم أن لاـ یفسـحوا المجال للعلویین للمنطق و الحجـاج؛ فـان ذلـک من شـأنه أن یظهر کـل مـا کان یتمتع به العلویون من خصائص و ممیزات علیهم. هـذا إن لم ینته الأمر بفضـیحهٔ ساحقهٔ للعباسیین، و کشف حقیقتهم و واقعهم أمام الملأ، الأمر الذی کان یزعجهم، و یقض مضاجعهم إلی حد کبیر ...

و إذن ... فإن من الحکمهٔ أن یتبعوا أسالیب أخری من أجل القضاء علی العلویین ...

و لم تکفهم مراقبتهم لهم، حتی لم یکونوا یغفلون عنهم طرفهٔ عین أبـدا، من أجـل التعرف علی أحوالهم، و إحصـاء کـل حرکـاتهم، ابتداء من السفاح، ثم اتبعه الخلفاء علی ذلک من بعده ...

كما لم يكفهم ... التهديد و الوعيد الذى كانوا يواجهونهم به؛ بهدف إضعاف شخصياتهم، و تحطيم معنوياتهم ...

كما لم يكفهم مصادرة أموالهم، و هدم بيوتهم، و منعهم من السعى من أجل الحصول على لقمة العيش، حتى لقد بلغ البؤس بهم أن: العلويات كن يتداولن الثوب الواحد من أجل الصلاة «۱».

و كـذلك لم يكفهم ... عزلهم عن الناس، و منع كل أحد من الوصول إليهم، تمهيدا لتشويه سـمعتهم بما أمكنهم من أساليب الكذب و الافتراء،

---

(۱) كان ذلك فى زمن المتوكل، راجع: بند تاريخ ج ۱ ص ۷۲، و مقاتل الطالبيين ص ۵۹۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۸۵

و إن كانت سيرتهم الحميدة، و خصوصا أهل البيت منهم، كانت تدفع كل شائعة، و سلوكهم المثالى يدحض كل افتراء ...

و أما الاضـطهاد و التشـريد، و زج العشرات و المئات منهم فى السجون الرهيبة، التى كان من يدخل إليها لا يأمل بالخروج منها؛ حيث إن دخول السـجن إنما كان يعنى فى الحقيقـة دخول القبر ... و أما دسـهم السم لكل شخصـية لا يسـتطيعون الاعتـداء عليها جهارا- أما ذلك- فلم يكن ليكفيهم أيضا، و لا ليقنعهم قطعا ... حيث انهم إنما كانوا متعطشـين إلى الولوغ فى دمائهم، و مشـتاقين إلى التفنن فى تعذيبهم، و اختراع أساليب جديدة فى ذلك؛ فسـمروا بالحيطان من سـمروا، و أماتوا جوعا من أماتوا، و وضـعوا فى الاسـطوانات منهم من وضعوا ... إلى غير ذلك مما يظهر لكل من له أدنى اطلاع على تاريخهم، و تاريخ سلوكهم مع أبناء عمهم العلويين ...

و أمـا قتلهم لهم جماعـات، فأشـهر من أن يحتـاج إلى بيـان ... و قضـية المنصور مع بنى حسن لاـ يكـاد يخلو منها كتاب تاريخى ... و كذلك قضية الستين علويا، الذين قتلوا بأمر من الخليفة «المنصور» باستثناء غلام منهم، لا نبات بعارضيه «۱».

---

(۱) هذا ما نقله فى شـرح شافية أبى فراس ص ۱۷۴ عن الدر النظيم، عن أحمد بن حنبل، الذى رأى رجلا متعلقا بأسـتار الكعبة، يضرع إلى اللّه بالمغفرة، و أقر له بأنه بنى على هؤلاء ما عـدا الغلام المـذكور بأمر من المنصور ... و فى عيون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۰۸، فما بعـدها، و شـرح ميمية أبى فراس ص ۱۷۶، ۱۷۷، و البحـار ج ۴۸ ص ۱۷۶ فما بعـدها ... قصـة شبيهـة بهذه ينقلها عن حميد بن قحطبة الـذى كان يفطر فى شـهر رمضان، ليأسه من مغفرة اللّه، لأنه قتل ستين علويا فى ليلـة واحـدة بأمر من الرشـيد ... و لكن الظاهر أن ذكر الرشـيد اشـتباه من الراوى، و لعله عمدى؛ لأن حميدا قد مات سـنة ۱۵۸، على مـا صـرح به فى البحار ج ۴۸ ص ۳۲۲، و خلافة هارون الرشـيد إنما بدأت سنة ۱۷۰، و لعـل القصـة الحقيقيـة هى ما عن أحمـد بن حنبل، و انما حرفها المحرفون لحاجـة فى نفس يعقوب، لا تخفى على المتتبع الخبير، و الناقد البصير.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۸۶

موقف كل خليفة منهم على حدة:

اشارة

و إننا من أجل أن نلم بموقف كل خليفة منهم على حدة من أبناء عمهم العلويين، نقول:

أما السفاح:

فقد قال عنه أحمد أمين: «... و كانت حياته حياة سفك للدماء، و قضاء على المعارضين «۱» ...».

و قال عنه الجنرال جلوب: «... و كان السفاح و المنصور قد نشئا نشأة المتآمرين، و لذا وطدا ملكهما- بعد نجاح الثورة- بكثير من سفك الدماء، و لا سيما من دماء أولاد أعمامهم، من بنى أمية، و بنى على بن أبى طالب «۲» ...».

و يقول الخوارزمى عن السفاح: «... و سلط عليهم (يعنى على العلويين) أبا مجرم، لا أبا مسلم، يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبهم فى كل سهل، و جبل «۳» ...».

و من ذلك يعلم أن اظهاره اللين تجاههم أمام الناس ما كان إلا من أجل تثبيت دعائم حكمه، و تحكيم قواعد سلطانه، لكنه لم يغفل لحظة واحدة عن مراقبتهم، و التجسس على أحوالهم، بل و قتلهم، إذا ما سنحت الفرصة له لذلك، كما قدمنا ...

---

(۱) ضحى الاسلام ج ۱ ص ۱۰۵.

(۲) امبراطورية العرب ص ۴۹۹.

(۳) رسائل الخوارزمى ص ۱۳۰، و ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۶، ۲۹۷، و سيأتى شطر من هذه الرسالة ... راجع ما علقناه على هذه الفقرة فى فصل: قيام الدولة العباسية.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۸۷

و أما المنصور:

الذى لم يتورع عن قتل ابن أخيه السفاح «۱»، و عمه عبد اللّه بن على ...

و أبى مسلم، مؤسس دولته ... و الذى سافر سنة ۱۴۸ ه. إلى الحج، و عزم على القبض على الامام الصادق (ع)، و إن كان لم يتم له ذلك «۲» ...

و الذى سمى نفسه المنصور بعد انتصاره على العلويين «۳».

أما المنصور هذا ... فهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين و العلويين «۴».

و قد اعترف عند ما عزم على قتل الإمام الصادق عليه السلام، بعدد ضخم من ضحاياه من العلويين، حيث قال:

«... قتلت من ذرية فاطمة ألفا، أو يزيدون، و تركت سيدهم، و مولاهم، و إمامهم، جعفر بن محمد ...» «۵».

و لقد كان هذا القول منه فى حياة الإمام الصادق عليه السلام، أى فى صدر خلافة المنصور ... فكيف بمن قتلهم بعد ذلك!! و قد ترك خزانة رءوس ميراثا لولده المهدى، كلها من العلويين، و قد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، و من بينها رءوس شيوخ، و شبان، و أطفال «۶».

---

(۱) تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۹۴، نقلا عن: نفح الطيب ج ۲ ص ۷۱۵.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۶

(۳) التنبيه و الاشراف ص ۲۹۵، و طبيعة الدعوة العباسية ص ۱۱۹.

(۴) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۶۱، و مروج الذهب ج ۴ ص ۲۲۲. و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۱۷، و مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۲، ۲۳.

(۵) شرح ميمية أبى فراس ص ۱۵۹، و الأدب فى ظل التشيع ص ۶۸.

(۶) تاريخ الطبرى ج ۱۰ ص ۴۴۶، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵۲، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۸۸

و هو الذی یقول لعمه عبد الصمد بن علی، عند ما لامه علی أنه یعاجل بالعقوبهٔ، حتی کأنه لم یسمع بالعفو- یقول له-: «إن بنی مروان لم تبل رممهم، و آل أبی طالب لم تغمد سیوفهم- و نحن بین قوم رأونا بالأمس سوقهٔ، و الیوم خلفاء، فلیس تتمهد هیبتنا الا بنسیان العفو، و استعمال العقوبهٔ «۱» ...».

و هو الذی یقول للامام الصادق علیه السلام: «لأقتلنک، و لا قتلن أهلک، حتی لا أبقی علی الأرض منکم قامهٔ سوط «۲» ...».

و عند ما قال المنصور للمسیب بن زهرهٔ: إنه رأی أن الحجاج أنصح لبنی مروان ... أجابه المسیب: «یا أمیر المؤمنین، ما سبقنا الحجاج إلی أمر، فتخلفنا عنه، و اللّه، ما خلق اللّه علی جدید الأرض خلقا أعز علینا من نبینا (ص)، و قد أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناک، و فعلنا، فهل نصحناک؟!» «۳».

و هو أول من سن هدم قبر الحسین علیه السلام فی کربلاء «۴» ...

و هو الذی کان یضع العلویین فی الاسطوانات، و یسمرهم فی الحیطان- کما نص علیه الیعقوبی، و غیره- و یترکهم یموتون فی المطبق جوعا، و تقتلهم الروائح الکریههٔ، حیث لم یکن لهم مکان یخرجون إلیه لازالهٔ الضرورهٔ. و کان یموت أحدهم، فیترک معهم، حتی یبلی من غیر دفن، ثم یهدم المطبق علی من تبقی منهم حیا، و هم فی أغلالهم- کما فعل ببنی حسن، کما هو معروف و مشهور.

---

(۱) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۶۷، و امبراطوریهٔ العرب ص ۴۹۱، و الامام الصادق و المذاهب الأربعهٔ، المجلد الأول جزء ۲ ص ۵۳۴.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۳۵۷، و البحار ج ۴۷ ص ۱۷۸.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۲۴.

(۴) تاریخ کربلاء، لعبد الجواد الکلیدار آل طعمه ص ۱۹۳.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۸۹

و لقد قال أحد العلویین، و هو أبو القاسم الرسی بن ابراهیم بن طباطبا، اسماعیل الدیباج، عند ما هرب من المنصور إلی السند:

لم یروه ما أراق البغی من دمنافی کل أرض فلم یقصر من الطلب

و لیس یشفی غلیلا فی حشاه سوی أن لا یری فوقها ابن لبنت نبی «۱» و علی کل: فإن معاملهٔ المنصور لأولاد علی، تعتبر من أسوأ صفحات التاریخ العباسی «۲» ...

و ستأتی عبارهٔ الخضری عنه عن قریب ...

و أما المهدی:

الذی حبس وزیره یعقوب بن داود، و بنی علی المطبق الذی هو فیه قبهٔ، و بقی فیه حتی عمی، و طال شعر بدنه، حتی صار کالأنعام- حبسه- لاتهامه إیاه بأنه یمالیء الطالبیین، کما قدمنا ...

المهدی الذی عرفنا فیما تقدم موقفه من أبی عون، و ولده، الذی کان یذهب مذهب الشیعهٔ فی الخلافهٔ ... و کذلک موقفه من وصیهٔ القاسم ابن مجاشع ...

أما المهدی هذا فقد اتخذ الزندقهٔ ذریعهٔ للقضاء علی کل مناوئیه، و خصوصا العلویین، و المتشیعین لهم:

قال الدکتور أحمد شلبی: «إن الرمی بالزندقهٔ اتخذ وسیلهٔ للإیقاع بالأبریاء فی کثیر من الأحایین ...» «۳».

---

(۱) النزاع و التخاصم للمقریزی ص ۵۱.

(۲) مختصر تاریخ العرب، للسید أمیر علی ص ۱۸۴.

(۳) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳ ص ۲۰۰.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۹۰

و قال الدکتور أحمد أمین المصری: «الحق أن بعض الناس اتخذوا الزندقة ذریعة للانتقام من خصومهم. سواء فی ذلک: الشعراء، و العلماء، و الأمراء، و الخلفاء» «۱».

و قد ألف له- أی للمهدی- ابن المفضل کتابا فی الفرق، اخترع فیه فرقا من عند نفسه، و نسبها لأولئک الذین یرید المهدی أن یتتبعهم، و یقضی علیهم. مع أنهم لم یکونوا أصحاب فرق أصلا ... کزرارة، و عمار الساباطی، و ابن أبی یعفور، و أمثالهم؛ فاخترع فرقة سماها «الزراریة»، نسبة لزرارة. و فرقة سماها «العماریة» نسبة لعمار، و فرقة سماها «الیعفوریة»، و أخری سماها «الجوالیقیة»، و أصحاب سلیمان الأقطع ...

و هکذا ... إلا أنه لم یذکر «الهشامیة» نسبة لهشام بن الحکم «۲» ...

---

(۱) ضحی الاسلام ج ۱ ص ۱۵۷ ... هذا ...

و قد اتهم شریک بن عبد اللّه القاضی بالزندقة، لأنه لم یکن یری الصلاة خلف الخلیفة المهدی؛ فراجع: البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۱۵۳، و حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۳۷، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثانی جزء ۳ ص ۲۳۲.

و أیضا ... فقد أراد هارون أن یقتل عمه، الذی قال: کیف لقی آدم موسی؟ عند ما ذکرت روایة مفادها ذلک ... و ذلک بتهمة الزندقة. راجع: تاریخ بغداد ج ۱۴ ص ۷، ۸ و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۱۵، و حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۳۸، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۸۵، و البصائر و الذخائر ص ۸۱ ...

و هذا یعنی أن لفظ الزندیق قد اطلق علی کل من یناقش فی أحادیث الصحابة، و علی کل من یعارض نظام الحکم، و الحکام و أهواءهم، و اطلق أیضا علی کل ماجن خلیع کما یبدو لمن راجع روایة شریک القاضی فی مظانها و غیرها ...

و لا بأس بمراجعة عبارة هامة لأحمد أمین تتعلق بهذا الموضوع فی کتاب الامام الصادق و المذاهب الأربعة، المجلد الثانی جزء ۳ ص ۲۳۲.

(۲) رجال المامقانی ج ۳ ص ۲۹۶، و قاموس الرجال ج ۹ ص ۳۲۴، و البحار ج ۴۸ ص ۱۹۵، ۱۹۶، و رجال الکشی ص ۲۷ طبع کربلاء ... و أشار إلی ذلک المسعودی أیضا؛ فراجع: ضحی الإسلام ج ۱ ص ۱۴۱. و الیعقوبی فی کتابه مشاکلة الناس لزمانهم ص ۲۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۹۱

و قال عبد الرحمن بدوی: «إن الاتهام بالزندقة فی ذلک العصر، کان یسیر جنبا إلی جنب مع الانتساب إلی مذهب الرافضة، کما لاحظ ذلک الاستاذ (فیدا) ...» «۱».

یقول أبو حنیفة أو الطغرائی فی جملة أبیات له:

و متی تولی آل أحمد مسلمقتلوه أو وصموه بالإلحاد «۲» إلی غیر ذلک مما لا یمکننا تتبعه و استقصاؤه فی مثل هذه العجالة ...

و أما الهادی:

«فقد أخاف الطالبیین خوفا شدیدا، و ألح فی طلبهم، و قطع أرزاقهم و اعطیاتهم. و کتب إلی الآفاق بطلبهم «۳» ...».

و لم تکن واقعة فخ المشهورة إلا بسبب الاضطهاد الذی لحق العلویین، و المعاملة القاسیة لهم، حسبما نص علیه المؤرخون ... و التی

بلغ عدد الرءوس فيها مائة و نيفا، و سبيت فيها النساء و الأطفال، و قتل السبى حتى الاطفال منهم على ما قيل ...

و أما الرشيد:

«الذى حصد شجرة النبوة، و اقتلع غرس الامامة»، على حد تعبير الخوارزمى ...

---

(۱) من تاريخ الإلحاد فى الاسلام ص ۳۷.

(۲) نسبه إلى الأول فى ملحقات احقاق الحق ج ۹ ص ۶۸۸ نقلا عن مفتاح النجا فى مناقب آل العبا للعلامة البدخشى ص ۱۲ مخطوط و عن قلندر الهندى الحنفى فى روض الأزهر ص ۳۵۹ طبع حيدرآباد و هو منسوب للطغرائى أيضا و هو مثبت فى احدى قصائده فى ديوانه فلعله أخذه على سبيل الاستشهاد على عادة الشعراء فى ذلك ...

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۳۶، ۱۳۷.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۹۲

و الذى «لم يكن يخاف اللّه، و أفعاله بأعيان آل على (ع)، و هم أولاد بنت نبيه، لغير جرم، تدل على عدم خوفه من اللّه تعالى «۱» ...».

و الذى كان على حد تعبير أحمد شلى: «يكره الشيعة و يقتلهم «۲» ...»

و الذى بلغ من كرهه لهم: أن الشعراء كانوا يتقربون إليه بهجاء آل على عليه السلام، كما يظهر بأدنى مراجعة للتاريخ ...

أما الرشيد هذا ...

فقد أقسم على استئصالهم، و كل من يتشيع لهم، فقال: «... حتام أصبر على آل بنى أبى طالب، و اللّه لأقتلنهم، و لأقتلن شيعتهم، و لأفعلن و أفعلن «۳» ...».

و عند ما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبيين جميعا من بغداد، إلى المدينة «۴»، كرها لهم و مقتا ...

«و كان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم، و يقتلهم «۵» ...».

«... و أمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا «۶»».

و كان: «يقتل أولاد فاطمة و شيعتهم «۷»» ...

---

(۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۰.

(۲) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳. ص ۳۵۲.

(۳) الأغانى، طبع دار الكتب بالقاهرة ج ۵ ص ۲۲۵.

(۴) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۸۵ و الطبرى ج ۱۰ ص ۶۰۶، و غير ذلك.

(۵) العقد الفريد ج ۱ ص ۱۴۲.

(۶) الولاة و القضاة للكندى ص ۱۹۸، و ليراجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۶.

(۷) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۸۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۹۳

و كان «مغرى بالمسألة عن آل أبى طالب، و عمن له ذكر و نباهة منهم «۱»».

و عند ما أرسل الجلودى لحرب محمد بن جعفر بن محمد، أمره أن يغير على دور آل أبى طالب فى المدينة، و يسلب ما على نسائهم من ثياب، و حلى، و لا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا «۲» ...

و عند ما حضرته الوفاة كان يقول: «... وا سوأتاه من رسول اللّه «۳»».

و هـدم قبر الحسـين، و حرث أرض كربلاء، و قطع السدرة التى كان يسـتظل بها الزائرون لتلك البقعة المباركة، و ذلك على يد عامله على الكوفة، موسى بن عيسى بن موسى العباسى «۴».

ثم توج موبقاته كلها، و فظائعه تلك، بقتل سيد العلويين، و قائدهم، الامام موسى بن جعفر، صلوات اللّه و سلامه عليه ...

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۴۹۳، و بعد ذلك قال: «فسأل يوما الفضل بن يحيى- بعد أن عاد من خراسان-: هل سمعت ذكرا لأحد منهم؟ قال: لا و اللّه، و لقد جهدت فما ذكر لى أحد منهم، إلا أنى سمعت رجلا إلخ» ...

(۲) أعيان الشيعة، طبعة ثالثة، ج ۴ قسم ۲ ص ۱۰۸، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۱، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶.

(۳) الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۳۰، و يلاحظ هنا: أن الانسان غالبا ما ينكشف على حقيقته حين موته. و قول الرشيد هذا يكشف لنا الرشيد على حقيقته، و يبين لنا مدى ما فعله الرشيد مع ذرية رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ...

(۴) تاريخ الشيعة ص ۸۹، و أمالى الشيخ، طبع النجف ص ۳۳۰، و الكنى و الالقاب ج ۱ ص ۲۷ و شرح ميمية أبى فراس ص ۲۰۹، و المناقب لابن شهرآشوب ج ۲ ص ۱۹، و تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۷، ۱۹۸، نقلا عن:

نزهة أهل الحرمين ص ۱۶، و البحار ج ۱۰ ص ۲۹۷، و تظلم الزهراء ص ۲۱۸، و مجالى اللطف ص ۳۹، و أعيان الشيعة ج ۴ ص ۳۰۴، و تسلية المجالس، لمحمد بن أبى طالب، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۹۴

و لقد خاطبه العقاد مشيرا إلى نبشه لقبر الحسين عليه السلام، فقال:

«... و كـأنهم خـافوا على قبرك أن ينبشه أشـياع على، رضـى اللّه عنه، فـدفنوك فى قبر الامـام العلوى، لتـأمن فيه النبش و المهانـة بعد الممات ...

فمن عجب أن يلوذ أبنـاء على بملكك الطويل العريض، فيضـيق بهم، و أن يبحث أتباعك عن ملاذ يحتمى به جثمان صاحب الملك الطويل العريض بعد مماته، فيجدوه فى قبر واحد من أولئك الحائرين اللائذين بأكناف البلدان، من غير قرار، و لا اطمينان «۱» ...».

يشير بـذلك إلى قبر على بن موسـى الرضـا عليهما السـلام؛ حيث إن الرشـيد مـدفون إلى جانبه كأنه يريـد أن يقول: إن دفن المأمون للرضا عليه السلام إلى جانب أبيه الرشيد كان لأجل الحفاظ على قبر أبيه من النبش.

و لكن من المعلوم: ان العلويين و شـيعتهم ما كانوا ليقـدموا على امر كهذا، مهما بلغ بهم الحقد و الغضب بسـبب اضـطهاد الحكام لهم ...؛ يقول محمد بن حبيب الضبى، رحمه اللّه مشيرا إلى ذلك:

قبران فى طوس الهدى فى واحدو الغى فى لحد ثراه ضرام

قرب الغوى من الزكى مضاعفلعذابه، و لأنفه الارغام و يقول دعبل رحمه اللّه:

قبران فى طوس خير الناس كلهمو قبر شرهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكى و ماعلى الزكى بقرب الرجس من ضـرر و لقـد بلغ من ظلم الرشـيد للعلويين أن جعل الناس يعتقـدون فيه بغض على عليه السلام، حتى اضطر إلى أن يقف موقف الدفاع عن نفسه،

---

(۱) راجع: تاريخ كربلاء، لعبد الجواد الكليدار ص ۱۹۹، نقلا عن: مجلة «الهلال»، عدد اكتوبر سنة ۱۹۴۷ م. ص ۲۵، من مقال بعنوان: «حديث مع هارون الرشيد» للاستاذ العقاد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۹۵

و یقسم علی أنه یحبه، قال اسحاق الهاشمی: «کنا عند الرشید، فقال:

بلغنی أن العامهٔ یظنون فیّ بغض علی بن أبی طالب. و و اللّه، ما أحب أحدا حبی له، و لکن هؤلاء (یعنی العلویین) أشد الناس إلخ ...» «۱».

ثم یلقی التبعهٔ فی ذلک علیهم، و یقول: إنهم إلی بنی أمیهٔ أمیل منهم إلی بنی العباس الخ کلامه ...

بل لقد رأیناه یعلن أمام أعاظم العلماء عن توبته مما کان منه من أمر الطالبیین و نسلهم «۲» ...

و ذلک أمر طبیعی بعد أن کان یتتبع خطواتهم و یقتلهم «و بعد أن کانت سجون العباسیین، و خصوصا المنصور و الرشید، قد امتلأت من العلویین، و کل من یتشیع لهم» علی حد تعبیر أحمد أمین «۳» ...

و أخیرا ... فقد بلغ من ظلم الرشید للعلویین أن توهم البعض أن المأمون إنما بایع للرضا بولایهٔ العهد؛ من أجل أن یمحو ما کان من أمر الرشید فی آل علی علیه السلام، کما عن البیهقی، عن الصولی «۴»

و أما المأمون:

فستأتی الاشارهٔ إلی بعض ما فعله فی آل علی فی تضاعیف الفصول الآتیهٔ إن شاء اللّه تعالی ...

و الشعراء أیضا قد قالوا الحقیقهٔ:

و هکذا ... یتضح لنا کیف أن العباسیین قد انقلبوا- بدافع من

---

(۱) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۹۳.

(۲) شرح میمیهٔ أبی فراس ص ۱۲۷.

(۳) راجع: ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۶، ۲۹۷.

(۴) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۲، و غیر ذلک ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۹۶

خوفهم- علی العلویین یوسعونهم قتلا، و عسفا و تشریدا، و أذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التی لم تکن لتخطر علی قلب بشر؛ بهدف استئصالهم من الوجود، و محو آثارهم؛ لیصفو لهم الجو، و لا- یبقی من یستطیع أن ینازعهم سلطانهم، الذی یجب أن یکون لهم وحدهم ... أو بالأحری حتی لا یبقی من من شأنه ذلک ... حتی لقد نسی الناس فعال بنی أمیهٔ معهم، عند ما رأوا فعال بنی العباس بهم ... و حتی لقد رأینا أحد شعراء ذلک الوقت یقول:

تاللّه ما فعلت أمیهٔ فیهممعشار ما فعلت بنو العباس «۱» و قال آخر- و هو أبو عطاء، أفلح بن یسار السندی، المتوفی سنهٔ ۱۸۰ ه. و هو من مخضرمی الدولتین: الامویهٔ و العباسیهٔ: قال فی زمن السفاح.

یا لیت جور بنی مروان دام لناو لیت عدل بنی العباس فی النار «۲» و قال منصور بن الزبرقان النمری، المتوفی فی خلافهٔ الرشید:

آل النبی و من یحبهمیتطامنون مخافهٔ القتل

أمن النصاری و الیهود و هممن أمهٔ التوحید فی أزل «۳» و قد أنشد الرشید هذین البیتین بعد موت منصور هذا، فقال الرشید، بعد أن أرسل إلیه من یقتله، فوجده قد مات: «لقد هممت أن انبش

---

(۱) شرح میمیهٔ أبی فراس ص ۱۱۹.

(۲) المحاسن و المساوی ص ۲۴۶، و الشعر و الشعراء ص ۴۸۴، و نظریة الإمامة ص ۳۸۲، و المهدیة فی الاسلام ص ۵۵، و طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۷۲.

(۳) الأزل: الضیق و الشدة.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۹۷

عظامه فأحرقها «۱»» ... بل فی رسالة الخوارزمی، الآتی شطر منها:

أن قبره قد نبش بالفعل.

و یقول ابو حنیفة أو الطغرائی علی اختلاف النسبة فی جملة أبیات له:

و متی تولی آل أحمد مسلمقتلوه أو وصموه بالإلحاد و یقول إبراهیم بن عبد اللّه بن الحسن، یذکر العلویین، الذین قتلهم المنصور، و یقال: إن القائل هو غالب الهمدانی.

أصبح آل الرسول أحمد فی الناس کذی عرة به جرب و یقول دعبل بن علی الخزاعی فی رثاء الرضا، و هو شعر معروف، و مشهور، و قد أنشده للمأمون نفسه:

و لیس حی من الأحیاء نعلمهمن ذی یمان، و لا بکر، و لا مضر

إلا و هم شرکاء فی دمائهمکما تشارک أیسار علی جزر

قتلا، و أسرا، و تحریقا، و منهبةفعل الغزاة بأهل الروم و الخزر

أری أمیة معذورین إن فعلواو لا أری لبنی العباس من عذر أما أبو فراس الحمدانی فیقول:

---

(۱) زهر الآداب ج ۲ ص ۷۰۵ و الشعر و الشعراء ص ۵۴۷، و الامام الصادق و المذاهب الاربعة، المجلد الاول جزء ۱ ص ۲۵۴، و طبقات الشعراء ص ۲۴۶، و فیه فی ص ۲۴۴: أن الرشید بعد سماعه لمدائح النمری فی اهل البیت، أمر أبا عصمة الشیعی بأن یخرج من ساعته إلی الرقة؛ لیسل لسان منصور من قفاه، و یقطع یده، و رجله، ثم یضرب عنقه. و یحمل إلیه رأسه، بعد أن یصلب بدنه. فخرج أبو عصمة لذلک. فلما صار بباب الرقة استقبلته جنازة النمری؛ فرجع إلی الرشید فأعلمه؛ فقال له الرشید «و یلی علیک یا ابن الفاعلة؛ فألا إذا صادفته میتا فأحرقته بالنار»!!.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۹۸ ما نال منهم بنو حرب و إن عظمتتلک الجرائر إلا دون نیلکم «۱» و یقول علی بن العباس، الشاعر المعروف بابن الرومی، مولی المعتصم من قصیدة له:

بنی المصطفی کم یأکل الناس شلوکملبلواکم عما قلیل مفرج

أ کلّ أوان للنبی محمدقتیل زکی بالدماء مضرج إلی أن قال مخاطبا لنبی العباس:

أ فی الحق أن یمسوا خماصا و أنتمیکاد أخوکم بطنة یتبعج

و تمشون مختالین فی حجراتکمثقال الخطی اکفالکم تترجرج

ولیدهم بادی الطوی و ولیدکممن الریف ریان العظام خدلج

و لم تقنعوا حتی استثارت قبورهمکلابکم فیها بهیم و دیزج و القصیدة طویلة جدا، من أرادها فلیراجعها ...

نصوص اخری:

یقول فان فلوتن: «... و لا غرو، فإن العلویین لم یلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا فی عهد الأولین من خلفاء بنی العباس ...» «۲».

و یقول الخضری: «... فکان نصیب آل علی فی خلافة بنی هاشم، أشد و أقسی مما لاقوه فی عهد خصومهم من بنی أمیة، فقتلوا، و

شردوا کل مشرد، و خصوصا فی زمن المنصور، و الرشید، و المتوکل من بنی العباس. و کان اتهام شخص فی هذه الدولة بالمیل إلی واحد من

---

(۱) سوف نورد قصیدة أبی فراس، و هی المعروفة ب «الشافیة» و کذلک شطرا من قصیدة دعبل، فی أواخر هذا الکتاب إن شاء اللّه تعالی.

(۲) السیادة العربیة و الشیعة و الاسرائیلیات ص ۱۳۳.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۹۹

بنی علی کافیا لاتلاف نفسه، و مصادرة ماله. و قد حصل فعلا لبعض الوزراء، و غیرهم الخ ..» «۱».

و لما دخل ابراهیم بن هرمة، المعاصر للمنصور المدینة، أتاه رجل من العلویین؛ فسلم علیه؛ فقال له إبراهیم: «تنح عنی، لا تشط بدمی ..» «۲».

بل یظهر من قضیة أخری لابن هرمة أن العباسیین کانوا یعاقبون حتی علی حب أهل البیت علیهم السلام فی زمن الامویین؛ فإنه- أعنی ابن هرمة- عند ما سئل فی عهد المنصور عن قوله فی عهد الامویین:

و مهما ألام علی حبهمفإنی أحب بنی فاطمة أجاب: «من عض ببظر أمه».

فقال له ابنه: أ لست قائلها؟!! قال: بلی ...

قال: فلم تشتم نفسک؟! قال: «أ لیس یعض الرجل ببظر أمه خیر له من أن یأخذه ابن قحطبة؟ ...» «۳».

بل إن الجلودی الذی أمره الرشید بالاغارة علی دور آل أبی طالب- کما قدمنا- قد قال للمأمون، عند ما جعل ولایة العهد للرضا:

---

(۱) محاضرات تاریخ الامم الاسلامیة ج ۱ ص ۱۶۱.

(۲) تاریخ بغداد ج ۶ ص ۱۲۹، و حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۸۴.

(۳) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ۲۰، ۲۱، و الأغانی ج ۴ ص ۱۱۰، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۲۶۹، نقلا عن تنبیه البکری. و ملحقات احقاق الحق ج ۹ ص ۶۹۰ نقلا عن الحضرمی فی رشفة الصادی ص ۵۶ طبع القاهرة.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۰

«اعیذک باللّه یا أمیر المؤمنین أن تخرج هذا الأمر الذی جعله اللّه لکم، و خصکم به، و تجعله فی أیدی أعدائکم، و من کان آباؤک یقتلونهم، و یشردونهم فی البلاد ...» «۱».

و أمر الرشید عامله علی المدینة: بأن یضمن العلویون بعضهم بعضا ...» «۲»

و کانوا یعرضون علی السلطات؛ فمن غاب منهم عوقب!!.

و المأمون أیضا یعترف:

و جاء فی کتاب المأمون، الذی أرسله إلی العباسیین، بعد ما ذکر حسن سیاسة الإمام علی علیه السلام مع ولد العباس ما یلی:

«... حتی قضی اللّه بالأمر إلینا؛ فأخفناهم، و ضیقنا علیهم، و قتلناهم أکثر من قتل بنی أمیه إیاهم. و یحکم، إن بنی أمیة قتلوا من سل سیفا، و انا معشر بنی العباس قتلناهم جملا ... فلتسألن أعظم الهاشمیة بأی ذنب قتلت، و لتسألن نفوس القیت فی دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد، و الکوفة أحیاء الخ ...». و سنورد الروایة، و نذکر مصادرها فی أواخر هذا الکتاب إن شاء اللّه ...

جانب من رسالة الخوارزمی لأهل نیشابور:

و حسب القارئ أن یرجع إلی مقاتل الطالبیین لابی الفرج الأصفهانی،

---

(۱) بحار الأنوار ج ۴۹ ص ۱۶۶، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۷.

(۲) لقد کان ذلک قبل الرشید أیضا فراجع تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۱۵، فانه قال:

«... و ما زال آل أبی طالب یکفل بعضهم بعضا، و یعرضون؛ فغاب إلخ» ...

ثم یسوق واقعهٔ فخ المشهورهٔ، و بعض أسبابها ... و لا بأس بمراجعهٔ الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۷۵ و غیره ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۱

مع أنه لم یستوف کل شیء، و إنما اکتفی بذکر بعض منهم ... و کذلک إلی ما ذکره ابن الساعی فی مختصر أخبار الخلفاء ص ۲۶، و غیرها.

و غیر ذلک من کتب التاریخ و الروایهٔ، لیعلم مقدار الظلم و العسف الذی حاق بأبناء علی، و شیعتهم فی تلک الحقبهٔ من الزمن ...

و حسبنا هنا بعد کل الذی قدمناه، أن نذکر فقرات من رسالهٔ أبی بکر الخوارزمی، التی أرسلها إلی أهل نیشابور، یقول أبو بکر، بعد أن ذکر کثیرا من الطالبیین، الذین قتلهم الامویون، و العباسیون- و منهم الرضا الذی سم بید المأمون-:

«فلما انتهکوا ذلک الحریم، و اقترفوا ذلک الاثم العظیم، غضب اللّه علیهم، و انتزع الملک منهم، فبعث علیهم «أبا مجرم»، لا أبا مسلم، فنظر لانظر اللّه إلیه إلی صلابهٔ العلویهٔ، و إلی لین العباسیهٔ، فترک تقاه، و اتبع هواه، و باع آخرته بدنیاه، بقتله عبد اللّه بن معاویهٔ بن عبد اللّه بن جعفر بن أبی طالب. و سلط طواغیت خراسان، و اکراد أصفهان، و خوارج سجستان علی آل أبی طالب، یقتلهم تحت کل حجر و مدر، و یطلبهم فی کل سهل و جبل، حتی سلط علیه أحب الناس إلیه، فقتله کما قتل الناس فی طاعته، و أخذه بما أخذ الناس فی بیعته، و لم ینفعه:

أن أسخط اللّه برضاه، و أن رکب ما لا یهواه. و خلت من الدوانیقی «۱» الدنیا، فخبط فیها عسفا، و تقضی فیها جورا و حیفا. و قد امتلأت سجونه بأهل بیت الرسالهٔ، و معدن الطیب و الطهارهٔ، قد تتبع غائبهم، و تلقط حاضرهم، حتی قتل عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه الحسنی بالسند، علی ید عمر بن هشام الثعلبی، فما ظنک بمن قرب متناوله علیه، و لان مسه علی یدیه.

---

(۱) فی مجمع الفوائد: «و خلت إلی الدوانیقی» و لعله هو الصواب.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۲

و هذا قلیل فی جنب ما قتله هارون منهم، و فعله موسی قبله بهم، فقد عرفتم ما توجه علی الحسن «۱» بن علی بفخ من موسی، و ما اتفق علی علی بن الافطس الحسینی من هارون، و ما جری علی احمد بن علی الزیدی، و علی القاسم بن علی الحسینی من حبسه، و علی غسان بن حاضر الخزاعی، حین أخذ من قبله، و الجملهٔ أن هارون مات و قد حصد شجرهٔ النبوهٔ، و اقتلع غرس الإمامهٔ.

و أنتم أصلحکم اللّه، أعظم نصیبا فی الدین من الأعمش، فقد شتموه، و من شریک، فقد عزلوه، و من هشام بن الحکم، فقد أخافوه، و من علی بن یقطین، فقد اتهموه ...».

إلی أن یقول، بعد کلام له عن بنی أمیهٔ:

«... و قل فی بنی العباس، فإنک ستجد بحمد اللّه مقالا، و جل فی عجائبهم، فانک تری ما شئت مجالا.

یجبی فیؤهم، فیفرق علی الدیلمی، و الترکی، و یحمل إلی المغربی، و الفرغانی. و یموت إمام من أئمهٔ الهدی، و سید من سادات بیت المصطفی، فلا تتبع جنازته، و لا تجصص مقبرته، و یموت (ضراط) لهم، أو لاعب أو مسخرهٔ، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول و

القضاة، و یعمر مسجد التعزیة عنه القواد و الولاة ...

و یسلم فیهم من یعرفونه دهریا، أو سوفسطائیا، و لا یتعرضون لمن یدرس کتابا فلسفیا و مانویا، و یقتلون من عرفوه شیعیا، و یسفکون دم من سمی ابنه علیا ...

و لو لم یقتل من شیعة أهل البیت غیر المعلی بن خنیس، قتیل داود

(۱) الظاهر أن الصحیح هو: «الحسین» کما فی مجمع الفوائد.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۳

ابن علی، و لو لم یحبس فیهم غیر أبی تراب المروزی، لکان ذلک جرحا لا یبرأ، و ثائرة لا تطفأ، و صدعا لا یلتئم، و جرحا لا یلتحم.

و کفاهم أن شعراء قریش قالوا فی الجاهلیة أشعارا یهجون بها أمیر المؤمنین علیه السلام، و یعارضون فیها أشعار المسلمین، فحملت أشعارهم، و دونت أخبارهم، و رواها الرواة، مثل: الواقدی، و وهب بن منبه التمیمی، و مثل الکلبی، و الشرقی ابن القطامی، و الهیثم بن عدی، و دأب بن الکنانی. و أن بعض شعراء الشیعة یتکلم فی ذکر مناقب الوصی، بل ذکر معجزات النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؛ فیقطع لسانه، و یمزق دیوانه، کما فعل بعبد اللّه بن عمار البرقی، و کما أرید بالکمیت بن زید الأسدی، و کما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمری، و کما دمر علی دعبل بن علی الخزاعی. مع رفقتهم من مروان بن أبی حفصة الیمامی، و من علی بن الجهم الشامی؛ لیس إلا لغلوهما فی النصب، و استیجابهما مقت الرب؛ حتی إن هارون بن الخیزران، و جعفرا المتوکل علی الشیطان، لا علی الرحمن، کانا لا یعطیان مالا، و لا یبذلان نوالا، إلا لمن شتم آل أبی طالب، و نصر مذهب النواصب، مثل: عبد اللّه ابن مصعب الزبیری، و وهب بن وهب البختری، و من الشعراء مثل:

مروان بن أبی حفصة الاموی، و من الادباء مثل: عبد الملک بن قریب الأصمعی. فأما فی أیام جعفر فمثل: بکار بن عبد اللّه الزبیری، و أبی السمط ابن أبی الجون الاموی، و ابن أبی الشوارب العبشمی ...»

و بعد کلام له عن بنی أمیة أیضا قال:

«و ما هذا بأعجب من صیاح شعراء بنی العباس علی رءوسهم بالحق، و إن کرهوه، و بتفضیل من نقصوه و قتلوه، قال المنصور بن الزبرقان علی بساط هارون:

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۴ آل النبی و من یحبهمیتطامنون مخافة القتل

أمن النصاری و الیهود و هممن أمة التوحید فی أزل و قال دعبل، و هو صنیعة بنی العباس و شاعرهم:

أ لم تر أنی مذ ثمانین حجةأروح، و أغدو دائم الحسرات

أری فیئهم فی غیرهم متقسماو أیدیهم من فیئهم صفرات و قال علی بن العباس الرومی، و هو مولی المعتصم:

تألیت أن لا یبرح المرء منکمیشل علی حر الجبین فیعفج

کذاک بنی العباس تصبر منکمو یصبر للسیف الکمی المدجج «۱»

لکل أوان للنبی محمدقتیل زکی بالدماء مضرج «۲» و قال ابراهیم بن العباس الصولی- و هو کاتب القوم و عاملهم- فی الرضا لما قربه المأمون:

یمن علیکم بأموالکمو تعطون من مائة واحدا و کیف لا یتنقصون قوما یقتلون بنی عمهم جوعا و سغبا و یملئون دیار الترک و الدیلم فضة و ذهبا، یستنصرون المغربی و الفرغانی، و یجفون المهاجری و الأنصاری، و یولون أنباط السواد وزراتهم، و تلف العجم و الطماطم قیادتهم، و یمنعون آل أبی طالب میراث أمهم، و فیء جدهم.

یشتهی العلوی الاکلة، فیحرمها، و یقترح علی الایام الشهوة فلا یطعمها، و خراج مصر و الاهواز، و صدقات الحرمین و الحجاز، تصرف

إلى ابن أبى مريم المدينى، و إلى إبراهيم الموصلى، و ابن جامع السهمى، و إلى زلزل الضارب، و برصوما الزامر، و أقطاع بختيشوع النصرانى قوت أهل

---

(۱) فى مقاتل الطالبيين: «لذاك بنى العباس يصبر مثلكم و يصبر للموت».

(۲) فى مقاتل الطالبيين: «أكل أوان» ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۰۵

بلد، و جارى بغا التركى، و الافشين الأشروسنى كفاية أمة ذات عدد ...

و المتوكل زعموا يتسرى بـاثنى عشر الف سرية، و السيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية، أو سندية. و صفوة مال الخراج مقصورة على أرزاق الصفاعنة، و على موائد المخاتنة، و على طعمة الكلابين، و رسوم القرادين، و على مخارق و علوية المغنى، و زرزر، و عمر بن بانة المهلبى، و يبخلون على الفاطمى بأكلة أو شربة، و يصارفونه على دانق و حبة، و يشترون العوادة بالبدر، و يجرون لها ما يفى برزق عسكر.

و القوم الذين أحل لهم الخمس، و حرمت عليهم الصدقة، و فرضت لهم الكرامة و المحبة، يتكففون ضرا، و يهلكون فقرا، و يرهن أحدهم سيفه، و يبيع ثوبه، و ينظر إلى فيئه بعين مريضة، و يتشدد على دهره بنفس ضعيفة. ليس له ذنب إلا أن جده النبى، و أبوه الوصى، و أمه فاطمة، وجدته خديجة، و مذهبه الايمان، و إمامه القرآن ... و حقوقه مصروفة إلى القهرمانة و المضرطة و إلى المغمزة، إلى المزررة، و خمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية، و القردة، و على رءوس اللعبة و اللعبة، و على مرية الرحلة ...

و ما ذا أقول فى قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، و أجروا لعبادة و ذويه الجرايات، و حرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، و نفوا زواره إلى البلدان. و ما أصف من قوم هم: نطف السكارى فى أرحام القيان؟ و ما ذا يقال فى أهل بيت منهم نبع البغا، و فيهم راح التخنيث و غدا، و بهم عرف اللواط؟!. كان ابراهيم بن المهدى مغنيا، و كان المتوكل مؤنثا موضعا، و كان المعتز مخنثا، و كان ابن زبيدة معتوها مفركا، و قتل المأمون أخاه، و قتل المنتصر أباه، و سم موسى بن المهدى أمه، و سم المعتضد عمه. و لقد كان فى بنى أمية مخازى تذكر، و معايب تؤثر ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۰۶

و بعد أن عدد بعض مخازى بنى أمية، و معايبهم قال:

«... و هذه المثالب مع عظمها و كثرتها، و مع قبحها و شنعتها، صغيرة و قليلة فى جنب مثالب بنى العباس، الذين بنوا مدينة الجبارين، و فرقوا فى الملاهى و المعاصى أموال المسلمين ... إلى آخر ما قال ...» «۱».

هذا جانب من رسالة الخوارزمى، و قد كنت أود أن أثبتها بتمامها، لكننى رأيت أن المجال لا يتسع لذلك ... و على كل فإن: ذلك كله غيض من فيض ... و لعل فيما ذكرناه كفاية ...

---

(۱) راجع: رسائل الخوارزمى طبع القسطنطينية سنة ۱۲۹۷ من ص ۱۳۰، إلى ص ۱۴۰. و نقل شطرا كبيرا منها: سعد محمد حسن فى كتابه: المهدية فى الاسلام ابتداء من ص ۵۸ و ذكر شطرا منها أيضا الدكتور احمد امين فى كتابه ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۷ فما بعدها؛ فراجع. و هى موجودة بتمامها فى مجموعة خطية من تأليف سيدى الوالد أيده اللّه، سماها: «مجمع الفوائد، و مجمل العوائد» ابتداء من ص ۴۵ ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۰۷

سياسة العباسيين مع الرعية

نظرة عامة:

لا نرید فی هذا الفصل أن نعرض لأنواع القبائح، التی کان العباسیون یمارسونها؛ فإن ذلک مما لا یمکن الالمام به و استقصاؤه فی هذه العجالة.

و إنما نرید فقط أن نعطی لمحة سریعة عن سیرتهم السیئة فی الناس، و مدی اضطهادهم و ظلمهم لهم، و جورهم علیهم، الأمر الذی أسهم إسهاما کبیرا فی کشف حقیقتهم، و بیان واقعهم أمام الملأ ... حتی لقد قال الشعراء فی وصف الحالة العامة فی زمن خلفائهم الشیء الکثیر؛ فمن ذلک قول سلیم العدوی فی الثورة علی الوضع القائم:

حتی متی لا نری عدلا نسرّ بهو لا نری لولاة الحق أعوانا

مستمسکین بحق قائمین بهإذا تلون أهل الجور ألوانا

یا للرجال لداء لا دواء لهو قائد ذی عمی یقتاد عمیانا «۱» و قال سدیف:

---

(۱) المستطرف ج ۱ ص ۹۷، و طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۷۲، و ضحی الاسلام ج ۲ ص ۳۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۸ إنا. لنأمل أن ترتد ألفتنابعد التباعد و الشحناء و الإحن

و تنقضی دولة أحکام قادتهافینا کأحکام قوم عابدی وثن فکتب المنصور إلی عبد الصمد بن علی بأن: یدفنه حیا؛ ففعل «۱».

و قد ذکر أبو الفرج ابیاتا کثیرة بالاضافة الی هذین البیتین، و نسبها یحیی بن عبد اللّه بن الحسن، بحضرة الرشید، إلی عبد اللّه بن مصعب الزبیری، و من جملتها قوله:

فطالما قد بروا فی الجور اعظمنابری الصناع قداح النبع بالسفن «۲» و قال آخر، و هو أحمد بن أبی نعیم، الذی نفاه المأمون بسبب هذا البیت إلی السند:

ما أحسب الجور ینقضی و علی الناس أمیر من آل عباس «۳» و قد تقدم قول أبی عطاء السندی، المتوفی سنة ۱۸۰ ه:

یا لیت جور بنی مروان دام لناو لیت عدل بنی العباس فی النار و قال الدکتور أحمد محمود صبحی: «... لکن ذلک المثل الاعلی للعدالة، و المساواة الذی انتظره الناس من العباسیین، قد أصبح و هما من الاوهام، فشراسة المنصور و الرشید، و جشعهم، و جور أولاد علی بن

---

(۱) راجع: العمدة لابن رشیق ج ۱ ص ۷۵، ۷۶، و العقد الفرید، طبع دار الکتاب العربی ج ۵ ص ۸۷، و هامش طبقات الشعراء ص ۴۱.

(۲) مقاتل الطالبیین ص ۴۷۶، ۴۷۷.

(۳) راجع: وفیات الأعیان، ترجمة یحیی بن أکثم، و مروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۵، و ضحی الاسلام ج ۲ ص ۳۸، و نهایة الارب ج ۸ ص ۱۷۵، و طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۷۳، و طبقات الشعراء ص ۳۷۸، لکنه نسبه لابن أبی خالد، لکن فی العقد الفرید ج ۶ ص ۴۱۸، قد نسب یحیی بن أکثم هذا البیت إلی دعبل.

و فیه: أنه هو الذی نفی إلی السند ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۰۹

عیسی، و عبثهم بأموال المسلمین، یذکرنا بالحجاج، و هشام، و یوسف ابن عمرو الثقفی، و عم الاستیاء أفراد الشعب، بعد أن استفتح أبو عبد اللّه، المعروف ب «السفاح»، و کذلک المنصور بالاسراف فی سفک الدماء، علی نحو لم یعرف من قبل «۱» ...».

و یقول صاحب امبراطوریة العرب: «... إنه بالرغم من أن جیش خراسان هو الذی أوصل العباسیین إلی الملک، فان الفتن فی خراسان

ظلت قائمة فی عهد العباسیین، کما کانت فی عهد الامویین. و کان الشعار الذی رفعه الخراسانیون الآن: أنهم هم الذین أوصلوا «آل البیت» إلی الحکم، لإقامة عهد من الرحمة و العدل، لا لإقامة عهد آخر من الطغیان، المتعطش إلی سفک الدماء ... إلی أن یقول: لکن الشیء الذی لا ریب فیه: هو أن الاحلام باقامة عهد السلام و العدل، التی کانت السبب فی الثورة العامة ضد الامویین قد تبخرت الآن، و لو لم یکن العباسیون أسوأ حالا من الامویین، فانهم لم یکونوا- علی أی حال- خیرا منهم «۲» ...». و قریب منه کلام غیره «۳» و ستأتی فی فصل: آمال المأمون إلخ ... عبارة فان فلوتن الهامة، و القیمة عن الحکم العباسی، و سیاساته مع الرعیة ... فانتظر ...

و لعل قصیدة أبی العتاهیة، التی مطلعها:

من مبلغ عنی الامام نصائحا متوالیة

---

(۱) نظریة الامامة ص ۳۸۱. لکن کنیة السفاح هی: «أبو العباس»، لا أبو عبد اللّه.

و عبد اللّه هو: اسمه، و اسم المنصور أیضا، الذی کان أکبر من السفاح.

(۲) امبراطوریة العرب ص ۴۵۲.

(۳) راجع: حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۱۶۲ عن کتاب: «النکبات» للریحانی، و ضحی الاسلام ج ۱ ص ۱۲۷ حتی ۱۳۱.

تعبر تعبیرا صادقا عن الحالة العامة، التی کانت سائدة آنذاک، و هی معروفة و مشهورة، و مذکورة فی دیوانه ص ۳۰۴. و هی بحق من الوثائق الهامة، المعبرة عن واقع الحیاة فی تلک الفترة من الزمن ...

تفصیل مواقف الخلفاء مع الرعیة:

اشارة

و بعد هذا ... و إذا ما أردنا أن نقف عند بعض جنایات و جرائم کل واحد منهم فإننا نقول:

أما السفاح:

الذی أظهر نفسه فی صورة مهدی «۱» ...

فهو الذی یقول عنه المؤرخون: إنه: «کان سریعا إلی سفک الدماء؛ فاتبعه عماله فی ذلک، فی المشرق و المغرب، و استنوا بسیرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، و صالح بن علی بمصر، و خازم بن خزیمة، و حمید بن قحطبة، و غیرهم ...» «۲».

حتی لقد خرج علیه شریک بن شیخ المهری، الذی کان- علی ما یظهر- من دعاة العباسیین- خرج علیه- ببخارا، فی أکثر من ثلاثین ألفا؛ فقال: «ما علی هذا بایعنا آل محمد، تسفک الدماء،

---

(۱) البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۶۹، و التنبیه و الاشراف ص ۲۹۲.

(۲) مروج الذهب للمسعودی ج ۳ ص ۲۲۲، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۵۹.

و مشاکلة الناس لزمانهم للیعقوبی ص ۲۲، و لیراجع امبراطوریة العرب ص ۴۳۵.

و یعمل بغیر الحق «۱» ...»، فوجه إلیه السفاح أبا مسلم، فقتله، و من معه ...

و قضیهٔ عامل السفاح- و هو أخوه، و قیل: ابن اخیه، یحیی- مع أهل الموصل، حیث ذبح الآلاف الکثیرهٔ منهم فی المسجد ... هذه القضیهٔ معروفهٔ و مشهورهٔ.

و ینص المؤرخون، علی أنه: لم یبق من أهل الموصل علی کثرتهم إلاـ أربع مائهٔ إنسان، صدموا الجند، فأفرجوا لهم ... کما أنه أمر جنده، فبقوا ثلاثهٔ أیام یقتلون النساء، لأنه سمع أنهن یبکین رجالهن ... و ینص المؤرخون أیضا: علی أن نفوس أهل الموصل قد ذلت بعد تلک المذبحهٔ، و لم یسمع لهم بعدها صوت، و لا قامت لهم قائمهٔ «۲» ...

و عند ما سألت السفاح زوجته أم سلمهٔ، بنت یعقوب بن سلمهٔ:

«لأی شیء استعرض ابن أخیک أهل الموصل بالسیف؟!. قال لها:

و حیاتک ما أدری «۳» ....»!!.

و قد تقدمت عبارهٔ الدکتور أحمد محمود صبحی عن السفاح و المنصور معا عن قریب ...

---

(۱) الکامل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۴۲، و الامامهٔ و السیاسهٔ ج ۲ ص ۱۳۹، و تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۳۵۴ طبع صادر، و البدایهٔ و النهایهٔ ج ۱۰ ص ۵۶، و تاریخ التمدن الاسلامی ج ۲ ص ۴۰۲، و غیرهم ... و فی کتاب طبیعهٔ الدعوهٔ العباسیهٔ ص ۲۳۰ قال: إنه «لذلک نقل ولاءه للعلویین، و ثار ببخارا، و انضم إلیه أنصار العلویین فی خراسان، و کذلک ولاهٔ العباسیین علی بخارا، و برزم، و کانت حرکته شعبیهٔ.

و جابه أبو مسلم صعوبات کبیرهٔ فی القضاء علیها ...» انتهی.

(۲) راجع تفاصیل هذه القضیهٔ فی: النزاع و التخاصم للمقریزی ص ۴۸، ۴۹، و الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۲۱۲، حوادث سنهٔ ۱۳۲، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۷۷، و غایهٔ المرام للموصلی ص ۱۱۵، و تاریخ الیعقوبی، طبع صادر ج ۲ ص ۳۵۷، و شرح میمیهٔ أبی فراس ص ۲۱۶.

(۳) النزاع و التخاصم للمقریزی ص ۴۹، و غیر ذلک ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۱۲

و أما المنصور:

اشارهٔ

الذی أظهر نفسه فی صورهٔ مهدی کما یظهر من قول أبی دلامهٔ مخاطبا أبا مسلم الذی قتله المنصور:

أبا مجرم ما غیر اللّه نعمهٔعلی عبده حتی یغیرها العبد

أ فی دولهٔ المهدی حاولت غدرهٔألا إن أهل الغدر آباؤک الکرد «۱» و الذی قتل خلقا کثیرا حتی استقام له الأمر «۲» ...

فأمره فی الظلم و الجور و انتهاک الحرمات أشهر من أن یذکر، حتی لقد أنکر علیه ذلک: «... رجل من أعظم الدعاهٔ قدرا، و أعظمهم غناء. و هو أبو الجهم بن عطیهٔ، مولی باهلهٔ. و هو الذی أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذی أخفاه فیه أبو سلمهٔ، حفص بن سلیمان الخلال، و حرسه، و قام بأمره حتی بویع بالخلافهٔ؛ فکان أبو العباس یعرف له ذلک. و کان أبو مسلم یثق به، و یکاتبه ...

فلما استخلف أبو جعفر المنصور، و جار فی أحکامه؛ قال أبو الجهم:

ما علی هذا بایعناهم، إنما بایعناهم علی العدل؛ فأسرّها أبو جعفر فی نفسه، و دعاه ذات یوم؛ فتغدی عنده، ثم سقاه شربهٔ من سویق

اللوز؛ فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع؛ فتوهم: أنه قد سم؛ فوثب، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟! فقال: إلى حيث أرسلتنى. و مات بعد يوم أو يومين فقال:

(۱) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ۱ ص ۲۶ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۱۵۸. و يحتمل أن يقصد بالمهدى هنا: السفاح.

(۲) فوات الوفيات ج ۱ ص ۲۳۲، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۵۹، و تاريخ الخميس ج ۲ ص ۳۲۴.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۱۳ احذر سويق اللوز لا تشربنه‌فان سويق اللوز أردى أبا الجهم «۱».

و أنكر عليه ذلك أيضا- بالاضافة إلى عمه كما تقدم- جماعة من قواده، فقاموا عليه، و دعوا الناس إلى موالاة أهل البيت، فحاربهم عبد الرحمن الازدى سنة ۱۴۰ ه. فقتل طائفة منهم، و حبس آخرين «۲» ...

و قال الطبرى فى حوادث سنة ۱۴۰ ه. أيضا: «... و فيها ولى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان، فقدمها، فأخذ بها ناسا من القواد، و ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد على بن أبى طالب، منهم:

مجاشع بن حريث الانصارى، و أبو المغيرة، مولى لبنى تميم، و اسمه خالد ابن كثير، و هو صاحب قوهستان، و الحريش بن محمد الذهلى، ابن عم داود، فقتلهم و حبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلى، و معبد بن الخليل المزنى، بعد ما ضربهما ضربا مبرحا، و حبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان «۳» ..».

و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المنصور كان يعاشر الراوندية القائلين بالوهيته، و لا ينهاهم و لا يردعهم عن مقالتهم تلك، و عند ما سأله أحد المسلمين عن ذلك قال له- على ما فى تاريخ الطبرى-:

«لأن يكونوا فى معصية اللّه و طاعتنا، أحب إلىّ من أن يكونوا فى طاعة اللّه و معصيتنا.».

و لكنه عند ما ثاروا عليه فى الهاشمية، وضع فيهم السيف و قتلهم، و لكن لا لاجل مقالتهم الشنيعة تلك، و إنما لأجل عدم طاعتهم له!! ...

(۱) النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۵۲، و ليراجع: الوزراء و الكتاب ص ۱۳۶- ۱۳۷ و فيه: أن أبا الجهم كان وزيرا للسفاح.

(۲) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۷۵.

(۳) الطبرى، طبع ليدن ج ۱۰ ص ۱۲۸.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۱۴

هذا ... و عند ما قال لعبد الرحمن الافريقى، رفيق صباه:

«كيف رأيت سلطانى من سلطان بنى أمية؟».

أجابه عبد الرحمن: «ما رأيت فى سلطانهم شيئا من الجور إلا رأيته فى سلطانك ...» «۱».

و عند ما قدم عليه عبد الرحمن هذا من إفريقيا، و دخل عليه، بعد أن بقى ببابه شهرا، لا يستطيع الوصول إليه، قال له عبد الرحمن:

«ظهر الجور ببلادنا، فجئت لا علمك؛ فإذا الجور يخرج من دارك. و رأيت أعمالا سيئة، و ظلما فاشيا، ظننته لبعد البلاد منك، فجعلت كلما دنوت منك كان الأمر أعظم».

فغضب المنصور، و أمر باخراجه «۲» ...

و قال لابن أبى ذؤيب: «أى الرجال أنا؟».

فأجابه: «أنت و اللّه عندى شر الرجال، استأثرت بمال اللّه، و رسوله، و سهم ذوى القربى، و اليتامى. و المساكين، و أهلكت الضعيف، و أتعبت القوى، و أمسكت أموالهم ...» «۳» ... و حج أبو جعفر فدعا ابن أبى ذئب، فقال: نشدتك اللّه، أ لست أعمل بالحق؟ أ ليس

ترانی أعدل؟ فقال ابن أبی ذئب: أما إذ نشدتنی باللّه فأقول: اللهم لا، ما أراک تعدل، و إنک لجائر، و إنک لتستعمل الظلمة، و تترک أهل الخیر «۴».

(۱) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۶۸، و غیره.

(۲) تاریخ بغداد ج ۱۰ ص ۲۱۵، و الامام الصادق، و المذاهب الأربعة المجلد الأول جزء ۲ ص ۴۷۹.

(۳) الامامة و السیاسة ج ۲ ص ۱۴۵.

(۴) صفة الصفوة ج ۲ ص ۱۷۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۱۵

و عند ما کان یطوف بالبیت سمع أعرابیا یقول: «اللهم إنی أشکو إلیک ظهور الفساد، و ما یحول بین الحق و أهله، من الطمع.»؛ فطلبه المنصور، فأتی به، فاستمع المنصور منه إلی شرح واف عن الظلم، و الجور، و الفساد، الذی کان فاشیا آنذاک، و هی قصة طویلة لا مجال لذکرها، و علی مریدها المراجعة إلی مظانها «۱».

و لا بأس بمراجعة ما قاله له عمرو بن عبید، فی موعظته الطویلة له، و من جملتها: «... إن وراء بابک نیرانا تتأجج من الجور، و اللّه، ما یحکم وراء بابک بکتاب اللّه، و لا بسنة نبیه إلخ ...» «۲».

و قد لقی أعرابیا بالشام؛ فقال له المنصور: «احمد اللّه یا أعرابی، الذی رفع عنکم الطاعون بولایتنا أهل البیت».

فأجابه الاعرابی: «إن اللّه أعدل من أن یجمعکم علینا و الطاعون».

فسکت، و لم یزل یطلب له العلل حتی قتله «۳».

(۱) المحاسن و المساوی من ص ۳۳۹، إلی ص ۳۴۱، و العقد الفرید للملک السعید ص ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، و حیاة الحیوان للدمیری ج ۲ ص ۱۹۰، ۱۹۱، طبع سنة ۱۳۱۹، و عیون الأخبار، لابن قتیبة ج ۲ ص ۳۳۳، إلی ص ۳۳۶، و العقد الفرید ج ۲ ص ۱۰۴، ۱۰۵، طبع سنة ۱۳۴۶، و ضحی الاسلام ج ۲ ص ۴۰، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۲ ص ۴۸۰، نقلا عن: تاریخ ابن الساعی ص ۱۹، و الفتوحات الاسلامیة لدحلان ج ۲ ص ۴۴۵ حتی ۴۴۸ مطبعة مصطفی محمد. و الموفقیات ص ۳۹۲، ۳۹۳.

(۲) مرآة الجنان للیافعی ج ۱ ص ۳۳۶، ۳۳۷، و المحاسن و المساوی، طبع صادر ص ۳۳۸، ۳۳۹، و عیون الأخبار، لابن قتیبة باختصار ج ۲ ص ۳۳۷، و نور القبس ص ۴۴.

(۳) روض الأخیار المنتخب من ربیع الأبرار ص ۸۶ و أساس الاقتباس، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۱۲۳، تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۶۵، و فی کتاب ربیع الابرار ج ۱ ص ۶۸۸، طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۷۳، نقلا عن تاریخ دمشق لابن عساکر III ص ۳۹۱: أن الذی قال للمنصور ذلک هو منصور بن جعونة الکلابی: و أن قوله له هو: «إن اللّه أعدل من أن یسلط علینا الطاعون و العباسیین معا ...».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۱۶

و قد کتب له سدیف، الذی کان من المتحمسین للدولة العباسیة:

أسرفت فی قتل الرعیة ظالمافاکفف یدیک اظلها «مهدیها» «۱» و یرید ب «مهدیها» محمد بن عبد اللّه بن الحسن علی ما یظهر ...

و قضیة الرجل الهمدانی، الذی أراد عامل المنصور أن یسلبه ضیعته؛ فأبی علیه ذلک؛ فکبله بالحدید، و سیره إلی المنصور، فأودعه السجن أربعة أعوام، لا یسأل عنه أحد، هذه القضیة معروفة، و مشهورة «۲» ...

و عند ما بنی مدینة: «المصصیة» قد أخذ أموال الناس، حتی ما ترک عند أحد فضلا «۳»، و عند ما أراد أن یبنی مدینة أخری ثار الناس

عليه و وقع القتال؛ لأنهم علموا أنه سوف لا يبقى عندهم فضلا أيضا.

و أما ما فعله عبد الوهاب ابن أخى المنصور فى أهل فلسطين؛ فذلك يفوق كل وصف و يتجاوز كل بيان «۴».

بعض ما يقال عن المنصور:

و أخيرا ... فقد قال عنه البيهقى إنه: «كان يعلق الناس من أرجلهم، حتى يؤدّوا ما عليهم ...» «۵».

---

(۱) العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۵/ ۸۸. و يقال: إن هذا هو سبب قتل سديف ...

(۲) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۸۱، ۲۸۲، و مروج الذهب ج ۳ ص ۲۸۸.

(۳) تاريخ اليعقوبى ج ۳/ ۱۲۱.

(۴) الوزراء و الكتاب ص ۱۳۷.

(۵) المحاسن و المساوى ص ۳۳۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۱۷

هذا ... و قد وصف اليافعى و الذهبى المنصور بأنه كان: «فيه جبروت و ظلم» «۱».

و وصفه السيد أمير على بأنه: «كان غادرا خداعا، لا يتردد البتة فى سفك الدماء ... إلى أن قال: و على الجملة: كان أبو جعفر سادرا فى بطشه، مستهترا فى فتكه، و تعتبر معاملته لأولاد على من أسوأ صفحات التاريخ العباسى» «۲».

و لا بأس بمراجعة ما قاله الريان، مولى المنصور لجعفر بن أبى جعفر، حيث ينص على أنه قتل أهل الدنيا، ممن لا يعد و لا يحصى، و ان فرعون لا يقاس به «۳».

و أما المهدى.

الذى اتخذ الزندقة ذريعة للفتك بالأبرياء ... فقد كفانا الجهشيارى مؤونة الحديث عنه؛ حيث قال: إنه فى زمن المهدى هذا: «كان أهل الخراج يعذبون بصنوف من العذاب، من السباع، و الزنابير و السنانير ...» «۴» ... و قد خرج عليه يوسف البرم بخراسان، منكرا عليه أحواله، و سيرته، و ما يتعاطاه «۵».

---

(۱) العبر للذهبى ج ۱/ ۲۳۰، و مرآة الجنان لليافعى ج ۱/ ۳۳۴.

(۲) مختصر تاريخ العرب و التمدن الاسلامى ص ۱۸۴. و ليراجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴/ ۳۹۹، و التاريخ الإسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳/ ۶۱.

(۳) الوزراء و الكتاب ص ۱۳۰.

(۴) الوزراء و الكتاب ص ۱۴۲.

(۵) البداية و النهاية ج ۱۰/ ۱۳۱.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۱۸

و أما الهادى:

فقد کان: «یتناول المسکر، و یجب اللهو و الطرب، و کان ذا ظلم و جبروت» «۱».

و کان «سیّئ الأخلاق، قاسی القلب، جبارا، یتناول المسکر، و یلعب.» «۲».

و قد قال عنه الجاحظ: «کان الهادی شکس الأخلاق، صعب المرام، سیئ الظن. قل من توقاه، و عرف أخلاقه إلا أغناه، و ما کان شیء أبغض إلیه من ابتدائه بسؤال. و کان یأمر للمغنی بالمال الخطیر الجزیل ...» «۳».

و قال الجهشیاری: «کان فظا قاسیا، غیر مأمون علی وفاء بوعد» «۴».

نعم ... لقد کان یأمر للمغنی بالمال الجزیل الخطیر- من بیت مال المسلمین- کما یقول الجاحظ ... و قد بلغ من إسرافه فی إجازة الخلعاء و المغنین، أن دفع إسحاق الموصلی لأن یقول: «لو عاش لنا الهادی لبنینا حیطان دورنا بالذهب و الفضة» «۵».

و أخیرا ... فقد قال عنه الذهبی: «قد کان جبارا ظالم النفس» «۶».

إلی آخر ما هنالک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

---

(۱) تاریخ الخمیس ج ۲/ ۳۳۱.

(۲) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۷۹، و غیره.

(۳) التاج للجاحظ ص ۸۱.

(۴) الوزراء و الکتاب ص ۱۷۴.

(۵) الأغانی، طبع دار الکتب بالقاهرة ج ۵/ ۱۶۳.

(۶) العبر للذهبی ج ۱/ ۲۵۸. و لا بأس بمراجعة: مشاکلة الناس لزمانهم ص ۲۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۱۹

و أما الرشید:

فسیرته تکفی عن کل بیان ... و یکفیه أنه- کما ینص المؤرخون- یشبه المنصور فی کل شیء إلا فی بذل المال «۱»؛ حیث یقولون إن المنصور کان بخیلا ...

و قد تسلط- کالمنصور- بعد مدة من خلافته علی الامور؛ فأفسد الصنائع، و أحب جمع الأموال «۲».

«و کان جبارا سفاکا للدماء، علی نمط من ملوک الشرق المستبدین» «۳».

و قد عسف عامله أهل خراسان، و قتل ملوکها، و وجوه أهلها و أشرافها و صنادیدها، و أخذ أموالهم، فأرسلها إلی الرشید، الأمر الذی کان سببا فی انتقاضها علیه «۴».

و کان یعذب الناس فی الخراج؛ حیث: «أخذ العمال، و التنّاء، و الدهاقین، و أصحاب الصنائع، و المبتاعین للغلات، و المقبلین. و کان علیهم أموال مجتمعة؛ فولی مطالبتهم عبد اللّه بن الهیثم بن سام، فطالبهم بصنوف من العذاب ... إلی أن دخل علیه ابن عیاض؛ فرأی الناس یعذبون فی الخراج؛ فقال: ارفعوا عنهم؛ إنی سمعت عن رسول اللّه (ص) یقول: من عذب الناس فی الدنیا عذبه اللّه یوم القیامة.؛ فأمر بأن یرفع العذاب عن الناس؛ فرفع ...» «۵».

---

(۱) و لکن لا ـ فی سبیل اللّه، و إنما علی ملذاته و شهواته، و علی المغنین و المضرطین کما فی رسالة الخوارزمی المتقدمة، و کما ینص علیه أی کتاب تاریخی یتحدث عن سیرته و أفعاله.

(۲) التنبيه و الإشراف ص ۲۹۹.

(۳) هذا قول الأمير شكيب أرسلان، فی تعليقته على: حاضر العالم الإسلامی، نقلها عنه:

محمد بن عقيل هامش ص ۲۰ من كتابه: العتب الجميل ... و هو من منشورات هيئة البحوث الاسلامية فی اندونيسيا.

(۴) الوزراء و الكتاب ص ۲۲۸.

(۵) تاريخ اليعقوبی ج ۳/ ۱۴۶.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۱۲۰

و كان قد ولی رجلا يضرب الناس، و يحبسهم، ليؤدوا ما عليهم من الخراج «۱».

و قال أبو يوسف، فی عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج:

«بلغنی أنه: قد يكون فی حاشية العامل، أو الوالی جماعة، منهم من له حرمة، و منهم من له إليه وسيلة، ليسوا بأبرار و لا صالحين، يستعين بهم، و يوجههم فی أعماله، يقتضی بذلك الذمامات. فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه، و لا ينصفون من يعاملونه. إنما مذهبهم أخذ شیء، من الخراج كان، أو من أموال الرعية. ثم انهم يأخذون ذلك كله- فيما بلغنی- بالعسف، و الظلم، و التعدی «۲» ...

و قال: و بلغنی أنهم يقيمون أهل الخراج فی الشمس، و يضربونهم الضرب الشديد، و يعلقون عليهم الجرار، و يقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، و هذا عظيم عند اللّه، شنيع فی الاسلام ...» «۳».

و بعد ... فقد كان فی قصره أربعة آلاف امرأة: من الجواری و الحظايا «۴» و كان على حد تعبير بعضهم: «حريصا على اللذات المحرمة، و سفك

---

(۱) البداية و النهاية ج ۱۰/ ۱۸۴.

(۲) الخراج لأبی يوسف ص ۱۱۶ ط سنة ۱۳۹۲ ه.

(۳) المصدر نفسه ص ۱۱۸.

(۴) البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۲۰، نقلا عن الطبری ... و فی نفس الجزء من البداية و النهاية ص ۲۲۲ قال: «قال بعضهم: إنه كان فی داره أربعة آلاف جارية سراری حسان» ...

و جاء فی ضحى الاسلام ج ۱/ ۹. أنه: «كان للرشيد زهاء ألفی جارية: من المغنيات، و الخدمة فی الشراب فی أحسن زی، من كل نوع من أنواع الثياب و الجوهر ...». و إذن فكيف بالسراری الذين هم أربعة آلاف، و بقية الجواری، اللواتی يحتاج إليهن فی كثير من الشؤون ... فالرقم الحقيقی أكثر من أربعة آلاف بكثير، بل لعله يزيد عما كان عند المتوكل، الذی كان يتسری باثنی عشر ألف سرية، كما نص عليه الخوارزمی فيما تقدم، و جبور عبد النور فی كتاب الجواری ص ۳۶ من سلسلة اقرأ.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۱۲۱

الدماء، و غصب حقوق الناس، و كان ظالما لأهل البيت (ع)، و كانت جوائزه خاصة لأهل اللهو، و اللعب، و المغنين، و الراقصات ...».

و ستأتی عبارة فان فلوتن عنه فی فصل: آمال المأمون الخ ... فانتظر ...

و حسب الرشيد ... رسالة سفيان، التی أرسلها إليه من غير طی، و لا ختم. و التی تلقی لنا ضوءا على جانب من سيرته و سلوكه ... و لسوف نثبتها- نظرا لا هميتها- مع الوثائق الهامة فی أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى ...

و أما الأمين.

«... الذی رفض النساء، و اشتغل بالخصيان، و وجه إلى البلدان فی طلب الملهين، و استخف حتى بوزرائه، و أهل بيته ...» «۱».

فقد كان: «قبيح السيرة، ضعيف الرأى، سفاكا للدماء، يركب هواه، و يهمل أمره، و يتكل فى جليلات الامور على غيره الخ ...» «۲».

و يضيف هنا القلقشندى قوله: منهمكا فى اللذات و اللهو ...» «۳».

و يكفيه أن كلا من العبرى، و ابن الاثير الجزرى يقول عنه: إنه:

«لم يجد للأمين شيئا من سيرته يستحسنه، فيذكره ...» «۴».

و لقد كانت أيامه على الناس، أيام حروب، و ويلات، و سلب

---

(۱) مآثر الانافة ج ۱/ ۲۰۵، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۰۱، و مختصر تاريخ الدول ص ۱۳۴، و الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ۵/ ۱۷۰، و الطبرى، و غير ذلك.

(۲) التنبيه و الاشراف ص ۳۰۲.

(۳) مآثر الانافة فى معالم الخلافة للقلقشندى ج ۱/ ۲۰۴.

(۴) مختصر أخبار الدول ص ۱۳۴، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۲۲

و نهب، و ما إلى ذلك، مما لا تقره شريعة، و لا يرضى به خلق كريم ...

و أما المأمون:

فإنه لم يكن فى كل ما ذكرناه أفضل من أسلافه، و لا كانت أيامه بدعا من تلك الأيام، كما سنوضح ذلك فى أواخر فصل: آمال المأمون و آلامه، حيث سيتضح أن حال الرعية فى أيامه كان قد تناهى فى السوء، و بلغ الغاية فى التدهور. الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ۱۲۲ وصية ابراهيم الإمام: ..... ص : ۱۲۲

وصية ابراهيم الإمام:

و بعد كل الذى قدمناه، لم يعد يخفى على أحد، كم سفك العباسيون من الدماء البريئة- عدا عما سفكوه من دماء بنى عمهم العلويين- و نزيد هنا: أن إبراهيم الامام أرسل إلى أبى مسلم يأمره: «بقتل كل من شك فيه، أو وقع فى نفسه شىء منه، و إن استطاع أن لا يدع بخراسان من يتكلم بالعربية إلا قتله فليفعل، و أى غلام بلغ خمسة أشبار يتهمه فليقتله، و أن لا يخلى من مضر ديارا» «۱».

و لعل سر أمره له بقتل كل عربى يرجع إلى أنه كان يعلم أن ذلك يرضى الخراسانيين، الذين كانوا مضطهدين على أيدى العرب ... كما أنه كان يعلم أن العرب لن يستجيبوا له استجابة واسعة ضد الامويين، لأن الدولة الاموية كانت ترضى غرور العربى، و تؤكد اعتزازه بجنسه و محتده ...

---

(۱) الطبرى، طبع ليدن ج ۹/ ص ۱۹۷۴، و ج ۱۰/ ۲۵، و الكامل لابن الأثير، ج ۴/ ۲۹۵، و البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۸، و ص ۶۴، و الإمامة و السياسة ج ۲ ص ۱۱۴، و النزاع و التخاصم للمقريزى ص ۴۵، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب ج ۴/ ۴۷۹، و شرح النهج للمعتزلى ج ۳/ ۲۶۷، و ضحى الاسلام ج ۱ ص ۳۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۲۳

يضاف إلى ذلك ما كان يعانيه العرب من الانقسامات الداخلية، التى كانت تمزق صفوفهم و توهن قوتهم ...

و أما المضرية فقد كانوا جماعة نصر بن سيار الموالى للامويين، و اليمانية كانوا جماعة ابن الكرمانى المناهض لنصر «۱» ...

أبو مسلم ینفذ الوصیة:

و قد حرص أبو مسلم علی تنفیذ وصیة ابراهیم الامام کل الحرص ...

حتی لقد قتل- کما یقول الذهبی و الیافعی-: «خلقا لا یحصون محاربة و صبرا، و کان حجاج زمانه «۲» ...».

و یقول المؤرخون: إن من قتلهم أبو مسـلم صبرا قد بلغ «ست مائة الف نفس» من المسلمین، من المعروفین، سوی من لم یعرف، و من قتل فی الحروب، و تحت سنابک الخیل «۳» ...

و قـد اعترف المنصور نفسه بـذلک، عند ما عاتب أبا مسـلم، ثم قتله، فکان من جملة ما عاتبه به قوله: «فأخبرنی عن ست مائة الف من المسلمین، قتلتهم صبرا؟!» ... و لم ینکر أبو مسلم ذلک، و إنما أجابه بقوله:

---

(۱) راجع: تاریخ الجنس العربی ج ۸/ ۴۱۷.

(۲) العبر للذهبی ج ۱/ ۱۸۶، و مرآة الجنان ج ۱/ ۲۸۵.

(۳) البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۷۲، و وفیات الأعیان ج ۱/ ۲۸۱، طبع سنة ۱۳۱۰ ه.

و مختصـر تاریخ الدول ص ۱۲۱، و الکامـل لابن الأثیر ج ۴ ص ۳۵۴، و شـرح شافیـة أبی فراس ص ۲۱۱، و غایة المرام فی محاسـن بغداد دار السـلام للعمری الموصلی ص ۱۱۶ و تاریخ ابن الوردی ج ۱/ ۲۶۱، و مآثر الانافـة فی معالم الخلافة ج ۱/ ۱۷۸، و النزاع و التخاصم للمقریزی ص ۴۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۲۴

«لتستقیم دولتکم» «۱»!!.

و اعترف جعفر البرمکی بذلک أیضا «۲».

و أبو مسلم نفسه نراه قد اعترف بمائة الف منها أیضا فی مناسبة أخری «۳».

و أما من قتلهم فی حروبه مع بنی أمیة و قوادهم، فقد أحصوا فوجدوا: ألف ألف و ستمائة ألف «۴» ...

و کل ذلک غیر بعیـد ... إذا ما عرفنا أن ثورة أبی السـرایا قد کلفت جیش المأمون فقط (۲۰۰) الف جندی، کما سـیأتی ... و کذلک إذا ما لاحظنا ما یذکره المؤرخون عن عدد القتلی فی الوقائع المختلفة، التی خاضها أبو مسلم ...

و بعد هذا ... فاننا نری أبا مسلم نفسه یقول فی رسالة منه للمنصور:

«فوترت أهل الدنیا فی طاعتکم، و توطئة سلطانکم ...» «۵».

و فی رسالـة أخری منه له أیضا یقول: «... إن أخاک أمرنی أن أجرد السـیف، و آخـذ بالظنـة، و أقتل علی التهمـة، و لا أقبل المعذرة، فهتکت بأمره حرمات حتم اللّه صونها، و سفکت دماء فرض اللّه حقنها، و زویت الأمر عن أهله، و وضعته فی غیر محله ...» «۶».

یقصد ب «أهله»: أهل البیت (ع)، و قد أوضح ذلک فی رسالته

---

(۱) طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۴۵، نقلا عن العینی فی: دولة بنی العباس و الطولونیین و الاخشیدیین ص ۳۰، فما بعدها ...

(۲) تاریخ التمدن الاسلامی ج ۲/ ۴۳۵، نقلا عن: زینة المجالس (فارسی).

(۳) تاریخ الیعقوبی ج ۳/ ۱۰۲، و تاریخ ابن خلدون ج ۳/ ۱۰۳.

(۴) شرح قصیدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۱۴، و لیراجع صبح الأعشی ج ۱/ ۴۴۵ أیضا.

(۵) البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۶۹.

(۶) تاریخ بغداد ج ۱۰/ ۲۰۸، و البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۱۴، و لا بأس بمراجعة ص ۶۹، و النزاع و التخاصم ص ۵۳، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد ۱ ج ۲/ ۵۳۳.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۲۵

الاخری للمنصور التی یقول فیها: أن أخاه قد استخف بالقرآن و حرفه.

و أنه أوطأه فی غیرهم من أهل بیتهم العشوة، بالإفک و العدوان، و أنه ظهر له بصورة مهدی ...

أی أن أخا المنصور قد حرف الآیات الواردة فی أهل البیت (ع) لتنطبق علی العباسیین، و أنه بذلک تمکن من إغراء أبی مسلم بالعلویین؛ ففعل بهم ما فعل بالإفک و العدوان ... و یصرح بذلک فی رسالة أخری للمنصور؛ فیقول: «و أوطات غیرکم من کان فوقکم من آل رسول اللّه بالذل و الهوان، و الإثم و العدوان ...» یشیر بذلک إلی العلویین «۱».

و علی کل فإننا سوف لا نستغرب إذا رأینا أنه قد بلغ من ظلم أبی مسلم أنه عند ما حج: «هربت الأعراب عن المناهل، التی یمر بها ذهابا و إیابا؛ فلم یبق منهم أحد؛ لما کانوا یسمعونه من سفکه للدماء» «۲».

و قال المقریزی: «و قتل (یعنی أبو مسلم) زیاد بن صالح؛ من أجل أنه بلغه عنه أنه یقول: إنما بایعنا علی اقامة العدل، و إحیاء السنن، و هذا جائر ظالم، یسیر بسیرة الجبابرة، و إنه مخالف.

و کان لزیاد بلاء فی إقامة الدولة؛ فلم یرع له؛ فغضب عیسی ابن ماهان، مولی خزاعة لقتل زیاد، و دعا لحرب أبی مسلم سرا؛ فاحتال علیه بأن دس إلی بعض ثقاته إلخ ...» ثم ذکر کیفیة احتیال أبی مسلم علیه و قتله إیاه «۳» ...

---

(۱) طبیعة الدعوة العباسیة ص ۳۳، الفتوح لابن أعثم الکوفی، ج ۸ ص ۲۲۳ ... و لا بأس بمراجعة الرسائل المختلفة المعبرة عن ذلک فیما تقدم من المراجع، و فی النزاع و التخاصم ص ۵۲، ۵۳، و الإمام الصادق و المذاهب الأربعة جلد ۱ ج ۲/ ۵۳۳، ۵۳۴، و البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۶۹، و الإمامة و السیاسة ج ۲/ ۱۳۲، ۱۳۳، و غیر ذلک.

(۲) النزاع و التخاصم ص ۴۶.

(۳) نفس المصدر و الصفحة.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۲۶

و قد قال أبو مسلم لیونس بن عاصم عند ما قال له: هذا جزائی؟! «و من جازیناه بجزائه؛ وضعت سیفی فلم یبق بر و لا فاجر إلا قتلته» «۱».

و قال أبو مسلم أیضا: «إنی أطفیت من بنی أمیة جمرة، و ألهبت من بنی العباس نیرانا، فإن أفرح بالاطفاء، فوا حزنا من الالهاب» «۲».

و قال أبو مسلم أیضا: «إنی نسجت ثوبا من الظلم لا یبلی ما دامت الدولة لبنی العباس، فکم من صارخ الخ.» «۳».

و لا مجال ثمة للشک:

کل ذلک یدل دلالة قاطعة علی مدی الظلم الذی کان یمارسه العباسیون مع الناس بصورة عامة، و مع العلویین بشکل خاص ... و المتتبع للأحداث التاریخیة یری أن الامة کانت تعیش فی رعب دائم و مستمر، خصوصا و أن کل أحد کان یری و یعلم: کیف أن الآلاف من الناس، کانوا یذبحون لأتفه الأسباب و أحقرها ...

و أعود فأذکر القارئ ببعض ما أوردناه من رسالة الخوارزمی، التی تعتبر بحق من الوثائق الهامة، کما اعترف به غیر واحد من الباحثین ...

و بعد فلا بد لنا من کلمة اخری:

کانت تلک- کما قلنا- لمحة خاطفة عن حالة العباسیین مع الناس عامة، و مع العلویین خاصة ... و لعل من الظلم للحقیقة و للتاریخ هنا،

(۱) النزاع و التخاصم ص ۴۷.

(۲) المحاسن و المساوی للبیهقی ص ۲۹۸، طبع صادر و شرح میمیة أبی فراس ص ۲۱۴.

(۳) المحاسن و المساوی طبع مصر ج ۱/ ۴۸۲، و الکنی و الألقاب ج ۱/ ۱۵۷/ ۱۵۸ نقلا عن ربیع الأبرار للزمخشری.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۲۷

أن نمضی و لا نعطی للقارئ لمحة عن حیاتهم الخاصة، و سلوکهم الخلقی.

و لذا نری لزاما علینا: أن نلم المامة سریعة ببعض ما یحدثنا به التاریخ فی هذا الموضوع، فنقول:

العباسیون فی حیاتهم الخاصة:

أما حیاتهم الخاصة، و ما کان یمر بها من رذائل و قبائح، یندی لها جبین الانسان الحر الما و خجلا، و یقطر قلبه لها دما و ألما، فتلک حدث عنها و لا حرج ... و قد تقدم فی رسالة الخوارزمی بعض ما یشیر إلی ذلک ...

و حیث أن الاستقصاء فی هذا الموضوع مما تنوء به العصبة أولو القوة، فاننا لن نحاول التصدی لذلک، و لا سیما و أن هذا الکتاب غیر معد لبحث هذا الموضوع فعلا.

و لعل الکلمة التی تجمع صفات بنی العباس الخلقیة هی الکلمة التی کتبها المأمون، و هو فی مرو فی رسالة منه للعباسیین، بنی أبیه فی بغداد، و التی قلنا إننا سوف نوردها فی أواخر هذا الکتاب مع الوثائق الهامة، إن شاء اللّه تعالی ...

و المأمون: هو من أهل ذلک البیت، الذین هم أدری من کل أحد بما فیه؛ لأنهم عاشوا فی خضم الأحداث، و شاهدوا کل شیء، و کل القضایا عن کثب ... یقول المأمون فی تلک الرسالة:

«... و لیس منکم إلا لاعب بنفسه، مأفون فی عقله، و تدبیره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر ... و اللّه، لو أن بنی أمیة الذین قتلتموهم بالأمس نشروا؛ فقیل لهم: لا تأنفوا من معایب تنالوهم بها، لما زادوا علی ما صیرتموه لکم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا. لیس منکم إلا من إذا مسّه الشر جزع، و إذا مسّه الخیر منع. و لا

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۲۸

تأنفون، و لا ترجعون إلا خشیة؛ و کیف یأنف من یبیت مرکوبا، و یصبح باثمه معجبا، کأنه قد اکتسب حمدا، غایته بطنه و فرجه، لا یبالی أن ینال شهوته بقتل ألف نبی مرسل، أو ملک مقرب. أحب الناس إلیه من زین له معصیة، أو أعانه فی فاحشة، تنظفه المخمورة الخ ...».

فهذه القطعة تبین لنا بجلاء- کما یتبین من کثیر أمثالها- کیف کان خلفاء العباسیین منغمرین فی الملذات و الشهوات ... و تبین لنا نظرتهم للحیاة و أهدافهم منها ... و لو لا- أن المقام یطول لأوردنا سیلا من الشواهد و الدلائل علی مدی استهتارهم، و انتهاکهم للحرمات، و ارتکابهم للموبقات، لیعلم أن أقوال المأمون هذه، و کذلک أقوال الخوارزمی، و غیرهما مما تقدم غیر مبالغ فیها، و أن الحقیقة هی أعظم من ذلک بکثیر و أن ذلک لیس إلا غیضا من فیض ... و کتب التاریخ و الأدب خیر شاهد علی ذلک، و إن حاولت بعض الأیدی الأثیمة تشویه الحقیقة، و التستر علی واقعهم ذاک المزری و المهین ...

و فی نهایة المطاف:

و إذا كـانت تلـك هى سيرة العباسيين فى حياتهم الخاصـة، و تلك هى سياساتهم مع الناس و مع خصومهم، فما ذا يمكن أن تكون حالة وزرائهم و قوادهم، و سائر رجال دولتهم؟! التاريخ وحده هو الذى يتولى الاجابة على هذا السؤال ...

أما نحن ... فنكتفى بهـذا القـدر، و ننتقـل إلى الحـديث عن بعض نتائـج سياسات العباسيين تلـك ... و خصوصـا مـا كان منها يتعلق بالعلويين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۲۹

فشل سياسة العباسيين ضد العلويين

سؤال لا بد منه:

و الآن ... و بعد أن عرفنا موقف العباسيين من العلويين، و قدمنا لمحة عن معاملتهم للرعية، التى لم تكن أحسن حالا، و لا أهدأ بالا من العلويين. سيما و أنهم من أول يوم من حكمهم سلطوا على النـاس فئـة لا تفقه للرحمـة معنى، و لا تجـد الشـفقة إلى قلوبها أى سبيل، همها الـدنيا، و غايتها الاستئثار بكل شـىء، و تتمتع بحمايـة مطلقـة من قبل الخلفاء، حتى عند ما كانت تعبث بأموال الناس، و حتى فى دمائهم و أعراضهم ...

و كيف لا!! و الخلفاء أنفسهم ما كانوا أحسن حالا من تلك الفئة، و لا أقل انحرافا، و بعدا عن تعاليم السماء، و الخلق الانسانى منها ... بعد أن عرفنا ذلك ... و غيره مما تقدم؛ فإن السؤال الذى يفرض نفسه هو:

ما هى نتائج و آثار سياسات العباسيين تلك؟ ... و هل استطاعوا أن يجعلوا الناس راضين عن تلك السياسات؟ و عما كانوا يرونه منهم من تميعهم، و استهتارهم بكل القيم، و الفضائل الأخلاقية؟ ...

و هل استطاعوا أن يكتسبوا عطف الامة، بعد أن فعلوا بها، و بأهل بيت نبيها ما فعلوا؟! ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۰

أما الجواب:

الواقع ... أن نتيجـة ذلك كانت وبالا على العباسيين: «و لا يحيق المكر السيّئ إلا بأهله ...». فقد كان الناس مستائين جدا من سيرتهم السيئة و سيرة ولاتهم مع الرعية، و كان من الطبيعى جدا أيضا: أن يثير الناس و يسوؤهم ما كانوا يرونه من تميعهم الشديد فى حياتهم الخاصة، و إيثارهم اللذات المحرمة على كل شيء، حتى قد يبلغ الأمر بالخليفة منهم أن يحتجب عن الناس منهمكا بلذاته و شهواته ... و قد كان الرشيد يحمد اللّه على أن أراحه البرامكة من أعباء الحكم «۱»، و تركوه ينصرف إلى ما يندى له جبين الانسان الحر ألما و خجلا، و كذلك كانت حال والده المهدى من قبل، و على ذلك جرى ولده الأمين من بعد ...

و غيرهم و غيرهم ممن لا نرى ضـرورة لتعداد أسمائهم ... و حسبنا تلك الشواهد الكثيرة فى التاريخ، الذى قد لا تمر بصفحة منه، فيها حديث عن الخلفاء، إلا و تجد فيها ما لا يسر، و ما لا يغبط عليه أحد ...

و كان مما ساعد على إدراك الناس لحقيقة نوايا العباسيين، و واقعهم، الذى طالما جهدوا فى التستر عليه، و اخفائه، بحيث لم يعد ثمة شـك فى انهم ليسوا بأفضـل من الامويين، إن لم يكونوا اكثر منهم سوءا ... هو ما كانوا يرونه من معاملتهم لبنى عمهم آل أبى طالب، الـذين ضـحوا بكل شـىء فى سبيل هـذا الـدين، و أعطوا و بـذلوا حتى أرواحهم فى سبيل هـذه الامة ... و الذين كانوا هم الأمل الحى لهذه الامة المضطهدة، و المغلوبة على أمرها، التى كانت ترى فيهم كل الفضائل، و الكمالات الانسانية ...

و الذين كان من الواضح لدى كل أحد أن وجود العباسيين فى الحكم مدين لهم، أكثر من غيرهم على الاطلاق ...

(۱) الوزراء و الکتاب ص ۲۲۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۳۱

لقد رأوهم جمیعا متفقین- حتی المأمون کما سیتضح- علی العداء لهم، و وجوب التخلص منهم، لکن الفرق هو أن الخلفاء الذین سبقوا المأمون کانت أسالیبهم تجاههم، تتمیز- عموما- بالعنف و القسوة، بخلافه هو، فإنه اتبع أسلوبا جدیدا، و فریدا فی القضاء علیهم، و التخلص منهم ...

و لقد کان هذا الموقف مفاجأة للامة، و صدمة لها، و لذا فمن الطبیعی أن یتسبب فی ردود فعل عنیفة فی ضمیر الامة و وجدانها، و بخیبة أمل قاسیة لها فی العباسیین ...

بل لقد کان ذلک سببا فی زیادة تعاطفها مع آل علی، و مضاعفة احترامها لهم- و لو بدافع انسانی بحت- و من هنا نلاحظ أنهم کثیرا ما یذکرون فی سبب نکبات الوزراء، و العمال، بل و العلماء أیضا- صدقا کان ذلک أو کذبا- أنه أجار علویا، أو أطلقه من السجن، و دله علی طریق النجاة. و قد ذکرت هذه المنقبة للامام أحمد بن حنبل أیضا «۱»، و أما موقف أبی حنیفة، و الشافعی، و غیرهم من العلماء؛ فهو أشهر من أن یذکر.

و لعل الأهم من ذلک کله:

و لعل الأهم من ذلک کله أن الناس الذین کانوا یرون سلوک العباسیین مع العلویین، و مع الناس عامة، و أیضا سلوکهم اللاأخلاقی فی حیاتهم الخاصة ... کانوا یرون فی مقابل ذلک: زهد العلویین، و ورعهم، و ترفعهم عن کل الموبقات و المشینات، و خصوصا الأئمة منهم علیهم السلام.

و قد جعلهم ذلک ینساقون معهم لا إرادیا؛ حیث رأوا أنهم هم الذین یمتلکون کل المؤهلات، و یتمتعون بکافة الفضائل و المزایا، التی

(۱) راجع کتاب: شیخ الامة، الإمام أحمد بن حنبل، لعبد العزیز سید الأهل.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۳۲

تجعلهم جدیرین بخلافة محمد (ص)، و أهلا لقیادة الامة، قیادة صالحة و سلیمة، کما کان النبی (ص) یقودها من قبل ...

و واضح أن تلک الخصائص: و هاتیک المؤهلات و الممیزات لأئمة أهل البیت (ع)، و ذلک السلوک المثالی لهم- کل ذلک- کان یغری العباسیین بمضایقتهم، و ملاحقتهم أشد الاغراء، و کان أیضا یدفع الحساد للوشایة بهم، و تحریض الخلفاء علی الایقاع و التنکیل فیهم.

و لهذا نری أن الخلفاء!! لم یکونوا یألون جهدا، أو یدخرون وسعا فی ملاحقتهم، و اضطهادهم، و سجنهم. حتی إذا تمکنوا منهم قضوا علیهم، بالوسائل التی تضمن- بنظرهم- عدم إثارة شکوک الناس و ظنونهم ...

التشیع للعلویین:

و بعد کل الذی قدمناه، فإن من الطبیعی أن نری العلویین یتمتعون بالاحترام و التقدیر من مختلف الفئات و الطبقات، و أن نری ازدیاد احترام الناس، و تقدیرهم لهم باستمرار ... حتی لقد کان لهم فی نفوسهم من عمیق الحب، و صادق المودة، ما أرهب العباسیین، و أرعبهم ... و حتی لقد رأینا الرشید نفسه- و هو طاغیة بنی العباس بلا منازع- یشکو لعظیم البرامکة، یحیی بن خالد غمه و حیرته فی

أمر الإمام موسى (ع)، رغم أنه (ع) كان فى السجن. و نرى يحيى بن خالد يعترف بدوره بأن: الإمام «المسجون» قد أفسد عليهم قلوب شيعتهم!! «۱» و لا يجب أن نستغرب شكوى الرشيد تلك، و لا اعتراف يحيى هذا بعد أن كان التشيع «۲» بحد سبيله الى كل قلب، و كل فؤاد، حتى

---

(۱) الغيبة للشيخ الطوسى ص ۲۰، و البحار.

(۲) كلمة «التشيع» التى ترد فى هذا الكتاب، لا أقصد بها غالبا- التشيع بمفهومه الأخص.

و المذهب المعروف، و إنما أقصد بها مجرد الولاء و الحب للعلويين، و تأييدهم ضد خصومهم، سواء أ كان ذلك من الشيعة بالمعنى المعروف، أو من غيرهم من أهل الفرق الإسلامية الاخرى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۳

وزراء العباسيين، و قوادهم، بل و حتى نساء الخلفاء أنفسهم ...

فهذه أم الخليفة المهدى تقيم خادما لقبر الحسين (ع)، و تجرى عليه كل شهر ثلاثين درهما، دون أن يعلم بها أحد «۲».

و هذه بنت عم المأمون، التى كان لها نفوذ قوى عنده، يذكر المؤرخون أنها كانت تميل إلى الإمام الرضا (ع) ...

بل و حتى «زبيدة»، زوجة الرشيد، و حفيدة المنصور، و أعظم عباسية على الاطلاق، يقال: إنها كانت تتشيع، و عند ما علم الرشيد بذلك حلف أن يطلقها «۳» ... و لعل لهذا السبب أحرق أهل السنة قبرها مع ما أحرقوا من قبور بنى بويه و قبر الكاظم (ع) و ذلك عند ما وقعت الفتنة العظيمة بين السنة و الشيعة سنة ۴۴۳ ه «۴» و أما وزراء العباسيين، فأمرهم أظهر من أن يحتاج الى بيان، فإن التاريخ يحدثنا: أن العباسيين، ابتداء من السفاح، كانوا غالبا يبطشون بوزرائهم؛ بسبب اطلاعهم على تشيعهم، و ممالأتهم للعلويين. ابتداء بأبى سلمة، فأبى مسلم، فيعقوب بن داوود ... و هكذا الى أن ينتهى الأمر بالفضل بن سهل، و غيره من بعده، بل و حتى نكبة البرامكة يقال: إنّ سببها هو تشيعهم للعلويين!! و ان كان يقال: إن الرضا عليه السلام دعا عليهم، لأنّهم كانوا سبب قتل أبيه ...

إلا إذا كان تظاهرهم بمحبة العلويين مجاراة للرأى العام، و سياسة منهم؛ فاستغل ذلك الرشيد ضدهم نعم ... لقد بلغ الامر حدا اصبح معه:

---

(۲) الطبرى ج ۱۱/ ۷۵۲، طبع ليدن ...

(۳) ذكر ذلك الصدوق فى المجالس؛ فراجع: رجال المامقانى، مادة: «زبيدة».

(۴) الكنى و الألقاب ج ۲/ ۲۸۹ نقلا عن ابن شحنة فى روضة المناظر.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۴

التسمى ب «الوزير» يعتبر شؤما: و ينفر الناس منه كل النفور، كما سنشير إليه فيما يأتى إن شاء اللّه تعالى ...

و أما عن امرائهم و قوادهم، فالأمر فيهم أوضح و أجلى؛ حيث إنهم ما كانوا يرون إلا واليا أو قائدا يخرج عليهم داعيا للعلويين، أو آخر قد خلع طاعتهم، و استجاب لدعوة خصومهم آل على، أو ثالث يخشى أن يميل إليهم، و يتعاطف معهم ... و قد بدأ قوادهم بالخروج عليهم من زمن السفاح، الذى خرج عليه ابن شيخ المهرى، داعيا لآل على، و بعد ذلك كانت ثورة القواد على المنصور داعين إلى موالاة أهل البيت، و قامت ثورة ضد المنصور، و داعية للعلويين فى نفس خراسان، و ذلك فى سنة (۱۴۰ ه). و بعد ذلك و فى زمن المهدى العباسى قامت ثورة اخرى فى خراسان تدعو الى آل أبى طالب بقيادة صالح بن أبى حبال ... و عظم شأنه جدا، و لم يمكنهم القضاء عليه إلا بإعمال الحيلة «۱» و أما فى زمن الرشيد، فقد ثارت الفتن بين أهل السنة و الرافضة، على حد تعبير النجوم الزاهرة ...

الخطر الحقيقى:

و أما الذى كان يمكن فيه الخطر الحقيقى، و كان يهز الدولة، و يزعزع من أركانها ... فهو ثورات العلويين أنفسهم؛ حتى ليقال: إنه قد بويع لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن، و أخيه ابراهيم فى أكثر الأمصار، و ذلك فى سنة ۱۴۵ ه. و بعد ذلك كانت واقعة فخ المشهورة، ثم استمر الحال على ذلك، فلم يكن العباسيون يرون، إلا علويا ثائرا، أو أنه يدبر للثورة، حتى أوائل زمن المأمون؛ حيث بلغت الحالة فيه

---

(۱) راجع: لطف التدبير ص ۱۰۵.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۵

فى السوء و التدهور الغاية، و أوفت على النهاية ... حتى ليقال: إن الثورات العلوية، التى قامت فيما بين عهد السفاح، و أوائل عهد المأمون، و بالتحديد إلى حوالى سنة ۲۰۰ ه أى فيما يقل عن سبعين عاما، قد قاربت الثلاثين ثورة، هذا بغض النظر عن الثورات الاخرى التى كانت تدعو لهم، و إلى موالاتهم ...

و ستأتى الاشارة إلى بعض الثورات العلوية التى قامت ضد المأمون بالخصوص، و إلى أنه حتى قائده العظيم، طاهر بن الحسين،- بل و جميع آل طاهر «۱»- و كذلك وزيره الفضل بن سهل، و هرثمة بن أعين، و غيرهم، و غيرهم، كانوا يتهمون بالتشيع للعلويين ...

و لسوف يتضح أن الوضع فى عهده قد أصبح إلى حد كبير شبيها بالوضع الذى كان سائدا فى أواخر عهد الامويين، بفارق واحد بسيط، لو استمر الحال لتسارع لذلك الفارق الضعف و الوهن، و هو: أنه لا يزال كثير من الناس المخدوعين بدعايات العباسيين يعتبرون تلك المنازعات طبيعية بين من يستحقون الخلافة!!!.

و يبقى هنا سؤال:

لما ذا لم تكن ثورات العلويين، أو الثورات الداعية لهم، تصادف النجاح، مع أنها كانت تحظى بالتأييد الواسع، فى مختلف فئات الشعب، و طبقاته؟! ...

و جوابنا عن هذا السؤال هو: أن الذى يراجع التاريخ يرى- بما لا مجال معه للشك-: أن تلك الثورات لم يكن يسبقها التخطيط،

---

(۱) راجع: الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ۲۵۰ ه.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۶

و الاعداد الكافيان، و ما كان العباسيون ليعطوها الفرصة لتخطيط و اعداد يمكن أن يصل إلى درجة تمكنه من أن يذهب بدولة الجبارين ...

هذا بالاضافة إلى فساد القيادة القبيلة آنذاك، و التى كانت السبب الأول و الأخير لنجاح أية ثورة أو فشلها ... و سيأتى تفصيل ذلك على النحو الكافى و الشافى، فى فصل: مدى جدية العرض، إن شاء اللّه.

و نتيجة كل ذلك:

و هكذا ... يتضح: أن سياسات العباسيين، لم تستطع أن تحقق لهم الأهداف التى كانوا يتوخون تحقيقها، و إنما كانت نتائجها عكسية بالنسبة إليهم، و دمارا و وبالا عليهم، قبل أن تكون وبالا على أى من خصومهم ...

و بالأخص أبناء عمهم العلويين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۷

القسم الثانى ظروف البيعة و أسبابها:

اشارة

۱- شخصية الإمام الرضا (ع).

۲- من هو المأمون؟.

۳- آمال المأمون، و آلامه ...

۴- ظروف البيعة و أسبابها.

۵- أسباب البيعة لدى الآخرين.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۳۹

شخصية الامام الرضا عليه السلام

لمحات:

الإمام الرضا (ع)، هو ثامن الأئمة الاثنى عشر، الذين نص عليهم النبى (ص): على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، ابن الحسين، بن على، بن أبى طالب، صلوات اللّه عليهم أجمعين ...

ستة آباؤه من هم‌أفضل من يشرب صوب الغمام كنيته: أبو الحسن ...

و من ألقابه: الرضا، و الصابر، و الزكى، و الولى ...

نقش خاتمه: حسبى اللّه ...

و قيل: بل نقشه: ما شاء اللّه، لا قوة إلا باللّه «۱» ...

ولد فى المدينة سنة ۱۴۸ ه. أى: فى نفس السنة التى توفى فيها

---

(۱) لنا رأى بالنسبة للّقب، و نقش الخاتم: و هو أنه كثيرا ما يعبر عن ظاهرة من نوع معين، و ظروف اجتماعية، و سياسية، و نفسية، و غير ذلك ... و كذلك عن مميزات، و ملكات شخصية خاصة. و نأمل أن نوفق لبحث هذا الموضوع مستوفى فى فرصة اخرى إن شاء اللّه.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۴۰

جده الإمام الصادق (ع) على قول أكثر العلماء و المؤرخين مثل:

المفيد فى الارشاد، و الشبراوى فى الانحاف بحب الاشراف، و الكلينى فى الكافى، و الكفعمى فى المصباح، و الشهيد فى الدروس، و الطبرسى فى أعلام الورى، و الفتال النيسابورى فى روضة الواعظين، و الصدوق فى علل الشرائع، و تاج الدين محمد بن زهرة فى غاية الاختصار، و ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة، و الاردبيلى فى جامع الرواة، و المسعودى فى مروج الذهب، و إن كان فى كلامه اضطراب، و أبو الفداء فى تاريخه، و الكنجى الشافعى فى كفاية الطالب، و ابن الأثير فى كامله، و ابن حجر فى صواعقه، و الشبلنجى فى نور الأبصار، و البغدادى فى سبائك الذهب، و ابن الجوزى فى تذكرة الخواص، و ابن الوردى فى تاريخه، و نقل عن

تاریخ الغفاری، و النوبختی. و کان عتاب بن أسد یقول: إنه سمع جماعة من أهل المدینة یقولون ذلک، و غیر هؤلاء کثیر و ذهب آخرون- و هم الأقل- إلی أن ولادته (ع)، کانت سنة ۱۵۳ ه. منهم: الاربلی فی کشف الغمة، و ابن شهر اشوب فی المناقب، و الصدوق فی عیون الأخبار، و إن کان فی کلامه اضطراب، و المسعودی فی إثبات الوصیة، و ابن خلکان فی وفیات الأعیان، و ابن عبد الوهاب فی عیون المعجزات، و الیافعی فی مرآة الجنان ...

و قیل: إن ولادته کانت سنة ۱۵۱ ه.

و القول الأول هو الأقوی و الأشهر ... و لم یذهب إلی القولین الأخیرین إلا قلة ...

و توفی (ع) فی طوس سنة ۲۰۳ ه. علی قول معظم العلماء، و المؤرخین، و الشاذ النادر لا یلتفت إلیه ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۱

و بعد:

فأما علمه، و ورعه و تقواه:

فذلک مما اتفق علیه المؤرخون أجمع، یعلم ذلک بأدنی مراجعة للکتب التاریخیة؛ و یکفی هنا أن نذکر أن نفس المأمون قد اعترف بذلک، أکثر من مرة، و فی أکثر من مناسبة ... بل فی کلامه: أن الرضا (ع) أعلم أهل الأرض، و أعبدهم ... و لقد قال لرجاء بن أبی الضحاک:

«... بلی یا ابن أبی الضحاک؛ هذا خیر أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم ...» «۱».

و قد قال أیضا للعباسیین، عند ما جمعهم، فی سنة ۲۰۰ ه. و هم أکثر من ثلاثة و ثلاثین ألفا «۲»:

«إنه نظر فی ولد العباس، و ولد علی رضی اللّه عنهم، فلم یجد أحدا أفضل، و لا أورع، و لا أدین، و لا أصلح، و لا أحق بهذا الأمر من علی بن موسی الرضا «۳»» ...

---

(۱) راجع: البحار ج ۴۹ ص ۹۵، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳، و غیر ذلک ...

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۴۰، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۶۶، و غایة المرام للعمری الموصلی ص ۱۲۱، و مآثر الانافة فی معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۱۲، و الطبری، طبع لیدن ج ۱۱ ص ۱۰۰۰، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۳۳۳، و غیر ذلک ...

و ورد ذلک أیضا فی رسالة الحسن بن سهل، لعیسی بن أبی خالد؛ فراجع: الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۱۲، و تجارب الامم ج ۶ المطبوع مع العیون و الحدائق ص ۴۳۰.

هذا ... و لکن فی تاریخ التمدن الاسلامی، ج ۱ ص ۱۷۶ و یؤیده ما فی وفیات الأعیان لابن خلکان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۳۲۱، و یساعد علیه الاعتبار أیضا: أن الذین أحصوا آنئذ هم: العباسیون خاصة المأمون، دون غیرهم من سائر بنی العباس.

(۳) راجع: مروج الذهب ج ۳ ص ۴۴۱، و الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۸۳، و الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۷، و الطبری، طبع لیدن ج ۱۱ ص ۱۰۱۳، و مختصر تاریخ الدول ص ۱۳۴، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۳۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۲

قال عبد اللّه بن المبارک:

هذا علی و الهدی یقوده من خیر فتیان قریش عوده «۱» و لوضوح هذا الأمر نکتفی هنا بهذا المقدار، و ننتقل إلی الحدیث عن امور هامة اخری، و ما یهمنا فی المقام هو إعطاء لمحة سریعة عن مکانته، و شخصیته (ع)، فنقول:

و أما مرکزه و شخصیته (ع):

فهو من الامور البديهية، التى لا يكاد يجهلها أحد، و قد ساعده سوء الأحوال بين الأمين و المأمون على القيام بأعباء الرسالة، و على زيادة جهوده، و مضاعفة نشاطاته؛ حيث قد فسح المجال لشيعته للاتصال به، و الاستفادة من توجيهاته؛ مما أدى بالتالى- مع ما كان يتمتع به (ع) من مزايا فريدة، و ما كان ينتهجه من سلوك مثالى- إلى تحكيم مركزه، و بسط نفوذه فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، يقول الصولى:

ألا إن خير الناس نفسا و والداو رهطا و أجدادا على المعظم

اتينا به للحلم و العلم ثامناإماما يؤدى حجة اللّه يكتم «۲» بل لقد قال هو نفسه (ع) مرة للمأمون. و هو يتحدث عن ولاية

و فى مرآة الجنان ج ۲ ص ۱۱، قال: إنه لم يجد فى وقته أفضل، و لا أحق بالخلافة، من على بن موسى الرضا ... و نحو ذلك ما فى البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۷، و ينابيع المودة للحنفى ص ۳۸۵، و نظرية الامامة ص ۳۸۶ و وفيات الاعيان طبع سنة ۱۳۱۰ ه. ج ۱ ص ۳۲۱، و امبراطورية العرب، و غير ذلك.

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۶۲.

(۲) نفس المصدر ج ۴ ص ۳۳۲، و هى فى مقتبس الاثر ج ۲۲، ص ۳۲۸، لكنه لم يذكر قائلها ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۴۳

العهد: «... و ما زادنى هذا الأمر، الذى دخلت فيه فى النعمة عندى شيئا، و لقد كنت فى المدينة، و كتابى ينفذ فى المشرق و المغرب، و لقد كنت أركب حمارى، و أمر فى سكك المدينة، و ما بها أعز منى ...» «۱».

و يكفى أن نذكر هنا قول ابن مؤنس- عدوّ الإمام (ع)، و قد أسّر (ع) للمأمون بشيء، قال ابن مؤنس:

«... يا أمير المؤمنين، هذا الذى بجنبك و اللّه صنم يعبد دون اللّه» «۲» ...

و فى الكتاب الذى طلب المأمون فيه من الرضا أن يجمع له أصول الدين، و فروعه، قال المأمون: إن الإمام: «حجة اللّه على خلقه، و معدن العلم، و مفترض الطاعة ...» «۳». كما أن المأمون كان يعبر عن الرضا (ع) ب: «أخيه»، و يخاطبه ب «يا سيدى».

و كتب للعباسيين يصف الرضا، و يقول: «... و أما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، و اختيار منى له ... إلى أن قال: و أما ما ذكرتم من استبصار المأمون فى البيعة لأبى الحسن، فما بايع له إلا مستبصرا فى أمره، عالما بأنه لم يبق على ظهرها أبين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أورع ورعا، و لا أزهد زهدا فى الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضى فى الخاصة و العامة، و لا أشد فى ذات اللّه منه ...» «۴».

---

(۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۵۵، و ص ۱۴۴، و الكافى ج ۸ ص ۱۵۱، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۷.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶، و أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۸، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۱، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۶.

(۳) نظرية الامامة ص ۳۸۸.

(۴) الرسالة مذكورة فى أواخر هذا الكتاب.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۴۴

و فى كل ما قدمناه دلالة واضحة على سجايا الإمام، و مركزه، و شخصيته. و كما يقولون: «و الفضل ما شهدت به الأعداء» ...

و مما يدل على مكانته و هيبته ما ورد فى رواية أخرى، يقول فيها المتحدث: «... دخلنا (أى هو و الرضا «ع») على المأمون، فإذا

المجلس غاص بأهله، و محمد بن جعفر فی جماعة الطالبیین و الهاشمیین، و القواد حضور. فلما دخلنا قام المأمون، و قام محمد بن جعفر، و جمیع بنی هاشم، فما زالوا وقوفا و الرضا جالس مع المأمون، حتی أمرهم بالجلوس؛ فجلسوا؛ فلم یزل المأمون مقبلا علیه ساعة الخ «۱»».

و أما ما جری فی نیسابور:

فلا یکاد یخلو منه کتاب یتعرض لأحوال الرضا (ع)، و مسیره إلی مرو، فإنه عند ما دخل نیسابور تعرض له الحافظان: أبو زرعة الرازی، و محمد بن أسلم الطوسی، و معهما من طلبة العلم ما لا یحصی، و تضرعوا إلیه أن یریهم وجهه؛ فأقرّ عیون الخلائق بطلعته، و الناس علی طبقاتهم قیام کلهم. و کانوا بین صارخ، و باک، و ممزق ثوبه، و متمرغ فی التراب، و مقبل لحافر بغلته، و مطول عنقه الی مظلة المهد، إلی أن انتصف النهار، و جرت الدموع کالأنهار، و صاحت الأئمة:

«معاشر الناس، أنصتوا، وعوا، و لا تؤذوا رسول اللّه (ص) فی عترته ...»

فأملی صلوات اللّه علیه، علیهم، بعد أن ذکر السلسلة الذهبیة الشهیرة

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۷۶، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۵، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۵

للسند، قوله: «لا إله إلا اللّه حصنی؛ فمن دخل حصنی أمن من عذابی ...»

فلما مرت الراحلة أخرج رأسه مرة ثانیة إلیهم، و قال: «بشروطها، و أنا من شروطها».

فعد أهل المحابر و الدوی، فأنافوا علی العشرین ألفا. کذلک وصف المؤرخون هذه الحادثة الشهیرة «۱» ... و لسوف نتحدث عن هذه القضیة بالتفصیل فی فصل: «خطة الإمام» إن شاء اللّه تعالی ...

و عن أسناد هذه الروایة، الذی أورده الإمام (ع)، یقول الإمام أحمد بن حنبل: «لو قرأت هذا الاسناد علی مجنون لبرئ من جنته».

علی ما فی الصواعق المحرقة، و نزهة المجالس «۲»، و غیر ذلک ...

و نقل أن بعض أمراء السامانیة بلغه هذا الحدیث بسنده؛ فکتبه بالذهب، و أوصی أن یدفن معه.

---

(۱) نقله فی مجلة مدینة العلم، السنة الاولی ص ۴۱۵ عن صاحب تاریخ نیسابور، و عن المناوی فی شرح الجامع الصغیر، و هی أیضا فی الصواعق المحرقة ص ۱۲۲، و حلیة الأولیاء ج ۳ ص ۱۹۲، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۳۵، و أمالی الصدوق ص ۲۰۸، و ینابیع المودة ص ۳۶۴، و ص ۳۸۵، و قد ذکر قوله علیه السلام:

و انا من شروطها، فی الموضع الثانی فقط. و البحار ج ۴۹ ص ۱۲۳، ۱۲۶، ۱۲۷، و الفصول المهمة لابن الصباغ ص ۲۴۰، و نور الأبصار ص ۱۴۱، و نقلها فی مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۴۳ و ۴۴ عن التوحید و معانی الاخبار ص ۳۵۲/ ۳۵۳ و کشف الغمة ج ۳ ص ۹۸.

و هی موجودة فی مراجع کثیرة اخری. لکن یلاحظ أن بعض هؤلاء قد حذف قوله علیه السلام: «بشروطها، و أنا من شروطها»، و لا یخفی السبب فی ذلک.

(۲) و فیه فی ج ۱ ص ۲۲، قال: «إنه (أی الامام أحمد) قرأها علی مصروع فأفاق».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۶

و ها نحن أمام نصوص اخری:

و کذلک نری هیبهٔ الإمام (ع)، و قوهٔ شخصیته، فی موقفه مع الفضل ابن سهل- أعظم رجل فی البلاط العباسی- و ذلک عند ما طلب منه الفضل کتاب الضمان، و الأمان؛ حیث أوقفه ساعهٔ، ثم رفع رأسه إلیه، و سأله عن حاجته؛ فقال: «یا سیدی ... إلی أن قال الراوی: ثم أمره بقراءهٔ الکتاب- و کان کتابا فی أکبر جلد- فلم یزل قائما حتی قرأه!! الخ ...» «۱».

ثم رأینا المأمون عند ما قتل الفضل بن سهل ذا الرئاستین، و شغب علیه القواد و الجند، و من کان من رجال ذی الرئاستین. و قد جاءوا بـالنیران لیحرقوا البـاب علیه، لیصـلوا إلیه- قـد رأینـا- کیف هرع إلی الإمام، یطلب منه أن یتـدخل لانقاذه؛ فخرج (ع) إلیهم، و أمرهم بـالتفرق؛ فتفرقوا ... یقول یاسـر الخـادم: «فأقبل الناس و اللّه، یقع بعضـهم علی بعض، و ما أشار لأحـد إلا رکض، و مر، و لم یقف ...» «۲».

و نجا المأمون بذلک بجلده، و احتفظ بحیاته ...

و فی کتاب العهـد الـذی کتبه المأمون بخط یـده- کما صرح به کل من تعرض له- فقرات تـدل علی سـجایا الإمام، و علی مرکزه، و شخصیته، یقول المأمون عنه: «... لما رأی من فضله البارع، و علمه

---

(۱) أعیان الشیعهٔ ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، و عیون أخبـار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، ۱۶۳ و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۸، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۸.

(۲) المنـاقب ج ۴ ص ۳۴۷، و روضـهٔ الواعظین ج ۱ ص ۲۷۳، و کشف الغمـهٔ ج ۳ ص ۷۰، و الکـافی ج ۱ ص ۴۹۰، ۴۹۱، و أعلام الوری ص ۳۲۴، و أعیان الشیعهٔ ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۰، ۱۴۰، طبعهٔ ثالثهٔ، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۴، و ارشاد المفید ص ۳۱۴، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۹، و معادن الحکمهٔ ص ۱۸۳، و شرح میمیهٔ أبی فراس ص ۱۹۸، ۱۹۹.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۷

الناصع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخلیه من الدنیا، و تسلمه من الناس.

و قـد اسـتبان له مـا لم تزل الأخبار علیه متواطیـهٔ، و الألسن علیه متفقـهٔ، و الکلمـهٔ فیه جامعـهٔ، و لما لم یزل یعرفه به من الفضل یافعا، و ناشیا، و حدثا، و مکتهلا الخ ...» و کتاب العهد مذکور فی أواخر هذا الکتاب ...

و فی نهایهٔ المطاف:

فإن الإمام (ع) هو أحد العشرهٔ، الذین هم علی حد تعبیر الجاحظ:

«کل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسک، شجاع، جواد، طاهر، زاک، و الذین هم بین خلیفهٔ، أو مرشح لها ...» «۱».

و هو علی ما فی النجوم الزاهرهٔ: «سید بنی هاشم فی زمانه، و أجلهم.

و کان المأمون یعظمه، و یجله، و یخضع له، و یتغالی فیه ...» «۲».

و مثله ما عن سنن ابن ماجهٔ، علی فی خلاصهٔ تذهیب تهذیب الکمال ص ۲۷۸ ...

و قال عنه (ع) عارف تامر: «یعتبر من الأئمهٔ الذین لعبوا دورا کبیرا علی مسرح الأحداث الإسلامیهٔ فی عصره ...» «۳».

و أخیرا ... فقـد وصـفه أبو الصـلت، و رجـاء بن أبی الضـحاک، و إبراهیم ابن العباس، و غیرهم، و غیرهـم ... بما لو أردنا نقله لطال بنا المقام ...

و حسبنا ما ذکرنا؛ فإننا إذا أردنا أن نلم بما قیل فی حق الإمام (ع) لاحتجنا إلی تألیف خاص، و وقت طویل ...

---

(۱) آثار الجاحظ ص ۲۳۵.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۷۴.

(۳) الامامة فی الاسلام ص ۱۲۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۸

من هو المأمون؟

لمحات:

هو عبد اللّه بن هارون الرشید.

أبوه: خامس خلفاء بنی العباس ... و هو سابعهم، بعد أخیه الأمین ...

أمه: جاریة خراسانیة، اسمها: «مراجل». و قد ماتت بعد ولادتها إیاه، و هی ما تزال نفساء ... فنشأ یتیم الام.

و قد کانت أمه- کما یقول المؤرخون- أشوه، و اقذر جاریة فی مطبخ الرشید.

و ذلک هو الذی یجعلنا نصدق القصة التی تقال عن السبب فی حملها به «۱» ...

---

(۱) و تحکی هذه القصة علی النحو التالی: أن زبیدة لاعبت الرشید بالشطرنج علی الحکم و الرضا؛ فغلبته؛ فحکمت علیه أن یطأ أقبح و أقذر و أشوه جاریة فی المطبخ؛ فبذل لها خراج مصر و العراق لتعفیه من ذلک؛ فلم تقبل، و لم تجد جاریة تجمع الصفات المذکورة غیر مراجل؛ فطلبت إلیه أن یطأها، فجاء المأمون ... راجع حیاة الحیوان للدمیری ج ۱ ص ۷۲. و أعلام الناس فی أخبار البرامکة، و بنی العباس للاتلیدی ص ۱۰۶، ۱۰۷، و عیون التواریخ. و أشار إلیها اشارة واضحة: الاسحاقی فی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۴۹

دفعه أبوه إلی جعفر بن یحیی البرمکی؛ فنشأ فی حجره.

کانت ولادته فی سنة ۱۷۰ ه. فی نفس اللیلة التی تولی فیها أبوه الخلافة ...

و کانت وفاته سنة ۲۱۸ ه.

و کان مربیه الفضل بن سهل، ثم أصبح وزیره، و هو المعروف بذی الرئاستین ...

و کان قائده: طاهر بن الحسین ذو الیمینین ...

میزات و خصائص:

و قد کانت حیاته حیاة جد و نشاط، و تقشف، علی العکس من أخیه الأمین، الذی نشأ فی کنف «زبیدة»، و ما أدراک ما «زبیدة»؛ فقد کانت حیاته حیاة نعمة و ترف، یمیل إلی اللعب و البطالة، أکثر منه إلی الجد و الحزم ... یظهر ذلک لکل من راجع تاریخ حیاة الأخوین ...

و لعل سر ذلک یعود إلی أن المأمون لم یکن کأخیه، یشعر بأصالة محتده، و لا کان مطمئنا إلی مستقبله، و إلی رضا العباسیین به. بل کان یقطع بعدم رضاهم به خلیفة و حاکما؛ و لهذا ... فقد وجد أنه لیس لدیه أی رصید یعتمد علیه غیر نفسه؛ فشمر عن ساعد الجلد، و بدأ یخطط لمستقبله منذ اللحظة الاولی التی أدرک فیها واقعه، و الممیزات التی کان یتمتع بها أخوه الأمین علیه ...

لطائف أخبار الاول ص ۷۴، و كـذلك فى روض الأخيـار المنتخب من ربيع الأبرار ص ۱۵۷. و لا ينافى ذلك أنه ولـد فى الليلة التى تولى فيها أبوه الخلافة؛ فان أولياء العهد كانوا يتولون أعظم الولايات من قبل الخلفاء؛ و قد قسم الرشـيد الدولة كلها بين أولاده الثلاثة: الأمين، و المأمون و القاسم، و لم يبق لنفسه شيئا، و هو على قيد الحياة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۵۰

بل نلاحظ: أنه كان يستفيد من أخطاء أخيه الأمين؛ فان: «الفضل عند ما رأى اشـتغال الأمين باللهو و اللعب، أشار على المأمون بإظهار الورع و الدين، و حسن السيرة؛ فأظهر المأمون ذلك ... و كان كلما اعتمد الأمين حركة ناقصة اعتمد المأمون حركة شديدة» «۱».

و من هنا نعرف السر فيما يظهر من رسالته للعباسيين؛ حيث نصب فيها نفسه واعظا تقيا، و أضفى عليها هالة من التقى و الورع!! و الزهد فى الدنيا!! و الالتزام بأحكام الشريعة، و تعاليم الدين!! ... ليروه و يراه الناس نوعية أخرى تفضل نوعية أخيه الأمين، و تزيد عليها ...

ما يقال عن المأمون:

و على كل حال ... فان المأمون كان قد برع فى العلوم و الفنون، حتى فاق أقرانه، بل فاق جميع خلفاء بنى العباس ...

و قد قال بعضهم: «لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون» «۲».

و قال عنه ابن النديم انه: «أعلم الخلفاء بالفقه و الكلام» «۳».

و قال عنه محمد فريد وجدى: «لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفأ منه» «۴».

و فى الأخبار الطوال: «و كان شهما، بعيد الهمة، أبى النفس، و كان نجم بنى العباس فى العلم و الحكمة ...»

---

(۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲. و لكن سـيأتى أن المأمون هو الذى طلب من الفضل: أن يشيع عنه الزهد و التقوى، و ليس الفضل هو المشير عليه بذلك ...

(۲) حياة الحيوان للدميرى ج ۱ ص ۷۲.

(۳) فهرست ابن النديم، طبع مطبعة الاستقامة فى القاهرة ص ۱۷۴.

(۴) دائرة المعارف الاسلامية ج ۱ ص ۶۲۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۵۱

بل لقد روى عن الإمام على (ع)، أنه قال- و هو يصف خلفاء بنى العباس-: «سابعهم أعلمهم» «۱».

و قد وصفه السيوطى و ابن تغرى بردى، و ابن شاكر الكتبى؛ فقالوا:

«و كان أفضل رجال بنى العباس: حزما، و عزما، و حلما، و علما، و رأيا، و دهاء «۲»، و هيبة، و شجاعة، و سؤددا، و سماحة،

---

(۱) مناقب آل أبى طالب ج ۲ ص ۲۷۶، و سفينة البحار ج ۲ ص ۳۳۲، مادة: «غيب».

(۲) دهاء المأمون، و حنكته، و سياسـته من المسـلمات، و الأمثلـة على ذلك كثيرة؛ فقد روى لنا ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ۱ ص ۱۲۳، و الجهشيارى فى الوزراء و الكتاب ص ۳۱۱: كيف أنه بين للفضل بن سـهل: أن أخاه الأمين كان يستطيع أن ينتصر عليه، لو أنه أرسل إلى أهل البلاد التى يحكمها المأمون يخبرهم: أنه قـد وضع عنهم الخراج إلى سنة ... فحينئذ، إن لم يقبل المأمون، قامت البلاد ضده، و إن قبل لم يجد ما يعطى الجند، فيقومون ضده، و فى كلا الحالتين يكون النصر للامين، لو وقعت بينهما الحرب؛ فحمد الفضل ربه، على أن لم يهتد الأمين، و اتباعه إلى هذا الرأى ... و إن كان فى العقد الفريد للملك السعيد، ص ۵۰ ينسب هذا الرأى إلى الشيخ أبى الحسن القطيفى، و أنه أشـار به على الأمين؛ فلم يقبله. و فى المحاسن و المساوى طبع مصـر ج ۲ ص ۷۷، ۷۸ نسبة إلى شيخ مسن

أشار به علی الأمین فلم یقبل منه.

و قد رأینا أیضا: أنه عند ما تسلم زمام الحکم قد طلب من الفضل: أن یشیع عنه الزهد و التقوی و الورع؛ ففعل ... راجع تاریخ التمدن الاسلامی ج ۴ ص ۲۶۱.

و رأینا کذلک: أنه یقتل الفضل، و یبکی علیه، و یقتل قتلته، و یقتل الرضا، ثم یبکی علیه ... و یقتل طاهرا، و یولی أبناءه مکانه. و رأینا أیضا: أنه یولی الرضا العهد، و یوهم العباسیین: أن ذلک کان من تدبیر الفضل، و یقتل أخاه، و یوهمهم أن الذنب فی ذلک علی الفضل و طاهر ... إلی آخر ما هنالک، مما سیأتی، و غیره، مما یدل علی عمقه، و دهائه، و حنکته، و سیاسته ... و أن الفضل و غیره، ما کانوا إلا دمی له، یلهو و یلعب بها، و یحرکها کیف شاء، و حیثما أراد ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۵۲

لو لا أنه شان ذلک کله ... بالقول بخلق القرآن «۱»، و لم یل الخلافة من بنی العباس أعلم منه ...» «۲».

شهادة ذات أهمیة:

و قد شهد له أبوه نفسه بالتقدم علی أخیه الأمین؛ قال: «... و قد عنیت بتصحیح هذا العهد، و تصییره إلی من أرضی سیرته، و أحمد طریقته، و أثق بحسن سیاسته، و آمن ضعفه و وهنه، و هو: عبد اللّه.

و بنو هاشم- یعنی العباسیین- مائلون إلی محمد باهوائهم، و فیه ما فیه من الانقیاد لهواه، و التصرف مع طویته، و التبذیر لما حوته یده، و مشارکة النساء، و الاماء فی رأیه. و عبد اللّه المرضی الطریقة، الأصیل الرأی، الموثوق به فی الأمر العظیم؛ فإن ملت إلی عبد اللّه، أسخطت بنی هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخلیطه علی الرعیة ...» «۳».

و قال أیضا: «إنی لأعرف فی عبد اللّه حزم المنصور، و نسک المهدی، و عزة الهادی، و لو شئت أن أنسبه إلی الرابع- یعنی نفسه- لنسبته، و قد قدمت محمدا علیه، و إنی لأعلم أنه منقاد لهواه، مبذر

---

(۱) قال القلقشندی فی کتابه: مآثر الانافة فی معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۱۳: إنه قد طعن الناس!! علی المأمون ثلاثة أشیاء: الأول: القول بخلق القرآن!!. الثانی: التشیع، الثالث: بث علوم الفلاسفة بین المسلمین ...

فتأمل، باللّه علیک بهذه الامور، التی عدوها من المطاعن، و بعد ذلک: فاضحک، أو فابک علی عقول هؤلاء الجهلاء، الذین یسمیهم الناس، أو یسمون أنفسهم علماء!!! و العلم من هؤلاء و أمثالهم بریء ...

(۲) تاریخ الخلفاء ص ۳۰۶، و فوات الوفیات ج ۱ ص ۲۳۹، و النجوم الزاهرة، و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۳۴.

(۳) مروج الذهب طبع بیروت ج ۳ ص ۳۵۲، ۳۵۳.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۵۳

لما حوته یده، یشارکه فی رأیه الاماء و النساء، و لو لا أم جعفر- یعنی زبیدة- و میل بنی هاشم، لقدمت عبد اللّه علیه ...» «۱». یعنی فی ولایة العهد.

---

(۱) راجع شرح قصیدة ابن عبدون لابن بدرون ص ۲۴۵، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۳۰۷، و قریب منه ما فی الأخبار الطوال ص ۴۰۱، و الاتحاف بحب الأشراف ص ۹۶، و تاریخ الخمیس ج ۲ ص ۳۳۴.

هذا ... و الرشید هنا یدعی النسک للمهدی مع أن کتب التاریخ زاخرة بأخبار بذخه، و لهوه و لعبه؛ و یکفی أن نذکر هنا: أنه قد سلم الأمر لیعقوب بن داود، و انصرف إلی ملذاته و شهواته، حتی قال فیه بشار بن برد أبیاته المشهورة:

بنى أميّة هبوا طال نومكم إن للخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة اللّه بين الزق و العود فراجع: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۱۸۴، ۱۸۵، و تاريخ التمدن الاسلامى المجلد الأول جزء ۲ ص ۴۰۷، و البداية و النهاية، و أى كتاب تاريخى شئت ...

هذا ... و لعل ما ينسب إليه من الزهد و الورع إنما كان بلحاظ ما قدمناه: من تسمية أبيه له ب «المهدى»؛ لكى يكون مهدى الامة الذى يملأ الأرض قسطا، و عدلا.

و اخترع أحاديث كثيرة لتأييد مدعاه هذا ...

و لكن الحقيقة هى ما قدمناه، من أنه لم يكن يقل فى تهتكه و استهتاره عن غيره من الخلفاء؛ حتى لقد ذكر الطبرى فى تاريخه، طبع مطبعة الاستقامة ج ۶ ص ۴۰۵:

أنه ألبس ابنته «البانوقة» لباس الفتيان، لتمشى فى مقدمة الجند و القواد، و قد رفع القباء ثدييها الناهدين، و كانت سمراء، حسنة القد، حلوة، على حد تعبير الطبرى ...

فما ذا كان يقصد «المهدى المنتظر»!! من تصرفه هذا!!. فهل كان يريد بذلك أن يملأ الأرض قسطا و عدلا؟!! ...

و لما ذا كان الزاهد الورع!! و «المهدى المنتظر» يعذب الناس بالسنانير و الزنابير؟، ليبتز منهم أموالهم، و يتخذ الاتهام بالزندقة ذريعة للقضاء على خصومه، كما قدمنا، و أيضا يثرب الخمر، و يسمع الغناء، حتى بلغ فى ذلك حدا جعل يعقوب بن داود يلومه على ذلك، و يقول له: «ما على هذا استوزرتنى، و لا على هذا صحبتك الخ ...».

و فى ذلك يقول بعض الشعراء، يعرض بيعقوب، و يحث المهدى على الاستمرار فى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۵۴

و على كل حال ... فان كل من تعرض من المؤرخين و غيرهم، لشرح حال المأمون، قد شهد له بالتقدم، و بأنه رجل خلفاء بنى العباس و واحدهم ...

و ما يهمنا هنا، هو مجرد الاشارة إلى حال المأمون، و ما كان عليه من الدهاء و السياسة، و حسن التدبير ... و لسنا هنا فى صدد تحقيق أحواله، و الاحاطة بكافة شئونه؛ فان ذلك لا يناسب الغرض الذى وضع من أجله هذا الكتاب.

و سيمر معنا فى الفصول الآتية المزيد من الكلام عن المأمون و ظروفه، مما له نحو ارتباط بالموضوع الذى نحن بصدد تحقيقه من قريب، أو من بعيد، إن شاء اللّه تعالى ...

ذلك على ما فى البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۱۴۸، ۱۴۹- يقول فى ذلك-:

فدع عنك يعقوب بن داود جانباو اقبل على صهباء طيبة النشر و أخيرا ... فاننا لا نعرف أحدا يقول بأن المهدى العباسى، هو المهدى الموعود، إلا سلم الخاسر؛ فقد نقل ذلك عنه ابن المعتز فى طبقات الشعراء ص ۱۰۴، و يدل على ذلك قول الخاسر فى قصيدة له يمدح بها المهدى العباسى على ما فى الأغانى ج ۲۱ ص ۱۸۷، طبع دار الفكر:

له شيم عند بذل العطاءلا يعرف الناس مقدارها

و «مهدى امتنا» و الذىحماها و أدرك أوتارها و السيد الحميرى أيضا ممن كان قد ظن أنه المهدى حقا لكن فعاله قد بينت: أنه ليس هو، و لذلك يقول السيد حسبما يروى المرزبانى فى أخبار السيد الحميرى (المستدرك) ص ۵۸:

ظننا أنه «المهدى» حقاو لا تقع الامور كما ظننا

و لا و اللّه، ما المهدى إلاإماما فضله أعلى و أسنى و لا بأس بالاشارة هنا إلى ما ذكروه، من أن سبب تسميته بالخاسر: أنه كان عنده مصحف؛ فباعه، و اشترى بثمنه طنبورا، فبقيت من ثمنه بقية، فاشترى بها خمرا!! ...

فبورک من مهدی أتباعه أمثال هذا!! و بورکت امهٔ تعترف بمهدی له تلکم الصفات!!.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۵۵

آمال المأمون و آلامه

العباسیون لا یرضون بالمأمون!!

لا یشک المؤرخون بأن المأمون کان أجدر من الأمین، و أحق بالخلافهٔ «۱» ... بل لقد مر اعتراف الرشید نفسه بذلک، لکنه اعتذر عن إسناده الأمر للأمین: بأن العباسیین، لا یرضون بالمأمون خلیفهٔ، و حاکما؛ رغم سنه و فضله و کیاسته، و أنهم یرجحون أخاه الأمین علیه؛ قال الرشید، حسبما تقدم: «و بنو هاشم مائلون إلی محمد بأهوائهم، و فیه ما فیه ... إلی أن قال: فان ملت إلی ابنی عبد اللّه، أسخطت بنی هاشم، و إن أفردت محمدا بالأمر، لم آمن تخلیطه علی الرعیهٔ الخ!!» و مر أیضا قول الرشید: «... و لو لا أم جعفر، و میل بنی هاشم إلیه (أی إلی الأمین) لقدمت عبد اللّه علیه ...».

کما أن المأمون نفسه یقول فی رسالته للعباسیین، المذکورهٔ فی أواخر هذا الکتاب: «... و أما ما ذکرتم، مما مسکم من الجفاء فی ولایتی؛ فلعمری ما کان ذلک إلا منکم: بمظافرتکم علیه، و مما یلتکم إیاه

---

(۱) لیس المراد هنا: الجدارهٔ الحقیقیهٔ، التی قررها اللّه، و بینها محمد صلّی اللّه علیه و آله، و إنما المراد الجدارهٔ التی یفهمها هؤلاء، و اعتاضوا بها عن حکم اللّه، و سنهٔ نبیه ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۵۶

(أی الأمین)؛ فلما قتلته، تفرقتم عبادید؛ فطورا أتباعا لابن أبی خالد، و طورا أتباعا لاعرابی، و طورا أتباعا لابن شکلهٔ، ثم لکل من سل سیفا علیّ. و لو لا أن شیمتی العفو، و طبیعتی التجاوز، ما ترکت علی وجهها منکم أحدا؛ فکلکم حلال الدم الخ ...».

و سوف یأتی قول الفضل بن سهل للمأمون: «... و بنو أبیک معادون لک، و أهل بیتک الخ ...».

إلی آخر ما هنالک من النصوص الدالهٔ علی حقیقهٔ الموقف السلبی للعباسیین ضد المأمون، و تفضیلهم أخاه الأمین علیه ...

سؤال قد تصعب الاجابهٔ علیه:

فما هو السر یا تری؟ فی عدم رضا العباسیین بالمأمون؟! و لما ذا یفضلون أخاه الأمین علیه؟!! مع أنه هو الألیق و الأجدر و الأحق بالخلافهٔ!!.

إن الإجابهٔ علی هذا السؤال ربما تبدو لأول وهلهٔ صعبهٔ، و شاقهٔ.

و لکننا لن نستسلم لهذا الشعور، و لسوف نحاول الاجابهٔ علیه، معتمدین علی بعض ما بأیدینا من النصوص التاریخیهٔ، التی تلقی لنا ضوءا کاشفا علی حقیقهٔ القضیهٔ، و واقع الأمر: فنقول:

الجواب عن السؤال:

لعل سر انحراف العباسیین عن المأمون إلی أخیه الأمین یرجع إلی أن الأمین کان عباسیا، بکل ما لهذه الکلمهٔ من معنی:

فأبوه: هارون ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۵۷

و أمه: «زبيدة»، حفيدة المنصور، هاشمية «۱»، و التى لو نشرت شعرها، لما تعلقت- على ما قبل- «۲» إلا بخليفة، أو ولى عهد، و التى كانت أعظم عباسية على الاطلاق ...

و كان فى حجر الفضل بن يحيى البرمكى، أخى الرشيد من الرضاعة، و أعظم رجل نفوذا فى بلاط الرشيد ...

و كان يشرف على مصالحه الفضل بن الربيع، العربى، الذى كان جده من طلقاء عثمان، و الذى لم يكن ثمة من شك فى ولائه للعباسيين.

أما المأمون:

فقد كان فى حجر جعفر بن يحيى، الذى كان أقل نفوذا من أخيه الفضل.

و كان مؤدبه، و الذى يشرف على مصالحه، ذلك الرجل الذى لم يكن العباسيون يرتاحون إليه بشكل خاص؛ لأنه كان متهما بالميل إلى العلويين. و الذى كانت العداوة بينه و بين مربى الأمين، الفضل بن الربيع على أشدها، ذلك الرجل الذى أصبح فيما بعد وزيرا للمأمون، و مدبرا لاموره، و أعنى به: «الفضل بن سهل الفارسى»، و قد

---

(۱) و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲، و مروج الذهب ج ۳ ص ۳۹۶، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۵۹، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۳، و تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۶۲: «أنه لم يتفق لخليفة عباسى أن يكون عباسى الأب و الام، غير الأمين» ... و لا بأس أيضا بمراجعة: مختصر التاريخ ص ۱۳۰، و مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ۱ ص ۲۰۳، و ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ۲۴۳، و زهر الآداب ج ۲ ص ۹۹۳، طبع دار الجيل.

(۲) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۶.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۵۸

مل العباسيون الفرس، و خافوهم؛ و لذا سرعان ما استبدلوهم بالأتراك و غيرهم ...

أما أم المأمون ... فقد كانت خراسانية غير عربية، و قد ماتت أيام نفاسها به، و حتى لو كانت على قيد الحياة، فإنها- و هى أشوه، و أقبح، و أقذر جارية فى مطبخ الرشيد- لن تستطيع أن تكون مثل زبيدة عظمة، و نفوذا و لو قلنا إن موتها كان فى مصلحة المأمون لما عدونا الحقيقة؛ كيف و قد بلغ من مهانتها- فى نظر الناس- أن كان المأمون يعير بها ...

فهذه زينب بنت سليمان، التى كانت عند بنى العباس بمنزلة عظيمة، عند ما لم يحضر المأمون جنازة ابنها، و اكتفى بارسال أخيه صالح من قبله، تغضب، و تقول لصالح: «قل له: يا ابن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد، لوضعت ذيلك على فيك، و عدوت خلف جنازته ...» «۱».

و الرقاشى الشاعر يمدح الأمين، و يعرض بهجاء المأمون، فيقول:

لم تلده أمة تعرف فى السوق التجارالا و لا حد، و لا خان، و لا فى الخزى جارا «۲» يعرض بالمأمون، و أن أمه كانت أمة تباع، و تشرى فى الأسواق ...

بل إن نفس الأمين قد عير أخاه بأمه، فقال:

و إذا تطاولت الرجال بفضلهافاربع فانك لست بالمتطاول

---

(۱) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ ص ۲۳۰، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة المجلد الثانى جزء ۴ ص ۴۹۳.

(۲) المعارف لابن قتيبة، طبع سنة ۱۳۰۰، و الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۵۹ أعطاك ربك ما هويت و إنماتلقى خلاف هواك عند «مراجل»
تعلو المنابر كل يوم آملاما لست من بعدى إليه بواصل «۱» و قد أقذع فى هجائه، حين كتب إليه أيام الفتنة بينهما بقوله:

يا بن التى بيعت بأبخس قيمةبين الملا فى السوق هل من زائد

ما فيك موضع غرزة من ابرهإلا و فيه نطفة من واحد فأجابه المأمون:

و إنما أمهات الناس أوعيةمستودعات و للّأباء أكفاء

فرب معربة ليست بمنجبةو طالما أنجبت فى الخدر عجماء «۲» و أخيرا ... فإن خير ما يصور لنا الحالة المعنوية التى كان يعانى منها المأمون، هو قول دعبل مخاطبا له:

إنى من القوم الذين سيوفهمقتلت أخاك، و شرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خمولهو استنقذوك من الحضيض الأوهد «۳»

مركز الأمين هو الأقوى:

و بعد كل ما تقدم، فإن ما لا بد لنا من الاشارة إليه هنا، هو:

---

(۱) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۴.

(۲) غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للعمرى الموصلى ص ۱۲۱.

(۳) معاهد التنصيص ج ۱ ص ۲۰۲، و وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ه. ج ۱ ص ۱۷۹، و تاريخ الخلفاء ص ۳۲۴، و الشعر و الشعراء ص ۵۳۹، ۵۴۰، و الغدير ج ۲ ص ۳۷۶، و العقد الفريد، طبع دار الكتاب العربى ج ۲ ص ۱۹۶، و تاريخ التمدن الاسلامى، المجلد الثانى جزء ۳ ص ۱۱۵، و زهر الآداب طبع دار الجيل ج ۱ ص ۱۳۴ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۳۳۱ و ربيع الابرار ج ۱ ص ۷۴۳.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۶۰

قوة مركز الأمين، بالنسبة إلى أخيه المأمون؛ حيث قد كان للأمين حزب قوى جدا، و أنصار يستطيع أن يعتمد عليهم، يعملون من أجله، و فى سبيل تأمين السلطة له، و هم: أخواله، و الفضل بن يحيى البرمكى، و أكثر البرامكة، إن لم يكن كلهم، و أمه: زبيدة، بل و العرب أيضا، كما سيأتى ...

و إذا ما عرفنا أن هؤلاء هم الذين كانوا يؤثرون على الرشيد كل التأثير، و كان لهم دور كبير فى توجيه سياسة الدولة ... فلسوف نرى أنه كان من الطبيعى أن يضعف الرشيد أمام هذه القوة، و ينصاع لها، و من ثم ... لتؤثر مساعيها أثرها، و تعطى نتيجتها فى الوقت المناسب؛ فيجعل ولاية العهد من بعده لولده الأصغر سنا، و هو الأمين، و يترك الأكبر- المأمون-، ليكون ولى العهد الثانى بعد الأصغر ...

و لعل تعصب بنى هاشم، و جلالة عيسى بن جعفر قد لعبا دورا كبيرا فى فوز الأمين بالمركز الأول فى ولاية عهد أبيه الرشيد «۱». هذا عدا عن الدور الرئيسى، الذى لعبته «زبيدة» فى تكريس الأمر لصالح ولدها «۲».

فيحدثنا المؤرخون: أن عيسى بن جعفر بن المنصور، خال الأمين جاء إلى الفضل بن يحيى، و هو متوجه إلى خراسان على رأس جيش، و قال له: «انشدك اللّه، لما عملت بالبيعة لابن أختى؛ فإنه ولدك، و خلافته لك، و إن أختى زبيدة تسألك ذلك ... فوعده الفضل أن يفعل، و عند ما انتصر على الخارجين هناك، بايع هو و من معه من القواد و الجند لمحمد «۳»».

---

(۱) ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن عبدون ص ۲۴۵، و الإتحاف بحب الاشراف ص ۹۶.

(۲) زهر الآداب طبع دار الجيل ج ۲ ص ۵۸۱.

(۳) راجع تفصيل ذلك فى: الطبرى ج ۱۰ ص ۶۱۱، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۷۶، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۸۸ و أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون فى تاريخه ج ۳ ص ۲۱۸.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۶۱

رغم أن المأمون كان أسن من الأمين بستة أشهر، و على أقل الأقوال بشهر واحد ...

و أصبح الرشيد حينئذ أمام الأمر الواقع، حيث إن الذى أقدم على هذا الأمر، هو ذلك الرجل، الذى لا يمكن رد كلمته، و الذى له من النفوذ و السلطان، و الخدمات الجلى، و الأيادى البيضاء عليه، ما لا يمكن له، و لا لأحد غيره أن يجحده أو أن يتجاهله ...

و يلاحظ هنا: أن عيسى بن جعفر قد ذكر أن أخته زبيدة، تسأله أن يقدم على هذا الأمر، و زبيدة التى تحظى باحترام كبير عند العباسيين، و لها نفوذ واسع، و تأثير كبير على الرشيد- زبيدة هذه- يهتم البرامكة جدا بأن تكون معهم، و إلى جانبهم؛ و ذلك ليبقى لهم سلطانهم، و يدوم لهم حكمهم، الذى أشار إليه عيسى بقوله: «فانه ولدك، و خلافته لك» فإن فى هذا القول دليلا واضحا للفضل على سلامة و صحة ما يقدم عليه بالنسبة لمصالحه هو، و مصالح البرامكة بشكل عام، و بالنسبة لدورهم فى مستقبل الخلافة العباسية ... و هو فى الحقيقة يشتمل على إغراء و ترغيب واضح بالعمل لهذا الأمر، و فى سبيله ...

كما أن قول عيسى الآنف الذكر يلقى لنا ضوءا على الدور الذى لعبته زبيدة فى مسألة البيعة لولدها بولاية العهد ... فهو يشير إلى أنها كانت قد استخدمت نفوذها فى اقناع رجال الدولة بتقديم ولدها ... هذا بالاضافة إلى أنها كانت تحرض الرشيد على ذلك باستمرار «۱»، حتى لقد صرح الرشيد نفسه بأنه: «لو لا أم جعفر و ميل بنى هاشم لقدم عبد اللّه على محمد، كما أشرنا إليه» ...

قال محمد فريد و جدى مشيرا إلى أن الرشيد لم يكن يريد جرح عاطفة

---

(۱) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۸۱ و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۲۹۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۶۲

زبيدة: «كانت ولاية الأمين بعهد من أبيه، قدمه على إخوته لمكان والدته. و كان الأحق بالتقديم المأمون لعلمه و فضله و سنه ...» «۱».

و بعد ... فإننا لا نستبعد أنها كانت بالاضافة إلى ذلك قد استخدمت أموالها، من أجل ضمان ولاية العهد لولدها الأمين، و لعل مما يشير إلى ذلك قول الفضل بن سهل للمأمون: «و هو ابن زبيدة، و أخواله بنو هاشم، و زبيدة و أموالها ...» ...

و أخيرا ... فإنّ من المحتمل جدا أن يكون الرشيد- بملاحظة الدور الذى كانت تلعبه الأنساب فى التفكير العربى- قد لاحظ سمو نسب الأمين على المأمون، و كان لذلك أثر فى تقديمه له عليه، و قد ألمح بعض المؤرخين إلى ذلك فقال: «و فيها (أى فى سنة ۱۷۶ ه) عقد الرشيد لابنه المأمون عبد اللّه العهد بعد أخيه الأمين ... إلى أن قال:

و كان المأمون أسن من الأمين بشهر واحد، غير أن الأمين أمه زبيدة بنت جعفر هاشمية، و المأمون أمه أم ولد اسمها «مراجل» ماتت أيام نفاسها به ...» «۲».

محاولات الرشيد لصالح المأمون:

و من كل ما تقدم يتضح لنا حقيقة موقف العباسيين، و أهل بيت المأمون، و رجال الدولة من المأمون ... و يظهر إلى أى حد كان مركز أخيه قويا، و نجمه عاليا، و أنه لم يكن له مثل ذلك الحظ الذى كان لأخيه الأمين.

---

(۱) دائرة المعارف الاسلامية ج ۱ ص ۶۰۶.

(۲) النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۸۴، و قریب منه ما فی تاریخ الخلفاء للسیوطی.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۶۳

إلا أن أباه الرشید، الذی کان یدرک حقیقة الموقف کل الادراک، قد حاول أن یضمن له نصیبه من الخلافة، فجعله ولی العهد بعد أخیه الأمین، و کتب بذلک العهود و المواثیق، و أشهد علیها، و علقها فی جوف الکعبة، و لا نعلم خلیفة، قبله و لا بعده فعل ذلک مع أولیاء عهده، من أولاده أو من غیرهم، رغم أن غیره من الخلفاء قد أخذوا البیعة لأکثر من واحد بعدهم.

کما أنه قد حاول بطرق شتی أن یشد من عضد المأمون، و یقوی مرکزه فی مقابل أخیه الأمین؛ لأنه کان یخاف منه علی أخیه المأمون؛ فنراه یجدد أخذ البیعة للمأمون أکثر من مرة، و یولیه الحرب، و یولی أخاه السلم «۱» و یهب المأمون کل ما فی العسکر من کراع و سلاح، و یأمر الفضل بن الربیع، الذی کان یعرف أنه سوف یتآمر مع الأمین- یأمره- بالبقاء مع المأمون فی خراسان. إلی غیر ذلک من مواقفه، التی لا نری حاجة لتتبعها و استقصائها.

مرکز المأمون ظل فی خطر:

و لکن رغم کل محاولات الرشید فقد ظل مرکز المأمون فی خطر و الکل کان یشعر بذلک، و کیف لا یعرف الجمیع ذلک، و لا یشعرون به، و هم یرون الأمین یصرح بعد أن أعطی العهود و المواثیق، و حلف الایمان، بأنه: کان یضمر الخیانة لأخیه المأمون «۲».

لقد کان الکثیرون یرون بأن هذا الأمر لا یتم، و أن الرشید قد أسس العداء و الفرقة بین أولاده، «و ألقی بأسهم بینهم، و عاقبة ما صنع

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۳، و الطبری حوادث سنة ۱۸۶ ه.

(۲) الوزراء و الکتاب ص ۲۲۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۶۴

فی ذلک مخوفة علی الرعیة»، و قالت الشعراء فی ذلک الشیء الکثیر.

و من ذلک قول بعضهم:

أقول لغمة فی النفس منیو دمع العین یطرد اطرادا

خذی للهول عدته بحزمستلقی ما سیمنعک الرقادا

فإنک إن بقیت رأیت أمرایطیل لک الکآبة و السهادا

رأی الملک المهذب شر رأیبقسمته الخلافة و البلادا

رأی ما لو تعقبه بعلملبیض من مفارقه السوادا

أراد به لیقطع عن بنیهخلافهم و یبتذلوا الودادا

فقد غرس العداوة غیر آلو أورث شمل الفتهم بدادا

و القح بینهم حربا عواناو سلس لاجتنابهم القیادا

فویل للرعیة عن قلیللقد أهدی لها الکرب الشدادا

و ألبسها بلاء غیر فانو ألزمها التضعضع و الفسادا

ستجری من دمائهم بحورزواخر لا یرون لها نفادا

فوزر بلائهم أبدا علیهأ غیا کان ذلک أم رشادا «۱»

و المأمون و حزبه کانوا یدرکون ذلک:

و بعد ... فإنه من الطبیعی جدا أن نری أن المأمون و حزبه کانوا یدرکون أن مرکز المأمون کان فی خطر، و أن الأمین کان ینوی الخیانهٔ لأخیه. و لقد رأینا الفضل بن سهل عند ما عزم الرشید علی الذهاب إلی خراسان، و أمر المأمون بالمقام فی بغداد- رأیناه- یقول للمأمون:

«لست تدری ما یحدث بالرشید، و خراسان ولایتک، و الأمین مقدم علیک. و إن أحسن ما یصنع بک أن یخلعک؛ و هو ابن زبیدهٔ، و أخواله

(۱) الطبری حوادث سنهٔ ۱۸۶ ه.

بنو هاشم، و زبیدهٔ، و أموالها ...» «۱» ... و تقدم أیضا قوله له: إن أهل بیته و بنی أبیه، و العرب معادون له ...

و الرشید أیضا کان فی قلق:

بل لقد صرح الرشید نفسه بأنه کان یخشی من الأمین علی المأمون؛ فإنه قال لزبیدهٔ، عند ما عاتبته علی اعطائه الکراع و السلاح للمأمون:

«إنا نتخوف ابنک علی عبد اللّه، و لا نتخوف عبد اللّه علی ابنک إن بویع ...» «۲».

هذا بالاضافهٔ إلی تصریحات الرشید السابقهٔ، و التی لا نری حاجهٔ إلی اعادتها ...

و لقد قال الرشید، عند ما بلغه ما یتهدد به محمد الأمین:

محمد لا تظلم أخاک فإنهعلیک یعود البغی إن کنت باغیا

و لا تعجلن الدهر فیه فإنهإذا مال بالأقوام لم یبق باقیا «۳» و مهما یکن من أمر، فان الحقیقهٔ التی لا یمکن الجدال فیها، هی أن الرشید کان فی قضیهٔ ولایهٔ العهد مغلوبا علی أمره، من مختلف الجهات ...

و کان یشعر أن ما أبرمه سوف یکون عرضهٔ للانتقاض بین لحظهٔ و أخری، و کم کان یؤلمه شعوره هذا، و یحز فی نفسه ... حتی لقد ترجم مشاعره هذه شعرا فقال:

(۱) تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۲۹، و النجوم الزاهرهٔ ج ۲ ص ۱۰۲، و الکامل لابن الأثیر، طبعهٔ ثالثهٔ ج ۵ ص ۱۲۷، و الوزراء و الکتاب ص ۲۶۶.

(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۳. و لعله إنما فعل ذلک أیضا، من أجل أن یطیب خاطر المأمون، و یذهب ما فی نفسه- و هو الأفضل، و الأکبر سنا من أخیه- من غل و حقد و ضغینهٔ ...

(۳) ابن بدرون فی شرح قصیدهٔ ابن عبدون ص ۲۴۵، و فوات الوفیات ج ۲ ص ۲۶۹.

 لقد بان وجه الرأی لی غیر أننیغلبت علی الأمر الذی کان أحزما

و کیف یرد الدّرّ فی الضرع بعد ماتوزع حتی صار نهبا مقسما

أخاف التواء الأمر بعد استوائهو أن ینقض الحبل الذی کان أبرما «۱»

علی من یعتمد المأمون؟

و هکذا ... و إذا کان أبوه قد استطاع أن یضمن له المرکز الثانی بعد أخیه الأمین، و إذا کان ذلک لا یکفی لأن یجعل المأمون یطمئن إلی مستقبله فی الحکم، و أن یأمن أخاه و بنی أبیه العباسیین، أن لا یحلوا العقدة، و ینکثوا العهد؛ فهل یستطیع المأمون أن یعتمد علی غیرهم، لـو تعرض مرکزه و وجوده للتهدیـد فی وقت مـا؟!. و من هم أولئـک الـذین یسـتطیع أن یعتمـد علیهم؟! و کیف؟ ... و مـا هو موقفهم فعلا منه؟! و کیف یستطیع أن یصل الی الحکم، و السلطان؟! و من ثم ...

کیف یسـتطیع أن یحتفظ به، و یقوی من دعائمه؟! إن نظرة شاملـة علی الفئات الاخری فی تلک الفترة من الزمن، لکفیلـة بأن تظهر لنا أنه لم یبق أمام المأمون غیر العلویین، و العرب، و الایرانیین ...

فمـا هو موقف هؤلاـء منه، و أی الفئات تلک هی التی یسـتطیع أن یعتمـد علیها؟. و کیف یسـتطیع أن یغیر ماجریات الامور لتکون فی صالحه، و علی وفق مراده؟! ...

هـذا هو السؤال الذی لا بد للمأمون من أن یضع الحل و الاجابة علیه، بکل دقة و وعی و إدراک، و أن یتحرک من ثم علی وفق تلک الاجابة،

---

(۱) ابن بدرون أیضا ص ۲۴۵، و زهر الآداب، طبع دار الجیل ج ۲ ص ۵۸۱، و فوات الوفیات ج ۲ ص ۲۶۹.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۶۷

و علی مقتضـی ذلک الحل ... و لنلق أولا نظرة سـریعة علی مواقف کل من هؤلاء من المأمون، و لنخلص من ثم إلی معرفـة الفئة التی یستطیع المأمون أن یعتمد علیها فی مواجهة الأخطار و التحدیات، التی تنتظره، و تنتظر نظام حکمه، بصورة عامة ... فنقول:

موقف العلویین من المأمون:

أما العلویون ... فإنهم- بالطبع- لن یرضوا بالمأمون- کما لن یرضوا بغیره من العباسیین، خلیفة و حاکما لأن من بینهم من هو أجدر من کل العباسـیین، و أحق بهذا الأمر، و لأن المأمون، و غیره، کانوا من تلک السـلالة، التی لا یمکن أن تصفو لها قلوب آل علی؛ لأنها قد فعلت بهم أکثر من فعل بنی أمیة معهم، کما تقدم ... فقد سـفکت دماءهم، و سـلبتهم أموالهم، و شردتهم عن دیارهم، و أذاقتهم شتی صنوف العذاب و الاضـطهاد ... و یکفی المأمون عندهم: أنه ابن الرشـید، الذی حصد شـجرة النبوة، و اجتث غرس الإمامة، و الذی قد عرفت طرفا من سیرته السیئة معهم فیما تقدم من الفصول ...

موقف العرب من المأمون، و نظام حکمه:

و أما العرب: فإنهم لا یرضون بالمأمون خلیفة و حاکما أیضا، کما أشار إلیه الفضل بن سهل فیما تقدم ...

أما أولا: فلأن أمه، و مؤدبه، و القائم بأمره، غیر عربیین.

و لقد عانی العرب ما اللّه أعلم به، من تقدیم أسـلافه للموالی، حتی لم یعد لهم معهم أی شأن یذکر، و أصبح العربی أذل من نعجة، و أحقر من الحیوان ...

قال المسعودی: «... و کان (أی المنصور) أول خلیفة استعمل

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۶۸

موالیه و غلمـانه فی أعماله، و صـرفهم فی مهماته، و قـدمهم علی العرب؛ فامتثل ذلک الخلفاء من بعـده، من ولـده، فسـقطت، و بادت العرب، و زالت رئاستها، و ذهبت مراتبها ...» «۱».

و قـال ابن حزم، و هو یتحـدث عن العباسـیین: «... فکـانت دولتهم أعجمیـة، سـقطت فیهـا دواوین العرب، و غلبت عجم خراسـان علی

الأمر، و عاد الأمر کسرویا، إلا أنهم لم یعلنوا بسبب أحد من الصحابة رضوان اللّه علیهم ... و افترقت فی دولة بنی العباس کلمة المسلمین «۲» ...».

و یقول الجاحظ: «... دولة بنی العباس أعجمیة، خراسانیة، و دولة بنی مروان عربیة «۳» ...».

إلی آخر ما هنالک، مما یدل علی سقوط العرب فی تلک الفترة، و امتهانهم. و یبدو أن ذلک من المسلمات. و قد استوفی الباحثون- و منهم أحمد أمین، فی الجزء الأول من ضحی الاسلام- البحث فی هذا الموضوع؛ فمن أراد فلیراجع مظان وجوده ...

و إذا ما عرفنا: أن من الطبیعی أن یکون ذهاب رئاسة العرب، و إبادتها، و اضطهادها علی ید الفرس، الذین کانوا هم أصحاب القدرة و السلطان آنذاک ... فلسوف نجد أن من الطبیعی أن یحقد العرب، الذین کانوا فی وقت ما هم أصحاب الجبروت و القوة، علی الفرس، و علی کل من یتصل بهم، و یمت إلیهم بسبب؛ من قریب أو من بعید ...

---

(۱) مروج الذهب، طبع بیروت ج ۴ ص ۲۲۳، و تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۴، و ص ۲۶۹، ۲۷۰، و ص ۲۵۸، و فی طبیعة الدعوة العباسیة ص ۲۷۹، نقلا عن المقریزی فی: السلوک لمعرفة دول الملوک ج ۱ ص ۱۴ مثل ذلک. و لیراجع أیضا کتاب: مشاکلة الناس لزمانهم للیعقوبی ص ۲۳.

(۲) البیان المغرب، طبع صادر ص ۷۱.

(۳) البیان و التبیین ج ۳ ص ۳۶۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۶۹

و أما ثانیا: فلسیرة أسلافه، و أبیه الرشید بالخصوص، فی الناس عامة، و مع أهل بیت نبیهم خاصة، و التی قدمنا شطرا منها فی الفصول التی سبقت.

أما الأمین: فقد کان له- إلی حدّ ما- شافع عندهم؛ حیث إنه کان من أب و أم عربیین من جهة. و کان قد منحهم ثقته و حبه، و قربهم إلیه، حتی کان وزیره الفضل بن الربیع منهم ... من جهة ثانیة؛ فتوسموا فیه أن یجعل لهم، شأنا و أن ینظر إلیهم بغیر العین، التی کان أبوه و أسلافه ینظرون إلیهم بها. أو علی الأقل: سوف لا تکون نظرته إلیهم، علی حد نظرة المأمون نحوهم. و ذلک ما یجعلهم یرجحونه- علی الأقل- علی أخیه المأمون، و إن کان المأمون أفضل، و أسن منه؛ فلقد کان علیهم أن یختاروا أهون الشرین، و أقل الضررین ...

حتی إن نصر بن شبث، الذی کان هواه مع العباسیین، لم یقم بثورته ضد المأمون، التی بدأت سنة ۱۹۸ ه. و استمرت حتی سنة ۲۱۰ ه. إلا انتصارا للعرب، و محاماة عنهم؛ لأن العباسیین کانوا یفضلون علیهم العجم، حسب تصریحات نصر بن شبث نفسه «۱».

و حتی فی مصر أیضا، قد ثارت الفتن بین القیسیة، المناصرة للأمین، و الیمانیة المناصرة للمأمون ...

و قال أحمد أمین: «... إن أغلب الفرس تعصب للمأمون، و أغلب العرب تعصبوا للأمین ...» «۲».

کما أننا نکاد لا نشک فی أن تعصب العرب للأمین لیس إلا للسببین المتقدمین، الذین أشرنا إلیهما، و أشار إلی أحدهما نصر بن شبث ...

---

(۱) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳ ص ۱۰۴.

(۲) ضحی الاسلام ج ۱ ص ۴۳.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۰

و لکن فردینان توتل یری فی منجد الاعلام: أن تعصب العرب للأمین یرجع إلی أن: «المأمون لم یستطع أن یجعل العرب یحبونه؛

حيث إنه كان يظهر ميلا للايرانيين، و يقربهم إليه. و قد أعانه الايرانيون فى مبارزاته، و حروبه، و خصوصا الخراسانيين منهم ...».
و لكن الـذى يبدو لى هو أن تعصب العرب للأمين لم يكن نتيجة تقريب المأمون للايرانيين، و تحببه للخراسانيين، و انما عكس ذلك هو الصحيح؛ فإن المأمون لم يتقرب من الخراسانيين إلا بعد أن فرغت يده من العرب، و أهل بيته، و العلويين ...

لا بد من اختيار خراسان:

و بعـد أن فرغت يد المأمون من بنى أبيه، و البرامكة «۱»، و العرب، و العلويين، اضـطر أن يلتجئ إلى جهات أخرى لتمد له يد العون و المساعدة، و تكون سلما لأغراضه، و اداة لتحقيق أهدافه و مآربه ...
و لم يبق أمامه غير خراسان؛ فاختارها، كما اختارها محمد بن على العباسى من قبل. فأظهر لهم الميل و الحب، و تقرب إليهم، و قربهم إليه، و أراهم: أنه محب لمـا و لمن يحبون، و كـاره لما و لمن يكرهون. حتى إنه عنـد ما علم منهم الميل إلى العلويين، و التشـيع لهم، أظهر هو بدوره أنه محب للعلويين، و متشيع لهم ...
كما أنه كان من جهة ثانية قد قطع لهم على نفسه الوعود و العهود، بأن يرفع

---

(۱) ذكرنـا للبرامكـة هنـا ليس عفويـا؛ فان محط نظرنا يشـمل حتى الأيام الاولى، التى فتـح بها المأمون عينيه، و عرف واقعه، و أدرك الأخطار، التى تتهـدده، و تتهـدد مسـتقبله فى الخلافـة مع أخيه الأمين؛ فلا يرد علينا: أن البرامكـة قد نكبهم الرشـيد قبل خلافة المأمون بزمان ... مضافا إلى الدور الكبير الذى لعبه البرامكة فى تقديم أخيه الأمين عليه، حسبما قدمنا ...
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۷۱
الظلم و الحيف عنهم، و يرد عنهم الكيد، الأمر الذى جعلهم يثقون به، و يطمئنون إليه، و يعلقون كل آمالهم عليه ...

تشيع الايرانيين:

هذا ... و ليس تشيع «۱» الايرانيين بالأمر الذى يحتاج إلى اثبات، بعد أن تقدم معنا: أن دولة العباسـيين ما قامت إلا على أساس الدعوة للعلويين، و أهل البيت ... و بعد أن رأينا الخراسانيين يظهرون النياحة على «يحيى بن زيد» سبعة أيام، و كل مولود ولد فى خراسان فى سنة قتل يحيى سمى ب «يحيى» «۲» ... بل يذكر البلاذرى: أنه لما اسـتشار المنصور عيسى بن موسى فى أمر محمد و ابراهيم ابنى عبد اللّه بن الحسن، فأشـار عليه بـأن يولى المدينـة رجلاـ خراسانيـا، قـال له المنصور: «يا أبا موسـى إن محبـة آل أبى طالب فى قلوب أهل خراسان ممتزجـة بمحبتنا، و إن و ليت أمرها رجلا من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه و بين طلبهما، و الفحص عنهما، و لكن أهل الشام قاتلوا عليا على أن لا يتأمر عليهم لبغضهم إياه الخ ...» «۳».
و قـد تقـدم معنـا: كيف وصف المؤرخون مـا جرى فى نيشـابور، حين دخلها الإمام الرضا، و سيأتى فى فصل: خطـة الإمام، وصف ما جرى فى مرو حينمـا خرج الإمـام ليصـلى بالناس ... و لقـد عرفنا أيضا: كيف فرق الإمام الرضا الناس عن المأمون. عنـد ما أرادوا قتله، انتقاما للفضل بن سهل ...

---

(۱) قد تقدم منا ما نقصده بكلمة «التشيع» فى هذا الكتاب؛ فلا نعيد.
(۲) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۱۳، و شـرح ميمية أبى فراس ص ۱۵۷، و ليراجع أيضا نزهـة الجليس ج ۱ ص ۳۱۶؛ فان فيه ما يشير إلى ذلك ...
(۳) أنساب الأشراف للبلاذرى ج ۳ ص ۱۱۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۲

بل لقد بلغ من حب الایرانیین لأهل البیت أن المأمون کان یخشی علی نفسه أن یقتلوه، لو أنه أراد أن یرجع عن البیعة للامام الرضا بولایة العهد «۱».

و یقول جرجی زیدان: «و کان الخراسانیون، و من والاهم من أهل طبرستان و الدیلم، قبل قیام الدولة العباسیة، من شیعة علی؛ و إنما بایعوا للعباسیین مجاراة لأبی مسلم أو خوفا منه ...» «۲».

و قال أحمد أمین: «... إن الفرس یجری فی عروقهم التشیع ...» «۳».

و یقول الدکتور الشیبی: «... إن الفرس قد عادوا إلی التشیع، بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولا، ثم المنصور، ثم الرشید ...» «۴».

و یقول أحمد شلبی: «... إنه ربما کان سبب أخذ المأمون للرضا العهد، هو أنه یرید أن یحقق آمال الخراسانیین، الذین کانوا إلی أولاد علی أمیل ...» «۵».

ما هو سرّ تشیّع الایرانیین؟

یقول السید أمیر علی، و هو یتحدث عن سر ارتباط الفرس بقضیة بنی فاطمة: «... و قد أظهر الامام علی منذ بدایة الدعوة الاسلامیة

---

(۱) تاریخ التمدن الاسلامی المجلد الثانی، جزء ۴ ص ۴۴۰.

(۲) نفس المصدر و المجلد، و الجزء ص ۲۳۲. و لا یهمنا هنا مناقشة جرجی زیدان فیما جعله سببا لبیعتهم للعباسیین، و لعل ما قدمناه فی فصل: قیام الدولة العباسیة کاف فی ذلک ...

(۳) ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۵.

(۴) الصلة بین التصوف و التشیع ص ۱۰۱.

(۵) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳ ص ۱۰۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۳

کل تقدیر، و مودة نحو الفرس، الذین اعتنقوا الاسلام. لقد کان سلمان الفارسی، و هو أحد مشاهیر أصحاب الرسول، رفیق علی و صدیقه، و کان من عادة الإمام أن یخصص نصیبه «النقدی» فی الانفال لافتداء الأسری. و کثیرا ما أقنع الخلیفة عمر بمشورته؛ فعمد إلی تخفیف عبء الرعیة فی فارس. و هکذا کان ولاء الفرس لأحفاده واضحا تمام الوضوح ...» «۱».

و یری فان فلوتن: ان من أسباب میل الخراسانیین، و غیرهم من الایرانیین للعلویین، هو أنهم لم یعاملوا معاملة حسنة، و لا رأوا عدلا إلا فی زمن حکم الإمام علی (ع) «۲» ...

أما الاستاذ علی غفوری فیری «۳»: أن الایرانیین کانوا قبل الاسلام یعاملون بمنطق: أن الناس قد خلقوا لخدمة الطبقة الحاکمة، و أن علیهم أن ینفذوا الأوامر من دون: کیف؟ و لما ذا؟. فجاء الإسلام بتعالیمه الفطریة السهلة السمحاء؛ فاعتنقوه بکل رضی و أمل، و بدأ جهادهم فی سبیل اقامة حکومة اسلامیة حقیقیة.

و بما أن أولئک الذین تسلموا زمام الامور- باستثناء الإمام علی طبعا- کانوا منحرفین [المقصود هنا بالطبع هو خلفاء الامویین] عن الاسلام، و تعالیمه، و یحاولون تلبیس عاداتهم الجاهلیة، حتی التمییز القبلی، و العرقی بلباس الاسلام، و اعطائها صفة القانونیة و الشرعیة ...

فان الایرانیین لم یجدوا أهداف الاسلام، و تعالیمه فی تلک الحکومات؛ و لهذا کان من الطبیعی أن یتوجهوا إلی علی، و الأئمة من ولده، الذین تعدی الآخرون علی حقوقهم بالخلافة، و الذین کان سلوکهم المثالی هو

(۱) روح الاسلام ص ۳۰۶.

(۲) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ...

(۳) يادبود هشتمين امام «فارسى».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۷۴

المرآة الصافية، التى تنعكس عليها تعاليم الإسلام و أهدافه، و يمثلون الصورة الحقيقية للاسلام على مدى التاريخ، و كان صدى علمهم، و زهدهم، و استقامتهم يطبق الخافقين، و خصوصا الصادق و الرضا، الذى اهتبل و الفرصة إبان الخلاف بين الأمين و المأمون لنشر تعاليم الإسلام، و تعريف الناس على الحقائق، التى شاء الآخرون أن لا يعرفها أحد.

لكن لم يكن يروق للقوى الحاكمة، أن تظهر تلك الوجوه الطاهرة على الصعيد العام، و تتعرف عليها الامة الإسلامية، و على فضائلها، و كمالاتها؛ لأن الناس حينئذ سوف يدركون الواقع المزرى لأولئك الحكام، و المتزلفين لهم. و الذين كانوا يتحكمون بمقدرات الامة، و امكاناتها؛ و إذا أدركوا ذلك فان من الطبيعى أن لا يترددوا فى تأييد الأئمة، و مساعدة أية نهضة، أو ثورة من قبلهم؛ و لهذا فقد جهد الحكام فى أن يزووهم و يبعدوهم ما أمكنهم عن الناس، و وضعوهم تحت الرقابة الشديدة، و فى أحيان كثيرة فى غياهب السجون ... حتى إذا ما سنحت لهم فرصة، تخلصوا منهم بالطريقة التى كانوا يرون أنها لا تثير الكثير من الشكوك و الظنون ...

عود على بدء:

و على كل حال ... فان ما يهمنا هنا هو مجرد الاشارة إلى تشيّع الايرانيين، الذى حاول المأمون أن يستغله لمصالحه و أهدافه ... حيث قد أثمرت و عود المأمون للخراسانيين، و تحببه لهم، و تقربه منهم، و تظاهره بالحب لعلى (ع) و ذريته، الثمار المرجوة منها؛ لأن الخراسانيين كانوا يريدون التخلص من أولئك الحكام الذين انقلبوا عليهم يقتلون، و يضطهدون كل من عرفوه مواليا لأهل البيت محبا لهم، ابتداء من المنصور، بل السفاح، و انتهاء بالرشيد، الذى لم يستطع يحيى بن خالد البرمكى أن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۷۵

يسمع لعلوى ذكرا فى خراسان فى زمانه ... رغم أنه جهد كل الجهد من أجل ذلك، و فى سبيله، حسبما تقدم ...

كما أنهم- أعنى الخراسانيين- قد توسموا فى المأمون أن يكون المنقذ لهم من أولئك الولاة، الذين ساموهم شتى ضروب العسف، و الظلم و العذاب. و الذين لم يكن يهمهم غير مصالحهم، و ارضاء شهواتهم و ملذاتهم، يعلم ذلك بأدنى مراجعة للتأريخ ...

قد وثقوا إلى حد ما بوعود المأمون تلك، التى كان يغدقها عليهم، و على غيرهم بدون حساب، و أمنوا جانبه؛ فكانوا جنده، و قواده، و وزراءه المخلصين، الذين اخضعوا له البلاد، و أذلوا له العباد، و بسطوا نفوذه و سلطانه على كثير من الولايات و الأمصار، التى كان يطمح إلى الوصول إليها، و السيطرة عليها ...

كيف يثق العرب بالمأمون؟!

و هكذا إذن ... يتضح أن ميل المأمون للايرانيين ما كان إلا دهاء منه و سياسة، استغلها المأمون أحسن ما يكون الاستغلال، حتى استطاع أن يصل إلى الحكم، و يتربع على عرش الخلافة، بعد أن قتل أخاه العزيز على العباسيين و العرب، و قضى على اشياعه بسيوف غير العرب، و ذلك ذنب آخر لن يسهل على العرب الاغضاء عنه أو غفرانه.

ثم ولى على بغداد رجلا غير عربى، هو الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، الذى تكرهه بغداد و العرب كل الكره ...

ثم إنه بعد هذا كله جعل مقر حكمه مروا الفارسية، و ليس بغداد العاصمة العربية الاولى التى خربها و دمرها ... و كان ذلك من شأنه

أن یثیر المخاوف لدی العرب فی أن تتحول الإمبراطوریة العربیة إلی امبراطوریة

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۶

فارسیة، و خصوصا إذا لاحظنا: أن الفرس هم الذین أوصلوا المأمون إلی الحکم ... و قد اثبتوا جدارتهم، و أهلیتهم فی مختلف المجالات، و خصوصا السیاسة، و شئون الحکم.

قتل الأمین و خیبة الأمل:

و إن قتل الأمین، و إن کان یمثل- فی ظاهره- انتصارا عسکریا للمأمون إلا أنه کان فی الحقیقة ذا نتائج سلبیة و عکسیة بالنسبة للمأمون، و أهدافه، و مخططاته ... سیما بملاحظة الأسالیب التی اتبعها المأمون للتشفی من أخیه الأمین، الذی کان قد أصدر الأمر لطاهر بالأمس بأن یقتله «۱» ... حیث رأیناه قد أعطی الذی جاءه برأس أخیه- بعد أن سجد للّه شکرا!!- ألف ألف «أی ملیون» درهم «۲» ... ثم أمر بنصب رأس أخیه علی خشبة فی صحن الدار، و أمر کل من قبض رزقه أن یلعنه؛ فکان الرجل یقبض، و یلعن الرأس، و لم ینزله حتی جاء رجل فلعن الرأس، و لعن والدیه، و ما ولدا، و أدخلهم فی «کذا و کذا» من أمهاتهم. و ذلک بحیث یسمعه المأمون؛ فتبسم، و تغافل؛ و أمر بحط الرأس «۳»!!.

و یا لیته اکتفی بکل ذلک ... بل إنه بعد أن طیف برأس الأمین بخراسان «۴»

---

(۱) لقد نص بعض المؤلفین فی کتابه الفارسی «یادبود هشتمین إمام» ص ۲۹ علی أن المأمون: «لم یرض بقتل الأمین فحسب، بل أنه هو الذی أمر بقتله ...».

(۲) فوات الوفیات ج ۲ ص ۲۶۹، و الطبری، طبع دار القاموس الحدیث ج ۱۰ ص ۲۰۲، و البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۴۳، و حیاة الحیوان ج ۱ ص ۷۲، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۱۶ المطبوع مع العیون و الحدائق.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۴، و تتمة المنتهی ص ۱۸۶ و الموفقیات ص ۱۴۰.

(۴) تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۲۹۸.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۷

أرسل إلی ابراهیم بن المهدی یعنفه و یلومه علی أنه أسف علی قتل الأمین، و رثاه «۱»!! فما ذا ننتظر بعد هذا کله، و بعد ما قدمناه: أن یکون موقف العباسیین، و العرب، بل و سائر الناس منه ...

إن أیسر ما نستطیع أن نقوله هنا هو: أنه کان لقتله أخاه، و فعاله الشائنة تلک ... أثر سیّئ علی سمعته، و من أسباب زعزعة ثقة الناس، به، و تأکید نفورهم منه، سواء فی ذلک العرب، أو غیرهم ...

و قد استمر ذلک الأثر أعواما کثیرة، حتی بعد أن هدأت ثائرة الناس، و رجع إلی بغداد ...

فقد جلس مرة یستاک علی دجلة، من وراء ستر؛ فمر ملاح، و هو یقول: «أ تظنون أن هذا المأمون ینبل فی عینی، و قد قتل أخاه؟!».

قال: فسمعه المأمون؛ فما زاد علی أن تبسم، و قال لجلسائه:

«ما الحیلة عندکم، حتی أنبل فی عین هذا الرجل الجلیل ...» «۲».

و قال له الفضل بن سهل، عند ما عزم علی الذهاب إلی بغداد:

«ما هذا بصواب؛ قتلت بالأمس أخاک، و أزلت الخلافة عنه، و بنو أبیک معادون لک؛ و أهل بیتک و العرب ... إلی أن قال: و الرأی،

---

(۱) البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۴۳.

(۲) تاریخ بغداد ج ۱۰ ص ۱۸۹، و البدایهٔ و النهایهٔ ج ۱۰ ص ۲۷۷، و تاریخ الخلفاء ص ۳۲۰، و روض الأخیار فی منتخب ربیع الأبرار ص ۱۸۶، و فوات الوفیات ج ۱ ص ۲۴۰.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۸

أن تقیم بخراسان، حتی تسکن قلوب الناس علی هذا، و یتناسوا ما کان من أمر أخیک ...» «۱».

المأمون فی الحکم:

و إذا مـا أردنا أن نعطف نظرنا علی ناحیـهٔ أخری فی سیاسهٔ النظام المأمونی؛ فإننا سوف نری أنه لم یکن موفقا فی سیاسته مع الناس، سواء فی ذلک العرب أو الإیرانیون، بالأخص أهل خراسان؛ حیث لم یحاول أن یتجنب سیاسهٔ الظلم و العسف و الاضطهاد، التی کان یمارسها أسلافه مع الرعیهٔ ... بل لعله زاد علیهم، و سبقهم أشواطا بعیدهٔ فی ذلک.

أما سیاسته مع العرب:

فالمأمون، و ان استطاع أن یصل الی الحکم إلا أنه فشل فی مهمـهٔ الفوز بثقهٔ العرب، خصوصا إذا لاحظنا بالاضافهٔ إلی ما قدمناه تحت عنوان «کیف یثق العرب بالمأمون». ما نالهم منه، و من عماله، من صنوف العسف و الظلم- عدا عما فعلته فیهم تلک الحروب الطاحنهٔ، التی شنها ضد أخیه الأمین- فان ذلک یفوق کل وصف، و یتجاوز کل تقدیر؛

---

(۱) البحـار ج ۴۹ ص ۱۶۶، و مسـند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۵، و أعیان الشـیعهٔ ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۸، و عیون أخبـار الرضا ج ۲ ص ۱۶۰.

هـذا ... و تجدر الاشارهٔ هنا: إلی أن بعض المحققین یری: أن قتل الأخ فی سبیل الملک، لم یکن من الامور التی یهتم لها الناس کثیرا فی تلک الفترهٔ، و لا سیما إذا کان المقتول هو المعتدی اولا، و الأمین هنا هو المعتدی علی المأمون، بخلعه أولا، ثم بارساله جیشا إلی إیران لمحاربته، و الذی هزم علی ید طاهر بن الحسین.

و لکننا مع ذلک ... لا نزال نصر علی رأینا فی هذا المجال؛ سیما و أننا نری فی النصوص التاریخیهٔ ما یدعم هذا الرأی و یقویه ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۷۹

حتی لقـد وصف: «دیونیسیوس» جباهٔ الخراج فی العراق فی سنهٔ (۲۰۰ ه.) بـأنهم: «قوم من العراق، و البصرهٔ، و العاقولاـء. و هم عتاهٔ، لیس فی قلوبهم رحمهٔ، و لا إیمان، شـر من الأفاعی. یضـربون الناس، و یحبسونهم. و یعلقون الرجل البدین من ذراع واحد، حتی یکاد یموت» «۱».

و الایرانیون أیضا لم یکونوا أحسن حالا:

و لم یکن حال الایرانیین من هذه الجههٔ بأفضل من حال أهل العراق.

و یـذکره الجاحظ: أن المأمون ولی محمود بن عبـد الکریم التصـنیف «فتحامل علی الناس، و اسـتعمل فیهم الأحقاد و الـدمن؛ فخفض الأرزاق، و أسـقط الخواص، و بعث فی الکور، و أنحی علی أهل الشـرف و البیوتات، حسدا لهم، و إشـفاء لغلیل صاحبه منهم، فقصـد لهم بـالمکروه و التعنت فـامتنعت طائفـهٔ من النـاس من التقـدم إلی العطاء، و ترکوا أسـماءهم، و طائفـهٔ انتـدبوا مع طـاهر بن الحسـین بخراسان، فسقط بذلک السبب بشر کثیر ...» «۲».

یقول الجنرال جلوب و هو یتحـدث عن المأمون: «... و راح یلقی خطبته الاولی فی الناس؛ فیعدهم بأن یکون حکمه فیهم طبقا للشـرع،

و أن يكرس نفسه لخدمة اللّه وحده. و قد أثارت هذه الوعود التقية حماسة عند الناس. و كانت من أهم أسباب انتصاره. لكن هذه الوعود ما لبثت أن تحولت إلى فجيعة نزلت بالناس؛ إذ أن الخليفة ما لبث أن نسيها ...» «۳».

---

(۱) الحضارة الاسلامية فی القرن الرابع الهجری، لآدم متز ج ۱ ص ۲۳۲.

(۲) رسائل الجاحظ ج ۲ ص ۲۰۷- ۲۰۸.

(۳) امبراطورية العرب، ترجمة، و تعليق خيری حماد ص ۵۷۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۸۰

و يكفی أن نشير هنا إلی المجاعة التی أصابت أهل خراسان، و الری، و أصبهان، و عزّ الطعام، و وقع الموت، و ذلك فی سنة ۲۰۱ للهجرة ...

المأمون مع الرعية عموما:

و عن حالة المأمون العامة مع الناس يقول فان فلوتن:

«... و لم يكن جور النظام العباسی و عسفه، منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الاموی المختل. و تذكرنا شراهة المنصور، و الرشيد، و المأمون، و جشعهم، و جور أولاد علی بن عيسی، و عبثهم بأموال المسلمين بزمن الحجاج، و هشام، و يوسف بن عمر الثقفی. و لدينا البراهين الكثيرة علی فجيعة الناس فی هذا العرش الجديد، و مقدار انخداعهم به ...»، ثم يضرب أمثلة من الخارجين علی سياسات العباسيين تلك، ثم يقول: «... كل ذلك يبين أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور و العسف لم يزل علی ما كان عليه فی عهد بنی أمية الأول ...» «۱».

قال ابن الجراح: إن ابراهيم بن المهدی كان: «يرمی المأمون بأمه «۲»، و إخوته، و أخواته، و من أيسر ذلك قوله:

صدّ عن توبة و عن إخباتو لها بالمجون و القينات

ما يبالی إذا خلا بأبی عيسی و سرب من بدّن أخوات

أن يغص المظلوم فی حومة الجور بداء بين الحشا و اللهاة «۳»

---

(۱) السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات ص ۱۳۲.

(۲) و لكن أمه كانت قد ماتت أيام نفاسها به!!. و لعله يريد أن أمه كانت متهمة، فكان يعير بها ...

(۳) الورقة، لابن الجراح ص ۲۱، و لا بأس بمراجعة كتاب: أشعار أولاد الخلفاء.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۸۱

و ما يهمنا هنا هو البيت الأخير، أما ما قبله، فلا نملك إلا أن نقول: «أهل البيت أدری بالذی فيه ...» ...

و علی كل حال ... فإننا لا نستغرب علی المأمون صفة الظلم و العسف و الجور ... بعد أن رأينا أنه عند ما عرضت عليه سيرة أبی بكر، و عمر، و عثمان، و علی (ع)، يأبی أن يأخذ بها جميعا، لأنه كان يجد فی آخر كل منها: أنهم كانوا يأخذون الأموال من وجوهها، و يضعونها فی حقوقها. لكنه قبل سيرة معاوية، الذی أراد الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكره بخير؛ لأن فی آخرها يقول: إنه كان يأخذ الأموال من وجوهها، و يضعها كيف شاء ...، و قال المأمون حينئذ: «إن كان فهذا «۱»»!! و فی رسالة عبد اللّه بن موسی للمأمون نفسه ما فيه الكفاية فلتراجع فی أواخر هذا الكتاب.

و ما ذا بعد الوصول إلی الحكم:

و هكـذا ... فإن المأمون كان يحسب أنه إذا قتل أخاه، و تخلص من من أشـياعه و مساعـديه، و بعـد أن تؤتى الحملـة الدعائيـة ضدهم ثمارها- كان يحسب و يقـدر- أن الطريق يكون قد مهد له للاسـتقرار فى الحكم، و أنه سوف يسـتطيع بعد هذا أن يطمئن، و ينام قرير العين.

و لكن فأله قـد خاب، و انقلبت ماجريات الامور فى غير صالحه؛ فإن الايرانيين قـد: «انفضوا بعـد الحرب الأهليـة المفجعة بين الأمين و المأمون، عن

---

(۱) المحاسن و المساوى للبيهقى ص ۴۹۵.

تأييد العباسـيين ..» «۱». انفضـوا عنه ليمنحوا العلويين عطفهم و محبتهم، و تأييـدهم؛ لأنـهم يعرفون أنهم هم الـذين يقيمون العـدل، و يعملون بشـريعة اللّه- و ما موقف نيسابور، و صـلاتى العيد، إلا الدليل الواضح و القاطع على تلك العاطفة، و ذلك الحب و التقدير. و أيضـا انفضوا عنه لأنه قـد كشف لهم عن وجهه الحقيقى، و عرفهم بواقعه الأنانى البشع، و خصوصا بعـد أن عانوا ما عانوا هم و غيرهم من صنوف الظلم و الجور و الاضطهاد، فى ظل نظام الحكم الذى طالما عملوا من أجله، و ضحوا فى سبيله ...

و حتى لو أنهم كانوا لا يزالون على تأييـدهم له، فإنه لا يسـتطيع بعد هذا أن يعتمد على ذلك التأييد، و على ثقتهم به طويلا؛ فإنه كان من السـهل- بعد أن فعل بأخيه و أشـياعه، و غيرهم، ما فعل- أن يكتشـفوا أن ذلك منه ما كان إلا سياسة و دهاء ... كما أنه أصبح من الصـعب عليهـم- بعـد تجربتهم الاولى معه، و مع و عوده، التى مـا أسـرع مـا نسـيها- أن يقتنعوا منه بالأقوال التى لا تـدعمها الأفعال، و لسوف لا يطمئنون إليه، و لن ينقادوا له- بعد هذا- بالسهولة التى كان يتوقعها ...

الموقف الصعب:

كانت تلك لمحة خاطفة عن موقف العباسيين، و العرب تجاه المأمون.

ذلك الموقف، الذى كان يزداد حساسية و تعقيدا، يوما عن يوم.

أضف إلى ذلك أيضا الخطر الـذى كان يكمن فى موقف الخراسانيين، الذين رفعوا المأمون على العرش، و سـلموا إليه أزمة الحكم و السلطان ...

و إذا ما أضفنا إلى ذلك كله، موقف العلويين، الذين اغتنموا فرصة

---

(۱) امبراطورية العرب ص ۶۴۹.

الصـدام بينه و بين أخيه، لتجميع صـفوفهم، و مضاعفة نشاطاتهم، فلسوف تكتمل أمامنا ملامح الصورة لحقيقة الوضع و الظروف، التى كـان يعـانى منها المأمون، و نظام حكمه آنـذاك ... سيما و نحن نراه فى مواجهـة تلك الثورات العارمـة، و بالأخص ثورات العلويين أقوى خصوم الدولة العباسية، و التى كانت تظهر من كل جانب و مكان، و كل ناحية من نواحى مملكته ...

ثورات العلويين ... و غيرهم:

فأبو السّرايا- الذى كان يوما ما من حزب المأمون «۱»- خرج بالكوفة. و كان هو و أتباعه لا يلقون جيشا إلا هزموه، و لا يتوجهون إلى

بلدة إلا دخلوها «۲».

و يقال: إنه قد قتل من أصحاب السلطان، فى حرب أبى السرايا فقط، مائتا ألف رجل، مع أن مدته من يوم خروجه إلى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة أشهر «۳».

و حتى البصرة، معقل العثمانية «۴»، قد أيدت العلويين، و نصرتهم؛

---

(۱) ففى الطبرى ج ۱۰ ص ۲۳۶، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۵، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۷۹، طبعة ثالثة: أن المأمون قال لهرثمة: «مالأت أهل الكوفة، و العلويين، و داهنت، و دسست إلى أبى السرايا، حتى خرج، و عمل ما عمل، و كان رجلا من أصحابك إلخ ...». و اتهام هرثمة بهذا مهم فيما نحن فيه أيضا.

(۲) ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۴، و مقاتل الطالبيين ص ۵۳۵.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۵۵۰، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۳۴۵.

(۴) الصلة بين التصوف و التشيع ص ۱۷۳، و سيأتى كلام محمد بن على العباسى، المتعلق بهذا الموضوع، عن قريب ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ۱۸۴ ثورات العلويين... و غيرهم: ..... ص : ۱۸۳

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۸۴

فقد خرج فيها زيد النار «۱»، و معه على بن محمد، كما خرج منها من قبل على المنصور ابراهيم بن عبد اللّه ...

و فى مكة، و نواحى الحجاز: خرج محمد بن جعفر، الذى كان يلقب ب: «الديباج» و تسمى ب: «أمير المؤمنين» «۲» ...

و فى اليمن: ابراهيم بن موسى بن جعفر ...

و فى المدينة: خرج محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن بن الحسين، ابن على بن أبى طالب ...

و فى واسط: التى كان قسم كبير منها يميل إلى العثمانية- خرج جعفر ابن محمد، بن زيد بن على. و الحسين بن ابراهيم، بن الحسن بن على ...

و فى المدائن: محمد بن اسماعيل بن محمد ...

بل إنك قد لا تجد قطرا، إلا و فيه علوى يمنى نفسه، أو يمنيه الناس بالثورة ضد العباسيين- حسبما نص عليه بعض المؤرخين- حتى لقد اتجه أهل الجزيرة، و الشام، المعروفة بتعاطفها مع الامويين،

---

(۱) سمى بذلك؛ لانه حرق دور العباسيين فى البصرة بالنار، و كان إذا اتى برجل من المسودة، أحرقه بثيابه ... على ما ذكره الطبرى ج ۱۱ ص ۹۸۶، طبع ليدن، و الكامل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۷۷، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۴، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۳۴۶.

و فى الروايات أن الرضا عليه السلام أظهر الاستياء من فعل أخيه زيد. و لعل سبب ذلك أنه بالاضافة إلى أنه أقدم فى ثورته على أعمال تنافى أحكام الدين، و تضر إضرارا بالغا بقضية العلويين العادلة ... كان يمالىء الزيدية، ... أو لأنه أراد إبعاد شر المأمون عن زيد، و ابعاد التهمة عن نفسه؛ بأنه هو المدبر لأمر أخيه أو لعل كل ذلك قد قصد ...

(۲) و ليس فى العلويين- باستثناء الامام على (ع) طبعا- قبله، و لا بعده، من تسمى ب «أمير المؤمنين» غيره؛ كما فى مروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۹.

و «الديباجة» لقب لأكثر من واحد من العلويين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۸۵

و آل مروان ... إلى محمد بن محمد العلوى، صاحب أبى السرايا؛ فكتبوا إليه: أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولا؛ ليسمعوا له، و

يطيعوا «۱» ...

و أما ثورات غير العلويين، فكثيرة أيضا، و قد كان من بينها ما يدعو إلى: «الرضا من آل محمد»، كثورة الحسن الهرش سنة ۱۹۸ «۲» ه. و سواها و لا مجال لنا هنا للتعرض إليها. و من أرادها فعليه بمراجعة الكتب التاريخية المعترضة لها «۳» ...

الزعيم العباسی الأول یعترف:

هذا مع أن أكثر تلك الأقطار لم تكن تؤيد العلويين، و لا تدين لهم بالولاء باعتراف الزعيم العباسی الأول: محمد بن علی بن عبد اللّه، والد ابراهيم الامام، حيث قال لدعاته:

«... أما الكوفة و سوادها: فهناك شيعة علی، و ولده. و أما البصرة، و سوادها: فعثمانية، تدين بالكف. و أما الجزيرة: فحرورية مارقة،

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۵۳۴ ... راجع فی بيان ثورات العلويين: البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۴، إلی ص ۲۴۷، و اليعقوبی ج ۳ ص ۱۷۳، ۱۷۴، و مروج الذهب ج ۳ ص ۴۳۹، ۴۴۰، و مقاتل الطالبيين، و الطبری، و ابن الأثير، و أی كتاب تاريخی شئت؛ لتری كيف أن الثورات فی الفترة الاولی من عهد المأمون، قد عمت جميع الأقطار و الامصار ...

(۲) البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۴، و الطبری ج ۱۱ ص ۹۷۵، طبع ليدن.

(۳) و قد تغلب حاتم بن هرثمة علی أرمينية، و كان هو السبب فی خروج بابک الخرمی.

و تغلب نصر بن شبث علی كيسوم، و سميساط، و ما جاورها، و عبر الفرات إلی الجانب الشرقی، و كثرت جموعه، و لم يستسلم إلا فی سنة ۲۰۷ ه. و هناک أيضا حركات الزط. و ثورة بابک، و ثورة المصريين التی كانت بين القيسية المناصرة للأمين و اليمانية المناصرة للمأمون. إلی غير ذلک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۸۶

و أعراب كأعلاج، و مسلمون أخلاقهم كأخلاق النصاری. و أما الشام:

فليس يعرفون إلا آل أبی سفيان، و طاعة بنی مروان، عداوة راسخة، و جهل متراكم. و أما مكة و المدينة: فغلب عليهما أبو بكر، و عمر؛ و لكن عليكم بأهل خراسان الخ ...» «۱».

و نقل عن الأصمعی أيضا كلام قريب من هذا «۲» ...

دلالة هامة:

و من بعض ما قدمناه فی الفصول المتقدمة، سيما فصل: موقف العباسيين من العلويين، و أيضا مما ذكرناه هنا نستطيع أن نستكشف أن حق العلويين بالخلافة و الحكم، قد أصبح من الامور المسلمة لدی الناس، فی القرن الثانی، الذی يعد من خير القرون ... حيث لم تكن عقيدة عامة الناس قد استقرت بعد علی هذه العقيدة المتداولة لدی أهل السنة اليوم، و التی أشرنا إلی أنها العقيدة التی وضع أسسها معاوية ... و عليه ...

فما يدعيه أهل السنة اليوم من أن عقيدتهم فی الخلافة قد وصلت إليهم يدا بيد، إلی عصر النبی (ص) غير صحيح علی الاطلاق. بل إن الشيخ محمد عبده يری: ان رسوخ عقيدة «ان حق الخلافة لأهل البيت، و شيوع ذلک فی العرب خاصة». هو الذی دعا المعتصم إلی تشييد ملكه علی الترک، و غيرهم من العجم، يقول الشيخ محمد عبده: «كان الإسلام دينا عربيا، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا، بعد أن كان

(۱) البلدان للهمدانی ج ۲ ص ۳۵۲، و أحسن التقاسیم للمقدسی ص ۲۹۳، و عیون الأخبار لابن قتیبة ج ۱ ص ۲۰۴، و السیادة العربیة، و الشیعة و الاسرائیلیات ص ۹۳، و لا بأس بمراجعة: الحضارة الاسلامیة فی القرن الرابع الهجری ج ۱ ص ۱۰۲.

(۲) روض الأخیار، المنتخب من ربیع الأبرار ص ۶۷، و العقد الفرید، طبع دار الکتاب العربی ج ۶ ص ۲۴۸.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۸۷

یونانیا، ثم أخطأ خلیفة فی السیاسة، فاتخذ من سعة الإسلام سبیلا إلی ما کان یظنه خیرا: ظن أن الجیش العربی قد یکون عونا لخلیفة علوی؛ لأن العلوی الصق ببیت النبی (ص)؛ فأراد أن یتخذ له جیشا أجنبیا من الترک و الدیلم و غیرهم من الامم التی ظن أنه یستعبدها بسلطانه، و یصطنعها باحسانه؛ فلا تساعد الخارج علیه، و لا تعین طالب مکانه من الملک ...» «۱».

عود علی بدء:

و علی کل حال ... فإننا إذا أردنا تقییم تلک الثورات، التی کانت تواجه الحکم العباسی، فإننا سوف نجد: أن ما کان یکمن فیه الخطر الحقیقی هو ثورات العلویین، لانها کانت تظهر فی مناطق حساسة جدا فی الدولة؛ و لأنها کانت بقیادة أولئک الذین یمتلکون من قوة الحجة، و الجدارة الحقیقیة، ما لیس لبنی العباس فیه أدنی نصیب ...

و کان فی تأیید الناس لهم، و استجابتهم السریعة لدعوتهم دلالة واضحة علی شعور الامة، بمختلف طبقاتها، و فئاتها تجاه حکم العباسیین، و نوعیة تفکیرها تجاه خلافتهم، و علی مدی الغضب الذی کان یستبد بالنفوس؛ نتیجة استهتار العباسیین، و ظلمهم، و سیاساتهم الرعناء، مع الناس عامة، و مع العلویین بشکل خاص ...

و قد کان المأمون یعلم أکثر من أی شخص آخر، کم سوف یکون حجم الکارثة، لو تحرک الإمام الرضا- الذی اهتبل فرصة الحرب بینه و بین أخیه، لتحکیم مرکزه، و بسط نفوذه ضد الحکم القائم ...

---

(۱) الاسلام و النصرانیة للشیخ محمد عبده.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۸۸

الناس لم یبایعوا المأمون کلهم بعد:

و بعد کل ما تقدم ... فإن من الأهمیة بمکان، أن نشیر هنا، إلی أن العلویین، و قسما کبیرا من الناس، بل و عامة المسلمین، لم یکونوا قد بایعوا المأمون أصلا:

فأما أهل بغداد؛ فحالهم فی الخلاف علیه أشهر من أن یذکر، و قد قدمنا فی أول هذا الفصل عبارته فی رسالته، التی کان قد أرسلها للعباسیین فی بغداد ...

و أما أهل الکوفة- التی کانت دائما شیعة علی و ولده- فلم یبایعوا له، بل بقوا علی الخلاف علیه، إلی أن ذهب أخو الإمام الرضا (ع)!! العباس بن موسی، یدعوهم، فقعدوا عنه، و لم یجبه إلا البعض منهم؛ و قالوا: «إن کنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخیک؛ فلا حاجة لنا فی دعوتک، و إن کنت تدعو إلی أخیک، أو بعض أهل بیتک، أو إلی نفسک؛ أجبناک ...» «۱».

و یلاحظ هنا: کیف قد اختیر رجل علوی، و أخو الإمام الرضا (ع) بالذات؛ لیرسل إلی الکوفة، المعروفة بالتشیع للعلویین ... و یلاحظ أیضا:

أن رفضهم الاستجابة له، إنما کان لأجل أن الدعوة تتضمن الدعوة للمأمون العباسی.

و أما أهل المدینة، و مکة، و البصرة، و سائر المناطق الحساسة فی

(۱) الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۱۹۰، و تجارب الامم ج ۶ المطبوع مع العیون و الحدائق ص ۴۳۹. و فی تاریخ الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۲۰، طبع لیدن، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۸: أنه قد أجابه قوم کثیر منهم، و لکن قعد عنه الشیعة و آخرون ...
لکن ظاهر حال الکوفة التی کانت دائما شیعة علی و ولده هو أن المجیبین له کانوا قلة ...
کما ذکر ابن الأثیر.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۸۹

الدولة، فقد تقدم ما یدل علی حقیقة موقفهم منه، و من نظام حکمه ...

و قد کتب المأمون نفسه بخط یده، فی وثیقة العهد للامام یقول:

«... و دعا أمیر المؤمنین ولده، و أهل بیته، و قواده، و خدمه؛ فبایعوا مسارعین ... إلی أن قال: فبایعوا معشر أهل بیت أمیر المؤمنین، و من بالمدینة المحروسة، من قواده، و جنده، و عامة المسلمین لأمیر المؤمنین، و للرضا من بعده، علی بن موسی ...» و الوثیقة مذکورة فی أواخر هذا الکتاب.

فقوله: «لأمیر المؤمنین، و للرضا من بعده ...» یدل دلالة واضحة علی أن عامة المسلمین ما کانوا قد بایعوا بعد: «لأمیر المؤمنین»، فضلا عن: «أهل المدینة المحروسة ...».

و حتی لو أنهم کانوا قد بایعوا له؛ فان بیعتهم هذه، وجودها کعدمها؛ إذ أن عصیانهم، و تمردهم علیه، و علی حکمه، لم یکن لیخفی علی أحد ... بعد ما قدمناه من ثوراتهم تلک، التی کانت تظهر من کل جانب و مکان، و کان کلما قضی علی واحدة منها تظهر أخری داعیة لما کانت تدعو إلیه تلک، أی إلی: «الرضا من آل محمد»، أو إلی أحد العلویین، الذین یشاهد المأمون عن کثب قدرتهم، و قوتهم، و نفوذهم الذی کان یتزاید باستمرار یوما عن یوم ... و لم تستقم له فی الحقیقة سوی خراسان ...

نعم بعد أن عاد إلی بغداد، و کان قد قوی أمره، و اتسع نفوذه، بدأ الناس یبایعونه فی الاقطار، و یتعللون بأن امتناعهم إنما کان ظاهریا، و أنهم کانوا فی السر معه، و علی ولائه، علی ما صرح به الیعقوبی فی تاریخه ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۰

المأمون یدرک حراجة الموقف:

تلک هی باختصار حالة الحکم العباسی بشکل عام، و حالة المأمون، و ظروفه فی الحکم بشکل خاص ... فی تلک الفترة من الزمن ... و قد اتضح لنا بجلاء: أن الوضع کان بالنسبة إلی المأمون، و نظام حکمه، قد ازداد سوءا، بعد وصول المأمون إلی الحکم، و تضاعفت الأخطار، التی کان یواجهها، و أصبح- هو و عرشه- فی مهب الریح، و تحت رحمة الأنواء ... و إذا کان لیس من الصعب علینا: أن نتصور مدی الخطر الذی کان یتهدد المأمون، و خلافته، و بالتالی مستقبل الخلافة العباسیة بشکل عام ... فإنه من الطبیعی أن لا یکون من الصعب علی المأمون أفعی الدهاء و السیاسة أن یدرک- بعمق، إلی أی حد کان مرکزه ضعیفا، و موقفه حرجا؛ حیث إنه هو الذی کان یعیش- أکثر من أی إنسان آخر- فی ذلک الخضم الزاخر بالمشاکل، و المتاعب، و الأخطار.

و خصوصا و هو یواجه الثورات، و بالأخص ثورات العلویین، أقوی خصوم الدولة العباسیة، تظهر من کل جانب و مکان، و کل ناحیة من نواحی مملکته ... کما أنه لم یکن لیصعب علیه أن یدرک أن الکثیر من المشاکل التی یعانی منها إنما کان نتیجة السیاسات الرعناء، التی انتهجها اسلافه، مع الناس عامة، و مع العلویین خاصة. و أن یدرک أن الاستمرار فی تلک السیاسة. أو حتی مجرد الإهمال، و التوانی فی علاج الوضع، سوف یکون من ابسط نتائجه أن تلقی خلافة العباسیین علی ایدی العلویین نفس المصیر الذی لقیته خلافة الامویین علی أیدی أسلافه من قبل ...

ما ذا یمکن للمأمون أن یفعل:

و لکن ... و بعد أن نجح المأمون فی الوصول إلی ما کان یتمناه، و هو

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۱

الحکم و السلطان، و إذا کان لا یرضی به بنو أبیه، و لا العلویون، و لا العرب، و إذا کان حتی غیر العرب، ضعفت ثقتهم به، و تزعزع مرکزه فی نفوسهم.

و أیضا ... إذا کانت ثورات العلویین، فضلا عن غیرهم ... تظهر من کل جانب و مکان ... و إذا کان الکثیرون، بل عامة المسلمین لم یبایعوا له بعد ... و هکذا إلی آخر ما تقدم ... فهل یمکن للمأمون أن یقف تجاه کل تلک العواصف، و الانواء التی تتهدده، و نظام حکمه، مکتوف الیدین؟!.

و ما ذا یمکن للمأمون بعد هذا أن یفعل، لیبقی محتفظا بالحکم و السلطان، الذی هو أعز ما فی الوجود علیه؟! ...

هذا- ما سوف نحاول الاجابة علیه فی الفصل التالی.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۲

ظروف البیعة و أسبابها

إنقاذ الموقف!!. کیف؟!

قد قدمنا فی الفصل السابق لمحة عن ظروف المأمون فی الحکم، و أشرنا إلی أن الوضع کان یزداد سوءا یوما عن یوم ... و إلی أنه کان لا بد للمأمون من التحرک، و العمل بسرعة، شرط أن لا یزید الفتق اتساعا، و الطین بلة ... و أن یستعمل کل ما لدیه من حنکة و دهاء، فی سبیل انقاذ نفسه، و نظام حکمه، و خلافة العباسیین بشکل عام ...

و کان المأمون یدرک: أن إنقاذ الموقف یتوقف علی:

۱- إخماد ثورات العلویین، الذین کانوا یتمتعون بالاحترام و التقدیر، و لهم نفوذ واسع فی جمیع الفئات و الطبقات ...

۲- أن یحصل من العلویین علی اعتراف بشرعیة خلافة العباسیین، و لیکون بذلک قد افقدهم سلاحا قویا، لن یقر له قرار، إلا إذا افقدهم إیاه ...

۳- استئصال هذا العطف، و ذلک التقدیر و الاحترام، الذی کانوا یتمتعون به، و کان یزداد یوما عن یوم- استئصاله- من نفوس الناس نهائیا، و العمل علی تشویهم أمام الرأی العام، بالطرق، و الأسالیب

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۳

التی لا تثیر الکثیر من الشکوک و الشبهات؛ حتی لا یقدرون بعد ذلک علی أی تحرک؛ و لا یجدون المؤیدین لأیة دعوة لهم؛ و لیکون القضاء علیهم بعد ذلک نهائیا- سهلا و میسورا ...

۴- اکتساب ثقة العرب و محبتهم ...

۵- استمرار تأیید الخراسانیین، و عامة الایرانیین له.

۶- إرضاء العباسیین، و المتشیعین لهم، من أعداء العلویین.

۷- تعزیز ثقة الناس بشخص المأمون، الذی کان لقتله أخاه أثر سیّئ علی سمعته، و ثقة الناس به ...

۸- و أخیرا ... أن یأمن الخطر الذی کان یتهدده من تلک الشخصیة الفذة، التی کانت تملأ جوانبه فرقا، و رعبا. و أن یتحاشی الصدام المسلح معها. ألا و هی شخصیة الإمام الرضا (ع)، و أن یمهد الطریق للتخلص منها، و القضاء علیها، قضاء مبرما، و نهائیا ...

لا بد من الاعتماد على النفس:

و بعد هذا ... فإن من الواضح أن المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنه:

لم يكن يستطيع أن يستعين فى مواجهة تلك المشاكل بالعباسيين، بنى أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه، العزيز عليهم، و على العرب، و بعد مواقفه، التى تقدم بيان جانب منها تجاههم ... و أيضا ...

بعد أن كانوا لا يثقون به، و لا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه ...

و الأهم من ذلك أنه لم يكن فيهم الرجال الكفاة، الذين يستطيع

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:١٩۴

أن يعتمد عليهم «١». يدلنا على ذلك أنهم بعد أن ثاروا على المأمون، بسبب بيعته للرضا عليه السلام، لم يجدوا فيهم شخصا أعظم، و أكفأ من ابن شكلة المغنى، فبايعوه، مع أنه من أصحاب المزامير و البرابط ...

و فيه يقول دعبل:

نعر ابن شكلة بالعراق و أهلهفهفا إليه كل أطلس مائق

إن كان ابراهيم مضطلعا بهافلتصلحن من بعده لمخارق

و لتصلحن من بعد ذاك لزلزلو لتصلحن من بعده للمارق

أنى يكون، و ليس ذاك بكائن‌يرث الخلافة فاسق عن فاسق «٢» كما أنه عند ما أصبح ابراهيم هذا خليفة، قال بعض الأعراب، عند ما جاء الخبر بأنه: لا مال عند الخليفة ليعطى الجند، الذين ألحوا فى طلب اعطياتهم، قال: «فليخرج الخليفة إلينا، فليغن لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتكون عطاءهم، و لأهل هذا الجانب مثلها ...»

فقال فى ذلك دعبل- شاعر المأمون- يذم ابراهيم بن المهدى:

يا معشر الاجناد لا تقنطواخذوا عطاياكم، و لا تسخطوا

فسوف يعطيكم حنينيةلا تدخل الكيس، و لا تربط

و المعبديات لقوادكمو ما بها من أحد يغبط

فهكذا يرزق أصحابه‌خليفة مصحفه البربط «٣»

---

(١) و قد كان بينهم الكثيرون فى أول عهد الدولة العباسية ... و نقصد ب «الكفاءة» هنا: الكفاءة الظاهرية، التى يقرها منطق الجبارين المتغطرسين. لا الكفاءة الحقيقية التى يريدها اللّه، و جاء بها محمد. و قد أشرنا إلى ذلك من قبل.

(٢) وفيات الأعيان، طبع سنة ١٣١٠ ه ج ١ ص ٨ و الورقة لابن الجراح ص ٢٢، و معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠۵، و الشعر و الشعراء ص ۵۴١، و الكنى و الألقاب ج ١ ص ٣٣٠، و الأطلس: هو الرجل يرمى بالقبيح ...

(٣) معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠۵، ٢٠۶، و شرح ميمية أبى فراس ص ٢٨١، و البداية و النهاية ج ١٠ ص ٢٩٠، و البحار ج ۴٩ ص ١۴٣، و الغدير ج ٢ ص

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:١٩۵

و إذا كان لا يستطيع أن يستعين ببنى أبيه العباسيين، فبالأحرى أن لا يستطيع أن يستعين على حلّ مشاكله بالعلويين، و المتشيعين لهم، بعد أن كانوا هم أساس البلاء و العناء له، و الذين يخلقون له أعظم المشاكل، و يضعون فى طريق حكمه أشق العقبات ...

و أما العرب: فهو أعرف الناس بحقيقة موقفهم منه ...

و الخراسانيون: لا يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته و واقعه الانانى البشع، بقتله أخاه، و إبعاده طاهرا بن الحسين، مشيد أركان حكمه، عن مسرح السياسة: «و لقد ذكره الرضا بذلك، عند ما استعرض معه حقيقة الوضع القائم آنذاك ...».

ثم هناك ما تعرضوا له من ظلم و حيف

أى الاساليب أنجع:

و بعد ذلك ... فانه من الواضح أنه:

لم يكن لينقذ الموقف القسوة و العنف، و هو الذى يعانى المأمون من نتائجه السيئة ما يعانى ...

و لا المنطق و الحجاج، لأن العلويين - بناء على ما شاع عند الامة، بتشجيع من خلفائها، من أن السبب فى استحقاق الخلافة، هو القربى النسبية منه (ص)- إن العلويين بناء على هذا: أقوى حجة من العباسيين، لأنهم يمتلكون اعترافا صريحا منهم بأن المستحق للخلافة هو

۳۷۷، و الأغانى ج ۱۸ ص ۶۸، و ص ۱۰۱ طبع دار الفكر، و الورقة لابن الجراح ص ۲۲، و نزهة الجليس ج ۱ ص ۴۰۴، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶.

و الحنينيات: منسوبة إلى حنين النجفى العبادى، المغنى المشهور. و المعبديات:

منسوبة إلى معبد المغنى المشهور. و البربط: ملهاة، تشبه العود. و هو فارسى معرب. و أصله: بربت؛ لأن الضارب يضعه على صدره ... انتهى عن نزهة الجليس ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۱۹۶

الأقرب نسبا إلى النبى (ص) ...

هذا ... و إذا ما أراد العباسيون، أو غيرهم الاحتجاج بالأهلية و الجدارة لقيادة الامة، فان العلويين لا يدانيهم أحد فى ذلك، و ذلك لما كانوا يتمتعون به من الجدارة و الاهلية الذاتية لقيادة الامة قيادة صالحة و سليمة ...

و أما النص فمن هو ذلك الذى يجرأ على الاستدلال به، و هو يرى أنه كله فى صالح آل على، و أئمة أهل البيت منهم بالخصوص.

و هكذا ... نرى و يرى المأمون: أنه لم يكن لينقذ الموقف أى من تلك الأساليب، و لا غيرها من الطرق و الاساليب الملتوية، و اللاإنسانية، التى اتبعها أسلافة من قبل ...

و إذن ... فلا بد و أن يعود السؤال الأول ليطرح نفسه بكل جدية.

و السؤال هو: ما ذا يمكن للمأمون إذن أن يفعل؟! و كيف يقوى من دعائم حكمه، الذى هو بالنسبة إليه كل شىء، و ليس قبله، و لا بعده شيء ... حتى لا يطمع فيه طامع، و لا تزعزعه العواصف، و لا تنال منه الأنواء، مهما كانت هو جاء و عاتية؟! ...

خطة المأمون:

اشارة

و كان أن اتبع المأمون من أجل انقاذ موقفه، الذى عرفت أنه يتوقف على نقاط ثمانية ... و من أجل الاحتفاظ بالخلافة لنفسه، و أن تبقى فى بنى أبيه- كان أن اتبع- أسلوبا جديدا، و غريبا، لم يكن مألوفا، و لا معروفا من قبل ... و أحسب أنه لم يتوصل إليه إلا بعد

تفکیر طویل، و تقییم عام و شامل للوضع الذی کان یعیشه، و المشاکل التی کان یواجهها ...

لقد کانت خطته غریبة و فریدة من نوعها، و کانت فی غایة الاتقان، و الاحکام فی نظره ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۷

فبینما نراه من جهة:

لا یذکر أحدا من الخلفاء، و لا غیرهم من الصحابة بسوء، بل هو یتخرج حتی من المساس بغیر الصحابة، و حتی بأولئک الذین کان حالهم فی الخروج علی الدین، و تعالیم الشریعة، معروفا و مشهورا «کالحجاج ابن یوسف»! و ذلک من أجل أن لا یثیر عواطف أولئک الذین یلتقی معهم فکریا و سیاسیا، و مصلحیا. و الذین سوف یکونون له فی المستقبل الدرع الواقی، و الحصن الحصین ...

فاستمع إلیه یقول- کما یروی لنا التغلبی المعاصر له: «... و ظنوا أنه لا یجوز تفضیل علی إلا بانتقاص غیره من السلف! و اللّه، ما أستجیز أن أنتقص الحجاج بن یوسف؛ فکیف بالسلف الطیب؟!» «۱».

و کذلک نراه یرکن إلی رأی یحیی بن أکثم، الذی قال له- عند ما أراد الاعلان بسبب معاویة علی المنابر-: «و الرأی أن تدع الناس کلهم علی ما هم علیه، و لا تظهر أنک تمیل إلی فرقة من الفرق؛ فإن ذلک أصلح فی السیاسة، و أحری فی التدبیر ...»، ثم یدخل علیه ثمامة؛ فیقول له المأمون: «یا ثمامة، قد علمت ما کنا دبرناه فی معاویة.

و قد عارضنا رأی هو أصلح فی تدبیر المملکة، و أبقی ذکرا فی العامة الخ ...» «۲».

و أیضا ... نری شعره الذی یرویه لنا غیر واحد:

أصبح دینی الذی أدین بهو لست منه الغداة معتذرا

حب علی بعد النبی و لاأشتم صدیقا و لا عمرا

---

(۱) عصر المأمون ج ۱ ص ۳۶۹، نقلا عن: تاریخ بغداد، لابن طیفور ج ۶ ص ۷۵.

(۲) المحاسن و المساوی ص ۱۴۱، و ضحی الاسلام ج ۲ ص ۵۸، و ج ۳ ص ۱۵۲، ۱۵۶، و عصر المأمون ج ۱ ص ۳۷۱، و الموفقیات ص ۴۱، و کتاب بغداد ص ۵۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۸ ثم ابن عفان فی الجنان معالابرار ذاک القتیل مصطبرا

ألا و لا أشتم الزبیر و لاطلحة إن قال قائل غدرا

و عائش الام لست أشتمهامن یفتریها فنحن منه برا «۱» و نراه أیضا یتجسس علی عبد اللّه بن طاهر؛ لیعلم: هل له میل إلی آل أبی طالب أولا «۲».

و نراه یقدم علی قتل الرضا (ع)، و إخوته، و آلاف من العلویین غیرهم، و یصدر أمرا لامرائه، و قواده بالقضاء علیهم، و فض جمعهم، بعد أن منعهم من ملاقاته، و من الدخول علیه کما سیأتی.

و نراه کذلک ... یرسل إلی عامله علی مصر، یأمره بغسل المنابر، التی دعی علیها لعلوی (هو الإمام الرضا (ع)) ... إلی غیر ذلک مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه ...

بینما نراه کذلک ...

نراه من جهة ثانیة

یقدم علی الاعلان ببراءة الذمة ممن یذکر معاویة بن أبی سفیان بخیر أی أنه أراد أن یجعل تفضیل علی (ع)، و البراءة من معاویة دینا رسمیا، یحمل الناس کلهم علیه، کما کان الحال بالنسبة لقضیة خلق القرآن ...

و الاعلان بسب معاویة، و إن کان الاقدام علیه فی سنة ۲۱۲ ه.

لکن تفضیله علیا، علی جمیع الخلق، و تقربه لولده، و إظهاره التشیّع

---

(۱) البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۷۷، و فوات الوفیات ج ۱ ص ۲۴۱، ما عدا البیت الرابع.

(۲) الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۹۴، طبع لیدن، و العقد الفرید للملک السعید ص ۸۴، ۸۵.

و تجارب الامم ج ۶ المطبوع مع العیون و الحدائق ص ۴۶۱.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۱۹۹

و الحب لهم «۱» إنما کان من أول أیامه ... یدلنا علی ذلک أمور کثیرة، و یکفی هجاء ابن شکلة له، و هجاؤه لابن شکلة شاهدا علی ذلک ...

فضلا عن الکثیر من الامور الاخری غیره.

ثم نراه بعد ذلک یبیح المتعة، و یصف الخلیفة الثانی، عمر بن

---

(۱) قال فی النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۲۰۱، ۲۰۲، و مثله فی تاریخ الخلفاء للسیوطی ص ۳۰۸، و غیرهما: «أن المأمون کان یبالغ فی التشیع، و یقول: إن أفضل الخلق بعد النبی علی بن أبی طالب. و أمر أن ینادی ببراءة الذمة ممن یذکر معاویة بخیر، لکنه لم یتکلم فی الشیخین بسوء بل کان یترضی عنهما، و یعتقد إمامتهما ...».

و هذا بعینه هو مذهب معتزلة بغداد ابتداء من بشر بن المعتمر، و بشر بن غیاث المریسی و غیرهما من معتزلة بغداد، حتی لقد قال بشر المریسی المعتزلی المعروف علی ما فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۷۹:

قد قال مأموننا و سیدناقولا له فی الکتب تصدیق

إن علیا أعنی أبا حسن‌خیر من قد أقلت النوق

بعد نبی الهدی، و إن لناأعمالنا و القرآن مخلوق و صرح بأنه یذهب مذهب المعتزلة کثیرون، فلیراجع: البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۷۵، و ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۵، و امبراطوریة العرب ص ۶۰۰، و غیرهم، بل لقد قال خیری حماد، فی تعلیقته علی ص ۶۰۱ من امبراطوریة العرب:

«أجمعت کتب التاریخ العربی علی أن المأمون مال إلی الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب إلیه إلخ ...». و یدل علی ذلک أیضا أقوال. و أشعار المأمون المتقدمة ... و لعل وصف بعض المؤرخین له بالتشیع هو الذی أوهم البعض بأن المأمون کان یتشیع بالمعنی المعروف للتشیع، فجزم بذلک، و بدأ یحشد الدلائل، و الشواهد، التی لا تسمن، و لا تغنی من جوع، و قد غفل عن أنهم یقصدون بکلمة «التشیع» المعنی اللغوی، لا المعنی الخاص المعروف الآن ...

و بعد ... فان من الواضح: أن عقیدة المأمون تلک، لم تکن تثمر علی الصعید العملی العام؛ فانه کان من السیاسیین، الذین لا ینطلقون فی سلوکهم، و مواقفهم الخارجیة من منطلقات عقائدیة، و مفاهیم انسانیة ... و انما یکون المنطلق لهم فی مواقفهم، و تصرفاتهم، هو- فقط- مصالحهم الشخصیة، و ما له مساس فی استمرار فرض سلطتهم، و تأکید سیطرتهم ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۰۰

الخطاب ب «جعل» «۱»، أو نحو ذلک ...

و نراه أیضا أنه عند ما سأل أصحابه عن: أنبل من یعلمون نبلا، و أعفهم عفة، فقال له علی بن صالح: «أعرف القصة فی عمر بن الخطاب، فأشاح بوجهه، و أعرض، و ذکر کلاما لیس من جنس هذا الکتاب، فنذکره، إلخ ...» «۲» علی حد تعبیر البیهقی ... و ذکر

طيفور: أن أبا عمر الخطابى دخل على المأمون؛ فتذاكروا عمر بن الخطاب فقال المأمون: إلا ـ أنه غصبنا، فقال له أبو عمر يا أمير المؤمنين، يكون الغصب الا بحق يد فهل كانت لكم يد، قال فسكت المأمون عنه، و احتملها له «۳».

و لكن اعتراض الخطابى اعتراض بارد و توجيه فاسد فهل الخلافة من الأموال؟ أم هى حق جعله اللّه لهم؟ و لا ندرى سر سكون المأمون عنه، و احتماله منه، إلا ما قدمناه ...

بل إن الأهم من ذلك كله ... أننا نراه يصف الخلفاء الثلاثة، و غيرهم من الصحابة بأنهم: «ملحدين»، ناسيا، أو متناسيا كل أقواله السابقة، و خصوصا شعره، و قوله: إنه يتحرج حتى من تنقص

---

(۱) وفيات الأعيان ترجمة يحيى بن أكثم ج ۲/ ۲۱۸ ط سنة ۱۳۱۰ ه. و السيرة الحلبية ج ۳/ ۴۶ و النص و الاجتهاد ص ۱۹۳، و فى قاموس الرجال ج ۹/ ۳۹۷، نقلا ـ عن الخطيب فى تاريخ بغداد: أنه كان يقول: «و من أنت يا أحول الخ ...»، و لا يخفى أنهم أرادوا تلطيف العبارة بقدر المستطاع؛ فحرفوها إلى ما ترى ...

هذا ... و قد يرى البعض: أن تفضيله عليا، و أعلانه بسبب معاوية، و إباحته المتعة، و قوله بخلق القرآن، ليس إلا لإشغال الناس بعضهم ببعض، و صرف الناس عن التفكير بالخلافة، التى هى أعز ما فى الوجود عليه، و التى ضحى من أجلها بأخيه، و أشياعه، و وزرائه، و قواده ... و كذلك من أجل صرف الناس عن أهل البيت عليهم السلام، و ابعادهم عنهم ... و لعل هذا الرأى لا يعدم بعض الشواهد التاريخية، التى تؤيده، و تدعمه.

(۲) المحاسن و المساوى ص ۱۵۰.

(۳) كتاب بغداد ص ۵۱.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۰۱

الحجاج، فكيف بالسلف الطيب، فاستمع إليه يقول، على ما يرويه لنا البيهقى، و الظاهر انها جواب على ابيات ابن شكلة لانها على نفس الروى، و الوزن، و الموضوع- يقول المأمون:

و من غاو يغص على غيظاإذا أدنيت أولاد الوصىّ

يحاول أن نور اللّه يطفىو نور اللّه فى حصن أبىّ

فقلت: أ ليس قد أوتيت علماو بان لك الرشيد من الغوى

و عرفت احتجاجى بالمثانىو بالمعقول و الأثر الجلى «۱»

بأية خلة، و بأى معنىتفضل «ملحدين» على «علىّ»

على أعظم الثقلين حقاو أفضلهم سوى حق النبىّ «۲» بل و زاد على ذلك و ضرب العقيدة التى تقدم أن العباسيين قد اتوا بها لمقابلة العلويين و روجوا لها من أن الحق كان للعباس، و انه أجاز عليا، فصحت خلافته و ذلك بأن اظهر تقديم على على العباس فقد قال السندى بن شاهك للفضل بن الربيع يوما عن المأمون:

«سمعته اليوم قدم على بن أبى طالب على العباس بن عبد المطلب، و ما ظننت أنى أعيش حتى اسمع عباسيا يقول هذا، فقال الفضل له: تعجب من هذا؟ هذا و اللّه كان قول أبيه قبله» «۳». و لكن الظاهر:

أن أباه كان يكتم ذلك حتى خفى على مثل السندى المقرب، لكن الآن قد اضطرت السياسة المأمون إلى الجهر بذلك، و إظهاره.

و هكذا ... فإن المأمون لم يكن يرى أن بين كل تصرفاته المتقدمة أى تناقض، أو منافاة، بل كانت كلها فى نظره صحيحة، و منطقية؛ لأنها كانت فى ظروف مختلفة، و كان لا بد له من مسايرة تلك

---

(۱) القوى خ ل.

(۲) المحاسن و المساوى، طبع دار صادر ص ۶۸. و طبع مصر ج ۱/ ۱۰۵.

(۳) كتاب بغداد ص ۷.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۰۲

الظروف، و الانسجام معها، فلا مانع عنده، من أن يقرب العلويين إليه، و يتظاهر باكرامهم، و تقديرهم ... فى يوم ... ثم منعهم من الدخول عليه، و اضطهادهم، و قتلهم بالسم تارة، و بالسيف أخرى فى يوم آخر ... و هكذا ...

و أيضا ... لا بد من خطوة أخرى.

و لكن ذلك وحده لم يكن كافيا لإخماد ثورات العلويين، و لا لتحقيق كافة الأهداف، التى قدمنا، و سيأتى شطر منها ...

فكانت خطوته التالية غريبة و مثيرة فى نفس الوقت، لكنها إذا ما أخذت الظروف آنذاك بنظر الاعتبار يتضح أنها كانت طبيعية للغاية.

ألجأته إليها الظروف و الأحداث ... و تلك الخطوة هى:

«أخذ البيعة للامام على الرضا عليه السلام بولاية العهد بعده ...»

و جعله أمير بنى هاشم طرا، عباسيهم، و طالبيهم «۱»، و ليس الخضرة ...

لم يبق إلا خيار واحد:

و من نافلة القول هنا: أن نقول: إن ذلك يدل على فهم المأمون للداء؛ مما ساعده على معرفة الدواء، الذى تجرعه المأمون- رغم مرارته القاسية، التى لم تكن لتقاس أبدا بما سوف يعقبها من راحة و طمأنينة و هناء- تجرعه- بكل رضا، و رجولة، و شجاعة ...

إن المأمون- على ما أعتقد- و إن كان قد ثقل عليه أمر البيعة لرجل غريب، و من أسرة هى أقوى و أخطر المنافسين للحكم العباسى فى

---

(۱) غاية الاختصار ص ۶۸.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۰۳

تلك الفترة ... و لكن ما الحيلة له بعد أن لم يعد أمامه أى خيار فى ذلك ...

إلا إذا أراد أن يتغابى أو يتعامى عن ذلك الواقع المزرى الذى وصلت إليه خلافته، التى أصبحت ظلا لا يلبث أن تلتهمه أشعة الشمس المشرقة، فتحوله إلى سراب ...

ما الحيلة له ... بعد أن رأى أنه لن تنقاد له الرعية و القواد، و لن تستقيم له الامور إلا إذا أقدم على مثل تلك اللعبة الجريئة ...

و لقد صرح المأمون نفسه للريان، بعد أن أخبره الريان بأن الناس يقولون: بأن البيعة للامام كانت من تدبير الفضل بن سهل- صرح بقوله: «... و يحك يا ريان، أ يجسر أحد أن يجىء إلى خليفة، قد استقامت له الرعية، و القواد. و استوت له الخلافة؛ فيقول له: ادفع الخلافة من يدك الى غيرك؟. أ يجوز هذا فى العقل؟! «۱» ...».

مع رسالة الفضل بن سهل للامام:

و كاتب الامام، و ألح عليه، و كاتبه الفضل بن سهل أيضا ... و بما أن فى رسالة الفضل مواضع جديرة بالملاحظة؛ فقد أحببت أن أشير- باختصار- إلى بعض ما يمكن استخلاصه من هذه الرسالة ...

کما أنی أوردت نص هـذه الرسالـة بتمامه مع الوثائق الهامة فی أواخر هذا الکتاب؛ لیطلع القارئ علیها بنفسه، و یستخلص منها ما یراه مناسبا و ضروریا ...

أما الملاحظات التی رأیت أن من الضروری الاشارة إلیها هنا؛ فتتلخص بما یلی:

---

(۱) أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۳، و البحار ج ۴۹/ ۱۳۷، و عیون أخبار الرضا ج ۲/ ۱۵۱، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۷۵.

ملاحظات لا بد منها:

أول ما یطالعنا فی هـذه الرسالـة هو اسـتعمال الفضل لکلمة: «الرضا»، التی تنص وثیقة العهد، و غیرها: علی أن المأمون هو الذی جعلها لقبـا للإمـام (ع)- کمـا سـیأتی- ... فاطلاـق الفضل بن سـهل لکلمـة «الرضا» علیه (ع) یجعلنا نقول- إن لم نقل أنه کان لقبا مشـهورا و معروفا له-: إن جعل المأمون هـذا اللفظ لقبا رسـمیا للإمام (ع) کان بوحی من ذی الرئاستین نفسه ... و إن کان یمکن أن یقال عکس ذلک تماما: أی أن استعمال الفضل لهذه الکلمة کان بایحاء من المأمون و لا أقل من کونهما قد اتفقا علی ذلک.

و ثانیا: إننا بینما نری الرسالـة تشـتمل علی تطمین الإمام (ع): بأن قضـیة ولایـة العهد لیست لعبة من المأمون، و إنما هی من آثار سـعی ذی الرئـاستین، الأـمر الـذی لا داعی معه للخوف و الوجل علی الاطلاق- بینما الرسالـة تشـتمل علی ذلک- نراها تنص علی أن قضـیة ولایة العهد أمر قد قضـی بلیل. و علی أن هناک تصـمیم من ذی الرئاستین و المأمون علی امضاء هذا الأمر، و هذا یعنی: أن الممانعة و المقاومة لا تجدی و لا تفید؛ و لذا فإن من الأفضل له (ع) أن یکف عن ذلک، و یمتنع عنه ...

و هذا ما أشار إلیه الفضل بقوله: «... و ان کتابی هذا عن إزماع من أمیر المؤمنین، عبد اللّه الإمام المأمون و منی الخ ...».

و ثالثا: یلاحظ: أن الرسالة تتناسب فی صیاغتها، و انتقاء جملها و ألفاظها مع ذوق الإمام (ع)، و مذهبه العقائدی، و مذهب شیعته.

و تنسجم مع ما یدعیه هو، و یدعیه آباؤه، و کان قد اشتهر و شاع بین الناس: من أن الحق فی خلافة النبی (ص) لهم دون غیرهم، و أن الغیر- أیا کانوا- ظالمون لهم، و معتدون علیهم فی هذا الحق ...

ثم یحاول الفضل أن یفهم الإمام: أنه و إن کان هو و المأمون

قـد صـمما علی تولیته العهـد، لکنه یقول له، لکن السـر فی ذلـک مختلف بینی و بین المأمون؛ فأنا أقول فیک: أنک ابن رسول اللّه، و أنک المهتدی، و المقتدی، و أری أن ذلک إرجاع لحقک إلیک، و ردّ لمظلمتک علیک.

أما المأمون: فهو یراک شریکا فی أمره، و شقیقا فی نسبه، و أولی الناس بما تحت یده.

فالفضل یحاول بهذا أن یتقرب من الإمام، و یکتسب محبته و ثقته ...

و لعل إظهار هذا الاختلاف، مما اتفق علیه کل من المأمون و الفضل ...

و هکذا کان السیاسیون، و ما زالوا یتکلمون مع أندادهم باللغة، التی یرون أنها توصلهم إلی أهدافهم، و تحقق لهم مآربهم.

و رابعـا: و أخیرا ... إنه بعـد أن یطلب منه أن لاـ یضع الرسالـة من یـده، حتی یصـیر إلی بـاب المـأمون!! ... نراه یضـمن الرسالـة إشارة واضحة:

إلی أن ذلک منه (ع) یوجب صـلاح الامـة به ... و ما ذلک إلا لأنه کان یعلم، کما کان الکل یعلم: أنه إذا تأکـد لـدی الإمام (ع): أن صلاح الامـة متوقف علی عمل ما من جهته؛ فإنه لا یتوانی، و لا یألو جهـدا فی العمل بوظیفته، و القیام بواجبه ... هـذا بالاضافة إلی أن فی ذلک إشارة للحالة العامة، التی وصفناها فی بعض فصول هذا الکتاب ...

ملاحظات هامة:

اشارة

هذا ... و قبل الخوض فی تفصیل أسباب البیعة، لا بد من ملاحظة:

أ–:

إن من الطبیعی أن یثیر تصرفه هـذا حفیظـة العباسـیین، الذین ناصـبوه العداء، و شـجعوا أخاه الأمین علیه، و لسوف یزید من حنقهم، و غضبهم: حتی إنهم رضوا بابراهیم بن شکلة المغنی خلیفة علیهم، عند ما سمعوا بهذا النبأ الذی کان له وقع الصاعقة علیهم ...

کما أن من الطبیعی أن یثیر دهشتهم، و یذهلهم ... بعد أن لم یکن

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۰۶

بینهم رجالات کفاة، یدرکون الأعیب السیاسة، و دهاء و مکر الرجال.

و قد عبر عن دهشتهم هذه نفس الخلیفة الذی اختاروه، و استعاضوا به عن المأمون ... فلقد قال ابن شکلة معاتبا العباسیین:

فلا جزیت بنو العباس خیراعلی رغمی و لا اغتبطت بری

أتونی مهطعین، و قد أتاهمبوار الدهر بالخبر الجلی

و قد ذهل الحواضن عن بنیهاو صد الثدی عن فم الصبی

و حل عصائب الاملاک منهافشدت فی رقاب بنی علی

فضجت أن تشد علی رءوس‌تطالبها بمیراث النبیّ «۱»

ب–:

و لکن دهشـتهم و غضـبهم لا قیمة لهما، فی جانب ذهاب الخلافة عنهم بالکلیة، و سـفک دمائهم ... و قد أوضح لهم ذلک فی رسالة منه إلیهم، حیث قـال: «... و أمـا مـا کنت أردته من البیعـة لعلی بن موسـی، بعـد اسـتحقاق منه لها فی نفسه، فما کان ذلک منی إلا أن اکون الحاقن لدمائکم، و الذائد عنکم، باستدامة المودة بیننا و بینهم ...». و الرسالة مذکورة فی أواخر هذا الکتاب.

و قریب من ذلک ما جاء فی وثیقـة العهـد، مخاطبا «أهل بیت أمیر المؤمنین» حیث قال لهم: «... راجین عائدته فی ذلک (أی فی البیعة للرضا علیه السلام) فی جمع الفتکم، و حقن دمائکم، و لم شعثکم، و سد ثغورکم ...»

فلیغضبوا إذن قلیلا، فإنهم سوف یفرحون فی نهایة الأمر کثیرا، و ذلک عند ما یعرفون الاهداف الحقیقیة، التی کانت تکمن وراء تلک اللعبة، و أنها لم تکن إلا من أجل الابقاء علیهم، و استمرار وجودهم

---

(۱) التنبیه و الإشراف ص ۳۰۳. و الولاة و القضاة للکندی ص ۱۶۸.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۰۷

فی الحکم، و القضاء علی اخطر خصومهم، الذین لن یکون الصدام المسلح معهم فی صالحهم.

إنهم دون شک عنـد ما تؤتی تلک اللعبة ثمارها سوف یشـکرونه، و یعترفون له بالجمیل، و یعتبرون أنفسـهم مدینین له مدی الحیاة. و لسوف یـذکرون دائما قوله لهم فی رسالته المشار إلیها آنفا: «... فان تزعموا أنی أردت أن یؤول إلیهم (یعنی للعلویین) عاقبـة و منفعة،

فانی فی تدبیرکم، و النظر لکم، و لعقبکم، و لابنائکم من بعدکم ...» ...
و مضمون هذه العبارة بعینه- تقریبا- قد جاء فی وثیقة العهد، حیث قال فیها، موجها کلامه للعباسیین، رجاء أن یلتفتوا لما یرمی إلیه من لعبته تلک ... فبعد أن طلب منهم بیعة منشرحة لها صدورهم- قال-: «... عالمین بما أراد أمیر المؤمنین بها، و آثر طاعة اللّه، و النظر لنفسه، و لکم فیها، شاکرین اللّه علی ما الهم أمیر المؤمنین، من قضاء حقه فی رعایتکم، و حرصه علی رشدکم، و صلاحکم، راجین عائدته فی ذلک فی جمع ألفتکم، و حقن دمائکم إلخ. ما قدمناه ...».
لا شک أنه إذا غضب علیه العباسیون؛ فانه یقدر علی ارضائهم فی المستقبل، «و قد حدث ذلک بالفعل»، عند ما یطلعهم علی حقیقة نوایاه، و مخططاته، و أهدافه، و لکنه إذا خسر مرکزه، و خلافته، فانه لا یستطیع- فیما بعد- أن یستعیدها بسهولة، أو أن یعتاض عنها بشیء ذی بال ...

ج-:

إن من الانصاف هنا أن نقول: إن اختیار المأمون للرضا (ع) ولیا للعهد، کان اختیارا موفقا للغایة، کما سیتضح، و إنه لخیر دلیل علی حنکته و دهائه السیاسی، و إدراکه للأسباب الحقیقیة للمشاکل التی کان یواجهها المأمون، و یعانی منها ما یعانی ...

د-:

إن من الامور الجدیرة بالملاحظة هنا هو أن اختیار المأمون
الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۰۸
لولی عهده، الذی لم یقبل إلا بعد التهدید بالقتل ... کان ینطوی فی بادئ الرأی علی مغامرة لا تنسجم مع ما هو معروف عن المأمون من الدهاء و السیاسة؛ إذا ما أخذت مکانة الإمام (ع)، و نفوذه بنظر الاعتبار، سیما مع ملاحظة: أنه هو الذی کان یشکل أکبر مصدر للخطر علی المأمون، و نظام حکمه؛ حیث إنه کان یحظی بالاحترام و التقدیر، و التأیید الواسع فی مختلف الفئات و الطبقات فی الامة الاسلامیة.
و لکننا إذا دققنا الملاحظة نجد أن المأمون لم یقدم علی اختیار الإمام ولیا للعهد، إلا و هو علی ثقة من استمرار الخلافة فی بنی أبیه؛ حیث کان الإمام (ع) یکبره ب «۲۲» سنة؛ و علیه فجعل ولایة العهد لرجل بینه، و بین الخلیفة الفعلی هذا الفارق الکبیر بالسن، لم یکن یشکل خطرا علی الخلافة؛ إذ لم یکن من المعروف، و لا المألوف أن یعیش ولی العهد- و هو بهذه السن المتقدمة- لو فرض سلامته من الدسائس و المؤامرات!! ... إلی ما بعد الخلیفة الفعلی، فإن ذلک من الامور التی یبعد احتمالها جدا ...

ه-:

و لهذا ... و لأن ما أقدم علیه لم یکن منتظرا من مثله؛ و هو الذی قتل أخاه من أجل الخلافة و الملک، و لأنه من تلک السلالة المعادیة لأهل البیت علیهم السلام ... احتاج المأمون إلی أن یثبت صدقه، و اخلاصه فیما أقدم علیه، و أن یقنع الناس بصفاء نیته، و سلامة طویته ... فأقدم لذلک ... علی عدة أعمال:
فأولا: أقدم علی نزع السواد شعار العباسیین، و لبس الخضرة شعار العلویین و کان یقول: انه لباس أهل الجنة «۱». حتی إذا ما انتهی دور هذه الظاهرة بوفاة الإمام الرضا (ع)، و تمکنه هو من دخول بغداد

(۱) الإمام الرضا ولی عهد المأمون ص ۶۲ عن ابن الأثیر.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۰۹

عاد إلی لبس السواد شعار العباسیین، بعد ثمانیة أیام فقط من وصوله، علی حد قول أكثر المؤرخین، و قیل: بل بقی ثلاثة أشهر ... نزع الخضرة رغم أن العباسیین، تابعوه، و أطاعوه فی لبسها، و جعلوا یحرقون كل ملبوس یرونه من السواد، علی ما صرح به فی مآثر الإنافة، و البدایة و النهایة، و غیر ذلك ...

و ثانیا: و لنفس السبب «۱» أیضا نراه قد ضرب النقود باسم الإمام الرضا (ع).

و ثالثا: أقدم للسبب نفسه علی تزویج الإمام الرضا (ع) ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفیدة له، حیث كان یكبرها الإمام (ع) بحوالی أربعین سنة. كما أنه زوج ابنته الاخری للامام الجواد (ع)، الذی كان لا یزال صغیرا، أی ابن سبع سنین «۲».

و من یدری: فلعله كان یهدف من تزویجهما أیضا إلی أن یجعل علیهما رقابة داخلیة. و أن یمهد السبیل، لكی تكون الأداة الفعالة، التی

---

(۱) التربیة الدینیة ص ۱۰۰.

(۲) راجع مروج الذهب ج ۳/ ۴۴۱، و غیره من كتب التاریخ. و فی الطبری ج ۱۱/ ۱۱۰۳، طبع لیدن، و البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۲۶۹: أنه (ع) لم یدخل بها إلا فی سنة ۲۱۵ للهجرة، و لكن یظهر من الیعقوبی ج ۲/ ۴۵۴ ط صادر: أنه زوج الجواد ابنته بعد وصوله الی بغداد، و أمر له بألفی الف درهم، و قال: إنی أحببت أن أكون جدا لامرئ، ولده رسول اللّه، و علی بن أبی طالب، فلم تلد منه انتهی. و هذا یدل علی أنه قد بادر إلی تزویج الجواد بعد قتل أبیه الرضا (ع) لیبرئ نفسه من الاتهام بقتل الرضا (ع)؛ حیث إن الناس كانوا مقتنعین تقریبا بذلك و مطمئنین إلیه، و سیأتی فی أواخر الكتاب البحث عن ظروف و ملابسات وفاته (ع).

و یلاحظ: أن كلمة المأمون هذه تشبه الی حد بعید كلمة عمر بن الخطاب حینما أراد أن یبرر اصراره غیر الطبیعی علی الزواج بام كلثوم بنت علی (ع)، حتی لقد استعمل اسلوبا غیر مألوف فی التهدید و الوعید من أجل الوصول إلی ما یرید ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۰

یستعملها فی القضاء علی الإمام (ع)، كما كان الحال بالنسبة لولده الإمام الجواد، الذی قتل بالسم الذی دسته إلیه ابنة المأمون، بأمر من عمها المعتصم «۱»؛ فیكون بذلك قد أصاب عدة عصافیر بحجر واحد ...

كما یقولون ... و یجب أن نتذكر هنا: أن المأمون كان قد حاول أن یلعب نفس هذه اللعبة مع وزیره الفضل بن سهل؛ فألح علیه أن یزوجه ابنته فرفض، و كان الرأی العام معه، فلم یستطع المأمون أن یفعل شیئا، كما سنشیر إلیه ... لكن الإمام (ع) لم یكن له إلی الرفض سبیل، و لم یكن یستطیع أن یصرح بمجبوریته علی مثل هكذا زواج؛ لأن الرأی العام لا یقیل ذلك منه بسهولة ... بل ربما كان ذلك الرفض سببا فی تقلیل ثقة الناس بالإمام، حیث یرون حینئذ أنه لا مبرر لشكوكه تلك، التی تجاوزت- بنظرهم حینئذ- كل الحدود المألوفة و المعروفة ...

و علی كل حال: فإن كل الشواهد و الدلائل تشیر إلی أن زواج الإمام من ابنة المأمون كان سیاسیا، مفروضا إلی حد ما ... كما أننا لا نستبعد أن یكون زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل سیاسیا أیضا، حیث أراد بذلك أن یوثق علاقاته مع الایرانیین، و یجعلهم یطمئنون إلیه، خصوصا بعد عودته إلی بغداد، و تركه مروا، و لیبرئ نفسه من دم الفضل بن سهل، و یكتسب ثقة أخیه الحسن بن سهل، المعروف بثرائه و نفوذه ...

و رابعا: و للسبب نفسه أیضا كان یظهر الاحترام و التبجیل للامام (ع)- و إن كان یضیق علیه فی الباطن «۲»- و كذلك كانت الحال بالنسبة لاكرامه

(۱) و لعله قد استفاد ذلک من سلفه معاویة، و ما جری له مع الإمام الحسن السبط علیه السلام.

(۲) و قد سبقه الی مثل ذلک سلیمان عم الرشید، عند ما أرسل غلمانه؛ فأخذوا جنازة الکاظم علیه السلام من غلمان الرشید، و طردوهم. ثم نادوا علیه بذلک النداء المعروف، اللائق بشأنه؛ فمدحه الرشید، و اعتذر إلیه، و لام نفسه، حیث لم یأخذ فی اعتباره ما یترتب

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۱

للعلویین، حیث قد صرح هو نفسه بأن إکرامه لهم ما کان إلا سیاسة منه و دهاء، و من أجل الوصول إلی أهداف سیاسیة معینة؛ فقد قال فی رسالته للعباسیین، المذکورة فی أواخر هذا الکتاب: «... و أما ما کنت أردته من البیعة لعلی بن موسی ... فما کان ذلک منی، إلا أن اکون الحاقن لدمائکم، و الذائد عنکم؛ باستدامة المودة بیننا و بینهم. و هی الطریق أسلکها فی اکرام آل أبی طالب، و مواساتهم فی الفیء، بیسیر ما یصیبهم منه ...».

و یذکرنی قول المأمون: «و مواساتهم فی الفیء إلخ ...» بقول ابراهیم بن العباس الصولی- و هو کاتب القوم و عاملهم- فی الرضا عند ما قربه المأمون:

یمن علیکم بأموالکمو تعطون من مائة واحدا

و-:

إن المأمون- و لا شک- کان یعلم: أن ذلک کله- حتی البیعة للامام- لا یضره ما دام مصمما علی التخلص من ولی عهده هذا بأسالیبه الخاصة. بعد أن ینفذ ما تبقی من خطته الطویلة الأجل، للخط من الإمام قلیلا قلیلا، حتی یصوره للرعیة بصورة من لا یستحق لهذا الأمر- کما صرح هو نفسه «۱»، و کما صرح بذلک أیضا عبد اللّه بن موسی فی رسالته إلی المأمون، و التی سوف نوردها فی أواخر هذا

علی ما أقدم علیه من ردة فعل لدی الشیعة، و محبی أهل البیت علیهم السلام، و الذین قد لا یکون للرشید القدرة علی مواجهتهم.

و تبعه أیضا المتوکل؛ حیث جاء بالإمام الهادی علیه السلام الی سامراء؛ فکان یکرمه فی ظاهر الحال؛ و یبغی له الغوائل فی باطن الأمر؛ فلم یقدره اللّه علیه ... علی ما صرح به ابن الصباغ المالکی فی الفصول المهمة ص ۲۲۶، و المجلسی فی البحار ج ۵۰/ ۲۰۳، و المفید فی الإرشاد ص ۳۱۴.

(۱) سنتکلم فی القسم الرابع من هذا الکتاب، حول تصریحات المأمون، و خططه بنوع من التفصیل إن شاء اللّه تعالی ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۲

الکتاب إن شاء اللّه؛ حیث یقول له فیها: «... و کنت الطف حیلة منهم، بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحننا، تختل واحدا فواحدا منا إلخ ...» «۱».

إلی غیر ذلک من الشواهد و الدلائل، التی لا تکاد تخفی علی أی باحث، أو متتبع ...

أهداف المأمون من البیعة:

اشارة

هـذا ... و بعـد كل الذى قدمناه، فاننا نسـتطيع فى نهاية المطاف: أن نجمل أهداف المأمون، و ما كان يتوخاه من أخذ البيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده ... على النحو التالى:

الهدف الأول:

أن يـأمن الخطر الـذى كان يتهـدده من قبل تلك الشخصـية الفـذة، شخصـية الامام الرضا (ع)، الـذى كانت كتبه تنفـذ فى المشـرق و المغرب، و كان الأرضـى فى الخاصة و العامة- باعتراف نفس المأمون-، حيث لا يعود باسـتطاعة الامام (ع) أن يدعو الناس الى الثورة و لا ان يأتى بأيّـة حركـة ضـد الحكم، بعد أن أصبح هو ولى العهد فيه. و لسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها تكران للجميل، لا مبرر لها، و لا منطق يدعمها ...
و قد أشار المأمون إلى ذلک، عند ما صـرح بأنه: خشـى إن ترک الامام على حاله: أن ينفتق عليه منه ما لا يسده، و يأتى منه عليه ما لا يطيقه

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۶۲۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۱۳

فأراد أن يجعله ولى عهده ليكون دعاؤه له. كما سيأتى بيانه فى فصل:
مع بعض خطط المأمون إن شاء اللّه تعالى ...

الهدف الثانى:

أن يجعل هـذه الشخصـية تحت المراقبـة الدقيقـة، و الواعيـة من قرب، من الـداخل و الخارج، و ليمهد الطريق من ثم إلى القضاء عليها بأساليبه الخاصـة ... و قد أشـرنا فيما سـبق، إلى أننا لا نسـتبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو: أن يجعل عليه رقيبا داخليا موثوقا عنده هو، و يطمئن إليه الإمام نفسه ...
و إذا مـا لا ـ حظنـا أيضا، أن: «المأمون كان يـدس الوصائف هديـة ليطلعنه على أخبار من شاء «۱» ...»، و أنه كـان: «للمـأمون على كل واحد صاحب خبر «۲» ...» ... فاننا نعرف السـر فى إرساله بعض جواريه الى الإمام الرضا (ع) بعنوان: هديـة ... و قد أرجعها الإمام (ع) إليه مع عدة أبيات من الشعر، عند ما رآها اشمأزت من شيبه «۳».
و لم يكتف بذلک، بل وضع على الإمام (ع) عيونا آخرين، يخبرونه بكل حركة من حركاته، و كل تصرف من تصرفاته ...
فقـد كان: «هشام بن ابراهيم الراشـدى من أخص الناس عنـد الرضا (ع)، و كانت امور الرضا تجرى من عنـده، و على يـده. و لكنه لما حمل إلى مرو اتصل هشام بن ابراهيم بذى الرئاستين، و المأمون؛

---

(۱) تاريخ التمدن الاسلامى ج ۵ جلد ۲ ص ۵۴۹، نقلا عن: العقد الفريد ج ۱/ ۱۴۸.

(۲) تاريخ التمدن الاسلامى ج ۴ جلد ۲ ص ۴۴۱، نقلا عن: المسعودى ج ۲/ ۲۲۵، و طبقات الاطباء ج ۱/ ۱۷۱.

(۳) البحار ج ۴۹/ ۱۶۴، و عيون أخبار الرضا ج ۲/ ۱۷۸.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۱۴

فحظى بذلک عندهما. و كان لا يخفى عليهما شيئا من أخباره؛ فولاه المأمون حجابة الرضا. و كان لا يصل إلى الرضا إلا من أحب، و

ضیق علی الرضا؛ فکان من یقصده من موالیه، لا یصل إلیه. و کان لا یتکلم الرضا فی داره بشیء الا أورده هشام علی المأمون، و ذی الرئاستین ...» «۱»

و عن أبی الصلت: أن الرضا «کان یناظر العلماء، فیغلبهم، فکان الناس یقولون: و اللّه، إنه أولی بالخلافة من المأمون؛ فکان أهل الأخبار یرفعون ذلک إلیه ...» «۲»

و أخیرا ... فإننا نلاحظ: أن جعفر بن محمد بن الاشعث، یطلب من الإمام (ع): أن یحرق کتبه إذا قرأها؛ مخافة أن تقع فی ید غیره، و یقول الإمام (ع) مطمئنا له: «إنی إذا قرأت کتبه إلی أحرقتها ...» «۳».

إلی غیر ذلک من الدلائل و الشواهد الکثیرة، التی لا نری أننا بحاجة إلی تتبعها و استقصائها ...

الهدف الثالث:

أن یجعل الإمام (ع) قریبا منه؛ لیتمکن من عزله عن الحیاة الاجتماعیة، و ابعاده عن الناس، و ابعاد الناس عنه؛ حتی لا یؤثر علیهم بما یمتلکه من قوة الشخصیة، و بما منحه اللّه إیاه من العلم،

---

(۱) البحار ج ۴۹/ ۱۳۹، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۷۷، ۷۸، و عیون أخبار الرضا ج ۲/ ۱۵۳.

(۲) شرح میمیة أبی فراس ص ۲۰۴، و البحار ج ۴۹/ ۲۹۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲/ ۲۳۹.

(۳) کشف الغمة ج ۳/ ۹۲، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۱۸۷، و عیون أخبار الرضا ج ۲/ ۲۱۹.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۵

و العقل، و الحکمة. و یرید أن یحدّ من ذلک النفوذ له، الذی کان یتزاید باستمرار، سواء فی خراسان، أو فی غیرها ...

و أیضا ... أن لا یمارس الإمام أی نشاط لا یکون له هو دور رئیس فیه؛ و خصوصا بالنسبة لرجال الدولة؛ إذ قد یتمکن الإمام (ع) من قلوبهم؛ و من ثم من تدبیر شیء ضد النظام القائم، دون أن یشعر أحد ...

و الأهم من ذلک کله: أنه کان یرید عزل الإمام (ع) عن شیعته، و موالیه، و قطع صلاتهم به، و لیقطع بذلک آمالهم، و یشتت شملهم، و یمنع الإمام من أن یصدر إلیهم من أوامره، ما قد یکون له أثر کبیر علی مستقبل المأمون، و خلافته.

و بذلک یکون أیضا قد مهد الطریق للقضاء علی الإمام (ع) نهائیا، و التخلص منه بالطریقة المناسبة، و فی الوقت المناسب ...

و قد قال المأمون إنه: «یحتاج لأن یضع من الإمام قلیلا قلیلا، حتی یصوره أمام الرعیة بصورة من لا یستحق لهذا الأمر. ثم یدبر فیه بما یحسم عنه مواد بلائه ...» کما سیأتی ...

و قد قرأنا آنفا أنه: «کان لا یصل إلی الرضا إلا من أحب (أی هشام بن إبراهیم)، و ضیق علی الرضا؛ فکان من یقصده من موالیه، لا یصل إلیه».

کما أن الرضا نفسه قد کتب فی رسالة منه إلی أحمد بن محمد البزنطی، یقول: «و أما ما طلبت من الإذن علی؛ فان الدخول إلی صعب، و هؤلاء قد ضیقوا علی فی ذلک الآن؛ فلست تقدر الآن، و سیکون إن شاء اللّه ...» «۱».

---

(۱) رجال المامقانی ج ۱/ ۷۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲/ ۲۱۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۶

کما أننا نری أنه عند ما وصل إلی القادسیة، و هو فی طریقه إلی مرو، یقول لأحمد بن محمد بن أبی نصر: «اکتر لی حجرة لها بابان: باب إلی الخان، و باب إلی خارج؛ فانه استر علیک ...» «۱».

و لعل ذلک هو السبب فی طلبه من الإمام (ع)، و من رجاء بن أبی الضحاک: أن یمرا عن طریق البصرة، فالأهواز إلخ ... کما سیأتی: و لا نستبعد أیضا أن یکون عزل الإمام عن الناس، هو أحد أسباب إرجاع الإمام الرضا عن صلاة العید مرتین «۲» ... و للسبب نفسه أیضا فرق عنه تلامذته، عند ما أخبر أنه یقوم بمهمة التدریس، و حتی لا یظهر علم الإمام، و فضله ... إلی آخر ما هنالک من صفحات تاریخ المأمون السوداء ...

الهدف الرابع:

اشارة

إن المأمون فی نفس الوقت الذی یرید فیه أن یتخذ من الامام مجنا یتقی به سخط الناس علی بنی العباس، و یحوط نفسه من نقمة الجمهور ...

یرید أیضا؛ أن یستغل عاطفة الناس و محبتهم لأهل البیت- و التی زادت

---

(۱) بصائر الدرجات ص ۲۴۶، و مسند الإمام الرضا ج ۱/ ۱۵۵.

(۲) هذه القضیة معروفة و مشهورة؛ فراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۲۴۶، ۲۴۷، و مطالب السئول، لمحمد بن طلحة الشافعی، طبعة حجریة ص ۸۵، و إثبات الوصیة للمسعودی ص ۲۰۵، و معادن الحکمة ص، ۱۸۰، ۱۸۱، و نور الأبصار ص ۱۴۳، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۶۵، و إعلام الوری ص ۳۲۲، ۳۲۳، و روضة الواعظین ج ۱/ ۲۷۱، ۲۷۲، و اصول الکافی ج ۱/ ۴۸۹، ۴۹۰، و البحار ج ۴۹/ ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۷۱، ۱۷۲، و عیون أخبار الرضا، و ارشاد المفید، و أعیان الشیعة، و کشف الغمة، و غیر ذلک ...

و لسوف یأتی فی فصل: خطة الإمام، و غیره من الفصول، ما یتعلق بذلک إن شاء اللّه تعالی.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۷

و نمت بعد الحالة التی خلفتها الحرب بینه و بین أخیه- و یوظف ذلک فی صالحه هو، و صالح الحکم العباسی بشکل عام ...

أی أنه: کان یهدف من وراء لعبته تلک، و التی کان یحسب أنها سوف تکون رابحة جدا- إلی أن یحصل علی قاعدة شعبیة، واسعة، و قویة. حیث کان یعتقد و یقدر: أن نظام حکمه سوف ینال من التأیید، و القوة، و النفوذ، بمقدار ما کان لتلک الشخصیة من التأیید، و النفوذ و القوة ... و إذا ما استطاع فی نهایة الأمر أن یقضی علیها، فإنه یکون قد امن خطرا عظیما، کان یتهدده من قبلها، بمقدار ما کان لها من العظمة و الخطر ...

إن المأمون قد اختار لولایة عهده رجلا یحظی بالاحترام و التقدیر من جمیع الفئات و الطبقات، و له من النفوذ، و الکلمة المسموعة، ما لم یکن لکل أحد سواه فی ذلک الحین. بل لقد کان الکثیرون یرون: أن الخلافة حق له، و ینظرون الی الهیئة الحاکمة علی أنها ظالمة له و غاصبة لذلک الحق:

یقول الدکتور الشیبی، و هو یتحدث عن الرضا (ع): «إن المأمون جعله ولی عهده، لمحاولة تألف قلوب الناس ضد قومه العباسیین، الذین حاربوه، و نصروا أخاه «۱» ...».

و یقول: «... و قد کان الرضا من قوة الشخصیة، و سمو المکانة:

أن التف حوله المرجئة، و أهل الحدیث، و الزیدیة، ثم عادوا إلی مذاهبهم بعد موته ...» «۲».

---

(۱) الصلة بین التصوف و التشیع ص ۲۲۳، ۲۲۴ ... و نحن لا نوافق الدکتور الشیبی علی أنه کان یرید التقوی بذلک علی العباسیین، کما اتضح، و سیتضح إن شاء اللّه ...

(۲) المصدر السابق ص ۲۱۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۸

و کذلک هو یقول- و هو مهم فیما نحن بصدده-: «... إن الرضا لم یکن بعد تولیته العهد إمام الشیعة وحدهم، و إنما مرّ بنا: أن الناس، حتی أهل السنة، و الزیدیة، و سائر الطوائف الشیعیة المتناحرة ... قد اجتمعت علی إمامته، و اتباعه، و الالتفاف حوله ...» «۱».

و هذا کما تری تصریح واضح منه بهدف المأمون، الذی نحن بصدد بیانه ...

و یقول محمد بن طلحة الشافعی مشیرا إلی ذلک، فی معرض حدیثه عن الإمام الرضا (ع): «... نما إیمانه، و علا شأنه، و ارتفع مکانه، و کثر أعوانه، و ظهر برهانه، حتی أحله الخلیفة المأمون محل مهجته، و أشرکه فی مملکته ...» «۲».

و تقدم أنه (ع) کان- باعتراف المأمون- «الأرضی فی الخاصة، و العامة ...» و أن کتبه کانت تنفذ فی المشرق و المغرب، حتی إن البیعة له بولایة العهد، لم تزده فی النعمة شیئا ... و أنه کان له من قوة الشخصیة ما دفع أحد أعدائه لأن یقول فی حقه للمأمون: «هذا الذی بجنبک و اللّه صنم یعبد دون اللّه» إلی آخر ما هنالک، مما قدمنا «غیضا من فیض منه».

کما و تقدم أیضا قول المأمون فی رسالته للعباسیین: «... و إن تزعموا: أنی أردت أن یؤول إلیهم عاقبة و منفعة (یعنی للعلویین)؛ فإنی فی تدبیرکم، و النظر لکم، و لعقبکم، و أبنائکم من بعدکم ...»، و أیضا عبارته التی کتبها المأمون بخط یده فی وثیقة العهد؛ فلا نعید ...

و هکذا ... فما علی العباسیین إلا أن ینعموا بالا، و یقروا عینا؛ فإن المأمون کان یدبر الأمر لصالحهم و من أجلهم ... و لیس کما یقوله

---

(۱) المصدر السابق ص ۲۵۶.

(۲) مطالب السئول ص ۸۴، ۸۵ و قریب منه ما فی: الاتحاف بحب الأشراف ص ۵۸.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۱۹

الدکتور الشیبی، و غیره من أنه أراد أن یحصل علی التأیید الواسع؛ لیقابل العباسیین، و یقف فی وجههم.

إشارة هامة لا بد منها:

هذا ... و یحسن بنا أن نشیر هنا: إلی ما قاله ابن المعتز فی الروافض.

و القاء نظرة فاحصة علی السبب الذی جعلهم مستحقین لهذه الحملة الشعواء منه ... فهو یقول:

لقد قال الروافض فی علیمقالا جامعا کفرا و موقا

زنادقة أرادت کسب مالمن الجهال فاتخذته سوقا

و أشهد أنه منهم بریّو کان بأن یقتلهم خلیقا

کما کذبوا علیه و هو حیفأطعم ناره منهم فریقا

و کانوا بالرضا شغفوا زماناو قد نفخوا به فی الناس بوقا

و قالوا: إنه رب قدیرفکم لصق السواد به لصوقا «۱» و هذه الأبیات تعبر عن مدی صدمة ابن المعتز، و خیبة أمله فی الروافض، الذین ضایقه جدا امتداد دعوتهم فی طول البلاد الاسلامیة، و عرضها. و خصوصا فی زمن الرضا. و الذی لم یجد شیئا یستطیع أن یتنقص به

إمامهم الرضا (ع) سوی أنه کان اسود اللون؛ و أن الروافض قالوا: إنه رب قدیر ... و سرّ حنقه هذا علی الروافض لیس هو إلا عقیدتهم فی علی (ع)- التی کان یراها خطرا حقیقیا علی القضیة العباسیة- و التی تتلخص بأنه (ع): یستحق الخلافة بالنص. و هذه العقیدة و المقالة هی التی جعلتهم یستحقون من ابن المعتز أن یجمع لهم بین

---

(۱) دیوان ابن المعتز ص ۳۰۰، ۳۰۱، و الأدب فی ظل التشیع ص ۲۰۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۰

و صفی الکفر و الزندقة، و اتهامه لهم، بأنهم یقصدون بذلک کسب المال من الجهال. ثم یتهمهم بأنهم قد قالوا بنفس هذه المقالة فی علی الرضا (ع)؛ فقالوا: إنه الإمام الثابت إمامته بالنص، و شهّروا بذلک، حتی علم به عامة الناس، و نفخوا به فی الناس بوقا ... و حتی لقد التف حوله أهل الحدیث، و الزیدیة، بل و المرجئة، و أهل السنة، علی حد تعبیر الشیبی، و قالوا: بإمامة أبیه، ثم بإمامته ..

و بدیهی ... أن لا یرتاح ابن المعتز، الذی کان فی صمیم الاسرة العباسیة لهذا الامتداد للتشیع، و لمقالة الروافض، حیث إن ذلک یعنی أن الأئمة الذین هم بین الرضا، و علی أمیر المؤمنین علیهما السلام، کلهم تثبت إمامتهم بالنص ...

و لقد بلغ من حنقه علیهم، بسبب ذلک الامتداد الواسع لعقیدتهم- و خصوصا فی زمان الرضا- أن دفعه إلی أن یخلط عن عمد، أو عن غیر عمد بین عقیدة الروافض هذه، و بین عقیدة الغلاة، حیث أضاف إلی مقالة الروافض تلک مقالة اخری، هی: القول بألوهیة علی (ع).

و إذا کنا واثقین من أن الفرق الشاسع بین عقیدة الروافض، و عقیدة الغلاة، لم یکن لیخفی علی مثل ابن المعتز، بل علی من هو أقل منه بمراتب، فإننا سوف ندرک بما لا مجال معه للشک:

أنه یقصد بهذا الخلط المعتمد: التشنیع علی الروافض، و تهجین عقیدتهم، إذ أنه یقصد ب «الروافض»،- حسبما هو صریح کلامه- خصوص القائلین بإمامة الرضا، و إمامة علی أمیر المؤمنین، و من بینهما. و هو یعلم و کل أحد یعلم: أنه لیس فیهم من یقول بالوهیة أحدهما، أو ألوهیتهما، أو ألوهیة غیرهما من أئمة أهل البیت علیهم السلام.

و أخیرا ... فإن قول و اعتراف ابن المعتز هذا- و هو من نعلم-

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۱

لخیر دلیل علی مدی تحرر الشیعة فی زمن الرضا، و اتساع نفوذهم، و علی أن شخصیة الرضا (ع)، کانت قد استقطبت قطاعا واسعا، إن لم نقل: أنه القطاع الأکبر من الامة الاسلامیة، فی طول البلاد و عرضها، فی تلک الفترة من الزمن، و قد تقدم بعض ما یدل علی ذلک، فلا نعید.

الهدف الخامس:

هذا ... و نستطیع أن نقول أیضا: إنه کان یرید أن یقوی من دعائم حکمه، حیث قد أصبح الحکم یمتلک شخصیة تعنو لها الجباه بالرضا و التسلیم. و لقد کان الحکم بأمس الحاجة الی شخصیة من هذا القبیل ...

فی مقابل أولئک المتزلفین القاصرین، الذین کانوا یتجمعون حول الحکم العباسی، طلبا للشهرة، و طمعا بالمال، و الذین لم یعد یخفی علی أحد حالهم و مآلهم ... و علی الأخص بعد أن رأی فشلهم فی صد حملات علماء الملل الاخری، و الذین کانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عند ما رأوا ضعف الدولة، و تمزقها، و تفرقها الی جماعات و أحزاب ...

نعم ... لقد کان الحکم یحتاج إلی العلماء الاکفاء، و الأحرار فی تفکیرهم، و فی نظرتهم الواعیة للانسان و الحیاة، و لم یعد بحاجة الی المتزلفین، و الجامدین، و الانهزامیین، و لهذا نراه یستبعد أصحاب الحدیث الجامدین، الذین کان أکثرهم فی الجهة المناوئة له،

يشدون من أزرها، و يقيمون أودها ... و يقرب المعتزلة: كبشر المريسى، و أبى الهذيل العلاف و أضرابهما. و لكن الشخصية العلمية، التى لا ـ يشك أحد فى تفوقها على جميع أهل الأرض علما و زهدا، و ورعا و فضلا الخ ... كانت منحصرة فى الامام الرضا (ع)، باعتراف من نفس المأمون، كما قدمنا، و لهذا فقد كان الحكم يحتاج إليها أكثر من احتياجه لأية شخصية اخرى، مهما بلغت.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۲۲

الهدف السادس:

و لعل من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنه يكون فى تلك الفترة المليئة بالقلاقل و الثورات، قد أتى الامة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجرى، و ما يحدث، و عن واقع المشاكل التى كان يعانى الحكم و الامة منها، و ما أكثرها ...

و قد عبر ابراهيم بن المهدى، عن دهشة بنى العباس فى أبياته المتقدمة ...

حتى لقد ذهل- على حدّ قوله- الحواضن عن بنيها! و صد الثدى عن فم الصبى!!» و بعد هذا ... فلسنا بحاجة إلى كبير عناء، لإدراك مدى دهشة غيرهم:

ممن رأوا و سمعوا بمعاملة العباسيين لأبناء عمهم. و لسوف ندرك مدى عظمة دهشتهم تلك إذا ما لا حظنا: أنهم كانوا سياسيا أقل وعيا و تجربة من مثل ابراهيم بن المهدى، الذى عاش فى أحضان خلافة. كان بمرأى و مسمع من الأعيب السياسة، و مكر الرجال ...

الهدف السابع:

اشارة

هذا ... طبيعى بعد هذا: أنه قد أصبح يستطيع أن يدعى، بل لقد ادعى بالفعل- على ما فى وثيقة العهد-: أن جميع تصرفاته، و أعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للامة، و مصلحة المسلمين، و حتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، و الرئاسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، و المصلحة العامة، يدل على ذلك: أنه عند ما رأى أن خير الامة، إنما هو فى اخراج الخلافة من بنى العباس كلية، و هم الذين ضحوا الكثير فى سبيلها، و قدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد- عند ما رأى ذلك- و أن ذلك لا يكون إلا باخراجها إلى ألد أعدائهم،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۲۳

سارع إلى ذلك، بكل رضى نفس، و طيبة خاطر ... و ليكون بذلك قد كفر عن جريمته النكراء، و التى كانت أحد أسباب زعزعة ثقة الناس به، ألا و هى: قتله أخاه الأمين، العزيز على العباسيين و العرب ...

و ليكون بذلك، قد ربط الامة بالخلافة، و كسب ثقتها فيها، و شد قلوب الناس، و أنظارهم إليها؛ حيث أصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل، و ترفع الظلم، و أن تكون معهم، و فى خدمتهم، و تعيش قضاياهم. و ليكون لها من ثم من المكانة و التقدير، ما يجعلها فى منأى و مأمن من كل من يتحينون بها الفرص، و يبغون لها الغوائل ...

و يدل على ذلك- عدا عما ورد فى وثيقة العهد- ما ورد من أن المأمون كتب إلى عبد الجبار بن سعد المساحقى، عامله على المدينة: أن اخطب الناس، و ادعهم إلى بيعة الرضا؛ فقام خطيبا؛ فقال:

«يا أيها الناس، هذا الأمر الذى كنتم فيه ترغبون، و العدل الذى كنتم تنتظرون، و الخير الذى كنتم ترجون، هذا على بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على؛ بن الحسين؛ بن على بن أبى طالب:

ستة آباؤهم ما هم‌من أفضل من یشرب صوب الغمام «۱» و قد أکد ذلک بحسن اختیاره؛ إذ قد اختار هذه الشخصیة، التی تمثل- فی الحقیقة- أمل الامة، و رجاءها، فی حاضرها، و مستقبلها.

و تکون النتیجة- بعد ذلک- أنه یکون قد حصل علی حمایة لکل تصرف یقدم علیه فی المستقبل، و کل عمل یقوم به ... مهما کان غریبا، و مهما کان غیر معقول؛ فإن علی الامة أن تعتبره صحیحا و سلیما،

---

(۱) العقد الفرید ج ۳/ ۳۹۲، طبع مصطفی محمد بمصر سنة ۱۹۳۵ و «ما» فی البیت زائدة ... و لا یخفی ما فی البیت، و قد أثبتناه، کما وجدناه.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۴

لا بد منه، و لا غنی عنه، و إن لم تعرف ظروفه، و دوافعه الحقیقیة.

بل و حتی مع علمها بها؛ فان علیها أن تؤوّل ما یقبل التأویل، و إلا ...

فإن علیها أن تدفن رأسها فی التراب، و تتناسی ما تعلم ... أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن إدراک المصالح الحقیقیة الکامنة فی تلک التصرفات الغریبة، و أن ما أدرکته و لو کان حقا- لا واقع له، و لا حقیقة وراءه و یدل علی ذلک بشکل واضح ابیات ابن المعتز الآتیة ص ۳۰۵/ ۳۰۶، یقول ابن المعتز:

و أعطاکم المأمون حق خلافةلنا حقها لکنه جاد بالدنیا

لیعلمکم أن الّتی قد حرصتمواعلیها و غودرتم علی اثرها صرعی

یسیر علیه فقدها غیر مکثرکما ینبغی للصالحین ذوی التقوی و علی کل حال؛ فإنه یتفرع علی ما ذکرناه:

أولا: إنه بعد أن أقدم علی ما أقدم علیه؛ فلیس من المنطقی بعد للعرب أن یسخطوا علیه، بسبب معاملة أبیه، أو أخیه، و سائر أسلافه لهم؛ فإن المرء بما کسب هو، لا بما کسب أهله، و لا تزر وازرة وزر أخری ...

و کیف یجوز لهم أن یغضبوا بعد، و هو قد أرجع الخلافة إلیهم، بل و إلی أعرق بیت فیهم. و عرفهم عملا: أنه لا یرید لهم، و لغیرهم، إلا الصلاح و الخیر ...

و لیس لهم بعد حق فی أن ینقموا علیه معاملته القاسیة لهم، و لا قتله أخاه، و لا أن یزعجهم، و یخیفهم تقریبه للایرانیین، و لا جعله مقر حکمه مروا إلی آخر ما هنالک ... ما دام أن الخلافة قد عادت إلیهم، علی حسب ما یشتهون، و علی وفق ما یریدون ...

و من هنا ... فلا یجب أن نعجب کثیرا؛ حین نراهم: قد تلقوا بیعة الرضا بنفوس طیبة، و قلوب رضیة ... حتی أهل بغداد نری أنهم قد تقبلوها إلی حد کبیر؛ فقد نص المؤرخون- و منهم الطبری و ابن مسکویه- علی أن بعضهم وافق، و البعض الآخر- و هم أنصار بنی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۵

العباس- رفض. و هذا یدل دلالة واضحة: علی أن بغداد، معقل العباسیین الأول، کانت تتعاطف مع العلویین إلی درجة کبیرة ...

بل و نص المؤرخون، علی أن: ابراهیم بن المهدی، المعروف بابن شکلة، الذی بویع له فی بغداد غضبا من تولیة الرضا للعهد: لم یستطع أن یسیطر إلا علی بغداد، و الکوفة و السواد «۱»، بل و حتی الکوفة قد استمرت الحرب قائمة فیها علی ساق و قدم أشهرا عدیدة بین أنصار المأمون، و علیهم الخضرة، و أنصار العباسیین و علیهم السواد «۲».

و ثانیا: و أما الایرانیون عامة، و الخراسانیون خاصة، و المعروفون بتشیعهم للعلویین؛ فقد ضمن المأمون استمرار تأییدهم له، و ثقتهم به؛ بعد أن حقق لهم غایة أمانیهم، و أغلی أحلامهم، و أثبت لهم عملا- حبه لمن یحبون، و ودّه لمن یودّون ... و أن لا- میزة عنده لعباسی علی غیره، و لا لعربی علی غیره، و أن الذی یسعی إلیه، هو- فقط خیر الامة، و مصلحتها؛ بجمیع فئاتها، و مختلف طبقاتها، و أجناسها ...

ملاحظة هامة:

إن من الجدير بالملاحظة هنا: أن الرضا (ع) كان قد قدم إلى إيران قبل ذلك. و الظاهر أنه قدمها فی حدود سنة ۱۹۳ ه.، أی فی الوقت المناسب لوفاة الرشيد؛ فقد ذكر الرضی المعاصر للمجلسی فی كتابه: ضيافة الإخوان: أن عليا الرضا (ع) كان مستخفيا فی قزوين فی دار داود بن سليمان الغازی أبی عبد اللّه، و لداود نسخة يرويها عن الرضا (ع)، و أهل قزوين يروونها عن داود، كاسحاق بن محمد، و علی بن مهرويه «۳».

(۱) راجع البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۴۸، و غيره من كتب التاريخ. و زاد أحمد شلبی فی كتابه: التاريخ الإسلامی و الحضارة الإسلامية ج ۳/ ۱۰۵- زاد علی ذلک: المدائن أيضا.

(۲) راجع: الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۱۹۰، و البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۴۸، و غير ذلک.

(۳) راجع كتاب: ضيافة الاخوان مخطوط فی مكتبة المدرسة الفيضية فی قم، فی ترجمة أبی عبد اللّه القزوينی، و علی بن مهرويه القزوينی.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۲۲۶

و قال الرافعی فی التدوين: «و قد اشتهر اجتياز علی بن موسی الرضا بقزوين. و يقال: إنه كان مستخفيا فی دار داوود بن سليمان الغازی، روی عنه النسخة المعروفة، و روی عنه اسحاق بن محمد، و علی بن مهرويه، و غيرهما.

قال الخليل: و ابنه المدفون فی مقبرة قزوين، يقال: إنه كان ابن سنتين، أو أصغر ...» «۱» انتهی كلام الرافعی.

و المراد بالخليل فی كلامه، هو الخليل بن عبد اللّه بن أحمد بن إبراهيم الخليلی، القزوينی، و هو الحافظ المشهور، مصنف كتاب الارشاد، و كتاب تاريخ قزوين، الذی فرغ من تأليفه حوالی سنة أربعمائة هجرية، و كانت وفاته سنة ۴۴۶ ه.

الهدف الثامن:

اشارة

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، و البيعة له بولاية العهد- التی كان يتوقعها-: أن أخمد ثورات العلويين فی جميع الولايات و الامصار. و لعله لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون- بعد البيعة للرضا، سوی ثورة عبد الرحمن بن أحمد فی اليمن. و كان سببها- باتفاق المؤرخين- هو فقط: ظلم الولاة و جورهم، و قد رجع إلی الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه ...

بل لا بد لنا أن نضيف الی ذلک:

أ-:

إنه ليس فقط أخمد ثوراتهم ... بل لقد حصل علی ثقة

(۱) التدوين قسم ۲ ورقة ۲۳۵ مخطوط فی مكتبة (دفتر تبليغات اسلامی) فی قم، فی ترجمة علی الرضا ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۷

الکثیرین منهم، و من والاهم، و شایعهم، و الخراسانیون منهم، و یشیر المأمون إلی هذا المعنی فی رسالته، التی أرسلها إلی عبد اللّه بن موسی؛ حیث یقول:

«... ما ظننت أحدا من آل أبی طالب یخافنی؛ بعد ما عملته بالرضا» و الرسالهٔ مذکورهٔ فی أواخر هذا الکتاب ... کما أنه کتب للعباسیین فی بغداد فی رسالته، التی أشرنا إلیها غیر مرهٔ، یقول لهم:

إنه یرید بذلک أن یحقن دماءهم، و یذود عنهم؛ باستدامهٔ المودهٔ بینهم، و بین العلویین ...

ب:

بل و نزید هنا علی ما تقدم: أنه قد بایعه منهم و من أشیاعهم من لم یکن بعد قد بایعه، و هم قسم کبیر جدا، بل لقد بایعه اکثر المسلمین، و دانوا له بالطاعهٔ، بعد أن کانوا مخالفین له ممتنعین عن بیعته، حسبما قدمناه ...

و هذه دون شک هی إحدی امنیات المأمون، بل هی أجل امنیاته و أغلاها.

ج:

قال ابن القفطی فی معرض حدیثه عن عبد اللّه بن سهل ابن نوبخت:

«... هذا منجم مأمونی، کبیر القدر فی صناعته، یعلم المأمون قدره فی ذلک. و کان لا یقدم إلا عالما مشهودا له، بعد الاختبار ...

و کان المأمون قد رأی آل أمیر المؤمنین، علی بن أبی طالب متخشّین، متخفین، من خوف المنصور، و من جاء بعده من بنی العباس.

و رأی العوام قد خفیت عنهم أمورهم بالاختفاء؛ فظنوا ما یظنونه بالانبیاء، و یتفوهون بما یخرجهم عن الشریعهٔ، من التغالی ...

فأراد معاقبهٔ العامهٔ علی هذا الفعل ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۸

ثم فکر: أنه إذا فعل هذا بالعوام زادهم إغراء به؛ فنظر نظرا دقیقا، و قال: لو ظهروا للناس، و رأوا فسق الفاسق منهم، و ظلم الظالم، لسقطوا من أعینهم، و لا نقلب شکرهم لهم ذما ...

ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا، و استتروا، و ظنوا بنا سوءا، و إنما الرأی: أن نقدم أحدهم، و یظهر لهم إماما، فإذا رأوا هذا أنسوا، و ظهروا، و أظهروا ما عندهم من الحرکات الموجودهٔ فی الآدمیین؛ فیحقق للعوام حالهم، و ما هم علیه، مما خفی بالاختفاء؛ فإذا تحقق ذلک أزلت من أقمته، و رددت الأمر إلی حالته الاولی ...

و قوی هذا الرأی عنده، و کتم باطنه عن خواصه ... و أظهر للفضل ابن سهل: أنه یرید أن یقیم إماما من آل أمیر المؤمنین علی صلوات اللّه علیه.

و فکر هو و هو، فیمن یصلح، فوقع إجماعهما علی الرضا؛ فأخذ الفضل بن سهل فی تقریر ذلک، و ترتیبه و هو لا یعلم باطن الأمر.

و أخذ فی اختیار وقت لبیعهٔ الرضا؛ فاختار طالع السرطان، و فیه المشتری الخ» «۱».

ثم ذکر أن عبد اللّه بن سهل أراد اختیار المأمون؛ فأخبره أن البیعهٔ لا تتم إذا وقعت فی ذلک الوقت؛ فهدده المأمون بالقتل إن لم تقع البیعهٔ فی ذلک الوقت بالذات، لأنه سوف یعتبر أنه هو الذی أفسد علیه ما کان دبره الخ ...

و ابن القفطی هنا، لا یبدو أنه یعتبر الإمام الرضا (ع) من أولئک الذین یرید المأمون إظهار تفاهاتهم للناس، و لکنه یوجه نظره إلی

بقیة

(۱) تاریخ الحکماء ص ۲۲۱، ۲۲۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۲۹

العلویین فی ذلک ... و نحن إن کنا لا نستبعد من المأمون ما ذکره ابن القفطی هنا لکننا لا نستطیع أن نعتبر أن هذا کان من الأسباب الرئیسیة لدی المأمون، إذ لا نعتقد أن المأمون کان من السذاجة بحیث یجهل أن بقیة العلویین لم یکونوا- إجمالا- علی الحال التی کان یرید أن یظهرهم علیها للناس، و أنهم کانوا أکثر تدینا و التزاما من أی فئة اخری علی الإطلاق ...

هذا ... و لسوف نری أن أحمد أمین المصری یأخذ برأی ابن القفطی هذا. لکنه ینظر فیه إلی خصوص أئمة أهل البیت (ع)، کما سیأتی بیانه، و بیان مدی خطله و فساده فی الفصل التالی. و فیه دلالة علی أن الفضل کان مخدوعا، و علی أن المأمون لم یکن مخلصا فیما اقدم علیه ...

د-:

إنه لا بد لنا من الإشارة هنا إلی أن اکثر ثورات العلویین، التی قامت ضد المأمون- قبل البیعة للرضا (ع) طبعا- کانت من بنی الحسن، و بالتحدید من أولئک الذین یتخذون نحلة الزیدیة؛ فأراد المأمون أن یقف فی وجههم، و یقضی علیهم، و علی نحلتهم تلک نهائیا، و إلی الأبد؛ فأقدم علی ما أقدم علیه من البیعة للرضا (ع) بولایة العهد ...

هذا ... و قد کانت نحلة الزیدیة هذه- شائعة فی تلک الفترة، و کانت تزداد قوة یوما عن یوم، و کان للقائمین بها نفوذ واسع، و کلمة مسموعة، حتی إن المهدی قد استوزر یعقوب بن داود، و هو زیدی، و آخاه، و فوضه جمیع امور الخلافة «۱».

و علی حد تعبیر الشبراوی: «... فولاه الوزارة، و صارت الأوامر کلها بیدیه؛ و استقل یعقوب حتی حسده جمیع أقرانه ...» «۲».

(۱) البدایة و النهایة ج ۱۰/ ۱۴۷، و غیره من کتب التاریخ؛ فراجع فصل: مصدر الخطر علی العباسیین.

(۲) الاتحاف بحب الأشراف ص ۱۱۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۳۰

بل کان «لا ینفذ للمهدی کتاب إلی عامل؛ فیجوز، حتی یکتب یعقوب إلی أمینه و ثقته بانفاذه ...» «۱».

و قد بلغ من نفوذ یعقوب هذا ... أن قال فیه بشار بن برد أبیاته المشهورة، التی قدمناها، و التی یقول فیها: «إن الخلیفة یعقوب ابن داود».

و قد سعی بیعقوب هذا إلی المهدی: و قیل له: «... إن الشرق و الغرب فی ید یعقوب، و أصحابه؛ و إنما یکفیه أن یکتب إلیهم؛ فیثوروا فی یوم واحد؛ فیأخذوا الدنیا ...» «۲».

و ذلک لأنه قد: «أرسل یعقوب هذا إلی الزیدیة، و أتی بهم من کل أوب، و ولاهم من امور الخلافة فی المشرق و المغرب کل جلیل، و عمل نفیس، و الدنیا کلها فی یدیه ...» «۳».

و إذا ما عرفنا أن معاونی یعقوب إنما کانوا هم: متفقهة الکوفة، و البصرة، و أهل الشام «۴» ... فإننا نعرف أن الاتجاه الزیدی سوف یؤثر کثیرا، و کثیرا جدا علی الثقافة العامة، و الاتجاهات الفکریة فی ذلک العصر- کما حدث ذلک فعلا ... حتی لقد صرح ابن الندیم بأن:

«أكثر علماء المحدثين إلا قليلا منهم، و كذلك قوم من الفقهاء، مثل:

سفيان الثورى، و سفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية ...» «۵».

و قد صرح المؤرخون أيضا: بأن أصحاب الحديث جميعهم، قد

---

(۱) الطبرى ج ۱۰/ ۶۴۸، و الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۶۰، و مرآة الجنان ج ۱/ ۴۱۸.

(۲) الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۶۶، ۶۷.

(۳) الطبرى ج ۱۰/ ۵۰۸، طبع ليدن، و الوزراء و الكتاب للجهشيارى ص ۱۵۸، و الكامل لابن الأثير ج ۵/ ۶۶.

(۴) الطبرى، طبع ليدن ج ۱۰/ ۶۴۸.

(۵) الفهرست لابن النديم ص ۲۵۳.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۳۱

خرجوا مع ابراهيم بن عبد اللّه بن الحسن، أو أفتوا بالخروج معه «۱».

و على كل حال ... فإن ما يهمنا بيانه هنا: هو أن المأمون كان يريد

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۳۷۷، و غيرها من الصفحات، و غيرها من الكتب ... و يرى بعض أهل التحقيق: أن المقصود هو جميع أصحاب الحديث فى الكوفة ... و لكن الظاهر أن المراد: الجميع مطلقا، كما يظهر من مراجعة مقاتل الطالبيين و غيره ...

و الأمر الذى تجدر الإشارة إليه هنا: هو أن فرقة من الزيدية، و فرقة من أصحاب الحديث، قد قالوا بالإمامة على النحو الذى يقول به الشيعة الإمامية، عند ما جعل المأمون «الرضا عليه السلام» وليا لعهده. لكنهم بعد وفاة الرضا عليه السلام رجعوا عن ذلك:

قال النوبختى فى فرق الشيعة ص ۸۶:

«... و فرقة منهم تسمى «المحدثة» كانوا من أهل الارجاء، و أصحاب الحديث، فدخلوا فى القول بامامة موسى بن جعفر، و بعده بامامة على بن موسى، و صاروا شيعة؛ رغبة فى الدنيا و تصنعا. فلما توفى على بن موسى عليه السلام رجعوا إلى ما كانوا عليه ...

و فرقة كانت من الزيدية الأقوياء، و البصراء، فدخلوا فى إمامة على بن موسى (ع)، عند ما أظهر المأمون فضله، و عقد بيعته؛ تصنعا للدنيا، و استكانوا الناس بذلك دهرا.

فلما توفى على بن موسى (ع) رجعوا إلى قومهم من الزيدية ...» و قد تقدم قول الشيبى: إنه قد التف حول الرضا (ع) «المرجئة، و أهل الحديث، و الزيدية، ثم عادوا إلى مذاهبهم بعد موته ...» و غير ذلك ...

و الذى نريد أن نقوله هنا هو: أن «الارجاء دين الملوك»، على حد تعبير المأمون (على ما نقله عنه فى ضحى الاسلام ج ۳/ ۳۲۶)، نقلا عن طيفور فى تاريخ بغداد ...

و فى البداية و النهاية ج ۱۰/ ۲۷۶: أن المأمون قال للنضر بن شميل: ما الارجاء؟.

قال: «دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، و ينقصون به من دينهم» قال:

صدقت الخ ... و ليراجع كتاب بغداد ص ۵۱.

و عمدة القول بالارجاء (القديم) هو: المغالاة فى الشيخين، و التوقف فى الصهرين؛ فالارجاء و التشيع، و خصوصا القول بامامة موسى بن جعفر، و ولده على الرضا على طرفى نقيض و من هنا كانت المساجلة الشعرية بين المأمون المظهر لحب على و ولده، و ابن شكلة المرجى، يقول المأمون معرضا بابن شكلة:

إذا المرجى سرك أن تراه يموت لحينه من قبل موته

فجدد عنده ذکری علیو صل علی النبی و آل بیته

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۳۲

أما ابن شکلة فیقول معرضا بالمأمون:

إذا الشیعی جمجم فی مقالفسرک أن یبوح بذات نفسه

فصل علی النبی و صاحبیهوزیریه و جاریه برمسه راجع: مروج الذهب ج ۳/ ۴۱۷، و الکنی و الألقاب ج ۱/ ۳۳۱.

و بعد هذا ... فانه لمن غرائب الامور حقا، الانتقال دفعة واحدة من القول بالارجاء إلی التشیع، بل الی الرفض (و هو الغلو فی التشیع حسب مصطلحهم، و الذی یتمثل بالقول بامامة الأئمة الاثنی عشر علیهم السلام). و أغرب من ذلک العودة إلی الارجاء بعد موت علی الرضا علیه السلام ...

و هذا ان دل علی شیء؛ فانما یدل علی مدی تأثیر السیاسة و المال فی هؤلاء الذین أخذوا علی عاتقهم- بادعائهم- مسئولیة الحفاظ علی الدین و الذود عن العقیدة؛ فانهم کانوا فی غایة الانحطاط الدینی، یتلونون- طمعا بالمال و الشهرة- ألوانا؛ حتی إن ذلک یحملهم علی القول بعقیدة، ثم القول بضدها، ثم الرجوع الی المقالة الاولی، إذا رأوا أن الحاکم یرغب فی ذلک، و یمیل إلیه، و لهذا سموا ب «الحشویة» یعنی: أتباع و حشو الملوک، و أذناب کل من غلب، و یقال لهم أیضا (و هم فی الحقیقة أهل الحدیث): «الحشویة، و النابتة، و الغثاء، و الغثر ...» علی ما فی کتاب: تأویل مختلف الحدیث لابن قتیبة ص ۸۰.

و راجع أیضا فرق الشیعة، و رسالة الجاحظ فی بنی أمیّة، و غیر ذلک ...

بل لقد أطلق علیهم المأمون نفسه لفظ «الحشویة» فی مناقشته المشهورة للفقهاء و العلماء المذکورة فی العقد الفرید و البحار، و عیون أخبار الرضا و غیر ذلک ...

و قال عنهم الزمخشری فی مقام استعراضه للمذاهب و النحل، و معتنقیها:

و إن قلت من أهل الحدیث و حزبهیقولون تیس لیس یدری و یفهم و یقابل کلمة «الحشویة» کلمة «الرافضة» التی شاع اطلاقها علی الشیعة الإمامیة.

و معناها فی الأصل: جند ترکوا قائدهم؛ فحیث إن الشیعة لم یکونوا قائلین بامامة أولئک المتغلبین، سموهم ب «الرافضة»؛ و لذا جاء فی تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۶۱:

أن معاویة کتب إلی عمرو بن العاص:

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۳۳

«أما بعد ... فانه قد کان من أمر علی و طلحة و الزبیر ما قد بلغک؛ فقد سقط إلینا مروان فی رافضة أهل البصرة الخ ...». و مثل ذلک ما فی وقعة صفین لنصر بن مزاحم ص ۳۴. فالمراد بکلمة رافضة هنا هو ذلک المعنی اللغوی الذی أشرنا إلیه؛ فسمی الشیعة بالرافضة؛ لأنهم- کما قلنا- رفضوا الانقیاد لأولئک الحکام المتغلبین ...

یقول السید الحمیری علی ما جاء فی دیوانه و غیره- یهجو بعض من اتهمه بالرفض لیقتله المنصور:

أبوک ابن سارق عنز النبیو أمک بنت أبی جحدر

و نحن علی رغمک الرافضون لأهل الضلالة و المنکر و لکن قد جاء فی الطبری، مطبعة الاستقامة ج ۶ ص ۴۹۸، و البدایة و النهایة ج ۹ ص ۳۳۰، و مقدمة ابن خلدون ص ۱۹۸، و مقالات الاسلامیین ج ۱ ص ۱۳۰، و غایة الاختصار ص ۱۳۴: أن سبب تسمیة الشیعة ب «الرافضة» هو أنهم عند ما ترکوا نصرة زید بن علی فی سنة ۱۲۲ ه. قال لهم زید: رفضتمونی، رفضکم اللّه. و هذا کذب راج علی

بعض الشيعة أيضا حيث ذكروا و ذكر الطبرى فى نفس الصفحة المشار إليها آنفا: أن التسمية كانت من المغيرة بن سعيد، لما رفضته الشيعة ... و كانت قضيته سنة ۱۱۹ ه.

و لكن الحقيقة هى أن التسمية بالرافضة كانت قبل سنتى ۱۲۲ ه. و ۱۱۹ ه. فقد جاء فى المحاسن للبرقى ص ۱۱۹ طبع النجف، باب الرافضة: أن الشيعة كانوا يشكون إلى الباقر المتوفى سنة ۱۱۴ أن الولاة قد استحلوا دماءهم و أموالهم باسم: «الرافضة» الخ ...

و جاء فى ميزان الاعتدال طبع سنة ۱۹۶۳ م. ج ۲ ص ۵۸۴ بعد ذكره لاسناد طويل أن الشعبى المتوفى سنة ۱۰۴ ه. قال لأحدهم: «ائتنى بشيعى صغير، اخرج لك منه رافضيا كبيرا» ...

و فى كتاب: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ۴۰، أن الشعبى قال:

«أحبب آل محمد و لا تكن رافضيا، و أثبت و عيد اللّه، و لا تكن مرجئيا ...».

بل لدينا ما يدل على أن تسمية الشيعة ب «الرافضة» كان قبل سنة المائة؛ فقد جاء فى المحاسن و المساوى للبيهقى ص ۲۱۲، طبع دار صادر و أمالي السيد المرتضى ج ۱ ص ۶۸ هامش: أنه لما أنشد الفرزدق أبياته المشهورة فى الامام زين العابدين، المتوفى سنة ۹۵ ه قال عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ۸۶ ه للفرزدق: «أ رافضى أنت يا فرزدق؟!». و على كل حال: فان ذلك كله قد كان قبل قضيتى زيد و المغيرة ابن سعيد بزمان بعيد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۳۴

أن يقضى على الزيدية، و يكسر شوكتهم بالبيعة للامام الرضا (ع) بولاية العهد؛ و لهذا نرى أنه قد طبق اللقب، الذى طالما دعا إليه الزيدية، و اعترف به العباسيون، بل و دعوا إليه فى بدء دعوتهم و دولتهم، ألا و هو لقب: «الرضا من آل محمد»، طبقه على على ابن موسى (ع)؛ فسماه: «الرضا من آل محمد» «۱». فأصبحت بذلك حجته قوية على الزيدية، بل لم يعد لهم حجة أصلا. و أصبح يستطيع أن ينام قرير العين، إذ قد أصبح «الرضا من آل محمد» موجودا، فالدعوة إلى غيره ستكون لا معنى لها البتة. و لسوف تكون مرفوضة من الناس جملة و تفصيلا. و كان ذلك بطبيعة الحال السبب الرئيسى فى إضعاف الزيدية، و كسر شوكتهم، و شلّ حركتهم ...

و الذى ساهم إلى حد كبير فى اضعافهم، و شل حركتهم، هو اختياره الإمام (ع) بالذات، حيث إنه الرجل الذى لا يمكن لأحد كائنا من كان أن ينكر فضله، و علمه، و تقواه، و سائر صفاته و مزاياه، التى لم تكن لأحد فى زمانه على الاطلاق، فليس لهم بعد طريق للاعتراض عليه: بأن الذى اختاره لولاية عهده، و الخلافة من بعده، ليس أهلا

---

(۱) راجع: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ۲۱۷، و ضحى الاسلام ج ۳ ص ۲۹۴، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۷، و الطبرى، و ابن الأثير، و القلقشندى، و أبو الفرج، و المفيد و كل من تعرض من المؤرخين لولاية العهد ... بل لقد صرح نفس المأمون بذلك فى وثيقة ولاية العهد، و هذا يكفى فى المقام ... و لقد قال دعبل:

أيا عجبا منهم يسمونك الرضاو يلقاك منهم كلحة و غضون و هناك نصوص اخرى مفادها: أنه سمى الرضا؛ لرضا أعدائه، و أوليائه به.

و عزا الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ۱۳۸:- عزا- رضا أعدائه به إلى قوة شخصيته عليه السلام ... أما نحن فنقول: إنه ليس من اليسير أبدا، أن تنال شخصية رضا كل أحد، حتى أعدائها ... اللهم إلاـ إذا كان هناك سر إلهى، اختصت به تلك الشخصية، دون غيرها من سائر بنى الانسان ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۳۵

لما أهّله له. و لو أنهم ادعوا ذلك لما صدقهم أحد، و لكانت الدائرة حينئذ فى ذلك عليهم، و الخسران لهم دون غيرهم.

فذلكة لا بد منها:

هـذا ... و لا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن المأمون، لم يخترع اسلوبا جديـدا للتصدى للزيدية، و الحد من نفوذهم، و كسر شوكتهم: ببيعته للرضا (ع)؛ إذ أنه كان قـد استوحى هـذه الفكرة من سلفه المهـدى، الـذى كان قـد استوزر يعقوب بن داود الزيدى، ليحد من نشاط الزيديـة، و يكسر شوكتهم. و كان قد نجح فى ذلك إلى حد ما: إذ لا يحدثنا التاريخ عن تحركات زيدية خطيرة ضد المهدى، بعد استيزاره ليعقوب، و تقريبه للزيدية، كتلك الأحداث التى حدثت ضد المنصور، و خصوصا ثورة محمد و ابراهيم ابنى عبد اللّه ...
كمـا يلاحظ أن تقريب العباسـيين للزيديـة فى عصـر المهـدى، و تسـليطهم على شـئون الدولـة و إداراتها، لم يؤثر فى الوضع العام أثرا يخشاه العباسيون، و ذلك بلا شك مما يشجع المأمون على الاقدام على ما كان قد عقد العزم عليه، بجنان ثابت و إرادة راسخة ...
يضـاف إلى ذلك: أن سـهولة إبعاد العباسـيين لهم عن مراكز القوة، و مناصب الحكم على يـد المهـدى نفسه، الـذى نكب يعقوب بن داود، الوزير الزيدى، حيث لم تصاحبه ردة فعل، و لا نتج عنه أية حادثة تذكر ضد العباسـيين، لا حقيرة، و لا خطيرة ... هو الذى شجع المـأمون على أن يستوحى نفس الفكرة، و يلعب نفس اللعبـة، و يتبع نفس طريقـة المهـدى. فى مواجهتهم، و كسـر شوكتهم، بـالبيعة للرضا (ع) بولاية العهد بعده.
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۳۶
و على كـل حـال، فان هـذا اسـلوب قـديم اتبعه العباسـيون فى دعوتهم الاولى أيضا، حيث بايعوا للعلويين، و أظهروا أن الـدعوة لهم و باسمهم ...
ثم كـانت النتيجـة هى ما يعلمه كل أحـد، حيث انقلبوا عليهم يوسـعونهم قتلا و عسـفا، و تشـريدا عنـد ما خافوهم، و لم يعودوا بحاجة إليهم ...

ه‍-:

أضف إلى ما تقـدم أن المأمون كان يعلم قبل أى شـخص آخر بطبيعـة العلاقات التى كانت قائمة بين الأئمة (ع)، و بين الزيدية، حيث إنها كانت على درجـة من السوء و التـدهور. و كان عـدم التفاهم، و الانسـجام فيما بينهم واضـحا للعيان ... حتى لقد شـكى الائمة (ع) منهم، و صـرحوا: بأن الناس قد نصـبوا العداوة لشيعتهم، أما الزيدية فقد نصبوا العداوة لهم أنفسهم «۱»، و فى الكافى رواية مفادها: إنه (ع) قـال إنهم قبـل أن يصـلوا إلى الحكم كـانوا لا ـ يطيعونهم فكيف تكون حـالهم معهم لو أنهم وصـلوا إلى الحكم و تبوءوا كرسـى الرئاسة.

---

(۱) راجع: الوافى للفيض ج ۱ ص ۱۴۳، باب: الناصب و مجالسته ...
هذا ... و لا يمنع ذلك ما ورد عنهم عليه السلام من أن خروج الزيدية و غيرهم على الحكام يدرءوا به عنهم، و عن شـيعتهم: فقد جاء فى السرائر قسم المستطرفات ص ۴۷۶ أنه: «ذكر بين يدى أبى عبد اللّه من خرج من آل محمد (ص)؛ فقال عليه السلام: لا ـ أزال أنـا و شـيعتى بخير ما خرج الخارجى من آل محمـد إلـخ ...». و ذلك لأن اصـطدامهم مع الحكام كان يصـرف أنظار الحكام إليهم، و يفسح المجال أمام أهل البيت و شيعتهم إلى حد ما. و لم يكن هناك مجال لاتهام الأئمة و شيعتهم بالتواطؤ معهم، مع ما كان يراه الحكام من عدم الانسجام الظاهر بين الأئمة و بين الزيدية، و غيرهم من الثائرين و سلبية كل فريق منهما تجاه الآخر ...
و أخيرا ... فلاـ بـد لنا هنا من الاشارة إلى أن ثورات العلويين، سواء على الحكم الاموى، أو الحكم العباسـى، قـد ساهمت فى أن يبقى حق العلويين فى الحكم محتفظا بقوته و حيويته فى ضمير الامة، و وجدانها. و لم تؤثر عليه حملات القمع و التضليل، التى كان الحكم القائم آنذاك يمارسها ضدهم، و ضد هذا الحق الثابت لأهل البيت عليهم السلام بالنص.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۳۷

و قد رأینا: أن عبد اللّه بن الحسن، عند ما جاء یعرض علی الإمام الصادق (ع) کتاب أبی سلمة، الذی یدعوه فیه للقدوم إلی الکوفة، لتکون الدعوة له، و باسمه؛ فنهاه الإمام (ع) عن ذلک- رأیناه- ینازع الإمام الصادق الکلام؛ حتی قال له:

«و اللّه، ما یمنعک من ذلک الا الحسد إلخ ...» و قد انصرف عبد اللّه آخر الأمر مغضبا «۱».

و رأینا أیضا أنه فی موقف آخر له مع الإمام الصادق (ع) یتهمه بنفس هذه التهمة، و یصمه بعین هذه الوصمة، و ذلک عند ما أرادوا البیعة لولده محمد، و أبدی الإمام (ع) رأیه فی ذلک ... ذلک الرأی الذی کشفت الأیام عن صحته و سداده «۲».

بل لقد کان عیسی بن زید یقول لمحمد بن عبد اللّه: «... من خالفک من آل أبی طالب، فأمکنی أضرب عنقه ...» «۳» و قد تجرأ عیسی هذا أیضا علی الإمام الصادق بکلام لا نحب ذکره ...

و أما موقف محمد بن عبد اللّه نفسه مع الإمام الصادق (ع)، فأشهر من أن یذکر، حیث إنه سجن الإمام (ع)، و استصفی أمواله، و أسمعه کلاما قاسیا، لا یلیق بمقام الإمام و سنه «۴».

---

(۱) راجع: مروج الذهب ج ۳ ص ۳۵۴، ۳۵۵، و غیره من المصادر.

(۲) الصواعق المحرقة ص ۱۲۱، و ینابیع المودة للحنفی ص ۳۳۲، ۳۶۱، و مقاتل الطالبیین ص ۲۵۵، ۲۵۶، ۲۷۰، و غیر ذلک ... و فی هذا الأخیر: أن عبد اللّه ابن الحسن لم یرض باستدعاء الامام، و لا وافق علیه، عند ما أرادوا البیعة لولده محمد، و بعد أن أقنعوه، و حضر الامام، جری بینهما ما جری ...

(۳) قاموس الرجال ج ۷ ص ۲۷۰.

(۴) قاموس الرجال ج ۷ ص ۲۷۰، و ج ۸ ص ۲۴۲، ۲۴۳، و البحار ج ۴۷ ص ۲۸۴، ۲۵۸.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۳۸

إلی آخر ما هنالک مما یدل علی کرههم، و حقدهم علی الائمة (ع)، أو بالاخری حسدهم لهم ...

و المأمون ... کان یعلم بذلک کله، و یدرکه کل الإدراک، و لهذا فإننا لا نستبعد أنه- و هو الداهیة الدهیاء- قد أراد أیضا فی جملة ما أراد: أن یوقع الفتنة بین آل علی أنفسهم. أی: بین الأئمة، و المتشیعین لهم، و بین الزیدیة، و یقف هو فی موقف المتفرج المتربص، حتی إذا أضعف کل واحد من الفریقین الفریق الآخر، و لم یعد فیهما بقیة ... انقض هو علیهما، و قضی علیهما بأهون سبیل ...

بل إن بعض الباحثین یری: أنه أراد من لعبته هذه: «... ضربا للثائرین العلویین من إخوة علی بن موسی بأخیهم «۱» ...».

و لو اننا استبعدنا کل ذلک، فلا أقل- کما قلنا- من أن حجته أصبحت قویة علی الزیدیة، و علی کل من یدعو إلی «الرضا من آل محمد»، و لم یعد یخشی أحدا منهم، بعد أن أصبح «الرضا من آل محمد موجودا ...

الهدف التاسع:

کما أنه ببیعته للامام الرضا (ع) بولایة العهد، و قبول الإمام (ع) بذلک ... یکون قد حصل علی اعتراف من العلویین، علی أعلی مستوی بشرعیة الخلافة العباسیة، و لقد صرح المأمون بأن ذلک کان من جملة أهدافه، حیث قال: «... فأردنا أن نجعله ولی عهدنا، لیکون دعاؤه لنا، و لیعترف بالملک و الخلافة لنا ...» و سنتکلم حول تصریحات المأمون

---

(۱) هو الدکتور کامل مصطفی الشیبی فی کتابه: الصلة بین التصوف و التشیع ص ۲۱۹.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۳۹

هذه بنوع من التفصیل فی فصل: مع بعض خطط المأمون، و غیره إن شاء اللّه تعالی ...

نعود إلی القول: إن تصریح المأمون هذا یعطینا: أن قبول الإمام بأن یکون ولی عهد المأمون، إنما یعنی بالنسبهٔ للمأمون: أن الإمام یکون قد أقر بأن الخلافهٔ لیست له دون غیره، و لا ـ فی العلویین دون غیرهم. و أنه کما یمکن أن یکون هو جدیرا بها، و أهلا ـ لها، کذلک غیره یمکن أن یکون کذلک ... و لیتمکن المأمون بذلک من محاربهٔ العلویین بنفس السلاح الذی بأیدیهم، و لیصیر– من ثم– من الصعب استجابهٔ الناس لهم، إذا دعوا لأیهٔ ثورهٔ ضد حکم اعترفوا هم بشرعیته، و أیدوه، و تعاونوا معه من قبل، و علی أعلی مستوی و من أعظم شخصیهٔ فیهم ...

بل لقد کان یرید أن یحصل من العلویین علی اعتراف بأن الحکم حق للعباسیین فقط. أما هم، فلیس لهم فیه أدنی نصیب. و ما فعله المأمون– من إسناد ولایهٔ العهد لواحد منهم، ما کان إلا تفضلا و کرما، و من أجل أن یجمع شمل البیتین العلوی و العباسی، و تصفو القلوب و یمحو ما کان من أمر الرشید و غیره من أسلافه مع العلویین ...

و لقد حاول المأمون أن ینتزع من الإمام اعترافا بأن الخلافهٔ حق للعباسیین، شفاها أیضا فکانت النتیجهٔ عکس ما أراد المأمون، و ذلک عند ما عرض بالمن علی الإمام بأن جعله ولی عهده، فأجابه الإمام (ع):

بأن هذا الأمر لم یزده فی النعمهٔ شیئا، و أنه و هو فی المدینهٔ کانت کتبه تنفذ فی المشرق و المغرب.

کما أن المأمون قد قال لحمید بن مهران، و جمع من العباسیین:

«... و لیعتقد فیه المفتونون به، بأنه لیس مما ادعی فی قلیل، و لا

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۰

کثیر، و أن هذا الأمر لنا دونه ...» و لسوف یأتی الکلام عن هذه التصریحات إن شاء اللّه کما قلنا ...

و بعد ... فإنه لا ـ یکون من المبالغهٔ فی شیء لو قلنا: إن حصول المأمون علی اعتراف من العلویین، و من الإمام الرضا (ع) خاصهٔ، بشرعیهٔ خلافته، و خلافهٔ، بنی أبیه أخطر علی العلویین من الاسلوب الذی انتهجه أسلافه من أمویین و عباسیین ضدهم: من قتلهم، و تشریدهم، و سلب أموالهم، إلی غیر ذلک مما هو معروف و مشهور ...

الهدف العاشر:

یضاف إلی ذلک، أنه یکون قد حصل علی اعتراف ضمنی من الإمام بشرعیهٔ تصرفاته، طیلهٔ فترهٔ ولایهٔ العهد، و لیعطی الناس– من ثم– الصورهٔ التی یریدها عن الحکم و الحاکم، و لیؤکد للملإ أجمع: أن الحاکم هذا هو سلوکه، و هذه هی تصرفاته: من کان، و مهما کان، و إذن فلیس لهم بعد حق فی أن یتطلعوا إلی حکومهٔ أحد علی أن بها شیئا جدیدا. و لا أن ینظروا إلی جههٔ علی انها یمکن أن یکون بها المنقذ لهم، و المخرج من الظلمات إلی النور، حتی و لو کانت تلک الجههٔ هی آل بیت نبیهم، فإنه من الطبیعی أن یتبع السیاسیون أسالیب، و یتکلموا بأشیاء کثیرهٔ، ینسونها بمجرد وصولهم إلی الحکم، و تسلمهم لأزمّهٔ السلطهٔ، فإن تلک لا تعدو کونها تکتیکات، و وعودا انتخابیهٔ، یحتاجون إلیها فی ظروف معینهٔ، ثم یستغنون عنها ... کما کانت الحال فی وعود المأمون، التی أشرنا إلیها فیما تقدم ...

و هکذا ... فیکون سکوت الإمام فی فترهٔ ولایهٔ العهد، عن تصرفات الهیئهٔ الحاکمهٔ، دالا علی رضاه بها، و یعتبر إمضاء لها ... و بعد هذا ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۱

فلا یجب أن یکون من العسیر علی الناس أن یتصوروا طبیعهٔ و ماهیهٔ حکم الإمام، و کل من یقدر له أن یصل إلی الحکم و السلطان، سواء من العلویین، أو من غیرهم ...

و إذا كـانت الصورة واحـدة، و الجوهر واحـد، و الاختلاف إنمـا هو فقـط فی الاسم و العنوان، فليس لهم بعـد حق، أو على الأقل ما الداعی لهم، لأن يطلبوا حكما أفضل، أو حكاما أعدل، فانه طلب لغير موجود، و سعی وراء مفقود ...

الهدف الحادی عشر:

اشارة

هـذا ... و بعـد أن يكون المأمون قـد حصل على كل ما قـدمناه، و حقن دماء العباسيين، و استوثقت له الممالک، و لم يعـد هناک ما يعكر صفو حياته «۱». و قوی مركزه، و ارتفع بالخلافة من الحضـيض المهين، الذی أوصـلها إليه أسلافه إلى أوج العظمة، و التمكن و المجـد. و أعطاها من القوة و المنعـة، و وهبها من الحياة فی ضـمير الامـة و وجـدانها ما هی بأمس الحاجـة إليه .. و لتتمكن من ثم من الصـمود فی وجه أية عاصـفة، و إخماد أية ثورة، و مقاومة كل الأنواء، و ذلک هو حلمه الكبير، الذی طالما جهد فی تحقيقه- إنه بعد أن يكون قد حصل على كل ذلک و سواه مما قدمناه:

---

(۱) لقد صرح الذهبی فی الجزء الأول من كتابه «العبر»، بأنه فی سنة ۲۰۰ ه. استوثقت الممالک للمأمون ... و هذه هی نفس السنة التی اتی فيها بالامام عليه السلام من المدينة إلى مرو ... و لكن اليافعی فی مرآة الجنان ج ۲ ص ۸ و شذرات الذهب ج ۲ ص ۵: قد جعل ذلک فی سنة ۲۰۳:

أی فی السنة التی تخلص فيها المأمون من الامام الرضا عليه السلام بواسطة السم الذی دسه إليه ... و فی اليعقوبی ج ۲ ص ۴۵۲ طبع صادر: أنه فی السنة التی غادر فيها المأمون خراسان: «لم تبق ناحية من نواحی خراسان يخاف خلافها».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۲۴۲

يكون قـد أفسح لنظام حكمه المجال- تلقائيا- لتصـفية حساباته مع خصومه، أيا كانوا، و بأی وسيلة كانت، و بهـدوء، و راحـة فكر و اطمئنان إن اقتضى الأمر ذلک.

كمـا أنه يكون قـد مهـد الطريق لتنفيـذ الجزء الثانی- و لعله الأهم- من خطته الجهنميـة، بعيـدا عن الشـبهات، و دون أن يتعرض لتهمة أحـد، أو شک من أحـد ... ألا و هو: القضاء على العلويين بالقضاء على أعظم شخصـية فيهم. و ليكون بـذلک قـد قضـى نهائيا، و إلى الأبد، على أكبر مصدر للخطر، يمكن أن يتهدده، و يتهدد خلافته و مركزه ...

إنه يريـد زعزعة ثقة الناس بهم، و استئصال تعاطفهم معهم، و ليحوله- إن اسـتطاع- إلى كره و مقت، بالطرق التی لا تمس العواطف و المشاعر، و لا تثير الكثير من الشكوک و الشبهات ...

يظهر ذلک فی محاولاته إسـقاط الإمام اجتماعيا، و الوضع منه قليلا قليلا، حتى يصوره أمام الرعيـة بصورة من لا يسـتحق لهذا الأمر، و ليـدبر فيه فی نهاية الأمر بما يحسم عنه مواد بلائه ... كما صـرح لحميد بن مهران، و جمع من العباسـيين، و سـنتكلم بنوع من التفصـيل عن محاولات المأمون هذه، التی باءت كلها بالفشل الذريع، و عادت عليه بالخسران؛ لأن الإمام (ع) كان قد أحبطها عليه، بل لقد كان لها من النتائج العكسيـة بالنسبـة إليه ما جعله يتعجل بتصـفية الإمام جسـديا، بعـد أن أشـرف هو منه (ع) على الهلاک ... بالطريقة التی حسب أنها سوف لا تثير الكثير من الشكوک و الشبهات ...

ملاحظة لا بد منها:

و من الامور الجدیرة بالملاحظة هنا: أن المأمون کان یقدر أن مجرد

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۳

جعل ولایة العهد للإمام، سوف یکون کافیا لتحطیمه اجتماعیا، و إسقاطه نهائیا من أعین الناس؛ حیث یظهر لهم بالعمل- لا بالقول: أن الإمام رجل دنیا فقط، و أن تظاهره بالزهد و التقوی ما هو إلا طلاء زائف، لا واقع له، و لا حقیقة وراءه ... و لسوف تکون النتیجة هی تشویه سمعة الإمام (ع)، و زعزعة ثقة الناس به؛ و ذلک بسبب الفارق الکبیر بالسن، بین الخلیفة الفعلی، و بین ولی عهده؛ إذ أن ولی العهد لا یکبر الخلیفة الفعلی بسنتین، أو ثلاثة، أو خمسة، لا ... بل اکثر من ذلک بکثیر، إنه یکبره ب «۲۲» سنة، و إنه لمن الامور غیر الطبیعیة أبدا: أن یقبل ولایة العهد، و هو یکبر الخلیفة الفعلی بهذا المقدار الکبیر من السنین، و لسوف یکون قبوله لها- مع هذا الفارق بینهما- موجبا لجعله عرضة لشکوک الناس، و ظنونهم، و لسوف یتسبب بوضع علامات استفهام کبیرة حوله ... کما کان الحال. بالنسبة لسؤال محمد بن عرفة، و کلام الریان المتقدم ... و لسوف یفسر «۱» ذلک من أولئک الذین لا یدرکون حقیقة ما یجری، و ما یحدث،- و ما أکثرهم- بتفسیرات تنسجم مع رغائب المأمون، و أهدافه. لأنهم سوف یرون أن زهده (ع) بالدنیا، لیس إلا ستارا تختفی وراءه مطامعه فیها، و حبه المستمیت لها، حتی إنه لیطمع أن یعیش إلی ما بعد الخلیفة الفعلی، الذی هو أصغر من ولده، و یصل إلی الحکم ... و باختصار نقول:

---

(۱) و لکنا، مع ذلک نجد: أن قسما من أصحاب الرضا علیه السلام، ممن کانوا یراقبون الأحداث بوعی و درایة، کانوا یدرکون لوایا المأمون و أهدافه هذه ففی البحار؛ ج ۴۹ ص ۲۹۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹: أنه قد سئل أبو الصلت:

«کیف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إکرامه و محبته له، و ما جعل له من ولایة العهد بعده؟! فقال: إن المأمون کان یکرمه و یحبه لمعرفته بفضله، و جعل له ولایة العهد من بعده، لیری الناس أنه راغب فی الدنیا؛ فلما لم یظهر منه إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فی نفوسهم، جلب علیه إلخ ...».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۴

إنه یرید أن: «... یعتقد فیه المفتونون به بأنه: لیس مما ادعی فی قلیل و لا کثیر ...» حسبما صرح به هو نفسه ... و علی حد قول الإمام نفسه، الذی کان یدرک خطة المأمون هذه: «... أن یقول الناس:

إن علی بن موسی، لم یزهد فی الدنیا، بل زهدت الدنیا فیه؛ أ لا ترون کیف قبل ولایة العهد طمعا بالخلافة؟! ...».

کما سیأتی ...

و عن الریان قال: «دخلت علی الرضا؛ فقلت: یا ابن رسول اللّه، إن الناس یقولون: إنک قبلت ولایة العهد، مع إظهارک الزهد فی الدنیا؟!!، فقال (ع): قد علم اللّه کراهتی ...» «۱» و قد أشرنا إلی سؤال محمد بن عرفة، و کلام الریان فیما تقدم.

و علی أی شیء یبکی المأمون، و من أجل أی شیء یشقی و یتعب، و یسهر اللیالی، و یتحمل المشاق ... إلا علی هذا ... إن هذا هو أجل أمنیاته و اغلاها ...

سؤال و جوابه:

قد یدور بخلد القارئ أن ما ذکرناه هنا: فیما یتعلق بالفارق الکبیر بالسن، ینافی ما تقدم من أن المأمون کان یرید الحصول علی قاعدة شعبیة، و الارتفاع بالخلافة من الحضیض الخ ...

و لکن الحقیقة هی: أنه لا منافاة هناک ... و یمکن للمأمون أن یقصد کل ذلک من البیعة، لأن مقدار التفاوت بالسن بین الامام (ع) و

المأمون، لم یکن مما یعرفه الکثیرون، و لا مما یلتفت إلیه عوام الناس فی بادئ

---

(۱) علل الشرائع ص ۲۳۸، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۰، و أمالی الصدوق ص ۴۴، ۴۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۵

الأمر؛ لأنهم یأخذون الامور علی ظواهرها، و لا یتنبهون إلی مثل ذلک، إلا بعد تنبیه و تذکیر؛ فللوهلة الاولی تجوز علیهم الخدعة، و یقدرون خطوة المأمون هذه، و تنتعش الآمال فی نفوسهم بالحیاة الهنیئة السعیدة، تحت ظل حکم بدا أنه یتخذ العدل دیدنا، و الانصاف طریقة ...

ثم ... و بعد أن یجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسمیم الأفکار، یجد أن نفوس الناس مهیأة و مستعدة لتقبل ما یلقی إلیها. و یکون لدیه- باعتقاده- من الحجج ما یکفی لاسقاط الامام، و زعزعة ثقة الناس به. و لا یؤثر ذلک بعد ذلک علی الحکم؛ فإن الحکم یکون قد استنفذ أغراضه من البیعة، و حصل علی ما یرید الحصول علیه منها ... هذا و لا بد لنا هنا من ملاحظة أن المأمون و أجهزة إعلامه کانوا فی مقابل وصم الامام بالرغبة بالدنیا و التفانی فی سبیلها ... یشیعون بین الناس عن المأمون عکس ذلک تماما؛ فیطلب المأمون من وزیره أن یشیع عنه الزهد، و الورع و التقوی «۱» ... و أنه لا یرید مما أقدم علیه الاخیر الامة و مصلحتها؛ حیث قد اختار لولایة عهده أفضل رجل قدر علیه، رغم أن ذلک الرجل هو من ذلک البیت الذی لا یجهل أحد موقفه من حکم العباسیین، و موقف العباسیین منه کما یتضح ذلک من وثیقة ولایة العهد، و غیرها.

رأی الناس فیمن یتصدی للحکم:

لعل من الواضح أن کثیرا من الناس کانوا یرون- فی تلک الفترة من الزمن- لقصر نظرهم، و قلة معرفتهم: أن هناک منافاة بین الزهد و الورع، و التقوی، و بین المنصب، و أنهما لا یتفقان، و لا یجتمعان.

---

(۱) تاریخ التمدن الاسلامی ج ۴ ص ۲۶۱. الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ۲۴۶ رأی الناس فیمن یتصدی للحکم: ..... ص : ۲۴۵

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۶

و قد رأینا الکثیرین یمتنعون عن تولی المناصب للحکام، لما یرونه من المنافاة المشار إلیها.

و لعل سر فهمهم هذا: هو أنهم کانوا قد اعتادوا من الحکام التجاوز علی الحقوق، و الدماء، و الأموال، و علی أحکام الدین، و النوامیس الانسانیة، بشکل عام. و الزهد و الورع لا یتلائم مع ذلک کله، و لا ینسجم معه ...

و لکن الحقیقة هی: أن لا- منافاة بینهما أبدا؛ فإن الحکم إذا کان وسیلة لا- یصال الخیر إلی الآخرین، و رفع الظلم عنهم، و إشاعة العدل، و اقامة شریعة اللّه تعالی؛ فیجب السعی إلیه، و العمل من أجله، و فی سبیله ... بل إذا لزم من ترک السعی إلیه، تضییع الحقوق، و انهیار صرح العدل، و الخروج علی أحکام الدین؛ فإن ترک السعی هذا، یکون هو المنافی للزهد و الورع و التقوی ...

و لقد قاد النبی (ع) الامة، و قبله قادها سلیمان بن داود، و غیره، و بعده الإمام علی بن أبی طالب، و ولده الحسن، ثم الحسین، و هکذا ...

و حال هؤلاء فی الزهد و الورع، لا یحتاج إلی مزید بیان، و اقامة برهان. بل لم یکن علی ظهرها أزهد، و لا أتقی، و لا أفضل، و لا أورع منهم، عدوهم یعرف منهم ذلک تماما کما یعرفه منهم صدیقهم ...

فعدا عن الأنبیاء الذین کانوا القمة فی الورع و الزهد و التقوی، نری الإمام علی (ع) قمة فی ذلک أیضا؛ و قد رقع مدرعته حتی استحیا

من راقعها، و كان راقعها هو ولده «الإمام الحسن (ع)» «۱». و كان

(۱) راجع: الدرة النجفية ص ۳۰۳، طبعة حجرية.

يصلى فى بيت المال ركعتين شكرا للّه، بعد فراغ المال منه. و كان يقول: «إليك عنى يا دنيا غرى غيرى، أبى تعرضت؟!! إلخ ...»

و هو الـذى قـال فيه عـدوه معاويـة: «لو كان له بيتان: بيت من تبر، و آخر من تبن؛ لأنفق تبره قبل تبنه ...» «۱» ... إلى غير ذلـك مما لا مجال لنا لتتبعه و استقصائه ...

العلويون يدركون نوايا المأمون:

إن نوايـا المـأمون تجـاه العلويين، و محاولاـته لإسـقاطهم اجتماعيا، و ابتزازهم سياسـيا ... حتى إذا أخفق فى ذلك راح يختلهم واحـدا فواحدا، كلما و اتاه الظرف، و سنحت له الفرصة ... لم يكن العلويون يجهلونها، بل كانوا يدركونها كل الإدراك، و لم تكن تخدعهم تلك الشـعارات و الأساليب المبهرجـة ... و حسـبنا هنا أن نـذكر فى مقام التدليل على هذا: أن المأمون كتب لعبد اللّه بن موسـى، بعد وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولى عهده، و يقول له: «ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى بعد ما عملته بالرضا» ...

فأجابه عبـد اللّه يقول: «وصل إلىّ كتابك، و فهمته، تختلنى فيه عن نفسـى ختل القانص، و تحتال على حيلـة المغتال، القاصد لسـفك دمى.

و عجبـت من بـذلك العهـد، و ولاـيته لى بعـدك، كأنـك تظن: أنه لم يبلغنى مـا فعلته بالرضـا؟! ففى أى شـىء ظننت أنى أرغب من ذلك؟ أ فى الملك الذى غرتك حلاوته؟! ... إلى أن يقول: أم فى العنب المسموم الذى قتلت به الرضا؟!». و يقول له أيضا- و الظاهر أنه نص آخر للرسالة-: «هبنى لا ثأر لى عندك، و عند آبائك المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهروا فى أمرنا، فحذرناهم. و كنت ألطف حيلة منهم؛ بما استعملته من الرضا بنا، و التستر لمحننا، تختل واحدا،

(۱) ترجمة الامام على (ع) من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودى ج ۳ ص ۵۸- ۶۰.

فواحدا منا الخ ...» «۱».

و لا بد من ملاحظة: منافاة وعده هذا لعبد اللّه بن موسـى بأن يجعل له ولاية العهد ... للرسالة التى أرسلها إلى العباسيين فى بغداد، فور وفاة الرضا (ع)، و يعـدهم فيها بأن يجعل ولايـة العهـد فيهم، و سنشـير إلى رسالته لهم فى فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء اللّه و على كل حال ... فإننا نستطيع أن نفهم من هذه الرسالة التى لعبد اللّه بن موسى أمورا، نشير إلى بعضها:

أولا: إن المأمون كان قد جعل ولاية العهد وسيلة لختل الشخصيات التى كان يخشاها، و الغدر بها؛ إذ أن من المقبول و الطبيعى- كما يرى البعض- أن يكون ولى العهـد هو الـذى يتآمر، و يـدبر للتخلص من الخليفـة الفعلى، ليختصـر المسافـة، و يصل إلى الحكم، الذى ينتظر الوصول إليه، و الحصول عليه بفـارغ الصبر. و ليس من الطبيعى، و لاـ من المقبول أن يتآمر الخليفـة على ولى عهـده، إلا إذا كان يريد أن يجعل الخلافة لمن هو أعز عليه منه، و هذا ما نفاه المأمون عن نفسه فى أكثر من مناسبة.

و هكـذا ... فان النتيجـة تكون: هى أن الخليفة الفعلى يكون آخر من يتهم فى ولى العهد، إذا ما راح ضـحية التآمر و الاغتيال، و عرف الناس ذلك. و هذا بلا شك من جملة ما كان يريده المأمون، و يسعى إليه ...

ثانيـا: إن المـأمون رغم الصـعوبات التى واجهها فى فترة توليـة الرضا (ع) العهـد ... يبـدو أنه كان يعتبر نفسه منتصـرا و ناجحا فى لعبته

تلک، و لذلک نری أنه قد حاول تکرار نفس اللعبة مع عبد اللّه بن

(۱) مقاتل الطالبیین للاصفهانی ص ۶۲۸، إلی ص ۶۳۱، و سنورد الرسالة فی أواخر هذا الکتاب إن شاء اللّه ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۴۹

موسی. و لکن یقظة هذا الأخیر، الذی کانت ظروفه تختلف عن ظروف الإمام (ع) قد فوتت علیه الفرصة، و أعادته. بخفی حنین.

کما أننا لا نستبعد أن المأمون قد أراد بالاضافة إلی ذلک التستر علی غدره بالرضا (ع)، بعد أن کان قد افتضح و اشتهر، رغم محاولاته الجادة للتستر و الکتمان ...

ثالثا: ما تقدمت الاشارة إلیه من أن إکرامه للعلویین، و الرضا بهم، و التستر لمحنهم، ما کان منه إلا ضمن خطة مرسومة، و إلا سیاسة منه و دهاء، من أجل أن یأمن العلویون جانبه، و یطمئنوا إلیه، کما یدل علیه قوله لعبد اللّه بن موسی: «ما ظننت أحدا من آل أبی طالب یخافنی بعد ما عملته بالرضا». و قد قدمنا أنه أشار إلی ذلک أیضا فی کتابه للعباسیین؛ فلا نعید ...

رابعا: أنه لم یستطع أن یخفی عن العلویین- کما لم یستطع أن یخفی عن غیرهم- غدره بالإمام الرضا (ع)، و سمه له بالعنب، و کذلک غدره بغیره من العلویین. و سر ذلک واضح؛ فان جمیع الدلائل و الشواهد کانت متوفرة علی ذلک، کما سیأتی بیان جانب من ذلک فی فصول هذا الکتاب بنوع من التفصیل.

موقف الامام فی مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأینا کیف أن المأمون أراد من لعبته تلک، التغلب علی المشاکل التی کان یواجهها، و الاستفادة منها فی تقویة دعائم خلافته، و خلافة العباسیین بشکل عام ... و السؤال الذی یطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (ع) نفسه من لعبة المأمون تلک، و خططه، و أهدافه؟، و هل أفسح المجال للمأمون لیحقق کل ما یرید تحقیقه، و یصل إلی ما

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۵۰

کان یرید الوصول إلیه؟ ... و هل کانت لدیه خطط من نوع معین، و أهداف معینة کان یسعی من أجل الوصول إلیها، و الحصول علیها؟! ...

الحقیقة هی: أن الإمام (ع) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حکیمة، و سلوک مثالی: أن یضیع علی المأمون کافة الفرص، و یجعله یبوء بالخیبة و الخسران، و یمنی بالفشل الذریع، حتی لقد أشرف المأمون منه علی الهلاک، و بدا الارتباک واضحا فی کل تصرفاته، و أقواله، و أفعاله ... و سیأتی فی الفصول الآتیة فی القسمین: الثالث، و الرابع بیان بعض ما یتعلق بذلک إن شاء اللّه.

المأمون فی قفص الاتهام:

و هکذا ... و بعد أن اتضحت الاسباب الحقیقیة للبیعة، و بعد أن عرفنا بعض الظروف و الملابسات، التی أحاطت بهذا الحدث الهام، فاننا نستطیع أن نضع المأمون، و نوایاه، و أهدافه، فی قفص الاتهام، و لا یمکن أن نصدق- بعد هذا- أبدا، أی ادّعاء سطحی، یحاول أن یصور لنا حسن نیة المأمون من البیعة، و سلامة طویته، و لا سیما و نحن نری کتابه للعباسیین فی بغداد فور وفاة الرضا، و کذلک سلوکه المشبوه مع الرضا (ع) من أول یوم طلب منه فیه الدخول فی هذا الأمر، و حتی إلی ما بعد وفاته، کما سیأتی بیانه فی الفصول الآتیة ... و کذلک کتابه لعبد اللّه بن موسی المتقدم ...

و الأدهی من ذلک کله رسالته للسری، عامله علی مصر، التی «یخبره فیها بوفاة الرضا، و یأمره بأن تغسل المنابر، التی دعی علیها لعلی

بن موسی، فغسلت ...» «۱».

---

(۱) الولاة و القضاة للكندى ص ۱۷۰.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۵۱

و كذلك لا يمكن أن نصدق بحسن نيته بالنسبة لأى واحد من العلويين، الآخرين ... كما أشرنا إليه فى رسالته لعبد اللّه بن موسى، التى يذكر فيها: أنه راح يختلهم واحدا فواحدا ... و أيضا عند ما نرى أنه يمنعهم من الدخول عليه، بعد وفاة الرضا، و يأخذهم بلبس السواد «۱» ... بل و يأمر ولاته و أمراءه بملاحقتهم، و القضاء عليهم، كما سيأتى ...

مع المأمون فى وثيقة العهد:

و يحسن بنا هنا: أن نقف قليلا مع وثيقة العهد، التى كتبها المأمون للامام (ع) بخط يده؛ فلقد ضمنها المأمون إشارات هامة، رأى أنها تخدم أهدافه السياسية من البيعة و حيث اننا قد تحدثنا، و لسوف نتحدث فى مطاوى هذا الكتاب عن بعض فقراتها ... فلسوف نقتصر هنا على:

أولاـ إننا نلاحظ: أنه يؤكد كثيرا على نقطتين: الاولى: أنه منطلق فى هذه البيعة من طاعة اللّه، و إيثاره لمرضاته، الثانية: أنه لا يريد بذلك إلا مصلحة الامة، و الخير لها ...

و سر ذلك واضح: فهو يريد أن يذهب باستغراب و استهجان الناس؛ الذين يرون الرجل الذى قتل حتى أخاه من أجل الحكم- يرونه الآن- يتخلى عن هذا الحكم لرجل غريب، و لمن يعتبر زعيما لأخطر المنافسين للعباسيين ... كما أنه يريد بذلك أن يكتسب ثقة الناس به، و بنظام حكمه.

وعدا عن ذلك فهو يريد أن يطمئن العلويين و الناس إلى أن ذلك لا ينطوى على لعبة من أى نوع، بل هو أمر طبيعى فرضته طاعة اللّه و مرضاته، و مصلحة الامة، و الصالح العام ...

---

(۱) الكامل لابن الأثير، طبع دار الكتاب العربى ج ۵ ص ۲۰۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۵۲

و ثانيا: نراه يجعل العباسيين و العلويين فى مرتبة واحدة؛ و ذلك لكى يضمن لأهل بيته حقا فى الخلافة كآل على.

و ثالثا: يلاحظ: أنه يعطى خلافته صفة الشرعية؛ حيث يربطها بالمصدر الأعلى (اللّه)، و على حسب منطق الناس هذا تام و صحيح؛ لأنهم بمجرد أن يعمل أحد عملا يؤدى إلى المناداة بواحد على أنه خليفة، و يصير مقبولا لدى الناس ... إنهم بمجرد ذلك يصيرون يعتبرونه خليفة اللّه فى أرضه، و حجته على عباده ...

و هو أيضا تام و صحيح حسب منطق العباسيين، الذين يدعون الخلافة بالارث عن طريق العباس بن عبد المطلب، حسبما تقدم بيانه ...

و لهذا نلاحظ أنه يقدم عبد اللّه بن العباس على على بن أبى طالب!! مع أن عبد اللّه تلميذ على ... و ليس ذلك إلا من أجل إثبات هذه النقطة، و جعل حق له بالخلافة، بل و جعل نفسه الأحق بها ... هذه الخلافة التى هى منصب إلهى، وصل إليه بالطريق الشرعى، سواء على حسب منطق الناس فى تلك الفترة، أو على حسب منطق العباسيين ...

و فى هذا إرضاء للعباسيين، و تطمين لهم، كما أنه فى نفس الوقت تطمين لسائر الناس، الذين كانوا غالبا- يرون الخلافة بالكيفية التى أشرنا إليها و قد أكد لهم هذا التطمين باستشهاده بقول عمر؛ حيث أثبت لهم: أنه لا يزال على مذهبه، و على نفس الخط الذى هم عليه ...

و رابعا: إننا نراه فى نفس الوقت الـذى يؤكـد فيه مـذهبه، و وجهة نظره بتلك الأساليب المتعددة و المختلفة المشار إليها آنفا- نراه فى نفس الوقت- يـدعى: أنه إنما يجعل الخلافة للرضا (ع)، لا من جهة أنها حق له، و لا من جهة النص عليه، حسبما يدعيه الرضا، بل من جهة أنه أفضل من قدر عليه ... و هذا أمر طبيعى جدا، و ليس إقرارا بمقالة

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۵۳

الرضا ... و كما ينطبق الآن على الرضا، يمكن أن ينطبق غـدا على غيره، عنـد ما يوجد من له فضل، و أهلية ... و هذا دون شك ضـربة لما يدعيه الرضا و يدعيه آباؤه من الحق فى الخلافة، و من النص، و غير ذلك ...

هذا ...

و لسوف يأتى فى فصل: خطـة الإمام، شـرح ما كتبه الإمام (ع) على ظهر الوثيقة، و لنرى من ثم كيف نسف الإمام كل ما بناه المأمون، و صيره هباء اشتدت به الريح فى يوم عاصف ...

كلمة أخيرة:

و أخيرا: فاننا مهما شككنا فى شيء، فلسنا نشك فى أن المأمون كان قد درس الوضع دراسة دقيقة، قبل أن يقدم على ما أقدم عليه. و أخذ فى اعتباره كافة الاحتمالات، و مختلف النتائج، سواء مما قدمناه، أو من غيره، مما أخفته عنا الايدى الأثيمة، و الأهواء الرخيصـة ... و إن كانت لعبته تلك لم تؤت كل ثمارها، التى كان يرجوها منها؛ و ذلك بسبب الخطة الحكيمة التى كان الإمام (ع) قد اتبعها. و لعمرى: «... إن بيعته للامـام لم تكن بيعـة محابـاة؛ إذ لو كـانت كـذلك لكان العباس ابنه، و سائر ولـده، أحب إلى قلبه، و أجلى فى عينه ...». على حد تعبير المأمون فى رسالته للعباسيين، التى سوف نوردها فى أواخر هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۵۴

أسباب البيعة لدى الآخرين:

أحمد أمين المصرى، و أسباب البيعة:

و على ضوء ما تقدم، نستـطيع أن نلقى نظرة على ما ذكره بعض المؤرخين، و الباحثين، مما جعلوه أسـبابا لأخذ البيعة للامام (ع) بولاية العهـد؛ و لنرى- من ثم- أنها لا تقوى على الصـمود أمام النقـد التاريخى الواعى و الـدقيق؛ إذ أنها على الغالب: إما لا تعتمد على سـند تاريخى أصلا، أو تعتمد على ما لا يصلح للاعتماد عليه ...

و لعل الدكتور أحمد أمين المصـرى، قد جمع كلا الناحيتين فيما جعله- بنظره- أسـبابا للبيعة، حيث نلاحظ: أن بعض ما ذكره ليس له أى سـند تـاريخى، بـل التاريـخ على اختلاف أهوائه، و اتجاهاته يـدحضه، و يكـذبه ... و البعض الآخر قـد اعتمـد فيه على ما لا يصـح الاعتماد عليه؛ و لذا فلا يكون من التجنى عليه القول: إن ما ذكره كان سطحيا، أو بوحى من تعصب مذهبى رخيص ...

و ما ذكره يرجع إلى أسباب أربعـة، رأى أنها صالحـة، كلا أو بعضا، لأن تكون سـببا لأخذ البيعة للرضا بولاية العهد ... و نلخصـها بما يلى:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۵۵

۱- إن المأمون قد أراد بذلك: أن يصلح بين البيتين، العلوى، و العباسى، و يجمع شملهما؛ ليتعاونا على ما فيه خير الامة، و صلاحها. و تنقطع الفتن، و تصفو القلوب.

۲- إنه كان معتزليا، على مذهب معتزلة بغداد، يرى أحقية على (ع) و ذريته بالخلافة؛ فأراد أن يحقق مذهبه ...

۳- إنه کان تحت تأثیر الفضل و الحسن بنی سهل الفارسیین، و الفرس یجری فی عروقهم التشیع؛ فما زالا یلقنانه آراءهما، حتی أقرها، و نفذها ...

۴- «إنه رأی أن عدم تولی العلویین للخلافة، یکسب أئمتهم شیئا من التقدیس؛ فإذا ولوا الحکم ظهروا للناس، و بان خطؤهم، و صوابهم، فزال عنهم هذا التقدیس ...» «۱».

هذا ... و قد ادعی فی کتابه: «المهدی و المهدویة»: أن هؤلاء الأئمة کانوا یرتکبون الآثام فی الخلفاء، فأراد المأمون: أن یظهرهم، لیعرفهم الناس علی حقیقتهم ...

کان ذلک ما یراه أحمد أمین یصلح- کلا أو بعضا- سببا للبیعة ...

آراء أحمد أمین فی المیزان:

و نحن بدورنا، و إن کنا نعتقد أن فیما قدمناه، و ما سیأتی کفایة فی تفنید هذه المزاعم و اسقاطها، إلا أننا نری لزاما علینا أن نشیر بایجاز إلی بعض ما یشیر إلی ضعفها و وهنها، معتمدین فی بقیة ما یرد علیها علی ذکاء القارئ، و تنبهه، و وعیه ... فنقول:

---

(۱) ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۵۶

أما ما ذکر أولا: فقد کفانا هو نفسه مؤونة الکلام فیه، حیث قد اعترف بأن المأمون لو کان یرمی إلیه لکان فی منتهی السطحیة و السذاجة ...

و أما ما جعله سببا ثانیا: فلعله لا یقل عن سابقه فی الضعف و الوهن، و لا سیما بملاحظة ما قدمناه فی الفصلین السابقین، من الظروف التی کان المأمون یعانی منها، و أیضا ملاحظة ما سیأتی من سلوک المأمون المشبوه، مع الإمام (ع)، و معاملته السیئة للعلویین، و کل من یتشیع لهم، و یتعاطف معهم ... و علی الأخص إذا لاحظنا: أن المأمون لم تکن عقیدته هی المنطلق له فی مواقفه السیاسیة، بل کان ینطلق مما یراه یخدم مصالحه الخاصة، و یؤکد وجوده فی الحکم، و قد قدمنا أنه کان تارة یتحرج من تنقص الحجاج بن یوسف، و تارة یصف الصحابة، ما عدا الإمام علی (ع) ب «الملحدین»، و یصف الخلیفة الثانی عمر بن الخطاب ب «جعل»، إلی آخر ما هنالک من الشواهد و الأدلة، مما لا نری ضرورة لاعادته.

و لعل الأهم من ذلک کله: أن تفضیل المعتزلة- معتزلة بغداد- علیا (ع) علی جمیع الصحابة، لم یکن واضحا بعد فی تلک الفترة، و إنما بدأه بشر بن المعتمر حسبما سیأتی بیانه فی فصل خطة الإمام ...

و علیه فهذا الوجه لا یستقیم، علی جمیع الوجوه و التقادیر.

و أما ما جعله سببا ثالثا؛ فسیأتی الکلام علیه بنوع من التفصیل ...

و لکننا نستغرب منه جدا، بل و نأسف کل الأسف، لما طلع به علینا؛ بما جعله سببا رابعا: من أن عدم تولی الأئمة للحکم یکسبهم شیئا من التقدیس؛ فأراد أن یولی الإمام الرضا العهد؛ لیزول عنهم ذلک التقدیس- و قد أشرنا سابقا إلی أنه استوحی هذه الفکرة من ابن القفطی فی تاریخ الحکماء ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۵۷

و لیس واضحا تماما من هم «الأئمة»، الذین یقصدهم أحمد أمین فی عبارته تلک. و إذا ما کان یقصد الأئمة الاثنی عشر، حیث إنه فی معرض الحدیث عن أحدهم، و هو الإمام الرضا ... بل أعلن ذلک صراحة فی عبارته الاخری، التی أوردها فی کتابه: «المهدی و المهدویة»- إذا کان کذلک-، فاننا نری: أن لنا کل الحق فی أن نتساءل:

هل عثر أحمد أمين لهؤلاء الأئمة، أو لواحد منهم على ما يتنافى مع التقديس، على مدى تاريخهم الطويل؟! و هل يستطيع أن يثبت عليهم أدنى شيء يمس كرامتهم، و يتنافى مع مروءتهم، و يخالف دينهم و رسالتهم؟! ...

و لما ذا تظهر تفاهات غيرهم، و أخطاؤهم، رغم اجتهادهم و تفانيهم فى سترها، و اخفائها ... و لا تظهر أخطاء هؤلاء الأئمة، رغم اجتهاد الناس فى الافتراء عليهم، و التعرف على أية نقيصة أو خطاء منهم إن كان؟!!.

و متى كان هؤلاء الأئمة مستورين عن الناس، منفصلين عنهم، حتى استطاعوا أن يحصلوا على هذا التقديس؟!!.

و هل كل شخصية لا تصل إلى الحكم يقدسها الناس؟!!.

و هل كل شخصية تصل إلى الحكم لا يقدسها الناس؟!!.

و هل التقديس مقصور على الشخصية المستورة، و لاحظ للشخصية الظاهرة منه؟!!.

و هل أثر وصول الإمام على (ع) للحكم طيلة أكثر من أربعة أعوام على تقديس الناس له؟!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۲۵۸

و هل يستطيع أحمد أمين أن يذكر لنا خطأ واحدا، ارتكبه الإمام على (ع)، طيلة فترة حكمه؟! رغم أن معاوية و سواه، ممن كانوا معادين للإمام (ع)، ما كانوا يألون جهدا فى الصاق التهم به، و الافتراء عليه؟!!.

و أما عن الإمام الرضا (ع):

فمتى كان مستورا عن الناس، بعيدا عنهم؟!!.

و هل تتفق دعواه باستتار الأئمة- و الرضا منهم- عن الناس، مع ما اعترف به المأمون نفسه للإمام الرضا (ع)، فيما كتبه بخط يده فى وثيقة العهد، حيث يقول: «... و قد استبان له [أى للمأمون] ما لم تزل الأخبار عليه متواطية، و الألسن عليه متفقة، و الكلمة فيه جامعة، و لما لم يزل يعرفه به من الفضل: يافعا، و ناشئا، و حدثا، و مكتهلا الخ ...».

فهل يعقل: أن إنسانا من هذا النوع يكون مستترا عن الناس، بعيدا عنهم، و لا يعيش فيما بينهم، منذ حداثة سنه إلى أوان اكتهاله؟!.

و مع ذلك ... فأى خطأ يستطيع أحمد أمين، أن يسجله على الإمام الرضا (ع) طيلة الفترة التى عاشها مع المأمون، رغم محاولاته الجادة- و هو الحاكم المطلق- من أجل أن يضع من الامام (ع) قليلا قليلا، و يصوّره أمام الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، على حد تعبير نفس المأمون؟!.

و هل لم يقرأ أحمد أمين أقوال كبار علماء أهل السنة، و أئمتهم، و تصريحاتهم الكثيرة جدا حول أئمة أهل البيت (ع)، و الإمام الرضا منهم بالذات؛ ليعرف مقدار عظمتهم، و طهارتهم، و نزاهتهم التى لا يشك، و لا يرتاب، و لا يناقش فيها أحد؟! ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۲۵۹

و أخيرا ... هل زال ذلك التقديس عن الإمام الرضا، عند ما ظهر للناس؟! أم أن الأمر كان على عكس ذلك تماما؟!! ...

هذه بعض الأسئلة التى نوجهها للاستاذ: «أحمد أمين»، و لكل من يرى رأيه، و يذهب مذهبه ... و إننا لعلى يقين من أنها سوف لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع و المفيد ... و إنما ستواجه عنتا و عنادا صاعقين، يبتزان منهم كل غريبة، و يظهران الكثير من الترهات العجيبة ... و لكن ليطمئن بالهم، و تهدأ ثائرتهم؛ فإننا سوف لن نستغرب عليهم مثل هذه الترهات، و لن نعجب لمثل تلك الافتراءات؛ فما تلك إلا: «شنشنة أعرفها من أخزم» ...

رأى غريب آخر فى البيعة:

هذا ... و يرى بعض المؤلفين: أن المأمون كان فى بيعته للرضا (ع) واقعا تحت تأثير القوات المسلحة، و أنها هى التى أجبرته على ذلك، حيث كان القسم الكبير من قوادها، و زعماء فرقها يميلون إلى العلويين، و قد شرطوا عليه: أنهم لا يفتحون نار الحرب ضد

الأمین إلا إذا جعل الرضا ولی عهده؛ فأجابهم إلی ذلک «۱» ...

و أقول: لیت هـذا المؤلف ذکر لنـا اسم ذلـک المؤرخ، الـذی نقـل له هـذا الاـشتراط من أولئـک القواد علی المـأمون، و الـذی تنافیه تصـریحات المأمون نفسه، و سـلوکه مع الإمام (ع)، حتی قبل أن یصل إلی مرو، و کذلک سائر مواقفه معه، و التی تکشف عن حقیقة دوافعه و نوایاه إلی آخر ما هنالک مما قدمنا و سیأتی شطر منه.

---

(۱) هذا ما ذکره الشیخ القرشی فی کتابه: حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲ ص ۳۸۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۶۰

و أحسب أن هـذا المؤلف یشیر بمـا ذکره هنا إلی ما ذکره جرجی زیـدان فی روایته: «الأمین و المأمون» ص ۲۰۳، طبع دار الاندلس، فقـد ذکر أن الفضل بن سـهل قـد اشترط علی المأمون ذلک. و احتمل ذلک أیضا فی کتابه: تاریـخ التمدن الإسـلامی، المجلد الثانی جزء ۴ ص ۴۳۹. و کأن مؤلفنا یریـد أن یقول: إن المأمون کان مضـطرا إلی إجابتهم: إما خوفا من انتقاضـهم علیه، أو رغبة فی القضاء علی أخیه الأمین، أو للسـببین معا ... و لکن هـذا الاشتراط کما قلنا، لیس له أی سـند تاریخی یـدعمه، بل الشواهد التاریخیة کلها علی خلافه، سیما و نحن نری الفضل بن سـهل و أخاه یمانعان فی عقـد البیعة للرضا. و ما ذکره «زیدان»، لا یصـلح شاهدا تاریخیا، بعد أن کان روائیا، لا یلتزم بالحقائق التاریخیة ... و بعد أن لاحظنا: أنه یتعمد التضلیل فی کتابه:

تاریخ التمدن الإسلامی ...

و أحسب أن هذا هو عین الاتهام الموجه للفضل بن سهل فی أمر البیعة؛ بأنه هو المدبر لها، و القائم بها. لکنه صیغ بنحو آخر فیه الکثیر من الایهام و الابهام ...

و فریق آخر یری:

و هنـاک بعض الباحثین یری: أن من جملـة الأسـباب الهامـة للبیعـة: هو أن المأمون أراد أن یحـذر العباسـیین من مغبـة المخالفـة له، و الاسـتمرار فی ذلـک. و أن یرغمهـم، و یـدفعهم إلی الوقـوف إلی جـانبه؛ بـدافع من خـوفهم من انتقـال الخلافـة عنهم إلی خصـومهم العلویین. و أن ینتقم منهم بسبب خلعهم له من ولایة العهد، و تأییدهم أخاه الأمین علیه، و تشجیعهم له

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۶۱

ضده. کما أنه یکون بذلک قد جمع المزید من المؤیدین له، لیستطیع مقابلتهم، و الوقوف فی وجههم، و ینتقم منهم «۱».

و لکنه رأی لا تمکن المساعدة علیه:

لأن منطق الأحداث، و واقع ظروف المأمون یأبیان کل الاباء أن یکون هذا سـببا منطقیا للبیعة ... و قد قدمنا فی الفصلین السابقین البیان الکافی و الوافی لما یتعلق بهذا الموضوع ... هذا بالإضافة إلی أن ذلک لا یتلائم مع ما هو معروف عن المأمون، من الدهاء و السـیاسة، و هـل یمکن أن یقـدم المـأمون علی خلق و إثـارة مشاکـل هو فی غنی عنهـا؟ و علی الأـخص فی تلـک الفترة من الزمن، التی کـانت طافحة بالمشاکل، کان العصیان فیها معلنا فی أکثر مناطق الدولة، و مهددا به من کل جانب و مکان؟!!.

إن الحقیقة هی: أن المأمون فی تلک الفترة بالذات، کان بحاجة إلی أن یکتسب ثقة و حب أی إنسان کان. فضلا عن ثقة و حب أهل بیته، و عشیرته: العباسیین ...

ثم ... و هل یمکن أن یلجأ المأمون للانتقام منهم، الی هذا الاسـلوب العاجز، بعد أن خضـعوا له و انقادوا لأمره، و سـلموا بالأمر الواقع، بعد مقتل الأمین؟!.

و لما ذا لا یقدر: أنهم سوف یقابلونه بالمثل، و یقومون فی وجهه؛ ثأرا لکرامتهم، و دفاعا عن وجودهم؟! ...
و لما ذا یعطیهم الفرصة لابراز عضلاتهم ضده، و یجعلهم یفکرون فی

---

(۱) الصلة بین التصوف و التشیع ص ۲۱۹، و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ۲ جزء ۴ ص ۴۹۲، و التربیة الدینیة للفضلی ص ۱۰۰، الطبعة الخامسة، و غیر ذلک ...

تحدی سلطته، و هتک حرمته؟! ... حیث رأیناهم قد خلعوا المأمون؛ بسبب بیعته للإمام (ع)، و بایعوا لإبراهیم بن المهدی، فی أواخر ذی الحجة، من نفس السنة التی بویع فیها للإمام (ع) بولایة العهد.
و أخیرا ... أ لم یکن باستطاعة المأمون أن یصفی حساباته مع خصومه الضعفاء جدا، الذین کاد یلتهمهم المد العلوی و یقضی علیهم، بأسالیب أخری، أقل إثارة، و أشد نکایة؟!! ...
و لقد أشرنا، و لسوف نشیر الی ما قاله المأمون لحمید بن مهر و جمع من العباسیین ... بل و یکفینا هنا: أن نلقی نظرة علی ما قاله المأمون للعباسیین فی کتابه المعروف لهم، یقول المأمون: «... فإن تزعموا أنی أردت أن یؤول إلیهم (یعنی للعلویین) عاقبة و منفعة، فإنی فی تدبیرکم، و النظر لکم، و لعقبکم، و ابنائکم من بعدکم ...» و کذلک ما کتبه بخط یده فی وثیقة العهد ... إلی آخر ما هنالک مما لا مجال لنا هنا لتتبعه ...
فتلخص أن ما ذکر هنا، لا یمکن أن ینسجم مع ما یقال عن حنکة المأمون، و دهائه السیاسی ...

الفضل فی قفص الاتهام:

و أخیرا ... فإن بعض المؤلفین، کأحمد أمین فی کلامه المتقدم، و جرجی زیدان «۱» و أحمد شلبی «۲»، و غیرهم. و بعض المؤرخین کابن الأثیر فی الکامل، طبعة ثالثة ج ۵ ص ۱۲۳، و ابن الطقطقی فی:

---

(۱) تاریخ التمدن الاسلامی، المجلد الثانی جزء ۴ ص ۴۳۹.
(۲) التاریخ الاسلامی و الحضارة الاسلامیة ج ۳ ص ۳۲۰.

الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۷، و غیرهما ... یرون أن الفضل بن سهل کان العامل الرئیسی فی لعبة «ولایة العهد» هذه، و أن المأمون کان فی ذلک واقعا تحت تأثیر الفضل، الذی کان یتشیع.
و یری آخر: أن سبب إشارة الفضل علی المأمون بذلک، هو أنه أراد أن یمحو ما کان من أمر الرشید فی العلویین «۱» ...

الفضل بریء من کل ما نسب إلیه:

أما نحن فإننا بدورنا نستطیع أن نؤکد علی ما یلی:
إن ما بأیدینا من النصوص التاریخیة یابی عن نسبة التشیع للفضل، بل و حتی عن نسبة إشارته علی المأمون بهذا الأمر، فضلا عن کونه المدبر له، و القائم به ... اللهم إلا أن تکون مؤامرة اشترک الرجلان معا فی وضع خطوطها العریضة، آخذان فی اعتبارهما ظروفهما، و مصالحهما الشخصیة، لیس إلا ...
بل إن بعض النصوص تفید أن الفضل کان عدوا للامام (ع)، حیث إنه کان من صنائع البرامکة «۲»، أعداء أهل البیت (ع). و أنه لم

يكن حتى راغبا في البيعـة للرضا (ع)، و أنه و أخاه قـد مانعا في عقد العهد للرضا «٣»؛ فكيف يكون هو المشـير على المأمون بالبيعة له ... بل لم يكن

---

(١) البحار ج ۴۹ ص ١٣٢، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۴٧، نقلا عن: البيهقي عن الصولي ...

(٢) البحار ج ۴۹ ص ١۴٣، ١١٣، و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١۶۶، و ص ٢٢۶.

(٣) مقاتل الطالبيين ص ۵۶٣، و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٧٠، و نور الأبصار للشبلنجيّ ص ١۴٢، و كشف الغمة ج ٣ ص ۶۶، و روضة الواعظين ج ١ ص ٢۶٩، و البحار ج ۴۹ ص ١۴۵، و ارشاد المفيد ص ٣١٠، ٣١١، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:٢۶۴

يعلم أن المـأمون يريـد عقـد البيعـة له إلا بعـد وصوله إلى خراسان و احضار المأمون له، و اعلامه بأنه يريـد عقـد البيعـة له على ما في مقاتل الطالبيين ص ۵۶٢ و الطبرى و غيرهمـا. و إن كان ربما يناقش في ذلك بمنافاته لرسالـة الفضل التى ارسـلها إلى الإمام و هو في المدينة و التى أوردها الرافعي في التدوين.

و ذلك ما يقوى أنه كان متآمرا على الإمام مع المأمون كما نصت عليه تلك الرسالة بأن ذلك عن اتفاق بينه و بين المأمون فراجعها.

و لو أنه كان ممن يتشيع للإمام (ع)، فكيف يمكن أن يتآمر عليه، و يحاول أن يجعل للمأمون ذريعـة للاقدام على التخلص منه (ع)، و ذلك عند ما ذهب إلى الرضا، و حلف له بأغلظ الأيمان، ثم عرض عليه قتل المأمون، و جعل الأمر إليه. «١»

لكن الإمام بسبب وعيه و تيقظه قد ضيع عليه و على سيده هذه الفرصة، حيث أدرك للتوّ أنها دسيسة و مؤامرة، فزجر الفضل و طرده، ثم دخل من فوره على المأمون، و أخبره بما كان من الفضل، و أوصاه أن لا يأمن له ...

و بـذلك يكون الإمام (ع) قـد ضـيع على المأمون و الفضل فرصـة تنظيم اتهام له بما لم يكن- كما أنه يكون قـد شـكك المأمون في اخلاص الفضل له.

و عاد الفضل من مهمته تلك بخفى حنين، يجر هو و سيده أذيال الخيبة، و الخزى، و الخسران ...

أما إذا كان الفضل قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون- كما

---

(١) و ان كنا لا نستبعد أن يكون قد أقدم على ذلك من دون علم المأمون؛ و بدافع من حقده الدفين على الامام عليه السلام، و حسده له؛ يريد بذلك تمهيد السبيل لقتله؛ ليخلو له الجو، و ليفعل من ثم ما يشاء و حسبما يريد.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:٢۶۵

هو غير بعيـد- فليس ذلك إلا بدافع من حقده الدفين على الإمام (ع)، و حسده له، يريد بذلك تمهيد الطريق لمقتله، ليخلو له الجو، و ليفعل من ثم ما يشاء، و حسبما يريد ...

و أيا ما كانت الحقيقة، فإن النتيجة ليست سوى الخزى و العار، و الخيبة القاتلة بالنسبة للفضل في هذه القضية ...

و يـا ليته كـان قـد قنع بـذلك ... و لكنه استمر في تحريض المـأمون على التخلص من الإمـام (ع)، حتى إن بعض المؤرخين يرى: أن المأمون لم يقتل الإمام إلا بتحريض من الفضل بن سهل!!! ...

و بعـد ... فهل يمكن أن تنسـجم دعوى تشـيعه مع إشارته على المأمون بارجاع الإمام عن صـلاة العيـد، و ذلك حتى لا تخرج الخلافة منه؟! ...

كما سنشير إليه إن شاء اللّه.

و أيضا ... مع إظهاره العداوة الشديدة للإمام (ع) و حسده له على ما كان المأمون يفضله به، على حد تعبير الريان بن الصلت؟!! «١».

و کـذلک مع اصـطناعه هشـام بن إبراهیم الراشـدی، و جعله عینـا للمـأمون علی الإمام، ینقل إلیه حرکاته و سـکناته، و یمنع الناس من الوصول إلیه حسبما تقدم؟!!.

و لو أن الفضـل کـان ممن یتشـیع للإمام، لکان یجب أن یعـد من أعظم البلهاء، إذ کیف لا یلتفت لأمر المأمون المؤکـد لرسـله: أن لا یمروا بالإمام عن طریق الکوفة و قم، لئلا یفتتن به الناس. ثم إلی تهدیداته له بالقتل، إن لم یقبل ما یعرضه علیه، ثم إلی جلبه العلماء و المتکلمین

(۱) مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۷۸، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۳.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۶۶

من أقاصی البلاد، من أجل افحام الإمام، و اظهار جهله و عجزه، إلی آخر ما هنالک، من صفحات تاریخ المأمون السوداء.

ثم نری أنه هو بنفسه یشارک فی ذلک کله، و سواه، و یعمل من أجله حتی لقد شارک فی التهدید للامام، إن لم یقبل ما یعرضه علیه المأمون ...

و إذا کان نفوذه قـد بلغ حـدا یجعل المأمون یتنازل عن عرشه- الذی قتل من أجله أخاه- لرجل غریب، فلما ذا لا یعمل هذا النفوذ من أجـل أن یمنع المـأمون عن ذلـک السـلوک اللاإنسانی، الـذی انتهجه مع الإمام، ابتـداء من حین وجود الإمام فی المدینـة، و إلی آخر لحظة عاشها معه، و بعد ذلک إلی ما شاء اللّه ...

هذا کله من جهة ...

موقف الإمام من الفضل ینفی نسبة التشیع له:

و من جهة ثانیة ... لو کان للفضل فضل فی مسألة البیعة للإمام (ع)، أو کان ممن یتشـیع له، لم یکن من اللائق من الرضا (ع)، أن یخبر المـأمون بمـا عرضه علیه الفضـل من قتـل المـأمون، و جعـل الأـمر إلیه ... و لا من المناسب أن یوصـیه بأن لا یأمن له، و یخبره بغشه و کذبه، و أنه یخفی عنه حقیقة ما یجری فی بغداد، و غیرها «۱» ...

و لاـ من اللاـئق منه أیضـا: أن یعـامله تلـک المعاملـة، التی لاـ یعامـل بهـا المحبون المخلصون، و التی کان فیها الکثیر من الخشونـة، و الاحتقار و الامتهان، فقد قدمنا أنه عند ما ذهب إلیه الفضل یطلب منه کتاب

(۱) تاریخ الطبری، طبع لیدن ج ۱۱ ص ۱۰۲۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۶۷

الامان، لم یسأله عن حاجته إلا بعد ساعة من وقوفه، ثم أمره بقراءة الکتاب، فقرأه- و کان کتابا فی اکبر جلد- و هو واقف، لم یأذن له بالجلوس ...

و کذلک لم یکن من اللائق منه: أن یزری علیه عند المأمون، فقد ذکر المؤرخون: أنه «... کان یذکر ابنی سهل عند المأمون، و یزری علیهما، مما دفعهما إلی السعایة به، و کان یوصیه أن لا یأمن لهما» «۱».

إلی آخر مـا هنالـک ممـا لاـ یصـدر من ای انسـان عـادی آخر فی حق من یتشـیع له، فضـلا عمن یتسبب فی جعله ولیا لعهـد الخلافة الإسلامیة للامة بأسرها.

و المأمون نفسه یستنکر ذلک:

و من جهة ثالثة ... فقد كفانا المأمون نفسه مؤونة الحديث عن دور الفضل بن سهل فى هذه القضية ... و لا شك أن «عند جهينة الخبر اليقين».

فقد قدمنا فى الفصل السابق: أن الريان بن الصلت- و كان من رجال الحسن بن سهل «۲»!!- عند ما رأى أن القواد و العامة قد أكثروا فى بيعة الرضا، و أنهم يقولون: «إن هذا من تدبير الفضل» ... قال للمأمون ذلك، فأجابه المأمون: «... و يحك يا ريان!! أ يجسر أحد أن يجىء إلى خليفة قد استقامت له الرعية، و القواد، و استوت الخلافة، فيقول

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۵، ۵۶۶، و إعلام الورى ص ۳۲۵، و كشف الغمة ج ۳ ص ۷۱، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۶، و البحار ج ۴۹، و إرشاد المفيد، و أعيان الشيعة، و غير ذلك ...

(۲) صرح بأنه من رجاله فى كتاب: البحار ج ۴۹ ص ۱۳۳، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۶۸

له: ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟! أ يجوز هذا فى العقل؟!! ... الخ» لا ... أبدا ... لا يمكن أن نتصور، و لا يجوز فى العقل: أن يأتى وزير ملك إليه، و يطلب منه التنازل عن عرشه، و يسلمه إلى رجل غريب، و هو يعلم أن ذلك الملك، قد قتل أخاه، و غيره، و هدم البلاد، و أهلك العباد، من أجل ذلك العرش ... هذا مع علمه أنه سوف لا يكون له هو فى دولة ذلك الرجل الجديد الغريب، أى شأن، أو دور يذكر. أو على الأقل لن يكون له من النفوذ، و السلطة و الطول، ما كان له مع ذلك الملك الأول. بل سوف يكون كأى فرد عادى آخر، محكوما لا حاكما، بكل ما لهذه الكلمة من معنى ... اللهم إلا أن يكون قد تآمر مع ذلك الملك الأول، لتنفيذ خطة معينة، قد رسماها معا من قبل، و عملا على أن تكون الامور فى نهاية الأمر فى صالحهما، و من أجل تعزيز نفوذهما و سلطتهما ...

أما حصيلة هذه الجولة:

و هكذا ... تأبى الأحداث، و يأبى المنطق أن يكون للفضل فى هذه القضية شىء، إلا عن طريق التآمر و التواطؤ مع سيده المأمون، أفعى الدهاء و السياسة، بعد دراسة دقيقة مشتركة للوضع، و تقييم عام له ...

اتفقا على أثره على خطة للتخلص من المشاكل التى كانت تعترض سبيلهما، و تشكل- إلى حدّ ما- خطرا على وجودهما فى الحكم، و تفردهما بالسلطة ... و بذلك فقط نستطيع أن نفسر قول ابراهيم بن العباس فى مدح الفضل فى جملة أبيات له:

و إذا الحروب غلت بعثت لهارأيا تفل به كتائبها

رأيا إذا نبت السيوف مضىعزم به فشفى مضاربها

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۶۹ أجرى إلى فئة بدولتهاو أقام فى أخرى نوادبها «۱» و لعل الفضل كان مخدوعا!.

و لكن أ لا يحتمل قريبا: أن يكون الفضل مخدوعا فى هذه المرة على الأقل؟ و أنه هو أيضا راح ضحية تآمر و تضليل من نفس سيده: المأمون؟! ..

الحقيقة أن ذلك أمر محتمل جدا، لأننا نرى فى النصوص التاريخية، ما يشير لنا بوضوح إلى أن الفضل لم يكن سوى لعبة بيد المأمون، و أنه قد جازت عليه حيلته فى بادئ الأمر، بادّعائه: أنه إنما يوليه العهد، لأنه يريد خير الامة و مصلحتها. أو لأنه يريد أن يفى بنذره (أى أنه نذر إن ظفر بأخيه الأمين؛ فلسوف يسلم الخلافة لرجل غريب!!) ..

و قد تقدم أن ابن القفطى يرى أن الفضل لم يكن عارفا بسر القضية، و لا عالما بواقع الأمر .. و لعلنا نستطيع: أن نستدل على ذلك بقوّة بممانعة الفضل و أخيه الحسن فى هذا الأمر ..

كما أننا رأينا المأمون: يرفض أن يطلب من الإمام (ع) كتاب الأمان للفضل، بحجة أن الإمام كان قد اشترط: أن لا يتدخل فى شىء من أمور الدولة و شئونها «۲».

ثم نرى المأمون نفسه يطلب من الإمام: أن يولى فلانا، أو أن يكتب إلى فلان بكذا، أو أن يساعده فى إدارة شئون الخلافة، أو أن

---

(۱) الأغانى ط ساسى ج ۹ ص ۳۱- ۳۲.

(۲) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۸، و مسند الإمام الرضا ج ۱ ص ۸۸.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۷۰

يصلى بالناس، إلى غير ذلك من الامور .. مع أن ما كان يريده الفضل من الإمام، لم يكن له من الأهمية مثل ما كان يطلبه منه المأمون ..

و على كل فقد يجوز للمأمون- حتى مع الشرط- ما لا يجوز لغيره بدونه ..

الفضل يقع فى الشرك

: و اخيرا .. فلا يسعنا فى ختام هذا الفصل إلا أن نقول:

مسكين الفضل بن سهل، لقد استطاع المأمون أن يبرئ ساحة نفسه، من كل الذنوب العظيمة و الخطيرة التى ارتكبها، و أن يجعل هذا الوزير المسكين، الذى كان عدوا للامام، و الذى لم يشعر إلا و هو فى الفخ، هو المسئول عن أكثر جرائمه و موبقاته، بل و عنها جميعا، حتى البيعة للرضا (ع)، بل و حتى عن قتل أخيه الأمين!! و لقد أدرك الفضل أنه قد وقع فى الشرك، و لكن .. بعد فوات الأوان، و لذا نراه يمتنع عن الذهاب إلى بغداد، لأنه يعرف ما سوف يواجهه من مشاكل و أخطار، و ما سوف يتعرض له من مؤامرات، و حاول بكل وسيلة أن يقنع المأمون بالعدول عن رأيه، و بيّن له صراحة أنه هو المتهم بالبيعة للرضا، و بقتل الأمين، فلقد قال له:

«.. يا أمير المؤمنين، إن ذنبى عظيم عند أهل بيتك، و عند العامة، و الناس يلوموننى بقتل أخيك المخلوع، و ببعة الرضا، و لا آمن السعاة و الحساد، و أهل البغى أن يسعوا بى، فدعنى أخلفك بخراسان الخ ..» «۱».

---

(۱) أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۳۹، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۲، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۸۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۷.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۷۱

و لكن أنى له أن يتركه المأمون، الذى كان يريد التخلص منه، من أجل أن ترضى عنه بغداد، مضافا إلى أنه هو أيضا كان يخشاه و يخافه ..

فلقد كان قد أعدّ العدة، و أحكم الخطة فى أمره، و لم يبق إلا التنفيذ (كما سيأتى بيانه) ..

و بعد أن يئس الفضل من اقناع المأمون، حاول أن يحتاط لنفسه ما أمكنه ذلك، فطلب منه أن يكتب له كتاب ضمان و أمان، فاستجاب المأمون لهذا الطلب، و كتب له كتابا «۱»، يسمى كتاب الحياء و الشرط يظهر بوضوح الدور الذى لعبه الفضل فى تشييد صرح خلافة المأمون، و توطيد سلطانه.

و نلاحظ: أن المأمون قد كتب للفضل كل ما يريد، بل و زاد على ما كان يتوقعه الفضل الشىء الكثير، إذ لم يكن يرى فى ذلك أى ضرر عليه، ما دام أنه قد أحكم الخطة، و دبر له النهاية.

و کما رسم و دبر .. کانت النهایة!! ..

لما ذا الاصرار علی اتهام الفضل

: و هکذا .. فإننا بعد کل ما تقدم، لا نری مجالا للإصرار علی نسبة التشیع للفضل، أو القول: بأن المأمون کان واقعا فی أمر البیعة تحت تأثیره، و خاضعا لارادته، فقد یکون الفضل قد أعطی أکثر مما یستحقه من النفوذ و القدرة .. و لعل إصرار أولئک أو هؤلاء علی اتهام الفضل بذلک، حتی و إن أنکره المأمون نفسه، و کذبته جمیع الوقائع و الأحداث- لعله- یرجع إلی حرصهم علی أن لا یتهم المأمون- السلطة- بما

(۱) الکتاب موجود فی: البحار ج ۴۹ ص ۱۶۰، ۱۶۲، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۷، ۱۵۹، و أوعز إلیه الیعقوبی فی تاریخه ج ۲ ص ۴۵۱ طبع صادر

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷۲

لا یحبون اتهامه به، کالتشیع، و الحب لآل علی (ع)، أو لیبرءوا ساحته من هذه التهمة، لو فرض وجودها فعلا .. أو لعل لأنهم لم یکونوا علی درجة من الوعی تؤهلهم لإدراک حقیقة ظروف المأمون، و أهدافه من البیعة ..

هذا .. و قد رأینا: أن العباسیین فی بغداد، بمجرد وصول نبأ البیعة لهم، یتهمون الفضل بن سهل بتدبیرها «۱» .. مع أنهم لم یکونوا قد اطلعوا بعد علی حقیقة الأمر و واقع القضیة، و ما ذلک إلا لما قلناه، و لیبقوا علی علاقاتهم مع المأمون، و لیبقی باب الصلح معه فی المستقبل مفتوحا .. و کذلک لیحافظوا علی شخصیة المأمون، حتی لا تلصق بها تهمة، یعلمون هم أکثر من غیرهم- و أهل البیت أدری بما فیه- ببراءته منها، ألا و هی تهمة: الحب لعلی، و آل بیته ..

و لعله أیضا لهذه الاسباب نفسها جعلوا المأمون لعبة فی ید الفضل، و أنه لا یملک معه من الأمر شیئا، حتی لقد قالوا عنه: إنه مسجون و مسحور «۲». و إن کان لا شاهد لهذه الدعوی أصلا إلا البیعة للرضا (ع)، و لولاها لکان العکس عندهم هو الصحیح فعلا ..

جمیل .. و جمیل جدا .. فلقد أصبح المأمون لعبة بید الفضل، و إن کانت جمیع الدلائل و الشواهد متظافرة علی العکس من ذلک .. و لو لم یکن ذلک یکفی لتبرئة المأمون، فهم علی استعداد لاتهامه بعقله، کما قد حدث ذلک بالفعل، فذلک عندهم خیر من اتهامه بالحب لآل علی، و التشیع لهم ..

(۱) فقد اتهموا الفضل بذلک بمجرد وصول رسالة الحسن بن سهل إلیهم، یخبرهم فیها بأمر البیعة .. راجع: الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۱۳، طبع لیدن و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۳۶ و غیر ذلک من کتب التاریخ.

(۲) راجع: البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۴۸، و الطبری ج ۱۱، و غیر ذلک ..

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷۳

احتمال وجیه جدا

: علی أننا لا نستبعد کثیرا .. أن یکون المأمون نفسه قد شجع و غذی هذه التبریرات و التمویهات، و خصوصا بعد مقتل الفضل، لیبرئ نفسه أمام العباسیین، و لیشوه الفضل .. کما أننا لا نشک أبدا فی أن کثیرا مما یذکر عن الأمین هو فی عداد الخرافات و الأساطیر، التی شجعها المأمون و حزبه، لأن الأمین کان هو المغلوب، و المأمون کان هو الغالب .. و للغالب القدرة، بل و الحق أیضا- فی نظر قاصری النظر- فی أن یشوه المغلوب، و یصوره بالصورة التی یرید ..

و یدلنا علی أن المأمون هو المسئول عن ذلک، ما رواه الحصری فی زهر الآداب من: «أنه لما خلع المأمون أخاه الأمین، و وجه بطاهر ابن الحسین لمحاربته، کان یعمل کتبا بعیوب أخیه، تقرأ علی المنابر بخراسان الخ ..» «۱». و طبیعی بعد ذلک: أن علی الکتاب و المؤرخین الذین ما کانوا أحرارا، و لا یعتمدون النزاهة فی کتاباتهم: أن یؤرخوا کما یرید المأمون، و أن یکتبوا ما یملیه علیهم، لا ما هو حق و واقع ..

یرونه بام أعینهم. أو تحکم به- إن کانت- ضمائرهم ..

و أخیرا .. و إذا تحقق أن الفضل بریء من تهمة التشیع، و تهمة تدبیر أمر البیعة الاعلی نحو التآمر، فلا یعنی ذلک أنه بریء مما هو أشنع من ذلک و أقبح «فکل إناء بالذی فیه ینضح» ..

---

(۱) راجع: امراء الشعر العربی فی العصر العباسی ص ۸۶، نقلا عن: زهر الآداب ج ۲ ص ۱۱۱، تحقیق زکی مبارک، و طبع دار الجیل ج ۲ ص ۴۶۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷۴

القسم الثّالث أضواء علی الموقف:

اشارة

۱- عرض الخلافة، و رفض الإمام ..

۲- قبول ولایة العهد بعد التهدید ..

۳- مدی جدیة عرض الخلافة ..

۴- موقف الإمام ..

۵- خطة الإمام ..

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷۷

عرض الخلافة، و رفض الامام (ع)

نصوص تاریخیة

: تحدثنا کتب التاریخ: أن المأمون کان قد عرض الخلافة علی الإمام أولا .. «۱» لکنه (ع) رفض قبولها أشد الرفض، و بقی مدة یحاول اقناعه بالقبول؛ فلم یفلح .. و قد ورد أن محاولاته هذه، استمرت فی مرو وحدها اکثر من شهرین و الإمام علیه السلام یأبی علیه ذلک «۲».

بل لقد ورد أنه (ع) کان قد أجاب المأمون بما یکره؛ فقد:

قال المأمون للإمام: «.. یا ابن رسول اللّه، قد عرفت فضلک، و علمک، و زهدک، و ورعک، و عبادتک؛ و أراک أحق بالخلافة منی ..».

---

(۱) کما نص علیه فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۲۵۰، و الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۷، و غایة الاختصار ص ۶۷، و ینابیع المودة للحنفی ص ۳۸۴، و مقاتل الطالبیین، و غیر هؤلاء کثیر. و سنشیر فی آخر هذا الفصل إلی طائفة منهم أیضا ..

لکن السیوطی قال فی تاریخ الخلفاء: «... حتی قیل: أنه همّ أن یخلع نفسه، و یفوض الأمر إلیه ..» أما رفضه لذلک؛ فهو أشهر من أن یذکر کما سیأتی ...

(۲) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۴، و ینابیع المودة و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷۸

فقال الإمام (ع): «.. بالزهد بالدنیا أرجو النجاة من شر الدنیا، و بالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، و بالتواضع فی الدنیا أرجو الرفعة عند اللّه ..

قال المأمون: فانی قد رأیت أن أعزل نفسی عن الخلافة، و أجعلها لک، و أبایعک؟! ..

فقال الإمام (ع): إن کانت هذه الخلافة لک؛ فلا یجوز أن تخلع لباسا ألبسکه اللّه، و تجعله لغیرک، و إن کانت الخلافة لیست لک؛ فلا یجوز أن تجعل لی ما لیس لک «۱».

قال المأمون: لا بد لک من قبول هذا الأمر!! فقال الإمام (ع): لست أفعل ذلک طائعا أبدا ..

فما زال یجهد به ایاما، و الفضل و الحسن «۲» یأتیانه، حتی یئس من قبوله ..

و خرج ذو الرئاستین مرة علی الناس قائلا: وا عجبا!! و قد رأیت عجبا!! رأیت المأمون أمیر المؤمنین یفوض أمر الخلافة إلی الرضا.

---

(۱) عبارة تاریخ الشیعة ص ۵۱، ۵۲، هکذا: «... إن کانت الخلافة حقا لک من اللّه، فلیس لک أن تخلعها عنک، و تولیها غیرک. و إن لم تکن لک؛ فکیف تهب ما لیس لک ..» و هذه أوضح و أدل.

(۲) لا ندری ما الذی أوصل الحسن بن سهل إلی مرو، مع أنه کان آنئذ فی العراق، و لعل ذکر الحسن اشتباه من الراوی. و احتمل السید الأمین فی أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۲۰: أن یکون المأمون قد استدعی الحسن بهذه المناسبة إلی خراسان؛ فلما تم أمر البیعة عاد إلی بغداد.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۷۹

و رأیت الرضا یقول: لا طاقة لی بذلک، و لا قدرة لی علیه .. فما رأیت خلافة قط کانت أضیع منها «۱».

---

(۱) راجع فی جمیع هذه النصوص بالاضافة إلی ما تقدم: روضة الواعظین ج ۱ ص ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۶۹، و إعلام الوری ص ۳۲۰، و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۶، و ینابیع المودة ص ۳۸۴، و أمالی الصدوق ص ۴۲، ۴۳، و الإرشاد ص ۳۱۰، و کشف الغمة ج ۳ ص ۶۵، ۶۶، ۸۷ و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹، ۱۴۰، و المناقب ج ۴ ص ۳۶۳، و الکافی ج ۱ ص ۴۸۹، و البحار ج ۴۹، ص ۱۲۹، ۱۳۴، ۱۳۶، و معادن الحکمة، و تاریخ الشیعة، و مثیر الأحزان ص ۲۶۱، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۶۴، ۱۶۵، و غایة الاختصار ص ۶۸.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۸۰

قبول ولایة العهد بعد التهدید

مع محاولات المأمون لاقناع الإمام

: الذی یبدو من ملاحظة کتب التاریخ و الروایة، هو: أن محاولات المأمون لاقناع الامام بما یرید، کانت متعددة، و متنوعة. و أنها بدأت من حین کان الإمام (ع) لا یزال فی المدینة؛ حیث کان المأمون یکاتبه، محاولا إقناعه بذلک؛ فلم ینجح، و علم الإمام أنه لا یکف عنه ..

ثم أرسل رجاء بن أبى الضحاك، و هو قرابة الفضل و الحسن ابنى سهل «۱»؛ فأتى بالإمام (ع) من المدينة الى مرو رغما عنه .. و بذل المأمون فى مرو أيضا محاولات عديدة، استمرت أكثر من شهرين. و كان يتهدد الإمام بالقتل، تلويحا تارة، و تصريحا أخرى، و الإمام (ع) يأبى قبول ما يعرضه عليه .. إلى أن علم أنه لا يمكن أن يكف عنه، و أنه لا محيص له عن القبول؛ فقبل ولايـة العهد مكرها، و هو بـاك حزين- على حـد تعبير الكثيرين-، و كـانت البيعـة له فى السابع من شـهر رمضان، سـنة (۲۰۱ ه-.)، كما يتضـح من تاريـخ ولايـة العهد ..

---

(۱) و قيل: أنه عمهما. و قد كان رجاء هذا من قواد المأمون. و قد ولاه المأمون خراسان مدة، لكنه أساء السيرة؛ فعزله ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۸۱

بعض ما يدل على عدم رضا الإمام (ع)

: و النصوص الدالة على عدم رضا الإمام (ع) بهذا الأمر كثيرة، و متواترة؛ فقد قال أبو الفرج: «.. فأرسـلهما (يعنى الفضل و الحسن ابنى سهـل) إلى على بن موسـى؛ فعرضـا ذلك (يعنى ولايـة العهـد) عليه، فأبى؛ فلم يزالا به، و هو يأبى ذلك، و يمتنع منه .. إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت ذلك، و إلا فعلنا بك و صـنعنا، و تهدده، ثم قال له أحدهما: «و اللّه، أمرنى بضـرب عنقك، إذا خالفت ما يريد»!!.

ثم دعا به المأمون، و تهدده؛ فامتنع، فقال له قولا شبيها بالتهديد، ثم قال له: «إن عمر جعل الشورى فى ستة، أحدهم: جدك، و قال: من خالف فاضربوا عنقه، و لا بد من قبول ذلك ..» «۱»!!

و يروى آخرون: أن المـأمون قـال له: «.. يـا ابن رسـول اللّه، إنمـا تريـد بـذلك (يعنى بمـا أخـبره به عن آبـائه من مـوته قبله مسـموما) التخفيف عن نفسك، و دفع هذا الأمر عنك؛ ليقول الناس: إنك زاهد فى الدنيا ..

فقال الرضا: و اللّه، ما كذبت منذ خلقنى ربى عز و جل، و ما زهدت فى الدنيا للدنيا؛ و إنى لأعلم ما تريد؟!! ..

فقال المأمون: و ما أريد؟! قال: الأمان على الصدق؟

قال: لك الأمان.

قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إن على بن موسى لم يزهد فى

---

(۱) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۲، ۵۶۳، و قريب منه ما فى ارشاد المفيد ص ۳۱۰ و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۸۲

الـدنيا، بل زهـدت الـدنيا فيه؛ أ لا ترون: كيف قبل ولايـة العهـد طمعا فى الخلافـة؟! فغضب المأمون، و قال له: «إنك تتلقانى أبدا بما أكرهه. و قد آمنت سطوتى، فباللّه أقسم: لئن قبلت ولاية العهد، و إلا أجبرتك على ذلك؛ فإن فعلت، و إلا ضربت عنقك ..» «۱».

و قال الإمام الرضا (ع) فى جواب سؤال الريان له، عن سرّ قبوله لولاية العهد:

«.. قـد علم اللّه كراهتى لـذلك؛ فلمـا خيرت بين قبول ذلـك و بين القتـل، اخترت القبول على القتـل. ويحهم .. إلى أن قـال: و دفعتى الضرورة إلى قبول ذلك، على إجبار و اكراه، بعد الاشراف على الهلاك إلخ ...» «۲».

و قال فى دعاء له: «.. و قد اكرهت و اضطررت، كما أشرفت من عبد اللّه المأمون على القتل، متى لم أقبل ولاية العهد ..».

و قال فى جواب أبى الصلت: «و أنا رجل من ولد رسول اللّه (ص)

---

(۱) راجع فى ذلك: مناقب آل أبى طالب ج ۴ ص ۳۶۳، و أمالى الصدوق ص ۴۳، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۰، و علل الشرائع

ج ۱ ص ۲۳۸، و مثیر الأحزان ص ۲۶۱، ۲۶۲، و روضة الواعظین ج ۱، ص ۲۶۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۲۹، و غیر ذلک.

و فی تاریخ الشیعة ص ۵۲: أنه بعـد أن عرض علیه الخلافـة، و أجابه بالجواب المتقدم فی الفصل السابق، قال له: «... إذن، تقبل ولایة العهد. فأبی علیه الامام أشد الإباء؛ فقال له المأمون: «.. ما استقدمناک باختیارک، فلا نعهد إلیک باختیارک.

و اللّه، إن لم تفعل ضربت عنقک ..».

(۲) علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۹، و روضة الواعظین ج ۱ ص ۲۶۸، و أمالی الصدوق ص ۷۲، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۳۹.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۸۳

أجبرنی علی هذا الأمر و اکرهنی علیه ..».

بل لقـد أعرب عن عدم رضاه فی نفس ما کتبه علی ظهر وثیقة العهد، و أنه یعلم بعدم تمامیة هذا الأمر، و إنما یفعل ذلک امتثالا لأمر المأمون، و إیثارا لرضاه ...

أما الباحثون و غیرهم فیقولون

: أما الباحثون، فلعلنا لا نکاد نعثر علی باحث یتعرض لهذا الأمر ینسی أن یؤکد علی رفض الإمام (ع) لهذا الأمر، و استیائه منه ..

یقول أحمد أمین: «.. و الزم الرضا بذلک، فامتنع، ثم اجاب ..» «۱».

و قال القندوزی: إنه قبل ولایة العهد، و هو باک حزین «۲» ..

و قال المسعودی: «.. فألح علیه، فامتنع، فأقسم؛ فأبر قسمه الخ ..» «۳».

و علی کل حال: فإن النصوص التاریخیة الدالة علی عدم رضاه (ع) بهذا الأمر، و أنه مکره مجبر علیه کثیرة جدا «۴». و تضارعها کثرة

---

(۱) ضحی الاسلام ج ۳ ص ۲۹۴.

(۲) ینابیع المودة ص ۲۸۴.

(۳) إثبات الوصیة ص ۲۰۵.

(۴) و إنه و إن کـان سیمر معنا نصوص اخری تـدل علی ذلک .. إلا أننا نحیل القارئ علی بعض مظان وجودها؛ فراجع: ینابیع المودة ص ۳۸۴، و مثیر الأحزان ص ۲۶۱، ۲۶۲، ۲۶۳، و کشف الغمة ج ۳ ص ۶۵، و أمالی الصدوق ص ۶۸، ۷۲،

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۸۴

أقوال الباحثین، الذین تعرضوا لهذا الموضوع؛ و لذا فلیس من الیسیر الاحاطة بها و استقصاؤها فی مثل هذه العجالة ..

و لهذا .. فإننا نکتفی هنا بهذا القدر؛ حیث إن المجال لا یتسع لأکثر من ذلک ..

و البحار ج ۴۹ ص ۱۲۹، ۱۳۱، ۱۴۹، و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۷، ۲۳۸، و إرشاد المفید ص ۱۹۱، و عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۹، و ج ۲ ص ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۹، و إعلام الوری ۳۲۰، و الخرائج و الجرائح، و غیر ذلک ..

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۸۵

مدی جدیة عرض الخلافة

عرض الخلافة لیس جدیّا ..

: مر معنا أن المأمون كان قد عرض أولا الخلافة على الإمام، و أنه ألح عليه بقبولها كثيرا، سواء و هو فى المدينة، أو بعد استقدامه إلى مرو، و أنه تهدده فلم يقبلها. فلما يئس من قبوله الخلافة، عرض عليه ولاية العهد، فامتنع أيضا. و لم يقبل إلا بعد أن تهدده بالقتل، و عرف الجدّ فى ذلك التهديد!!.

و هنا سؤال لا بد من الاجابة عليه، و هو:

هل كان المأمون جادا فى عرضه الخلافة على الامام؟! ..

و يتفرع على الاجابة على هذا السؤال سؤال آخر، و هو:

إذا لم يكن المأمون جادا فى عرضه ذاك؛ فما ذا ترى سوف يكون موقف المأمون، لو أن الامام قبل أن يتقلد الخلافة، و يضطلع بشئونها؟!.

و من أجل استيفاء الجواب عن هذين السؤالين، لا بد لنا من الإسهاب فى المقال، بالقدر الذى يتسع لنا به المجال فنقول:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۸۶

الاجابة على السؤال الأول

: أما عن السؤال الأول، فان الحقيقة هى: أن جميع الشواهد و الدلائل تدل على أنه لم يكن جادا فى عرضه للخلافة:

و قد قدمنا أننا لا يمكن أن نتصور المأمون الحريص على الخلافة حرصه على نفسه، و الذى قتل من أجلها أخاه، و أتباعه، بل و حتى وزراءه هو و قواده؛ و غيرهم. و أهلك العباد، و خرب البلاد، حتى لقد خرب بغداد بلد آبائه، و أزال كل محاسنها- لا يمكن أن نتصور- المأمون، الذى فعل كل ذلك و سواه من أجل الحصول على الخلافة ... يتنازل عنها بهذه السهولة، بل و مع هذا الالحاح و الإصرار منه، لرجل غريب، ليس له من القربى منه ما لأخيه، و لا من الثقة به ماله بقواده، و وزرائه!!.

أم يعقل أن تكون الخلافة أعز من هؤلاء جميعا، و الرضا فقط هو الأعز منها؟!! ..

و هل يمكن أن نصدق، أو يصدق أحد: أن كل ذلك، حتى قتله أخاه، كان فى سبيل مصلحة الامة و من أجلها، و لكى يفسح المجال أمام من هو أجدر بالخلافة، و أحق بها من أخيه، و منه؟!! ..

و كيف يمكن أن نعتبر اصراره الشديد على الامام، و الذى استمر أشهرا عديدة، قبل استقدامه إلى مرو و بعده، و الذى انتهى به إلى حد تهديده إياه بالقتل- كيف يمكن أن نعتبره رفقا منه بالامة، و حبا لها، و غيرة على صالحها .. مع أننا نسمعه من جهة ثانية هو نفسه يصرح:

بأن نفسه لم تسخ بالخلافة، عند ما عرضها على الامام؟!! «۱».

و إذا لم تسخ نفسه بالخلافة؛ فلما ذا يهدده بالقتل إن لم يقبلها؟!!.

---

(۱) قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۷۱، و غيبة الشيخ الطوسى ص ۴۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۸۷

و كيف يمكن أن نوفق بين تهديداته تلك، و جدية عرضه للخلافة ..

و بين قوله: إنه لم يقصد إلا أن يوليه العهد؛ ليكون دعاء الإمام له، و ليعتقد فيه المفتونون به الخ .. ما سيأتى؟!!.

و إذا كان قد نذر أن يوليه «الخلافة»، لو ظفر بأخيه الأمين، حسبما ورد فى بعض النصوص التاريخية؛ فلما ذا، و كيف جاز له الاكتفاء بتوليته العهد؟!!.

و كيف استطاع إجباره على قبول ولاية العهد، و لم يستطع إجباره على قبول الخلافة؟! و أيضا .. و لما ذا بعد أن رفض الإمام (ع)

العرض، لا يتركه و شأنه؟

و أين هى أنفة الملوك، و عزة السلطان؟!!.

و إذا كان يأتى به من المدينة ليجعله خليفة المسلمين، و يرفع من شأنه؛ فلما ذا يأمره و يؤكد عليه فى أن لا يمر عن طريق الكوفة و قم، حتى لا يفتتن به الناس؟!!.

و أيضا .. هل يتفق ذلك مع إرجاعه للإمام (ع) عن صلاة العيد مرتين، لمجرد أنه جاءه من ينذره بأن الخلافة سوف تكون فى خطر؛ لو أن الإمام (ع) وصل إلى المصلى؟!! .. حتى لقد خرج هو بنفسه مسرعا، و صلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض، و رغم زعمه، أنه: كان يريد من الإمام أن يصلى بالناس؛ من أجل أن تطمئن قلوبهم على دولته المباركة- على حد تعبيره- بسبب مشاركة الإمام (ع) فى ذلك ..

و أيضا .. هل يتفق عرضه الخلافة على الإمام، و تنازله عنها له، ثم توليته العهد، و بكاؤه عليه حين وفاته، و بقاؤه على قبره ثلاثة أيام، حسبما سيأتى بيانه .. هل يتفق كل ذلك، مع كتابته لعامله على

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۸۸

مصر: يأمره بغسل المنابر التى دعى عليها للامام (ع)؛ فغسلت؟!! «۱».

و بعد .. و إذا كان الإمام (ع) حجة اللّه على خلقه، و أعلم أهل الأرض على حد تعبير المأمون؛ فلما ذا يفوض عليه نظرية لا يراها مناسبة، و يتهدده، و يتوعده على عدم قبولها، و الاخذ بها؟! ..

و أخيرا .. هل يتفق ذلك كله، مع ما أشرنا، و لسوف نشير إليه، من ذلك السلوك اللاإنسانى مع الإمام (ع)، قبل البيعة، و بعدها، فى حياة الإمام، و حين وفاته، و بعدها .. و كذلك سلوكه مع العلويين، و إخوة الإمام الرضا (ع) بالذات. ذلك السلوك الذى يترفع حتى الاعداء عن انتهاجه، و الالتزام به.

إلى آخر ما هنالك مما عرفت، و ستعرف جانبا منه فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى ..

المأمون يرتبک فى تبريراته

: و لعل من الامور الجديرة بالملاحظة هنا: أن المأمون لم يكن قد حسب حسابا للأسئلة التى سوف تواجهه فى هذا الصدد؛ و لذا نرى أنه كان مرتبكا جدا فى تبريراته لما أقدم عليه؛ فهو تارة يعلل ذلك بأنه:

---

(۱) و لا منافاة بينهما فى نظر المأمون؛ فانه لم يكن يخشى من ردة الفعل فى مصر؛ لأنها بالاضافة إلى بعدها، لم تكن من المناطق الحساسة فى الدولة، و لم تكن أيضا شديدة التعاطف مع العلويين؛ فهى إذن مأمونة الجانب .. و ما كان يخشى منه قد أمنه؛ بتظاهره أمام الملأ بالحزن الشديد على الامام عليه السلام؛ حيث يكون بذلك قد طمأنهم، و أبعد التهمة عن نفسه فى المنطقة التى يخشى منها فى الوقت الحاضر .. و إلى أن تصل أخبار مصر إلى هذه المناطق الحساسة؛ فانه يكون قد تجاوز المرحلة الخطيرة، و لم يعد يخشى شيئا على الإطلاق ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۸۹

أراد مكافأة على بن أبى طالب فى ولده!! «۱».

و أخرى: بأن ذلك كان منه حرصا على طاعة اللّه، و طلب مرضاته؛ و لما يعلمه من فضل الرضا، و علمه، و تقاه .. و أنه أراد بذلك الخير للامة، و مصلحة المسلمين!! «۲».

و ثالثة: بأنه أراد أن يفى بنذره: أنه إن أظفره اللّه بالمخلوع يعنى أخاه الأمين الذى قتله- أن يجعل ولاية العهد فى أفضل آل أبى

طالب!!. «۳»

بل و رابعة: بأنه أراد أن يجعله ولى عهده؛ ليكون دعاؤه له، و ليعتقد فيه المفتونون به إلخ «۴» .. ما سيأتى تفصيله ..

مع تبريرات المأمون تلك

: و من الواضح أن تلك العلل و التبريرات، و سواها، مما كان يتعلل

---

(۱) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۹، و البحار ج ۴۹ ص ۳۱۲، و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ۳۰۸، و التذكرة لابن الجوزى ص ۳۵۶، و شذرات الذهب، لابن العماد ج ۲ ص ۳، و غير ذلك ..

(۲) صرح بذلك فى وثيقة العهد. و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۱۷، قال:

«كان المأمون قد فكر فى حال الخلافة بعده، و أراد أن يجعلها فى رجل يصلح لها، كذا زعم ..» ..

و فى البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۷ قال: «إن المأمون رأى عليا الرضا خير أهل البيت، و ليس فى بنى العباس مثله: فى علمه، و دينه؛ فجعله ولى عهده من بعده» و مثل ذلك كثير ...

(۳) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۲۴۱، و مقاتل الطالبيين ص ۵۶۳، و اعلام الورى ص ۳۲۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، ۱۴۵، و أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۲، و عيون أخبار الرضا، و ارشاد المفيد، و غير ذلك ..

(۴) لكن هذا الكلام لم يكن إلا لخصوص العباسيين، كما عرفت و ستعرف!!!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۰

به المأمون؛ كانت مفتعلة قبل أوان نضجها. و لعله لما أشرنا إليه من أنه لم يكن قد حسب حسابا لهذه الاسئلة التى واجهته، كانت أجوبته متناقضة، متضادة، من موقف لآخر، و من وقت لآخر .. حتى إن التناقض يبدو فى التبرير الواحد، إذ تراه مرة يقول: «إنه نذر أن يجعل الخلافة فى ولد على». و أخرى يقول: «إنه نذر أن يجعل ولاية العهد فيهم». و ثالثة: يضيف إليهم آل العباس .. و هكذا ..

و لو لا خوف الناس منه، و من بطشه لوجدنا الكثيرين يسألونه: إنه إذا صح: أنه نذر الخلافة لولد على، فلما ذا قبل منه و اكتفى بولاية العهد؟!، إذ قد كان عليه أن يجبره على قبول الخلافة، كما أجبره على قبول ولاية العهد .. و إذا صح أنه نذر له ولاية العهد؛ فلما ذا عرض عليه الخلافة، و أصر عليه بقبولها.

و إننا و إن لم نجد لهذه الأسئلة، و سواها أثرا فيما بأيدينا من كتب التاريخ. إلا أننا رأينا الشواهد الكثيرة الدالة على أن الناس كانوا يشكون كثيرا فى نوايا المأمون و أهدافه مما أقدم عليه. و حسبنا هنا: ما رواه لنا الصولى، و القفطى، و غيرهما من قضية عبد اللّه بن أبى سهل النوبختى المنجم؛ حيث أراد اختبار ما فى نفس المأمون؛ فأخبره أن وقت البيعة للامام (ع) كان غير صالح؛ فأصر المأمون على إيقاع البيعة فى ذلك الوقت، و تهدده بالقتل إن حدث تغيير فى الوقت و الموعد، و قد تقدمت القصة بكاملها تقريبا فى فصل سابق، و قد ذكرها غير واحد من المؤلفين «۱».

---

(۱) تاريخ الحكماء ص ۲۲۲، ۲۲۳، و فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم ص ۱۴۲، و أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۱۴، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۲، ۱۳۳، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۷، ۱۴۸، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۱

الامام يدرك أهداف المأمون من عرض الخلافة

: و لعلنا نسـتطيع أن نجـد فيما قـدمناه فی هـذا الكتاب ما يفسـر لنا موقف الإمام (ع) من المأمون .. ذلك الموقف الذی لم يكن يتسـم بالمهادنة، أو الموافقة أصـلا. بل كان قاسيا و عنيفا فی مقابل عرض المأمون للخلافة عليه، كما ألمحنا إليه فی باب: «عرض الخلافة، و رفض الإمام».

و ما ذلك ... إلا لأنه كان يعلم أنها لعبـة خطيرة، تحمل فی طياتها الكثير من المشاكل و الأخطار، و سواء بالنسـبة إليه (ع)، أو بالنسـبة إلی العلويين، أو بالنسبة إلی الامة بأسرها ..

و لقد كان (ع) يدرك: أن المأمون كان يرمی من وراء هذا العرض إلی أن يعرف حقيقة نوايا الامام (ع)، و يستظهر دخيلة نفسه، حتی إذا ما رآه راغبا فيها رغبـة حقيقيـة، سـقاه الكأس، التی سـقاها من قبل لمحمد بن محمد بن يحيی بن زيد، صاحب أبی السـرايا، و من بعـد لمحمـد بن جعفر، و طاهر بن الحسـين، و غيرهـم، و غيرهم .. و انه كان يريد أن يجعل ذلك ذريعة لفرض ولاية العهد، و تمهيدا لإجباره علی قبولها؛ لأن ما يحقق له مآربه، و يوصـله إلی غاياته، التی تحـدثنا عن جانب منها فی فصل: ظروف البيعة .. هو قبول الإمام لولايـة العهـد، لا الخلافـة .. كما أن هـذا هو الذی يمكن أن يكون ممهدا لتنفيذ الجزء التالی من خطته، ألا و هو القضاء علی العلويين بالقضاء علی أعظم شخصية فيهم.

و من ثم .. و بعـد كـل مـا تقـدم .. تكون النتيجـة هی: أن المـأمون لم يكن جادا فی عرضه للخلافـة، و إنما فقط كان جادا فی عرضـه لولاية العهد ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۹۲

و يبقی هنا سؤال

: «لو أن الإمام قبل عرض الخلافة؛ فما ذا تری سوف يكون موقف المأمون؟!».

و الجواب

أولا:

انه قد يمكن الاقتناع بالجواب هنا لو قيل:

بديهی أن المأمون كان قد أعد العدة لأی احتمال من هذا النوع ..

و قد كان يعلم أنه يستحيل علی الإمام، خصوصا فی تلك الظروف:

أن يقبـل عرض الخلافـة، من دون إعـداد مسـبق لهـا، و تعبئـة شاملـة لجميع القوی، و فی مختلف المجالات، و لسوف يكون قبوله لها بدون ذلك عملا انتحاريا، لا مبرر له، و لا منطق يساعده ..

إذ من البـديهی أن الإمام الـذی كان يعلم كم كان للقائد الحقيقی، و المصـلح الواعی، من أثر فی حياة الامة، و فی مسـتقبلها. و كيف يمكن أن تتحـد فی ظله قدرات الامة- أفرادا و جماعات- و امكاناتها المادية، و الفكرية و غيرها فی طريق صـلاحها، و اصـلاحها .. و يعلم أيضا: كيف يكون الحال، لو كان القائد فاسدا، حتی بالنسبة لما يبدو من تصرفاته فی ظاهره صحيحا و سليما ..

إن الإمـام الـذی كان يعلم ذلك و سواه- و بصـفته القائـد الحقيقی للامـة، لو حكم؛ فلا بـد له أن يقيم دولـة الحق و العـدل، و يحمل النـاس علی المحجـة، و يحكم بمـا أنزل اللّه، كمـا حكم جـده محمـد (ص)، و أبـوه علی (ع) من قبـل .. و حكمه هـذا سـوف يكـون مرفوضا جملة و تفصـيلا؛ لأن الناس، و إن كانوا عاطفيا مع أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنهم حيث لم يتربوا تربية إسلامية صحيحة، و صالحـة، إذا أراد العلويـون، أو غيرهم حملهم علی المحجـة؛ فلسـوف لاـ ينقـادون لهم بسـهولة، و لاـ يطيعونهم بيسـر. و لسوف يكون

الحكم بما أنزل اللّه غريبا على أمة اعتادت

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۳

على حياة خلفاء بنى العباس، و من قبلهم بنى أمية المليئة بالانحرافات و الموبقات.

أولئك الخلفاء الذين كانوا فى طليعة المستهترين، و المتحللين من كل قيود الدين و الانسانية، و الذين كانوا يتساهلون فى كل شىء، ما دام لا ـ يضر بوجودهم فى الحكم .. نعم .. فى كل شىء على الاطلاق، حتى فى الدين و أحكامه، و الأخلاق، و المثل العليا؛ و ما ذلك إلا لأنهم لم يكن همهم إلا الحكم، و التسلط، و امتصاص دماء الشعوب، و لا يهمهم- بعد- أن يفعل الناس ما شاءوا، ليتستروا بالدين، ليكفروا باللّه، ليتحللوا من الأخلاق و الفضائل الانسانية، ليأكل بعضهم بعضا، ليكونوا أنعاما سائمة، أو ليكونوا و حوشا ضارية؛ فان ذلك كله لا يضر.

و الذى يضر فقط هو: أن يتعرضوا للحكم، و يفكروا بالسلطان، كيفما كان التعرض، و أيا كان التفكير ..

و إذا كان الإمام على (ع)، عند ما أراد أن يحكم بما أنزل اللّه تعالى، قد لاقى ما لاقى مما لا يجهله أحد .. رغم ما سمعته الامة من فم النبى (ص) مباشرة فى حقه، و قرب عهدها به .. فكيف بعد أن مرت عشرات السنين، و أصبح الانحراف عادة جارية، و سنة متبعة، و اتخذ نحوا من الاصالة فى حياة الامة، و روحها، و أصبح- للأسف- جزءا لا يتجزأ من كيانها و واقعها ..

و أيضا .. إذا كان أبو مسلم قد قتل ست مائة ألف نفس صبرا، عدا مئات الالوف الاخرى، التى ذهبت طعمة للسيوف فى المعارك ..

و إذا كانت ثورة أبى السرايا قد كلفت المأمون «۲۰۰» ألف جندى، من جنوده هو ..

و إذا كان العصيان ما انفك يظهر من كل جانب و مكان، رغم أن

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۴

الحكم كان أولا و آخرا ينسجم مع أهواء الناس، و مصالحهم الشخصية ..

فهل يمكن مع هذا .. ان لا يتعرض الإمام (ع) لعصيان أصحاب الأهواء- و ما أكثرهم-، و الكيد من قبل الأعداء، الذين سوف يزيد عددهم. و تتضاعف قوتهم، عند ما يحاول الامام (ع) ان يفرض عليهم حكما ما اعتادوه، و سلوكا ما ألفوه؟! ..

إن من الواضح: ان الناس و ان كانت قلوبهم معه، الا ان سيوفهم سوف تنقلب لتصير عليه، كما انقلبت على آبائه و أجداده من قبل، و ذلك عند ما لا ينسجم حكمه (ع) مع رغائبهم، و أهوائهم، و انحرافاتهم ..

حيث إن الإمام (ع) إذا أراد أن يحكم، فلسوف يواجه- بطبيعة الحال- تلك العناصر القوية، ذات النفوذ، و أولئك المستأثرين بكل الاموال و الاقطاع، من أصحاب الأطماع، و المصالح الشخصية، وجها لوجه .. إذ أننا لا يمكن أن ننتظر من حكومة الإمام، التى هى على الفرض حكومة الحق، و العدل: أن تقرهم على ما هم عليه، فضلا عن أن توفر لهم الحماية لتصرفاتهم المشبوهة، و غير المنطقية، بل حتى و لا الاخلاقية أيضا ..

إن حكومة الإمام (ع)، إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسى فى سبيل استئصال كل جذور الانحراف و الفساد .. فان عليها أولا، و قبل كل شىء، أن تقوم بقطع أيدى أولئك الغاصبين لاموال الامة، و المتحكمين بقدراتها. و إبعاد كل أولئك الذين كانوا يستغلون مناصبهم، التى و صلوا إليها عن طريق الظلم، و الغطرسة، و الابتزاز- يستغلونها- لمآربهم الشخصية، و انحرافاتهم اللاأخلاقية ..

ثم .. قطع أعطيات ذلك الفريق من الناس، الذين كانوا يعيشون على حساب الأمة، و يأكلون خيراتها .. ثم لا يقومون فى مقابل ذلك بأى عمل، أو نشاط يذكر ..

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۵

و أيضا .. منع المحسوبيات، و الوساطات، من أصحاب الوجاهات، الذين كانت تسيرهم الروح القبلية، و يهيمن عليهم الشعور الطبقى فى دولة الأطماع و المزايدات، أو دولة التهديد، و العسف، و الارهاب.

يضاف إلى ذلك كله .. أنه إذا أراد الإمام (ع) أن ينطلق فى كل نصب و عزل من مصلحة الامة، لا من مصلحة الحاكم و القبيلة؛ فطبيعى أن يؤدى ذلك إلى إثارة القبائل ضده، و يؤلبهم عليه .. فزعماء القبائل سواء كانوا عربا أو فرسا كانوا يلعبون دورا هاما فى انجاح اية ثورة و قيام أية دعوة و استمرار و نجاح أى حكم.

و بعد كل ذلك؛ فإن من الطبيعى إذن: أن يستفحل الصراع بينه، و بين العناصر القوية، ذات النفوذ، من أصحاب الأهواء، و المصالح الشخصية، و أولئك الذين يعتمل فى نفوسهم طموح كبير، نحو زبارج الدنيا، و بهارجها .. و ذلك عند ما يعطى القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعا، و يجعلهم فى المستوى الذى يجب أن يكونوا فيه، و يحدّد و يقيّم لهم واقعهم الذى لن يرضوا أبدا بتحديده و تقييمه. و على الأقل لن تساعده تلك العناصر على تصحيح الوضع، و إقرار النظام .. هذا إن لم تكن هى العقبة الكأداء، التى تحول بينه و بين ما يصبو إليه، و تمنعه من تحقيق ما يريد ..

يضاف إلى ذلك كله: أن القيادة القبلية كانت قد فسدت آنذاك، و اعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود و المواثيق التى يعطونها؛ فكانوا يؤيدون هذه الدعوة، و هذا القائم بها، إلى أن يجدوا من يستفيدون منه، و يغدق عليهم أكثر من الأموال، و يخصهم بما يفضل ما يخصهم به ذاك من المناصب. و كان للقيادات القبلية دور كبير فى إنجاح أية دعوة، و انتصار أية ثورة ..

و بعد .. فإنه إذا كان الإمام (ع) لن يحابى أحدا على حساب دينه و رسالته .. و إذا كان- من الجهة الأخرى- مركزه ضعيفا فى الحكم ..

و إذا كان ليس لديه القوة و القدرة الكافية لمواجهة مسئولياته كاملة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۶

فلسوف ينهار حكمه و سلطانه أمام أول عاصفة تواجهه، و لن يستطيع أن يبقى محتفظا بوجوده فى الحكم، أو على الأقل بمركز يخوله أن يفرض الحكم الذى يريد على المجتمع، بجميع فئاته، و مختلف طبقاته ..

إلا أن يكون حاكما مطلقا، لا تحد سلطته حدود، و لا تقيدها قيود، و أنى له بذلك.

و بعد كل ما تقدم؛ فان النتيجة تكون، أن الامام (ع)، و إن كان يمتلك القدرة على الاصلاح، لكن الامة لم تكن لتتحمل مثل هذا الإصلاح، خصوصا و أن الحكام- بوحى من مصالحهم الخاصة- كانوا قد أدخلوا فى أذهان الناس صورا خاطئة عن الحكم، و عن الحكام، الذين يفترض فيهم ان يقودوا الامة فى مسيرها إلى مصيرها ..

هذا كله .. لو فرض- جدلا- سكوت العباسيين و المأمون عنه، مع أن من المؤكد أنهم سوف يعملون بكل ما لديهم من قوة و حول، من أجل تقويض حكمه، و زعزعة سلطانه ..

و إذا كان يستحيل على الإمام (ع)، فى تلك الفترة على الأقل:

أن يتسلم زمام السلطة إلا أن يكون حاكما مطلقا كما قدمنا .. فمن الواضح أن سؤالا من هذا النوع لا مجال له بعد. و لن يكون فى تجشم الاجابة عليه كبير فائدة، أو جليل أثر.

و لكن .. مع ذلك، و حتى لا نفرض على القارئ وجهة نظر معينة؛ إذ قد يرى أن من حقه أن يفترض- و إن أبى واقع الأحداث مثل هذا الافتراض- أنه كان على الإمام (ع): أن يجارى، و يدارى فى بادئ الأمر؛ من أجل الوصول إلى أهداف فيها خير الامة و مصلحتها؛ من أجل ذلك .. نرى لزاما علينا أن نجاريه فى هذا الافتراض، و نتجه إلى الإجابة على ذلك السؤال بنحو آخر؛ فنقول:

و ثانيا:

إنه إذا كان المأمون فى تلك الفترة هو الذى يمتلك القدرة و السلطان .. و إذا كانت كل أسباب القوة و المنعة متوفرة لديه بالفعل؛

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۷

فإنه سوف یسهل علیه- إذا لم یکن حکم الإمام (ع) علی وفق ما یشتهی، و حسبما یرید-: أن یأخذ علی ذلک الحکم: (الذی یری نفسه، و یری الناس أنه مدین للمأمون) أقطار الأرض، و آفاق السماء. و لن یصعب علیه تصفیته، و التخلص منه من أهون سبیل؛ حیث إنه حکم لا یزال، و لسوف یسعی المأمون لأن یبقیه فی المهد، یستطیع المأمون أن ینزل به الضربة القاصمة القاضیة متی شاء، دون أن تعطی له الفرصة لحشد قدراته، و تجمیع قواه فی أی من الظروف و الأحوال ..

و هکذا .. فإن النتیجة تکون: أن الإمام (ع) سوف یکون بین خیارین لا ثالث لهما: فاما أن یحاول تحمل المسئولیة الحقیقیة، بکل أبعادها، و تبعاتها، باعتباره القائد الحقیقی للامة، و یقدم علی کل ما تقدمت الاشارة إلیه من اصلاحات جذریة فی جمیع المجالات، و علی مختلف المستویات؛ مما سوف یکون من نتائجه أن یعرض نفسه للهلاک؛ حیث لا یستطیع الناس؛ و المأمون و اشیاعه تحمل ذلک، و الصبر علیه، و یکون له و لهم کل العذر فی تصفیته، و التخلص منه.

و إما أن لا یتحمل مسئولیة الحکم، و لا یأخذ علی عاتقه قیادة الامة، و إنما تکون مهمته، و ما یأخذه علی عاتقه هو فقط تنفیذ إرادات المأمون، و أشیاعه من المنحرفین. و یکون هو الواجهة التی یختفی وراءها الحکام الحقیقیون، المأمون و من لف لفه ..

و واضح أن نتیجة ذلک سوف تکون أعظم خطرا علی الإمام، و علی العلویین، و علی الامة بأسرها، و أشد فداحة من نتیجة الخیار السابق؛ حیث یکون قد قضی بذلک علی کل آمال الامة، و کل توقعاتها.

و ذلک هو کل ما یریده المأمون، و یسعی من أجل الحصول علیه، بکل ما أوتی من قوة و حول ..

و ثالثا:

إن من الواضح: أن عرض المأمون التنازل عن الخلافة للامام (ع)، لا یعنی أبدا أن المأمون سوف لا یحتفظ لنفسه بأیّ من

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۲۹۸

الامتیازات؛ التی تضمن له- فی نظره- نصیبا من الأمر «۱». و لسوف یری الناس کلهم أن له کل الحق فی ذلک ..

کما أن ذلک لا یعنی أنه سوف لا یعود له نفوذ فی الاوساط ذات النفوذ و القوة. بل إننی أعتقد أنه سوف یکون فی تلک الحال أقوی بکثیر منه فی غیرها؛ حتی إن المنصب للإمام (ع)، قد یکون شکلیا، و مرکزه صوریا، لا حول له فیه و لا قوة ..

و حینئذ .. و إذا کان المأمون سوف یبقی له نفوذ و قوة، و إذا کان سوف یشترط لتنازله عن الخلافة للامام، ما یضمن له استمرار تلک القوة، و ذلک النفوذ، بل و عودة الخلافة له فی نهایة الأمر .. فلسوف لا یصعب علیه کثیرا أن یدبر- و هو الداهیة الدهیاء- فی الإمام (ع) بما یحسم عنه مواد بلائه، علی حد تعبیر المأمون ..

و لیطمئن- من ثم- خاطره، و یهدأ باله؛ حیث یکون قد حقق کل ما کان یصبو و یطمح إلی تحقیقه. کما أنه یکون قد اصبح یمتلک اعترافا من العلویین بشرعیة خلافته .. بل یکون العلویون علی ید أعظم شخصیة فیهم، هم الذین رفعوه علی العرش و سلموا إلیه أزمّة الحکم و السلطان .. إلی آخر ما هنالک مما قدمناه، و لا نری ضرورة لاعادته ..

و فی النهایة

: و الآن .. و بعد أن ألقینا نظرة سریعة علی مدی جدیة المأمون، فی عرضه للخلافة علی الإمام (ع)، و تحدثنا عن الوضع الذی سوف ینتج لو أن الإمام قبل ذلک العرض .. فإن من الطبیعی أن نتطلع لنعرف ما هو موقف الإمام من تلک اللعبة- لعبة ولایة العهد- و ما هی خطته فی مواجهة ما یعلمه من خطط المأمون، و أهدافه الشریرة ...

فإلی الفصل التالی، و الذی بعده ...

(۱) كأن يشترط أن يكون هو الوزير، أو ولى العهد مثلا.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۲۹۹

موقف الامام (ع):

سؤال يطرح نفسه:

هل يعقل أن رجلا تعرض عليه الخلافة، أو ولاية العهد، بل ما هو أقل منهما بمراتب؛ و يعرف جدية العرض، ثم يرفض ذلك رفضا قاطعا، ثم يهدد، فلا يقبل إلا بما هو أبعد منالا، و أقل احتمالا- بالنسبة إلى سنه- و بشروط تبعده كل البعد عن مسرح السياسة و الحكم، و تجعل من كل شيء مجرد إجراءات شكلية، لا أثر لها ...

هل يعقل أن رجلا- من هذا القبيل- يسلم من أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد بأن ينسب إليه؟!! ... اللهم إلا إذا كان هناك ما هو أعظم، و أدهى و أخطر من ذلك المنصب، و إلا إذا علم أنه سوف يدفع ثمن ذلك غاليا، و غاليا جدا، ألا و هو نفسه التى بين جنبيه!! ...

و الامام ... الذى نعرف، و يعرف كل أحد: أنه ذلك الرجل الجامع لكل صفات الفضل و الكمال: من العلم، و العقل، و الحكمة، و الدراية، و التقى، شهد له بذلك أعداؤه و محبوه، على حد سواء- هذا الامام ...

قد رفض كلا عرضى المأمون: الخلافة، و ولاية العهد ... رفضهما رفضا

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۰۰

باتا و قاطعا، و لم يقبل ولاية العهد إلا- على كره و اجبار منه، و إلا و هو باك حزين، و عاش بعد ذلك فى ضيق شديد، و محنة عظيمة، حتى إنه كان يدعو اللّه بالفرج بالموت!! ...

و عليه ... أ فلا يكفى موقف الامام هذا، و سائر مواقفه من مختلف تصرفات المأمون، لأن يضع علامة استفهام كبيرة حول طبيعة هذا الحدث؟! ...

أ لم يكن من الواجب أن يكون الامام (ع) مستبشرا مبتهجا كل الابتهاج لما سيؤول إليه أمره. و مدافعا عن المأمون، و نظام حكمه، و مناصرا له، بكل ما أوتى من قوة و حول؟! ...

ثم أ لا يفهم من ذلك كله: أنه (ع) كان يدرك ما يكمن وراء قبوله لأى من العرضين من مشاكل، و ما ينتظره من أخطار؟! ...

و أن ذلك ليس إلا شركا يقصد ايقاعه به، و من بعده كل العلويين، و شيعتهم للقضاء عليه و عليهم، و إلى الابد!!! ...

و إذا كان الامام (ع) يعرف الحقيقة، كل الحقيقة ... فهل يمكن أن نتصور أن يكون راضيا بأن يجعله المأمون وسيلة لأغراضه، و آلة لتحقيق مآربه و أهدافه؟!! و لا- سيما إذا لاحظنا أنه يعرف أكثر من أى انسان آخر ما لتلك اللعبة من عواقب سيئة، و ما تحمله فى طياتها من آثار، ليس عليه هو، و على العلويين، و المتشيعين لهم فحسب ... و إنما على الامة بأسرها إن حاضرا، و إن مستقبلا!! ...

هذا كله عدا عن أن هذه اللعبة سوف تكون بمثابة قطع الطريق عليه فى أى تحرك يقوم به، و أى نشاط إصلاحى يمارسه؛ حيث لم يعد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۰۱

يستطيع أن يكون فى المستقبل قائدا للحركة المضادة للمأمون، و نظام حكمه، القائم على غير أساس شرعى، و منطقى سليم «۱» ...

لا يرضى الإمام (ع)، و لا يقتنع المأمون:

لا ... لا یمکن أن یرضـی الإمام بـذلک، و خصوصا بعـد أن تلقی العلم عن آبائه الصادقین، عن النبی (ص) الـذی لا ینطق عن الهوی: بأن ذلک شـیء لا یتم، و أوضـح ذلک بما کتبه علی وثیقـة العهـد الآتیـة بخط یـده، حیث قال: «و الجفر و الجامعـة یـدلان علی ضـد ذلک، لکننی امتثلت أمر أمیر المؤمنین ...».

لا ... لا یمکن أن یرضـی ببیعـة یعلم أنها لا تتم له، و إنما تخـدم مصالـح آخرین. و تحقق لهم مآربهم، علی حساب الدین، و الامة؛ و لهذا رفض بشدة و عنف، و أصر علیه المأمون بشدة و عنف أیضا ...

و لم یکن لیقنع المأمون شـیء، بعد أن کان یری أن القضـیة بالنسبة إلیه قضیة مصیر و مستقبل. و هو مستعد لأن یضحی بکل شیء فی سبیل مصیره و مستقبله، کما ضحی بأخیه و أشیاعه من قبل ..

و إنه إذا تأکد لدیه رفض الإمام (ع) القاطع، و تصور ما سوف تؤول إلیه حاله نتیجة لذلک الرفض؛ فلسوف لا یألو جهدا، و لا یدخر

---

(۱) و فی کتاب: الامامة للشیخ محمد حسن آل یاسین ص ۸۶ قال إنه علیه السـلام وافق علی فکرة ولایة العهد؛ لتکون فترة امتحان و تجربة للمأمون ...

و لا یخفی ما فیه؛ فان کل الـدلائل و الشواهـد کانت تشیر إلی أن الامام علیه السـلام کان یعلم بحقیقـة نوایا المأمون و أهـدافه، و لم تکن ثمة حاجة إلی امتحان و تجربة، کما اتضح و سیتضح إن شاء اللّه تعالی ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۰۲

وسعا فی الانتقام لنفسه من الإمام (ع)، و من کل من تصل إلیه یده، ممن له به (ع) أیة صلة أو رابطة ...

هی قضیة مصیر:

و بأوضح بیان نقول: إنه لم یکن امتناع الإمام (ع) عن قبول ولایة العهد بالذی یثنی المأمون عما کان قد عقد العزم علیه؛ لأن الاسـباب التی کانت تدعوه لذلک لم تکن تسمح له أبدا بالاصغاء لهذا الرفض؛ فهی تحتم علیه أن یفعل ذلک، مهما کلفه الأمر، و مهما کانت النتائج.

و لم یکن لـدیه مانع من تنفیـذ تهدیداته، لو علم أنه لا سبیل إلی تنفیذ ما یصبو إلیه، و الحصول علی ما یرید الحصول علیه؛ فالقضـیة بالنسبـة إلیه هو المتعطش إلی الحکم و السـلطة قضـیة مصیر و مستقبل، لا یمکن المساومة معها، و لا مجال لغض النظر و التساهل فیها ...

و إذا کـان قـد قتل أخاه من أجل الملک و فی سبیله؛ فأی مانع یمنعه من قتل الرضا (ع) من أجل الملک أیضا، و فی سبیله ... أم یعقل أن یکون الرضا أعز علیه من أخیه، و سائر من قتل من وزرائه هو، و قواده، و أشیاعه؟!؟ ...

و لسوف لا نستغرب علی المأمون- بعد قتله أخاه- الاقدام علی أی تصرف فی سبیل الملک، حتی الاقدام علی قتل الرضا (ع)، بعد أن کان أبوه الرشید قد أملی علیه درس «الملک عقیم»، و قال له:

«و اللّه، لو نازعتنی أنت هذا الأمر؛ لأخذت الذی فیه عیناک؛ فإن الملک عقیم ...» «۱».

---

(۱) شـرح میمیة أبی فراس ص ۷۳، و البحار ج ۴۸ ص ۱۳۱، و قـاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۷۰، و عیون أخبـار الرضا ج ۱ ص ۹۱، و ینابیع المودة ص ۳۸۳، مع بعض تحریف لها، و غیر ذلک ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۰۳

و لم یکن لیخفی علیه أیضا قول موسـی بن عیسـی، عنـد ما رأی عبادة الحسـین بن علی و أصـحابه، فی وقعـة فخ: «... هم و اللّه، اکرم

عنـد اللّه، و أحق بما فی أیـدینا منا، و لکن الملک عقیم. و لو أن صاحب هـذا القبر (یعنی النبی (ص))، نازعنا الملک ضـربنا خیشومه بالسیف ...» «۱».

و المنصور أیضا قد قرر هذه القاعدة بالذّات حینما اعترض علیه سلیمان بن مهران الاعمش علی قتله أولاد علی (ع) «۲».

و هـذا الدرس قد أخذه الکل عن عبد الملک بن مروان؛ فإنه عند ما قتل مصـعب بن الزبیر بکی، و قال: «لقد کان أحب الناس إلیّ، و أشدهم مودة لی، و لکن الملک عقیم؛ لیس أحد یریده من ولد و لا والد إلا کان السیف» «۳».

بل و حتی نفس أخیه الأمین، عنـد ما لم یعـد له نجاة من براثن أخیه المأمون، نراه یتـذکر هذه القاعدة، فیقول: «هیهات، الملک عقیم، لا رحم له ...» «۴».

و لقـد عمل المأمون بهـذه القاعـدة؛ فقتل أخاه، و أعطی الذی جاءه برأسه ملیون درهم، بعد أن سـجد شـکرا للّه، و نصب الرأس علی خشبة لیلعنه الناس، إلی آخر ما مر تفصیله ...

و إذا کانت القضـیة بالنسـبة إلی المأمون قضـیة مصیر و مستقبل و قضیة ملک و سلطان؛ فطبیعی إذن أن نراه یخاطر بالخلافة (و ان کنا قدمنا أن ذلک کان منه سیاسة و دهاء من أجل التمهید لفرض ولایة العهد)،

---

(۱) مقاتل الطالبیین ص ۴۵۳، و ثمرات الأعواد ۱۹۹، ۲۰۰، و شرح میمیة أبی فراس ص ۷۴.

(۲) مناقب الخوارزمی ص ۲۰۸.

(۳) شرح النهج للمعتزلی ج ۳ ص ۲۹۶، و طبقات ابن سعد ج ۵ ص ۱۶۸، و البدایة و النهایة ج ۸ ص ۳۱۶.

(۴) تتمة المنتهی ص ۱۸۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۰۴

و أقـدم علی التخلی عن ولایـة العهـد، مع أن العبـاس ابنه و سـائر ولـده کانوا أحب إلی قلبه، و أجلی فی عینه من کل أحـد، علی حد تعبیره فی رسالته للعباسیین ...

و لقد قدمنا الشـرح الکافی و الوافی لحقیقة الظروف و الأسباب، التی دعت المأمون إلی ذلک، و التی هی دون شک کافیة لأن تجعل المـأمون یقـدم علی أی عمـل- و لو کان انتحاریا- من أجل انقاذ نفسه و خلافته، و العباسـیین ... حتی و لو کان ذلک الشـیء هو قتل الإمام (ع) ... و لقد أخبر الإمام کرّات، و مرات: أنه لم یقبل إلا بعد أن اشرف من المأمون علی الهلاک ...

مبررات قبول الإمام لولایة العهد:

و لقـد قبل الإمام (ع) ولایـة العهـد، و لکن ... بعـد أن عرف أن ثمن رفضه لها لن یکون غیر نفسه التی بین جنبیه. هذا عدا عما سوف یتبع ذلک من تعرض العلویین، و کل من یتشیع لهم إلی أخطار هم فی غنی عنها ... و لو فرض أنه کان له هو (ع) الحق- فی مثل هذه الظروف- فی أن یعرض نفسه للهلاـک، فلن یکون له حق أبـدا فی أن یعرض غیره من شـیعته و محبیه، و العلویین أجمع إلی الهلاک أیضا ...

هـذا ... عـدا عن أنه (ع) کـان علیه أن یحتفـظ بحیاته، و حیاة شـیعته و محبیه؛ لأن الامـة کانت بأمس الحاجـة إلی وعیهم و إدراکهم؛ لیکونوا لها قدوة و منارا، تهتدی، و تقتدی به، فی حالکات المشاکل، و ظلم الشبهات ...

نعم ... لقـد کـانت الامـة بـأمس الحاجـة إلی الإمـام (ع)، و إلی من ربـاهم الإمام؛ حیث کان قـد غزاها فی ذلک الوقت تیار فکری، و ثقافی غریب، من الزندقة و الالحاد، و شاعت فیها الفلسفات و التشکیکات

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۰۵

بالمبادئ الإلهیـة الحقـة؛ فکان علی الإمام (ع) أن یقف، و یقوم بواجبه، و ینقـذ الامة، و لقد کان ذلک منه بالفعل؛ فلقد قام بواجبه، و أدی مـا علیه، علی أکمل وجه، رغم قصـر المـدة التی عاشـها بعـد البیعـة نسبیا؛ و لهـذا نقرأ فی الزیارة الجوادیـة؛ «... السـلام علی من کسرت له و سادة والده أمیر المؤمنین؛ حتی خصم أهل الکتب، و ثبت قواعد الدین ...» «۱»

و المراد بذلک: الإمام الرضا (ع) ...

و لو أنه (ع) رفض ولایـة العهد، و عرض نفسه، و شـیعته، و محبیه للهلاک فلسوف لا یکون لموته؛ و موتهم أدنی أثر فی هذا السبیل، بل کان الاثر عکسیا، و خطیرا جدا ...

أضف إلی ذلک: أن قبول الإمام بولایة العهد، معناه اعتراف من العباسیین عملا، مضافا إلی القول: بأن العلویین لهم حق فی هذا الأمر، بل إنهم هم الأحق فیه، و أن الناس قد ظلموهم حقهم هذا.

و أن ظلم الناس لهم لیس معناه عدم ثبوت ذلک الحق لهم ...

و قـد رأینا ابن المعتز یهتم فی الاسـتدلال علی أن جعل المأمون الرضا ولیا للعهـد، لا یعنی أن الحق فی الخلافة کان للرضا و العلویین، دون المـأمون و العباسـیین؛ و أنه انمـا أعطـاهم ذلـک عن طریق التقوی و الورع، و لیثبت لهم أن الخلافـة التی ثاروا من أجل الوصول إلیها و قتلوا انفسهم فی سبیلها لا تساوی عنده جناح بعوضه، فهو یقول:

و أعطاکم المأمون حق خلافةلنا حقها لکنه جاد بالدنیا

لیعلمکم أن التی قد حرصتمعلیها و غودرتم علی اثرها صرعی

---

(۱) البحار ج ۱۰۲ ص ۵۳.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۰۶ یسیر علیه فقدها غیر مکثرکما ینبغی للصالحین ذوی التقوی

فمات الرضا من بعـد ما قد علمتمو لاذت بنا من بعده مرة أخری «۱» و أیضـا ... حتی لا یتناساهم الناس، و یقطعوا آمالهم بهم. و حتی لاـ یصـدق الناس ما یشاع عنهم من أنهم مجرد علماء فقهاء، لا یهمهم العمل لما فیه خیر الامـة. و لا یفکرون فی الخروج إلی المجتمع بصـفتهم رواد صـلاح و اصـلاح و لعل إلی ذلک کله، یشـیر الإمام (ع) فی قوله لمحمد ابن عرفة، عند ما سأله عن قبوله بولایة العهد؛ فقال له: «یا ابن رسول اللّه، ما حملک علی الدخول فی ولایة العهد؟!!» ... فأجابه الإمام (ع): «ما حمل جدی علی الدخول فی الشوری ...» «۲».

هـذا بالإضافة إلی أنه یکون فی فترة ولایة العهد قد أظهر المأمون علی حقیقته أمام الناس، و عرّفهم بواقع و اهداف کل ما أقدم علیه، و أزال کل شبهة و لبس فی ذلک. کما قد حدث ذلک بالفعل ...

هل الإمام راغب فی هذا الأمر:

و لکن هـذا کله و سواه، لا یعنی أن الإمام (ع) کان راغبا فی أی من الخلافة، أو ولایة العهد؛ فإن ما ذکرناه لا یبرر ذلک؛ حیث إنه لا یعدو عن أن یکون من الفوائد التی کان یمکن الحصول علی بعضها

---

(۱) مناقب ابن شـهرآشوب ج ۴ ص ۳۶۵. و دیوان ابن المعتز ص ۲۲- ۲۳ و ان اهتمام ابن المعتز الواضـح بقضـیة الرضا مع المأمون، کما یظهر من شـعره هنا، و الـذی قـدمناه مع التعلیق علیه فی فصل: ظروف البیعة ... یدلنا علی أن هذه القضـیة کان لها فی الامة صدی واسعا، و آثارا هامة، لم یکن بوسع ابن المعتز التغاضی عنها، و السکوت علیها.

(۲) راجع: منـاقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۶۴، و معادن الحکمـة ص ۱۹۲، و عیون أخبـار الرضا ج ۲ ص ۱۴۰، و البحار ج ۴۹ ص

.۱۴۱ ۱۴۰

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۰۷

من دون الدخول فى هذا الأمر. و البعض الآخر لا يساوى فى أهميته و خطره، ما سوف يجره الدخول فى هذا الأمر من مآس و مشاكل، و ما سوف يترتب عليه من آثار سيئة و خطيرة.

و قد قدمنا فى الفصل السابق البيان الكافى و الوافى، لما سوف يعترض طريق الإمام (ع) من عقبات فى الحكم؛ لو أنه كان قبل عرض الخلافة، و كيف ستكون النهاية له، و لنظام حكمه ...

و هو يوضح لنا أيضا حقيقة حاله، و نظام حكمه لو أنه قبل ولاية العهد أيضا؛ إذ أنه (ع) كان يعلم: أن وصوله للخلافة، و تسلمه لأزمة الحكم و السلطان تعترضه عقبات صعبة، و أهوال عظيمة، لن يكون من اليسير التغلب عليها، و تجاوزها.

فلقد كان يعلم- كما أظهرت الأحداث و الوقائع بعد ذلك- أنه لن يسلم من دسائس المأمون و أشياعه، بحيث يبقى محتفظا بحياته، أو على الأقل بمركزه، إلى ما بعد وفاة المأمون، و لم يكن يشك فى أن المأمون سوف يقدم على كل غريبة؛ من أجل التخلص منه، و تصفيته، إن جسديا، و ان معنويا ...

بل ... و حتى لو أن المأمون لم يقدم على أى عمل، فإن آماله بالبقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، و هو بهذه السن المتقدمة، بالنسبة لسن المأمون ... كانت ضعيفة جدا، لا تبرر له الاقدام على قبول مثل هذا الأمر، إلا إذا كان يريد أن يعطى الناس انطباعا عن نفسه، بأنه لم يزهد بالدنيا، و إنما الدنيا هى التى زهدت فيه، كما كان يريد المأمون!!! و مع غض النظر عن كل ذلك ... فإنه لو قدر له البقاء على قيد الحياة إلى ما بعد وفاة المأمون، فلسوف يصطدم بتلك العناصر القوية ذات النفوذ، و التى لن ترضى عن سلوكه فى الحكم بصورة عامة، و فوق

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۰۸

ذلك كله، لسوف يصطدم بمؤامرات العباسيين، و أشياعهم، و الذين كانوا على استعداد لأن يعملوا المستحيل للحيلولة بينه و بين ذلك، و لو تمكن من ذلك؛ فلسوف لا يدخرون وسعا، و يجندون كل ما لديهم من طاقة و قوة و حول؛ من أجل زعزعة حكمه، و تقويض سلطانه، و خلق المشاكل الكثيرة له؛ لتضاف إلى ذلك الركام الهائل من المشاكل التى كانت تواجه الحكم ...

إنهم سوف لا يمكنونه من قيادة الامة قيادة صالحة، و سليمة و حكيمة؛ و ليمنى- من ثم- بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة ...

و لسوف يجدون هناك مرتعا خصبا لمؤامراتهم، و دسائسهم فى تلك الدولة المترامية الأطراف، الطافحة بالمشاكل، و ذلك عند ما يجدون أن الإمام (ع) لن يرضى إلا أن يحكم بحكم جدّيه محمد (ص) و على (ع).

و أن الناس بمختلف فئاتهم و طبقاتهم سوف لا يكونون مستعدين لنقبل حكم كهذا. و لا أن ينقادوا لحاكم يريد منهم ذلك، و يخضعوا لارادته، بعد أن كانوا قد اعتادوا على حياة الخلفاء الامويين، و العباسيين، المليئة بالانحرافات و الموبقات ...

اللهم إلا أن يقوم الإمام (ع) فى فترة ولاية العهد، أو بداية حكمه باعداد مسبق، و تعبئة عامة و شاملة، على جميع المستويات، و فى مختلف المجالات ... و لن يفسح العباسيون، و المأمون، و أشياعهم له المجال للقيام بذلك الاعداد، و تلك التعبئة مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

فالسلبية اذن هى الموقف الصحيح:

و بعد كل ما تقدم: فإن من الطبيعى أن لا يفكر الإمام (ع) فى الوصول إلى الحكم عن مثل هذا الطريق الملتوى، و المحفوف بالأخطار، و الذى لن يحقق له أى هدف من أهدافه. بل على العكس: سوف يكون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۰۹

موجبـا للقضـاء علیه، و علی کـل آماله، و کل العلویین، و المتشـیعین لهم، و یحقق فقط آمال الآخرین، و أهـدافهم ... و لسوف یکون إقدامه علی عمل من هذا النوع عملا انتحاریا، لا مبرر له، و لا منطق یساعده.

لا بد من خطهٔ لمواجههٔ الموقف:

و أخیرا ... و إذا کان لم یکن للرضا (ع) خیار فی قبول ولایهٔ العهد ...

و إذا کـان لاـ یمکن أن یقبـل بأن یجعل وسـیلهٔ لتحقیق أهـداف، و آلـهٔ یتوصل بها إلی مآرب یمقتها، و یکرهها کل الکره؛ لعلمه بما سوف یکون لها من آثار سیئهٔ و خطیرهٔ، علی حاضـر الامهٔ، و مسـتقبلها، و علی مسـتقبل هذا الدین. و کذلک لا یمکنه أن یسکت، و یظهر بمظهر الموافق، و المؤید، و المساعد ...

فان کل ما یمکن له أن یفعله- بعـد هـذا- هو أن یضع خطهٔ، یسـتطیع بها مواجههٔ مؤامرات المأمون، و إحباط مخططاته؛ حتی لا یزداد الوضع سوءا، و الطین بلهٔ ...

فإلی الحدیث عن خطته هذه فی الفصل التالی ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۱۰

خطهٔ الامام (ع)

انحراف الحکام:

إن أدنی مراجعـهٔ لتاریـخ الحکام آنـذاک- العباسـیین و الامویین علی حد سواء- لکفیلهٔ بأن تظهر بجلاء مدی منافاهٔ تصـرفات أولئک الحکام، و سـلوکهم، و حیاتهم لمبادئ الاسلام و تعالیمه ... الاسلام، الذی کانوا یستطیلون علی الناس به، و یحکمون الامهٔ- حسب ما یدّعون- باسـمه، و فی ظله ... حتی لقد اصـبح الناس، و الناس علی دین ملوکهم، یتأثرون بذلک، و یفهمون خطأ: أن الاسلام لا یبتعد کثیرا عما یرون، و یشاهدون؛ مما کان من نتائجه شـیوع الانحراف عن الخط الاسلامی القویم. بنحو واسع النطاق، لیس من السهل بعد السیطرهٔ علیه، أو الوقوف فی وجهه ...

العلماء المزیفون و عقیدهٔ الجبر:

و لقـد ساعـد علی ذلک، و زاد الطین بلـهٔ، فریق من أولئک الذین اشتریت ضـمائرهم، ممن یتسـمّون، أو بالأحری سـماهم الحکام ب «العلماء»؛ حیث إنهم قاموا یتلاعبون بمفاهیم الاسلام، و تعالیمه؛

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۱۱

لتوافق هوی، و تخدم مصالح أولئک الحکام المنحرفین، الذین أغدقوا علیهم المال، و غمروهم بالنعمهٔ.

حتی إن أولئک المأجورین قـد جعلوا عقیـدهٔ الجبر- الواضح لکل أحد زیفها و سـخفها- من العقائد الدینیهٔ الاسـلامیهٔ!!.؛ من أجل أن یسـهلوا علی أولئـک الحکـام اسـتغلال النـاس، و لکی یوفروا لهم حمایـهٔ لتصـرفاتهم تلـک، التی ینـدی لها جبین الانسان الحر ألما و خجلا؛ إذ أنهم یکونون بـذلک قد جعلوا کل ما یصدر منهم هو بقضاء من اللّه و قدره؛ و لذا فلیس لأحد الحق فی أن ینکر علیهم أی تصرف من تصرفاتهم، أو أی جنایهٔ من جنایاتهم ...

و کان قـد مضـی علی ترویجهم هـذه العقیـدهٔ المبتدعـهٔ- حتی زمان المأمون- أکثر من قرن و نصـفا، أی من أول خلافهٔ معاویهٔ، بل و حتی قبل ذلک أیضا ... بزمان طویل!!

عقیدة الخروج علی سلاطین الجور:

کما أنهم- أعنی هؤلاء العلماء- قد جعلوا الخروج علی سلاطین الجور و الفساد موبقة من الموبقات، و عظیمة من العظائم ...
و قد جرحوا بذلک عددا من کبار العلماء: مثل الإمام أبی حنیفة و غیره؛ بحجة أنه: «یری السیف فی أمة محمد» «۱» ...

---

(۱) راجع: نظریة الامامة، للدکتور أحمد محمود صبحی، و غیره ...
و فی تاریخ بغداد ج ۵ ص ۲۷۴: أنه قیل لأبی مسهر: کیف لم تکتب عن محمد بن راشد؟! قال: «کان یری الخروج علی الأئمة» ... و فی طبقات الحنابلة لأبی یعلی ج ۳ ص ۵۸، فی مقام ترجیح سفیان علی حسن بن حی، کان من جملة ما جرحه به أنه:
«کان یری السیف». و مثل ذلک کثیر لا نری حاجة لاستقصائه.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۱۲

بل لقد جعلوا عدم جواز الخروج هذا من جملة العقائد الدینیة، کما یظهر من تتبع کلماتهم «۱».
أما عقائد التشبیه، و قضیة خلق القرآن، فلعلها أشهر من أن تذکر، أو تحتاج إلی بیان.

و الذی زاد الطین بلة:

یضاف إلی ذلک کله غرور الحکام، الذی لا مبرر له، و کذلک من لف لفهم، الذین کانوا یحکمون الامة باسم الدین ...
و کذلک غفلة الناس، و عدم إدراکهم لحقیقة ما یجری و ما یحدث، و للواقع المزری، الذی کان قائما آنذاک ...
و أیضا ... و هو الأهم من کل ذلک- ابتعادهم؛ بسعی من الهیئات الحاکمة، عن أهل بیت النبوة، و معدن الرسالة ...
کل ذلک ... قد أدی بالفعل إلی انحلال الدولة داخلیا، و تمزیق أوصالها ... کما و أنه قد أسهم إسهاما کبیرا فی ابعاد الناس عن تعالیم السماء، و شریعة اللّه ... الأمر الذی لم یکن یعنی إلا نهایة الحکم الإسلامی،

---

(۱) حسبما صرح به أحمد بن حنبل فی رسالة «السنة»، و هی عقائد أهل الحدیث، و السنة.
و قد أوردها أبو یعلی فی طبقات الحنابلة ج ۱ ص ۲۶. و صرح بذلک أیضا الأشعری فی مقالات الاسلامیین ج ۱ ص ۳۲۳، و فی الإبانة ص ۹. و قد علل ذلک فی نظریة الامامة ص ۴۱۷ بقوله: «... ذلک أنها: إن کانت بلوی من اللّه عقابا لهم؛ فما ثورتهم برادة عقاب اللّه، و إن کانت محنة للمسلمین؛ فما هم برادی قضاء اللّه»!!.
و فی کتاب السنة قبل التدوین ص ۴۶۷، نقل عن ابن خزیمة، فی وصفه الطاعنین علی أبی هریرة، قوله: إنهم إما معطل جهمی ... «و إما خارجی یری السیف علی امة محمد، أو قدری، اعتزل الاسلام، و أهله الخ ...» ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۱۳

وردة الناس إلی الجاهلیة الجهلاء ... الأمر الذی لم یکن یرهب الحکام کثیرا؛ لأن الإسلام الذی یریدون، و الدین الذی ینشدون، هو ذلک الذی یستطیعون أن یتسلطوا علی الامة، و یستأثروا بقدراتها و امکاناتها فی ظله. و یمهد لهم السبیل لاستمرار هم فی فرض نفوذهم و سیطرتهم، و لو کان ذلک علی حساب جمیع الشرائع السماویة، و کل المفاهیم الانسانیة ...
إن أولئک الحکام، ما کانوا یفکرون إلا فی وسائل بقائهم و استمرارهم فی الحکم، و إلا فی شئونهم و مصالحهم الخاصة بهم. أما الامة المسلمة، و أما الإسلام، فلم یکن لهما لدیهم أیة قیمة، أو شأن یذکر، إلا فی حدود ما یستطیعون الافادة منهما فی بقائهم و وجودهم فی الحکم و السلطة ...

الأئمة فى مواجهة مسئولياتهم:

و فى هـذا الوسط الغريب: من غفلـة الناس، و من سـيرة الحكام، و المتسـمين بالعلماء و سـلوكهم ... كان الأئمـة عليهم السـلام يؤدون واجبهم فى نشـر تعاليم السـماء، و يكافحون، و ينافحون عنها، بقـدر ما كانت تسـمح لهم ظروفهم، التى كانت فى ظل سـلطان أولئك المنحرفين قاسية إلى حد بعيد.

و أما عن الامام الرضا بالذات:

و قـد سـنحت للامام الرضا (ع) فرصـة لفترة وجيزة، كان الحكام منشـغلين فيها بأمور تهمهم ... للقيام بواجبه فى توعية الامة، و تعريفها بتعاليم الإسـلام. و ذلک فى الفترة التى تلت وفاة الرشـيد، و حتى قتل الأمين. بل نسـتطيع أن نقول: إنها امتدت- و لو بشـكل محدود- حتى وفاة الإمام (ع) فى سنة (۲۰۳). الأمر الذى كان من نتيجته ازدياد

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۱۴

نفوذه (ع)، و اتساع قاعدته الشـعبية؛ حتى لقد كانت كتبه تنفذ فى المشـرق و المغرب. و كان هو الأرضـى فى الخاصة و العامة، حسما ألمحنا إليه من قبل.

الخطة الحكيمة:

و عند ما أراد المأمون أن ينفذ خطته فى البيعة له بولاية العهد، و عرف الرضا: أن لا مناص له من قبول ذلک، كان من الطبيعى أن يعد (ع) العدة، و يضع خطة لمواجهة خطط المأمون، و احباط أهدافه الشـريرة، و التى كان أهونها القضاء على سمعة الامام (ع)، و تحطيمه معنويا و اجتماعيا.

و لقـد كانت خطـة الإمام هـذه فى منتهى الدقـة و الإحكام. و قـد نجحت أيما نجاح فى إفشال المؤامرة، و تضـييع كثير من أهدافها، و جعل الامور فى صالح الإمام (ع)، و فى ضـرر المأمون ... حتى لقد ضاع رشد المأمون (بل و رشد أشـياعه أيضا)، و هو أفعى الدهاء و السياسة، و لم يعد يدرى ما يصنع، و لا كيف يتصرف ...

مواقف لم يكن يتوقعها المأمون:

اشارة

و لعلنا نسـتطيع أن نسـجل هنا بعض المواقف للامام (ع)، التى لم يكن المأمون قـد حسب لها حسابا، و التى كانت ضـمن خطـة الإمام (ع) فى مواجهة مؤامرات المأمون ...

الموقف الأول:

اننا نلاحظ أن الإمام (ع) قد رفض دعوة المأمون، و هو فى المدينة

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۱۵

و لم يقبل إلا بعد أن علم أنه لا يكف عنه ... بل إن بعض النصوص تشير إلى أنه قد حمل إلى مرو بالرغم عنه، لا باختياره ...

و مـا ذلـک إلاـ ليعلم المـأمون: أن حيلته لم تكن لتجوز عليه، و أنه (ع) على علم تـام بأبعاد مؤامرته و أهـدافها ... كما أنه بـذلک يثير

شکوک الناس و ظنونهم حول طبیعة هذا الحدث، و سلامة النوایا فیه.

الموقف الثانی:

اشارة

إنه رغم أن المأمون کان قد طلب من الإمام (ع)- و هو فی المدینة- أن یصطحب معه من أحب من أهل بیته فی سفره إلی مرو ... انه رغم ذلک ... نلاحظ: أنه (ع) لم یصطحب معه حتی ولده الوحید الإمام الجواد (ع)، مع علمه بطول المدة، التی سوف یقضیها فی هذا السفر، الذی سوف یتقلد فیه زعامة الامة الإسلامیة، حسب ما یقوله المأمون ... بل مع علمه بأنه سوف لن یعود من سفره ذاک، کما تؤکد علیه کثیر من النصوص التاریخیة ...

شکوک لها مبرراتها:

و نری أننا مضطرون للشک فی نوایا المأمون و اهدافه من وراء طلبه هذا «أن یصطحب الامام (ع) من شاء من أهل بیته إلی مرو» ... بعد أن رأینا: أنه لم یرجع أحد ممن ذهب مع محمد بن جعفر الی مرو، و لا رجع محمد بن جعفر نفسه، و لا رجع محمد بن محمد بن زید، و لا غیر هؤلاء، کما سیأتی بیانه فی الفصل التالی و غیره ...

فلعل الامام (ع)، بل إن ذلک هو المؤکد، الذی تدل علیه

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۱۶

تصریحاته و تصرفاته حین تأهب للسفر- لعله- قد فطن لنوایا المأمون هذه؛ فضیع الفرصة علیه، و أعاد کیده إلیه ...

الموقف الثالث:

سلوکه فی الطریق، کما وصفه رجاء بن أبی الضحاک «۱»، حتی اضطر المأمون لأن یظهر علی حقیقته، و یطلب من رجاء هذا: أن لا یذکر ما شاهده منه لأحد؛ بحجة أنه لا یرید أن یظهر فضله إلا علی لسانه «۲»، و لکننا لم نره یظهر فضله هذا، حتی و لو مرة واحدة؛ فلم یدّع أحد أنه سمع شیئا من المأمون عن سلوک الامام (ع)، و هو فی طریقه إلی مرو. و أما رجاء، فلعله لم یحدث بذلک إلا بعد أن لم یعد فی ذلک ضرر علی المأمون، و بعد أن ارتفعت الموانع، و قضی الأمر ...

الموقف الرابع:

اشارة

موقفه فی نیشابور، الذی لم یکن أبدا من المصادفة. کما لم یکن ذکره للسلسلة التی یروی عنها من المصادفة أیضا؛ حیث أبلغ الناس فی ذلک الموقف، الذی کانت تزدحم فیه أقدام عشرات بل مئات الالوف «۳»- أبلغهم-: «کلمة لا إله إلا اللّه حصنی؛ فمن دخل

(۱) راجع: البحار ج ۴۹ من ص ۹۱ حتى ۹۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۱ فما بعدها. و هو كلام معروف لا ترى أننا بحاجة لتكثير مصادره هنا ...

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۹۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۳.

(۳) و ذلك يدل على مدى تعاطف الناس مع أهل البيت، و محبتهم لهم. الأمر الذى كان يرعب المأمون و يخيفه ... حتى لقد كان يحاول كبت عواطف الناس هذه، و هذا هو السبب فى منع الامام من المرور عن طريق الكوفة و قم، كما سيأتى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۱۷

حصنى أمن من عذابى «۱»» ... الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ۳۱۷ الموقف الرابع: ..... ص : ۳۱۶

ه الكلمة ... التى عد أهل المحابر و الدوى، الذين كانوا يكتبونها؛ فانافوا على العشرين الفا ... هذا على قلة من كانوا يعرفون القراءة و الكتابة آنذاك، و عدا عمن سواهم ممن شهد ذلك الموقف العظيم ...

«. و نلاحظ: أنه (ع)- فى هذا الظرف- لم يحدثهم عن مسألة فرعية، ترتبط ببعض مجالات الحياة: كالصوم، و الصلاة، و ما شاكل. و لم يلق عليهم موعظة تزهدهم فى الدنيا، و ترغبهم فى الآخرة، كما كان شأن العلماء آنذاك ...

كما أنه لم يحاول أن يستغل الموقف لاهداف شخصية؛ أو سياسية، كما جرت عادة الآخرين فى مثل هذه المواقف ... مع أنه يتوجه إلى مرو؛ ليواجه أخطر محنة تهدد وجوده، و تهدد العلويين، و من ثم الامة بأسرها.

و انما كلم الناس باعتباره القائد الحقيقى، الذى يفترض فيه: أن يوجه الناس- فى ذلك الظرف بالذات- إلى أهم مسألة ترتبط بحياتهم، و وجودهم، إن حاضرا، و إن مستقبلا. ألا و هى مسألة:

التوحيد ... التوحيد: الذى هو فى الواقع الأساس للحياة الفضلى، بمختلف جوانبها، و إليه تنتهى، و عليه و به تقوم ...

التوحيد: الذى ينجى كل الامم من كل عناء و شقاء و بلاء. و الذى إذا فقده الانسان؛ فإنه يفقد كل شىء فى الحياة حتى نفسه ...

مدى ارتباط مسألة الولاية بمسألة التوحيد:

هذا ... و لأنه قد يكون الكثيرون ممن شهدوا ذلك الموقف لم يتهيأ

---

(۱) قد ذكرنا بعض مصادر هذه القضية فى فصل: «شخصية الامام الرضا» فمن أراد فليراجع ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۱۸

لهم سماع كلمة الإمام (ع)؛ لانشغالهم مع بعضهم بأحاديث خاصة؛ أو لتوجههم لامور جانبية أخرى، كما يحدث ذلك كثيرا فى مناسبات كهذه ...

نرى الإمام (ع) يتصرف بنحو آخر؛ حيث إنه عند ما سارت به الناقة، و فى حين كانت أنظار الناس كلهم، و قلوبهم مشدودة إليها ...

نراه يخرج رأسه من العمارية؛ فيسترعى ذلك انتباه الناس، الذين لم يكونوا يترقبون ذلك منه. ثم يملى عليهم- و هم يلتقطون أنفاسهم؛ ليستمعوا إلى ما يقول- كلمته الخالدة الاخرى:

«بشروطها؛ و أنا من شروطها».

لقد أملى الإمام (ع) كلمته هذه عليهم، و هو مفارق لهم؛ لتبقى الذكرى الغالية، التى لا بد و أن يبقى لها عميق الأثر فى نفوسهم «۱» ...

لقد أبلغهم (ع) مسألة أساسية أخرى، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتوحيد، ألا و هى مسألة: «الولاية» ...

و هى مسألة بالغة الأهمية، بالنسبة لأمة تريد أن تحيا الحياة الفضلى، و تنعم بالعيش الكريم؛ إذ ما دامت مسألة القيادة الحكيمة، و

العادلة، و الواعیة لکل ظروف الحیاة، و شئونها، و مشاکلها- ما دامت هذه

---

(۱) و یلاحظ: أن هذه الکلمة قد صیغت بنحو لا بد معه من الرجوع إلی الکلمة الاولی، و معرفتها.

و بعد ... فما أشبه موقفه علیه السلام هنا بموقف النبی (ص) فی غدیر خم؛ حیث إنه (ص) کان أیضا قد أبلغ المسلمین مسألة الولایة، فی ذلک الموقف الحاشد، و فی المکان الذی لا بد فیه من تفرق الناس عنه (ص)، و ذهاب کل منهم إلی بلده، و لعل إرجاع المتقدمین، و حبس المتأخرین یشبهها إخراج الامام علیه السلام رأسه من العماریة ... یضاف إلی ذلک: أن موقفه (ص) کان آخر مواقفه العامة فی حیاته إلی آخر ما هنالک من وجوه الشبه بین الواقعتین.

و لعلنا نجد تشابها بین هذه الواقعة، و بین قضیة إرجاع أبی بکر عن تبلیغ آیات سورة براءة، ثم إرسال علی مکانه ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۱۹

المسألة- لم تحل؛ فلسوف لا یمکن إلا أن یبقی العالم یرزح تحت حکم الظلمة و الطواغیت، و الذین یجعلون لأنفسهم صلاحیات التقنین و التشریع الخاصة باللّه، و یحکمون بغیر ما أنزل اللّه؛ و لیبقی العالم- من ثم- یعانی الشقاء و البلاء، و یعیش فی متاهات الجهل، و الحیرة، و الضیاع ...» «۱».

و إننا إذا ما أدرکنا بعمق مدی ارتباط مسألة: «الولایة» بمسألة «التوحید»؛ فلسوف نعرف: أن قوله (ع): «و أنا من شروطها» لم تمله علیه مصلحته الخاصة، و لا قضایاه الشخصیة ... و لسوف ندرک أیضا: الهدف الذی من أجله ذکر الإمام (ع) سلسلة سند الروایة، الأمر الذی ما عهدناه، و لا ألفناه منهم علیهم السلام، إلا فی حالات نادرة؛ فإنه علیه السلام قد أراد أن ینبه بذلک علی مدی ارتباط مسألة القیادة للامة بالمبدإ الأعلی ...

الإمام ولی الأمر من قبل اللّه، لا من قبل المأمون:

وعدا عن ذلک کله ... فإننا نجد أن الإمام (ع)، حتی فی هذا الموقف، قد اهتبل الفرصة، و أبلغ ذلک الحشد الذی یضم عشرات بل مئات الالوف: أنه الإمام للمسلمین جمیعا، و المفترض الطاعة علیهم، علی حد تعبیر القندوزی الحنفی، و غیره ... و ذلک عند ما قال لهم:

«و أنا من شروطها».

و بذلک یکون قد ضیع علی المأمون أعظم هدف کان یرمی إلیه من استقدام الإمام (ع) إلی مرو. ألا و هو: الحصول علی اعتراف بشرعیة خلافته، و خلافة بنی أبیه العباسیین ...

---

(۱) قد استرشدنا فی بعض ما ذکرناه هنا بما ذکره بعض المؤلفین، فی کتابه: «یادبود هشتمین امام» (فارسی).

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۲۰

إذ أنه قد بین للناس بقوله: «و أنا من شروطها»: أنه هو بنفسه من شروط کلمة التوحید، لا من جهة أنه ولی الأمر من قبل المأمون، أو سیکون ولی الأمر أو العهد من قبله؛ و إنما لأن اللّه تعالی جعله من شروطها.

و قد أکد (ع) علی هذا المعنی کثیرا، و فی مناسبات مختلفة، حتی للمأمون نفسه فی وثیقة العهد کما سیأتی، و أیضا فی الکتاب الجامع لاصول الاسلام و الأحکام، الذی طلبه منه المأمون؛ حیث کتب فیه أسماء الأئمة الاثنی عشر علیهم السلام، مع أن عددا منهم لم یکونوا قد ولدوا بعد، کما أنه ذکر أسماءهم فی احتجاجه علی العلماء و المأمون فی بعض مجالسهم العلمیة، و فی غیر ذلک من

مواقفه الكثيرة (ع) ...

الإمام يبلغ عقيدته لجميع الفئات:

و أخيرا ... لا- بد لنا فى نهاية حديثنا عن هذا الموقف التاريخى من الاشارة إلى أنه كان من الطبيعى أن يضم ذلك الحشد العظيم، الذى يقدر بعشرات، بل بمئات الالوف:

۱- حشدا من أهل الحديث و اتباعهم، الذين جعلوا صلحا جديدا بين الخلفاء الثلاثة، و بين علىّ (ع) فى معتقداتهم، بشرط أن يكون هو الرابع فى الخلافة و الفضل. و لفقوا من الأحاديث فى ذلك ما شاءت لهم قرائحهم؛ حتى جعلوه إذا سمع ذكرا لأبى بكر يبكى حبا، و يمسح عينيه ببرده «۱».

و جعلوه أيضا ضرابا للحدود بين يدى الثلاثة: أبى بكر، و عمر،

---

(۱) تاريخ الخلفاء ص ۱۲۰، و غيره.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۲۱

و عثمان «۱»، كما تنبأ هو نفسه (ع) بذلك «۲». إلى غير ذلك مما لا يكاد يخفى على الناظر البصير، و الناقد الخبير ...

۲- و حشدا من أهل الإرجاء، الذين ما كانوا يقيمون وزنا لعلى، و عثمان. بل كانت المرجئة الاولى لا يشهدون لهما بإيمان، و لا بكفر ...

۳- و أيضا ... أن يضم حشدا من أهل الاعتزال، الذين أحاطوا بالمأمون، بل و يعد هو منهم، و الذين تدرجوا فى القول بفضل علىّ (ع) حسبما اقتضته مذاهبهم و مشاربهم؛ فقد كان مؤسّسا نحلة الاعتزال:

واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد، لا يحكمان بتصويبه فى وقعة الجمل مثلا، و لكن أتباعهما تدرّجوا على مر الزمان فى القول بفضله؛ فقد شكك أبو الهذيل العلاف فى أفضليته على أبى بكر، أو القول بتساويهما فى الفضل. و لكن رئيس معتزلة بغداد: بشر بن المعتمر، قد جزم بأفضليته على الخلفاء الثلاثة، و لكنه قال بصحة خلافتهم ... و قد تبعه جميع معتزلة بغداد، و كثير من البصريين ...

و إذا كان ذلك الحشد الهائل يضم كل هؤلاء، و غيرهم ممن لم نذكرهم ... فمن الطبيعى أن تكون كلمة الإمام هذه: «و أنا من شروطها» ضربة موفقة و دامغة لكل هؤلاء، و إقامة للحجة عليهم جميعا، على اختلاف أهوائهم، و مذاهبهم ...

و يكون قد بلغ بهذه الكلمة: «و أنا ...» صريح عقيدته، و عقيدة

---

(۱) تاريخ الخلفاء ص ۱۱۹، ۱۲۰، و المحاسن و المساوى ج ۱ ص ۷۹ طبع مصر.

و الفتوحات الاسلامية لدحلان ط مصطفى محمد ج ۲ ص ۳۶۸.

(۲) فقد قال بعد أن ضرب الوليد بن عقبة الحد، لشربه الخمر: «لتدعونى قريش بعد هذا جلادها». الغدير ج ۸ ص ۱۲۱. و قد صدقت نبوءته، صلوات اللّه و سلامه عليه؛ فقد جعلوه- كما ترى- ضرابا للحدود بين يدى الثلاثة!!!.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۲۲

آبائه الطاهرين (ع) فى أعظم مسألة دينية، تفرقت لاجلها الفرق فى الاسلام، و سلت من أجلها السيوف. بل لقد قال الشهرستانى:

«... و اعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة؛ إذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثلما سل على الامامة فى كل زمان ...» «۱».

و بعد كل ما قدمناه ... لا يبقى مجال للقول: إن قوله هذا:

«و أنـا ...» لاـ ینسـجم مع ما عرف عنه (ع) من التواضع البالغ، و خفض الجناح؛ إذ لیس ثمـة من شک فی أن للتواضع و خفض الجناح موضع آخر. و أنه کان لا بـد للامام فی ذلک المقام، من بیان الحق الـذی یصـلح به الناس أولا و آخرا، و یفتح عیونهم و قلوبهم علی کل ما فیه الخیر و المصلحة لهم، إن حاضرا، و إن مستقبلا، و إن جزع من ذلک قوم، و حنق آخرون ...

تعقیب هام و ضروری:

و مما هو جدیر بالملاحظة هنا، هو أن أئمة الهدی علیهم السـلام کانوا یسـتعملون التقیة فی کل شـیء إلا فی مسألة أنهم علیهم السلام الأحق بقیادة

---

(۱) الملل و النحل، ج ۱ ص ۲۴. و قال الخضری فی محاضراته ج ۱ ص ۱۶۷:

«... و الخلاصة: أن مسألة الخلافة الاسلامیة و الاستخلاف، لم تسر مع الزمن فی طریق یؤمن فیه العثار. بل کان ترکها علی ما هی علیه، من غیر حل محدد ترضاه الامة، و تدفع عنه سببا لاکثر الحوادث التی أصابت المسلمین، و أوجدت ما سیرد علیکم من أنواع الشقاق و الحروب المتواصلة، التی قلما یخلو منها زمن، سواء کان ذلک بین بیتین، أو بین شخصین ...» انتهی.

و أقول: إذن ... کیف جـاز للنبی (ص) أن یترک الامـة هکـذا هملا، ثم لا یضع حلا لأعظم مشـکلة تواجهها، مع أن شـریعته کاملـة و شاملة، و قد بین فیها کل ما تحتاجه الامة، حتی أرش الخدش.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۲۳

الامة، و خلافة النبی (ص). مع أنها لا شیء أخطر منها علیهم، کما تشیر إلیه عبارة الشهرستانی الآنفة، و غیرها.

و ذلک یدل علی مدی ثقتهم بأنفسهم، و بأحقیتهم بهذا الأمر ...

فنری الإمام موسی (ع) یواجه ذلک الطاغیة الجبار هارون بهذه الحقیقة، و یصارحه بها، أکثر من مرة، و فی أکثر من مناسبة «۱» ...

بل لقد رأینا الرشید نفسه یعترف بأحقیتهم تلک فی عدد من المناسبات علی ما فی کتب السیر و التاریخ ...

و لقد نقل غیر واحد «۲» أنه: عند ما وقف الرشـید علی قبر النبی (ص)، و قال مفتخرا: السلام علیک یا ابن عم. جاء الإمام موسی (ع)، و قال:

السلام علیک یا أبة. فلم یزل ذلک فی نفس الرشید إلی أن قبض علیه.:

و عند ما قال له الرشید: أنت الذی تبایعک الناس سرا؟! أجابه الإمام (ع): أنا إمام القلوب، و أنت إمام الجسوم «۳» ...

و أما الحسن، و الحسین، و أبوهما؛ فحالهما فی ذلک أشهر من أن یحتاج إلی بیان ...

بل إن أعظم شاهـد علی مـدی ثقتهم بأحقیـة دعواهم الإمامـة ما قاله الإمام الرضا (ع) للقائل له: إنک قد شـهرت نفسک بهذا الأمر، و جلست مجلس أبیک؛ و سیف هارون یقطر الدم؟!! ...

---

(۱) راجع: الصواعق المحرقة، و ینابیع المودة، و وفیات الاعیان، و البحار، و قاموس الرجال، و غیر ذلک ...

(۲) البدایـة و النهایة ج ۱۰ ص ۱۸۳، و الکامـل لابن الاثیر ج ۶، ص ۱۶۴ ط صادر، و الصواعق المحرقـة ص ۱۲۲، و الاتحاف بحب الاشراف ص ۵۵، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۳۹۵ و أعیان الشیعة، و ینابیع المودة، و غیر ذلک ...

(۳) الاتحاف بحب الاشراف ص ۵۵، و الصواعق المحرقة ص ۱۲۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۲۴

فأجابه الإمام (ع): «جرأنی علی هذا ما قال رسول اللّه (ص):

إن أخذ أبو جهل من رأسی شعرهٔ؛ فأشهد أنی لست بنبیّ ... و أنا أقول لکم: إن أخذ هارون من رأسی شعرهٔ؛ فاشهدوا أنی لست بإمام ...» «۱».

و فی هذا المعنی روایات عدیدهٔ «۲» ...

و لکنهم علیهم السلام قد انصرفوا بعد الحسین (ع) عن طلب هذا الأمر بالسیف ... إلی تربیهٔ الامهٔ، و حمایهٔ الشریعهٔ من الانحرافات التی کانت تتعرض لها باستمرار؛ و لأنهم کانوا یعلمون: أن طلب هذا الأمر من دون أن یکون له قاعدهٔ شعبیهٔ قویهٔ و ثابتهٔ، و واعیهٔ، لن یؤدی إلی نتیجهٔ، و لن یقدّر له النجاح، الذی یریدونه هم، و یریده اللّه ... و لکنهم- کما قلنا- ظلوا علیهم السلام یجاهرون بأحقیتهم بهذا الأمر، حتی مع خلفاء وقتهم، کما یظهر لکل من راجع مواقفهم و أقوالهم فی المناسبات المختلفهٔ ...

الموقف الخامس:

رفضه (ع) الشدید لکلا عرضی المأمون: الخلافهٔ، و ولایهٔ العهد، و إصراره علی هذا الرفض الذی استمر أشهرا، و هو فی مرو نفسها، حتی لقد هدده المأمون اکثر من مرهٔ بالقتل ...

و بذلک یکون قد مهد الطریق لیواجه المأمون بالحقیقهٔ؛ حیث قال له صراحهٔ: إنه یرید أن یقول للناس: إن علی بن موسی لم یزهد بالدنیا، و إنما الدنیا هی التی زهدت فیه؛ و لیکون بذلک قد أفهم المأمون أن

---

(۱) المناقب لابن شهر اشوب ج ۴ ص ۳۳۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۱۳.

(۲) راجع: البحار ج ۴۹، و روضهٔ الکافی، و عیون أخبار الرضا، و إرشاد المفید، و غیر ذلک.

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۲۵

حیلته لم تکن لتجوز، و أن زیفه لا- ینطلی علیه، و لذا فان علیه أن یکف فی المستقبل عن کل مؤامراته و مخططاته ... و لیکون المأمون بعد هذا غیر مطمئن لأی عمل یقدم علیه، و ضعیف الثقهٔ بکل الحیل و المؤامرات التی یحوکها. هذا بالاضافهٔ إلی أن الناس سوف یشکون فی طبیعهٔ هذا الأمر، و سلامهٔ نوایا المأمون فیه ...

الموقف السادس:

و لم یکتف الامام (ع) بذلک کله ... بل کان لا یدع فرصهٔ تمر إلا و یؤکد فیها علی أن المأمون قد اکرهه علی هذا الأمر، و أجبره علیه، و هدد بالقتل إن لم یقبل ...

یضاف إلی ذلک ... أنه کان یخبر الناس فی مختلف المناسبات: أن المأمون سوف ینکث العهد، و یغدر به ... حتی لقد قال فی نفس مجلس البیعهٔ للمستبشر: «لا تستبشر؛ فانه شیء لا یتم». بل لقد کتب فی نفس وثیقهٔ العهد ما یدل علی ذلک دلالهٔ واضحهٔ، کما سیأتی بیانه فی الموقف الثامن ...

هذا عدا عن أنه کان یصرح بأنه لا یقتله إلا المأمون، و لا یسمه إلا هو، حتی لقد واجه نفس المأمون بهذا الأمر ...

بل إنه لم یکن یکتفی بمجرد القول، و إنما کانت حالته علی وجه العموم فی فترهٔ ولایهٔ العهد تشیر إلی عدم رضاه بهذا الامر، و إلی أنه مکره مجبر علیه ...

حیث إنه کان علی حد تعبیر الرواهٔ: «فی ضیق شدید، و محنهٔ عظیمهٔ» و «لم یزل مغموما مکروبا حتی قبض»، و «قبل البیعهٔ، و هو باک

حزين» و كان كما يقول المدائنى: «إذا رجع يوم الجمعة من

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۲۶

الجامع، و قد أصابه العرق و الغبار، رفع يديه و قال: «اللهم إن كان فرجى مما أنا فيه بالموت؛ فعجل لى الساعة «۱» ...».

إلى آخر ما هنالك، مما لا يمكن استقصاؤه فى مثل هذه العجالة ...

و واضح أن كل ذلك سوف يؤدى إلى عكس النتيجة، التى كان يتوخاها المأمون من البيعة؛ و خصوصا إذا ما أردنا الملائمة بين مواقفه هذه، و موقفه فى نيشابور، و موقفه فى صلاتى العيد فى مرو.

الموقف السابع:

اشارة

إنه (ع) كان لا يدع فرصة تمر إلا و يؤكد فيها على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كانوا قد اغتصبوه منهم، بل و اثبات أن خلافة المأمون ليست صحيحة و لا شرعية ...

أما ما يتعلق بصحة خلافة المأمون:

فنلاحظ: أنه (ع) حتى فى كيفية البيعة يشير- على ما صرح به كثير من المؤرخين- إلى أن المأمون، الذى يحتل عنوة مجلس رسول اللّه (ص)، يجهل حتى كيفية ذلك العقد الذى خوّله- بنظره- أن يكون فى ذلك المجلس الخطير؛ حيث إنه (ع): «... رفع يده؛ فتلقى بظهرها وجه نفسه، و بطنها وجوههم؛ فقال له المأمون: ابسط

---

(۱) البحار ج ۴۹ ص ۱۴۰، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۲۷

يدل للبيعة؛ فقال له: إن رسول اللّه هكذا كان يبايع؛ فبايعته الناس ...» «۱».

و نظير ذلك أيضا: ما روى من أن المأمون قد أمر الناس: أن يعودوا للبيعة من جديد، عند ما أعلمه الإمام (ع): بأن كل من كان قد بايعه، قد بايعه بفسخ البيعة إلا الشاب الأخير ... و هاج الناس بسبب ذلك، و عابوا المأمون على عدم معرفته بالعقد الصحيح و الكيفية الصحيحة للبيعة و هذه القضية مذكورة فى العديد من المصادر أيضا «۲».

و أما أن الخلافة حق للامام (ع) دون غيره:

فلعله لا يكاد يخفى على من له أدنى اطلاع على حياة الإمام (ع) و مواقفه و قد تحدثنا آنفا عن موقفه فى نيشابور، و هو فى طريقه إلى مرو، و كيف أنه (ع) جعل نفسه الشريفة و الاعتراف بامامته شرطا لكلمة التوحيد، و الدخول فى حصن اللّه الحصين ...

و أشرنا أيضا إلى أنه قد عدد الأئمة الشرعيين، و هو أحدهم فى عديد من المناسبات و المواقف حتى فيما كتبه للمأمون ...

بل لقد المح إلى ذلك أيضا بل لقد ذكره صراحة فيما كتبه على حاشية وثيقة العهد بخط يده.

كما أن من الامور الجديرة بالملاحظة هنا خطاب الإمام (ع) حينما بويع له بولاية العهد، و هو ما يلى:

(۱) راجع: المناقب ج ۴ ص ۳۶۹، ۳۶۴ و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۴، و علل الشرائع، و مقاتل الطالبيين، و نور الابصار، و نزهة الجليس، و عيون أخبار الرضا.

(۲) راجع: على سبيل المثال: شرح ميمية أبى فراس ص ۲۰۴.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۲۸

«... إن لنا عليكم حقا برسول اللّه، و لكم علينا حق به؛ فإذا أنتم أديتم لنا ذلك وجب علينا الحق لكم ...».

و لم يؤثر عنه فى ذلك المجلس غير ذلك ... و هو معروف و مشهور بين أرباب السير و التاريخ ...

و من الواضح أن اقتصاره على هذه الكلمة فى ذلك المجلس الذى يقتضى إيراد خطبة طويلة، يتعرض فيها لمختلف المواضيع، و على الأقل لشكر المأمون على ما خصه به من ولاية العهد بعده- إن اقتصاره على هذا- يعتبر أسلوبا رائعا لتركيز المفهوم الذى يريده الإمام (ع) فى أذهان الناس، و إعطائهم الانطباع الحقيقى عن البيعة، و عن موقفه منها، و من جهاز الحكم، فى نفس مجلس البيعة، حتى لا يبقى هناك مجال للتكهن بأن: الإمام كان يرغب فى هذا الأمر، ثم حدث ما أوجب غضبه و سخطه، و قد يكون له الحق فى ذلك و قد لا يكون ...

يضاف إلى كل ذلك أنه (ع) قال لحميد بن مهران، حاجب المأمون:

«... و أما ذكرك صاحبك (يعنى المأمون، و المأمون جالس)، الذى أجّلنى؛ فما أحلنى إلا المحل الذى أحله ملك مصر ليوسف الصديق (ع)، و كانت حالهما ما قد علمت ...».

كما أنه (ع) قد قال أكثر من مرة و فى اكثر من مناسبة: «إن من أخذ برسول اللّه؛ لحقيق بأن يعطى به»، و ذلك عند ما عرض له المأمون بالمن عليه بأن جعله ولى عهده، و فى غير هذه المناسبة أيضا ...

المأمون يعترف بأحقية آل على بالأمر:

و لعل من أعظم المواقف الجديرة بالتسجيل هنا موقفة (ع) مع المأمون،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۲۹

عند ما حاول هذا أن يحصل منه (ع) على اعتراف بأن العباسيين و العلويين سواء بالنسبة لقرباهم من النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؛ و ذلك من أجل أن يثبت- بزعمه- أن له و لبنى أبيه حقا فى الخلافة؛ فكانت النتيجة: أن نجح الإمام (ع) فى انتزاع اعتراف من المأمون بأن العلويين هم الأقرب ...

و تكون النتيجة- على حسب منطق المأمون، و منطق أسلافه كما قدمنا- هى: أن العلويين هم الأحق بالخلافة و الرئاسة، و أنه هو، و آباءه غاصبون، و معتدون ...

فبينما المأمون و الرضا (ع) يسيران؛ إذ قال المأمون:

«... يا أبا الحسن، إنى فكرت فى شىء؛ فنتج لى الفكر الصواب فيه: فكرت فى أمرنا و أمركم، و نسبنا و نسبكم؛ فوجدت الفضيلة فيه واحدة، و رأيت اختلاف شيعتنا فى ذلك محمولا على الهوى و العصبية ...

فقال له أبو الحسن الرضا (ع): إن لهذا الكلام جوابا، إن شئت ذكرته لك، و إن شئت أمسكت ...

فقال له المأمون: إنى لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه ...

قال له الرضا (ع): أنشدك اللّه يا أمير المؤمنين، لو أن اللّه تعالى بعث نبيه محمدا (ص)؛ فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام، يخطب إليك ابنتك، كنت مزوجه إياها؟ ...

فقال: يا سبحان اللّه، و هل أحد يرغب عن رسول اللّه (ص)؟!.

فقال له الرضا (ع): أ فتراه كان يحل له أن يخطب إليّ؟ ...

قال: فسكت المأمون هنيئة، ثم قال:

«أنتم و اللّه، أمس برسول اللّه رحما ...» «۱».

---

(۱) كنز الفوائد للكراجكى ص ۱۶۶، و الفصول المختارة من العيون و المحاسن ص ۱۵، ۱۶، و البحار ج ۴۹ ص ۱۸۸، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج ۱ ص ۱۰۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۳۰

و كانت هذه ضربة قاضية و قاصمة للمأمون. لم يكن قد حسب لها أى حساب. و لم يكن ليتمكن فى مقابل ذلك من أى عمل ضد الإمام (ع)؛ بعد أن كان هو الجانى على نفسه؛ ف «على نفسها جنت براقش».

و بعد كل ذلك فقد قدمنا قول ابن المعتز:

و أعطاكم المأمون حق خلافةلنا حقها، لكنه جاد بالدنيا و خلاصة الأمر:

انه (ع) لم يكن يدخر وسعا فى إحباط مسعى المأمون، و تضييع الفرصة عليه، و إفهام الناس أنه مكره على هذا الأمر، مجبر عليه ...

و التأكيد على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له؛ و لذا فلا يمكن أن يعتبر قبوله بولاية العهد اعترافا بشرعية الخلافة العباسية، أو بشرعية أى تصرف من تصرفاتها. كما أنه إذا كان ذلك حقا للامام قد اغتصبه الغاصبون، و اعتدى عليه فيه المعتدون؛ فليس للمأمون حق فى أن يعرض له (ع) بالمن عليه، بما جعل له من ولاية العهد ...

و كذلك ليس للمأمون بعد: أن يدعى العدل و الانصاف، فضلا عن الايثار و التضحية فى سبيل الآخرين؛ بعد أن فضح الإمام اهدافه من لعبته تلك، و عرف كل أحد أنها لم تكن شريفة و لا سليمة ...

الاكذوبة المفضوحة:

و بعد ... فقد ذكر بعض أهل الأهواء، كابن قتيبة، و ابن عبد ربه، واقعة خيالية، غير تلك التى ذكرناها آنفا و هى:

أن المأمون قال لعلى بن موسى: علام تدعون هذا الأمر؟! ...

قال: «بقرابة على و فاطمة من رسول اللّه (ص) ...»

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۳۱

فقال المأمون: «إن لم تكن إلا القرابة، فقد خلف رسول اللّه (ص) من هو أقرب إليه من على، أو من هو فى قعدده. و إن ذهبت إلى قرابة فاطمة من رسول اللّه (ص)؛ فإن الأمر بعدها للحسن، و الحسين؛ فقد ابتزهما على حقهما، و هما حيان، صحيحان، فاستولى على ما لا حق له فيه ...».

فلم يحر على بن موسى له جوابا «۱» ... انتهى ...

و هى واقعة مزيفة و مجعولة من أجل التغطية على الواقعة الحقيقية، التى جرت بينهما، و التى تنسجم مع كل الأحداث و الوقائع، و جميع الدلائل و الشواهد متظافرة على صحتها، ألا و هى تلك التى قدمناها آنفا ...

و الدليل على زيف هذه الرواية: أنها لا ـ توافق نظرة أئمة أهل البيت و رأيهم فى الخلافة و مستحقها؛ لأنهم يرون- كما تدل عليه تصريحاتهم المتكررة، و أقوالهم المتضافرة-: أن منصب الإمامة لا يكون إلا بالنص.

و أما الاستدلال بالقرابة؛ فقد قلنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب:

أن أول من التجأ إليه أبو بكر، ثم عمر. ثم الامويون، فالعباسيون، ثم أكثر، إن لم يكن كل مطالب بالخلافة ... و أنه إذا كان فى كلام الأئمة و شيعتهم ما يفهم منه ذلك، فإنما اقتضاه الحجاج مع خصومهم.

و بعد ... فهل يخفى على الإمام (ع) ضعف و وهن هذه الحجة؛ مع أننا نراه يصرح فى أكثر من مناسبة بأن القرابة لا تجدى و لا تفيد- كما سنشير إليه- و انه لا بد فى الإمام من جدارة و أهلية فى مختلف الجهات، و على جميع المستويات.

و لقد كان على المأمون- لو صحت هذه الرواية- أن يغتنمها فرصة،

---

(۱) راجع: عيون الاخبار ج ۲ ص ۱۴۰، ۱۴۱، طبع مصر سنة ۱۳۴۶، و العقد الفريد ج ۵ ص ۱۰۲، و ج ۲ ص ۳۸۶، طبع دار الكتاب العربى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۳۲

و يعلنها على الناس جميعا، و يشهّر بالإمام (ع)؛ ليسقطه- و من ثم ... يسقط العلويين كلهم من أعين الناس ... و يسلبهم و إلى الابد السلاح الذى كانوا يحاربونه و يحاربون آباءه به ... مع أن ذلك هو ما كان يبحث عنه المأمون ليل نهار، و يدبر المكايد، و يعمل الحيل، من أجله، و فى سبيله ...

وعدا عن ذلك كله ... كيف يمكن أن تنسجم هذه الرواية مع مواقف الإمام، و تصريحاته المتكررة حول مسألة الامامة، و بأى شىء تثبت، و حول أوصاف الإمام و وظائفه، و التى لو أردنا استقصاءها لاحتجنا إلى عشرات الصفحات؟!!.

و كذلك ... مع احتجاج الإمام (ع) على العلماء و المأمون فى اكثر من مناسبة بالنص، و أيضا مع موقفه (ع) فى نيشابور؟! اللهم إلا أن يكون أعلم أهل الأرض- باعتراف المأمون قد نسى حجته، و حجة آبائه، و كل من ينتسب إليهم، و يذهب مذهبهم ...

تلك الحجة- التى عرفوا و كل المتشيعين لهم بها على مدى الزمان- نسيها- فى تلك اللحظة فقط؛ لأن المأمون هو الذى يسأل، و الرضا هو الذى يجيب!!!.

و بعد؛ فهل يستطيع أن يشك فى ذلك أحد ... و هو يرى رسالة الرضا، التى كتبها للمأمون تلبية لطلبه، و جمع له بها أصول الاسلام، و التى صرح فيها بالنص على على (ع). بل و ذكر فيها الائمة الاثنى عشر، الذين نص عليهم النبى (ص) كلهم بأسمائهم، حتى من لم يكن قد ولد بعد منهم؟!. و هذه الرسالة مشهورة و قد أوردها و استشهد بها غير واحد من المؤرخين و الباحثين «۱» ...

---

(۱) و كان آخرهم الدكتور أحمد محمود صبحى فى كتابه: نظرية الامامة ص ۳۸۸، و قال: إنها من المخطوطات الموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ۱۲۵۸.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۳۳

و فيها يصف الإمام (ع) أئمة الهدى أدق وصف، و أروعه، و أوفاه ...

بل إن المأمون نفسه كان يرى وجوب نصب الإمام من قبل اللّه كالنبى، كما يتضح من مناظرته الشهيرة لعلماء وقته، التى أوردها غير واحد من كتب التاريخ، و الأدب، و الرواية، و ذكرها فى العقد الفريد أيضا قبل ذكره لهذه الرواية المفتعلة. و إن كان قد تصرف فيها (أى فى المناظرة)؛ فحرف فيها، و حذف منها الكثير ... و أشار إليها أيضا أحمد أمين فى ضحى الإسلام ج ۲ ص ۵۷، و غيره ...

فلما ذا لا ـ يلزمه الإمام بمقالته التى كان يلزم نفسه بها؟!. أم يمكن أن لا يكون مطلعا على مقالة المأمون هذه، التى سار ذكرها فى

الآفاق؟!.

و یحسن بنـا هنا أن ننبه إلى أن الاختلاف فی نقل مثل هـذه القضایا، حسب أهواء الناقلین لم یکن بالأمر الـذی یخفی علی أحـد؛ فقد رأینا:

أن جواب أحمد بن حنبل فی المحنة بخلق القرآن، یرویه کل من الشـیعة، و المعتزلة، و أهل السـنة بصور ثلاثة مختلفة. و مناظرة هشام لأبی الهـذیل العلاف یروی المعتزلـة أن الغلبـة فیها کانت لأبی الهـذیل، بینما یروی الشـیعة، و یؤیـدهم المسـعودی «۱» أن الغلبـة فیها کانت لهشام. إلی غیر ذلک من عشرات القضایا بل المئات …

و لکن الأمر هنـا مختلف تمامـا؛ إذ أن مختلق الروایـة هنا قـد غفل عن أن روایته المفتعلـة تتنافی کلیا مع نظرة الأئمـة علیهم السـلام و رأیهم فی الخلافة و مستحقها … و یبدو أنه لم یکن مطلعا علی الآراء المختلفة الشائعة آنذاک فی مسألة الإمامة؛ و لذا نراه ینسب إلی الإمام (ع) رأیا لا یقول به، و لا یقره. و إنما هو یناسب رأی الشـیعة الزیدیـة القائلین بإمامـة ولـد علی (ع) من فاطمة؛ بشـرط أن یکون بلیغا، شجاعا، عادلا مجتهدا،

---

(۱) مروج الذهب ج ۴ ص ۲۱.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۳۴

یخرج بالسیف ضد کل ظلم و انحراف إلخ … و بأن إمامة علی (ع) قد ثبتت بالوصف و الإشارة إلیه، لا بالتصریح و النص علیه «۱».

کما أنه غفل عن أن الـذین کانوا یحتجون بالقرابة و الإرث هم العباسـیون، الذین کانوا إلی عصـر المهدی- کما قدمنا- یدّعون انتقال الخلافة إلیهم عن طریق علی (ع)، و محمد بن الحنفیة، و فی عصـر المهدی عدلوا عن ذلک؛ لما یتضـمنه من اعتراف للعلویین. و رأوا أن یجعلوا إمـامتهم عن طریق العباس و أبنائه … و حاولوا تقویـة هـذه النحلـة بکل وسـیلة، و بـذلوا من أجلها الأموال الطائلـة للعلماء و الفقهاء، و الشعراء.

و لم یکن لتخفی علی أحد أبیات مروان بن أبی حفصة المتقدمة:

هل تطمسون من السماء نجومهاأو تسترون إلخ …

و لا قوله:

أنی یکون و لیس ذاک بکائنلبنی البنات وراثة الأعمام و قد أجابه جعفر بن عفان المعاصر له. علی هذا البیت بقوله:

ما للطلیق و للتراث و إنماصلی الطلیق مخافة الصمصام «۲» و کیف یخفی کل ذلک علی الإمام (ع)، خصوصا بعـد أن کان الجدل فی هذا الموضوع قائما علی قدم و ساق فی زمن هارون، بل و فی زمن المأمون کما یظهر من قول ابن شکلة المتقدم:

فضجت أن تشد علی رءوس‌تطالبها بمیراث النبی

---

(۱) مقدمة ابن خلدون ص ۱۹۷ ر ۱۹۸.

(۲) مقتل الحسین للمقرم ص ۱۱۹، و الاغانی ج ۹ ص ۴۵، طبع ساسـی، و الادب فی ظل التشیع ص ۲۰۱، و ضحی الاسلام ج ۳ ص ۳۱۳، و قاموس الرجال ج ۲ ص ۳۹۳، و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۳۵

و من قول القاسم بن یوسف و هی قصـیدة طویلة فلتراجع «۱» إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه و اسـتقصائه … و بعد کل تلک الوقائع الشـهیرة التی حـدثت قبل خلافـة المأمون، و اثناءها بالنسـبة لـدعوی العباسـیین هذه؛ فلا یمکن أبدا أن تجری المحاورة بین أعلم أهل الأرض (باعتراف المأمون) و بین المأمون أعلم خلفاء بنی العباس علی هذا النحو من السذاجة و البساطة … اللهم إلا إذا کان أعلم أهل

الأرض، لا یری و لا یسمع، أو أنه کان یعیش فی غیر هذا العالم، أو فی سرداب تحت الأرض ...

و اللهم إلا إذا کان القائل: ما للطلیق و للتراث إلـخ ... أعلم بالحجة للدعوی التی یدعیها أعلم أهل الأرض من مدعی الدعوی نفسه ...

و هل لم یکن یحسن أن یقول للمأمون- لو سلم أنه احتج بالقرابة-: إن قرابة العباس لا تفیده؛ بعد أن تخلی عنها یوم الانذار. و بعد أن کان من الظالمین، الـذین حرمهم اللّه من عهـده، حیث قال تعالی: «لا ینال عهـدی الظالمین». و بعد أن ترک الهجرة معه (ص). و بعد أن حارب النبی (ص) یوم بـدر. و بعد جهله بالدین و احکامه؛ و لقد قال سـبحانه: «أ فمن یهدی إلی الحق أحق أن یتّبع، أمّن لا یهدّی إلا أن یهدی، فما لکم کیف تحکمون ...» «۲». إلی آخر ما هنالک ...

و أخیرا ... و بعد أن لم یبق مجال للشک فی زیف هذه الروایة و افتعالها ...

فإننا نری أن لنا کل الحق فی أن نسجل هنا: أنه لم یخف علینا، و نأمل أن لا یخفی علی أحد سرّ ذکر ابن عبد ربه هذه الروایة المزیفة المفتعلة، بعد ذکره لروایة احتجاج المأمون علی علماء وقته فی أفضـلیة علی (ع) علی جمیع الخلق، و التی تصرف فیها ما شاء له حقده و نصبه،

---

(۱) الاوراق للصولی ص ۱۸۰. و قد تقدم شطر منها فی بعض فصول هذا الکتاب.

(۲) یونس آیة ۳۵.

الحـذف و التحریف؛ فـإنه- علی مـا یبـدو- لیس إلاـ من أجـل التشویش علی تلـک، و إبطال کل أثر لها، ظلما للحقیقـة، و تجنیا علی التاریخ ...

الموقف الثامن:

اشارة

و أعتقد أنه أعظمها أثرا، و أعمها نفعا، و هو ما کتبه (ع) علی وثیقة العهد، التی کتبها المأمون بخط یده ...

فإننـا إذا ما رجعنا إلیه نجـد: أن کل سـطر فیه، بل کل کلمـة لها مغزی عمیق، و دلالـة هامـة، تلقی لنا ضوءا کاشـفا علی خطته (ع) فی مواجهة مؤامرات المأمون، و خططه، و أهدافه ...

فلقـد کان یعلم: أن هـذه الوثیقـة سـتقرأ فی مختلف الأقطار الإسـلامیة؛ و لـذلک نراه (ع) قـد اتخذها وسـیلة لإبلاغ الامة الحقیقة کل الحقیقة، و تعریفها بواقع نوایا و أهداف المأمون. و أیضا تأکید حق العلویین، و کشف المؤامرة التی تحاک ضدهم ...

فبینما نراه (ع) یبـدأ کلامه- فیما کتبه فی الوثیقـة المشار إلیها- بدایة غیر طبیعیة، و لا مألوفة فی مناسبات کهذه حیث قال: «الحمد للّه الفعال لما یشاء، و لا معقب لحکمه، و لا راد لقضائه ...» ... لا یأتی بعدها بما یناسب المقام، و یتلائم مع سیاق الکلام، من تمجید اللّه، و الثناء علیه علی أن ألهم أمیر المؤمنین!! هذا الأمر ... بل نراه یأتی بعبارة غریبة، و غیر متوقعة؛ ألا و هی قوله: «یعلم خائنة الأعین، و ما تخفی الصدور الخ ...».

أ فلا توافقنی- قارئی العزیز- علی أنه (ع) یریـد أن یوجه أنظار الناس إلی أن الأمر ینطوی علی خیانة مبیتة، و أن هناک صدورا تخفی غیر ما تظهر؟!. ثم ... أ لا توافقنی علی أن هذه العبارة تعریض بالمأمون

نفسه؛ من أجل تعريف الناس بحقيقة نواياه و أهدافه؟!. هذا مع علمه (ع) بأن هذه الوثيقة سوف ترسل إلى مختلف أقطار العالم الاسلامى؛ لتقرأ على الملأ العام، كما حدث ذلك بالفعل ...

و إذا ما وصلنا إلى فقرة أخرى، مما كتبه (ع) على وثيقة العهد؛ فإننا نراه يقول: «... و صلاته على نبيه محمد خاتم النبيين، و آله الطيبين الطاهرين ...» فإننا إذا لاحظنا: أنه لم تجر العادة فى الوثائق الرسمية فى ذلك العهد بعطف «الآل» على «محمد»، ثم توصيفهم ب «الطيبين الطاهرين»- نعرف أن هذا ليس إلا ضربة أخرى للخليفة المأمون، و هجوم آخر عليه؛ حيث إنه يتضمن التأكيد على طهارة أصل الإمام (ع)، و سنخه، و محتده؛ و على أن الآل قد اختصوا بهذه المزية، و ليس لكل من سواهم، حتى الخليفة المأمون، مثل هذا الشرف، و لا مثل تلك المزية ...

ثم نراه (ع) يعقب ذلك بقوله: «... إن أمير المؤمنين ..... عرف من حقنا ما جهله غيره ...» ...

فما هو ذلك الحق الذى جهله الناس كلهم، حتى بنى العباس، فيما عدا المأمون؟! ...

فهل يمكن أن تكون الامة الاسلامية قد انكرت أنهم (ع) ابناء بنت رسول اللّه (ص)؟!! أ ليس ذلك منه (ع) إعلان للامة بأسرها بأن المأمون لم يجعل له إلا ما هو حق له، و أنه لم يزد بذلك على أن أرجع الحق إلى أهله، بعد أن كان قد اغتصبه منهم الغاصبون، و اعتدى عليهم به المعتدون؟! ... بل أ ليس ذلك ضربة للمأمون نفسه، و أن خلافته ليست شرعية، و لا صحيحة؛ لأنه كآبائه مغتصب لحق غيره؟!.

نعم ... إن الحق الذى جهله الناس هو حق الطاعة. و لم يكن

الإمام (ع) يتقى المأمون، و لا غيره من رجال الدولة، فى إظهار هذا الحق، و بيان أن خلافة الرسول (ص) إنما كانت فى على (ع)، و ولده الطاهرين، و أنه يجب على الناس كلهم طاعتهم، و الانقياد لهم. و قد اعلن (ع) ذلك فى نيشابور كما قدمنا ... و رأيناه يصرح به، و يطلب من الناس أن يعلم شاهدهم غائبهم به، فى محضر من رجال الدولة فى خراسان، ففى الكافى: بسنده عن محمد بن زيد الطبرى قال: كنت قائما على رأس الرضا (ع) بخراسان، و عنده عدة من بنى هاشم، و فيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسى؛ فقال: «يا إسحاق، بلغنى أن الناس يقولون: إنا نزعم: أن الناس عبيد لنا!!. لا و قرابتى من رسول اللّه (ص) ما قلته قط، و لا سمعته من آبائى قاله، و لا بلغنى عن أحد من آبائى قاله، و لكننى أقول: الناس عبيد لنا فى الطاعة، موال لنا فى الدين؛ فليبلغ الشاهد الغائب ...» «۱».

و ستأتى الاشارة إلى هذه الرواية مرة أخرى فى الفصل الآتى .. و ليتأمّل فى عبارته الأخيرة. فليبلغ إلخ ... و ليلاحظ أيضا أنه اختار لتوجيه خطابه:

اسحاق بن موسى بن عيسى العباسى!!! و فى الكافى أيضا بسنده عن معمر بن خلاد قال: سأل رجل فارسى أبا الحسن (ع)، فقال: طاعتك مفترضة؟. فقال: نعم. قال:

مثل طاعة على بن أبى طالب (ع)؟. قال: نعم «۲».

و المراد بأبى الحسن هو الرضا (ع)؛ لأنه هو الذى كان فى خراسان، و هو الذى يروى عنه معمر بن خلاد كثيرا ... و مثل ذلك كثير لا مجال لتتبعه ...

---

(۱) الكافى ج ۱ ص ۱۸۷، و أمالى المفيد ص ۱۴۸ ط النجف و أمالى الطوسى ج ۱ ص ۲۱، و مسند الامام الرضا عليه السلام ج ۱ ص ۹۶.

(۲) الكافى ج ۱ ص ۱۸۷؛ و الاختصاص ۲۷۸، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۰۳ عنه ...

و يقول (ع) فى وثيقة العهد، بعد تلك العبارة مباشرة: «... فوصل أرحاما قطعت، و آمن أنفسا فزعت، بل أحياها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت».

فهو كما ترى ... فى حين يشكر المأمون، و يكتب تحت اسمه: «بل جعلت فداك» (حسب رواية الإربلى فقط)، لا ينسى أن يشوب ذلك بالازراء ضمنا على آبائه العباسيين. و يذكر بما اقترفوه فى حق العلويين، حيث كانوا يلاحقونهم تحت كل حجر و مدر، و يطلبونهم فى كل سهل و جبل، كما قدمنا ...

هذا ... و لا بأس أن نقف قليلا عند قوله: «و انه جعل إلى عهده، و الامرة الكبرى- إن بقيت- بعده ...».

فإننا لا نكاد نتردد فى أنه (ع) يشير بقوله: «إن بقيت بعده» إلى ذلك الفارق الكبير بالسن بينه (ع)، و بين المأمون. و أنه يعتمد توجيه الأنظار إلى عدم طبيعية هذا الأمر، و إلى عدم رغبته فيه.

و إنه كان يريد أن يعرف الناس بأنه يتوقع فى أن لا يدخر المأمون وسعا من أجل التخلص منه، و لو بالاعتداء على حياته (ع)، فيما لو سنحت له الفرصة لذلك، بعد أن يكون قد حقق كل ما كان يريد تحقيقه، و وصل إلى ما كان يطمح إلى الوصول إليه؛ حيث لا بد حينئذ أن «يحل العقدة التى أمر اللّه بشدها». و لا بد أيضا أن تنكشف خيانته للملإ، و يظهر ما يخفيه فى صدره، على حد تعبيره (ع) ... و إلا فما هو الداعى له (ع) لاقحام هذا الشرط- إن بقيت- فى أثناء مثل هذا الكلام ...

و إننا إذا نظرنا بعمق إلى قوله بعد ذلك: فمن حل عقدة أمر اللّه بشدها، و فصم عروة أحب اللّه إيثاقها ...». و تأملنا قوله السابق:

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۰

يعلم خائنة الأعين، و ما تخفى الصدور. و قوله اللاحق: لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ... فلسوف نعرف: أنه (ع) يعرض هنا بالمأمون نفسه، و يقول للناس جميعا: إنه لا يشك فى أن المأمون سوف ينقض العهد، و يحل العقدة.

و يلاحظ هنا أيضا: أنه وصف هذه العقدة بأنها مما أمر اللّه بشده، و أحب إيثاقه ... و هذا لعله لا يختلف عما كان (ع) يردده، و يؤكد عليه كثيرا، و نص عليه آنفا، و هو أن المأمون لم يجعل له إلا الحق الذى جهله غيره، و اغتصبه هو و آباؤه، منه (ع) و من آبائه ...

و إذا ما وصلنا إلى قوله (ع): «... بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، و لم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية الخ ...».

فإننا نراه كأنه يستشهد لاطاعته المأمون، و عدم اصراره على الرفض الموجب لتعريض نفسه، و العلويين، و شيعته للهلاك، و الاضطهاد- يستشهد لذلك- بما جرى لسالفه: و هو أمير المؤمنين على (ع)، حيث صبر على الفلتات «۱» التى كانت من خلفاء عصره، و لم يعترض (ع) على ما كانوا قد عقدوا العزم عليه، من المضى قدما فى مخططاتهم، التى كانت تستهدف إبعاده عن مسرح السياسة، و تكريس الأمر الواقع، و تثبيته، لأنه يخدم مصالحهم، و يرضى مطامحهم ...

- لم يعترض على (ع) على ذلك- لأنه خاف من شتات الدين،

---

(۱) و من المحتمل جدا أنه عليه السلام: يشير إلى تعبير عمر- كانت بيعة أبى بكر فلتة إلخ-.

و لكنه عمم الكلام بحيث يشمل غير بيعة أبى بكر أيضا؛ باعتبار أن بيعة عمر و عثمان، و معاوية و غيرها، كانت أيضا من الفلتات، أو باعتبار تفرعها على بيعة أبى بكر التى كانت فلتة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۱

و اضطراب حبل المسلمين؛ و لقرب أمر الجاهلية ... و هذا مما قد نص عليه على (ع) نفسه فى أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة؛ قال (ع):

«... و أيم اللّه، لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين، و أن يعود الكفر، و يبور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه ...»، و يقول: «إن اللّه

لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة؛ فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، و سفك دمائهم؛ و الناس حديثوا عهد بالاسلام، و الدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى و هن، و يعكسه أدنى خلف ...» (۱).

و هكذا تماما كان الحال بالنسبة للإمام الرضا (ع)، حفيد على، و وارثه؛ و الذى كان زمانه لا يبعد حال الناس فيه عن حال الجاهلية، فإنه آثر أن يصبر على هذه المحنة، خوفا من شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين؛ و ذلك بتعريض نفسه، و شيعته، و العلويين للهلاك، أو على الأقل للاضطهاد، الأمر الذى سوف تكون له أسوأ النتائج على الدين و الامة، كما قلنا ...

و إذا ما قرأنا بعد ذلك قوله (ع): «... و قد جعلت اللّه على نفسى،- إن استرعانى على المسلمين، و قلدنى خلافته- العمل فيهم عامة، و فى بنى العباس بن عبد المطلب خاصة، بطاعة اللّه، و سنة رسوله (ص) ...» ... فإن ما يسترعى انتباهنا هو تنصيصه على بنى العباس خاصة و أنه سوف يعمل فيهم بطاعة اللّه، و رسوله ... «فلا يسفك دما حراما، و لا يبيح فرجا و لا مالا، إلا ما سفكته حدوده، و أباحته فرائضه إلخ ...».

فإن هذا التنصيص إنما هو فى مقابل «الأرحام التى قطعت، و فزعت،

---

(۱) راجع شرح النهج للمعتزلى ج ۱ ص ۳۰۷، ۳۰۸ و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۲

و تلفت، و افتقرت ...، من العلويين، على يد بنى العباس، الذين فعلوا بهم، أكثر من فعل بنى أميّة معهم، حسبما قدمنا ...

و تعهده و التزامه بأن يعمل فى المسلمين عامة، و فى بنى العباس خاصة، بطاعة اللّه، و سنة رسوله ... هو التزام بنفس الخط الذى التزم به على (ع)، و تعهد بانتهاجه. الأمر الذى كان سببا فى ابعاده عن الخلافة فى الشورى، و اضطلاع عثمان بها. بل كان ذلك هو السبب فى ابعاده عنها، بالنسبة لما قبل ذلك أيضا، و ما جرى بعده.

و علىّ (ع) هو نفس ذلك الذى استشهد به آنفا، و بيّن أنه صبر على الفلتات، و لم يعترض على العزمات خوفا من شتات الدين إلخ ... و الالتزام بخط على (ع) لن يرضى المأمون، و العباسيين، و الهيئة الحاكمة. و لن يكون فى مصلحتهم، حسبما المحنا إليه فى فصل: جدية عرض الخلافة ...

كما أننا لا نستبعد كثيرا: أنه (ع) يريد أن ينبه على مدى التفاوت بين المنطلقات لسياسات أهل البيت، و منطلقات سياسات خصومهم، التى عرفت جانبا منها فى القسم الأول من هذا الكتاب ...

و من هنا نعرف السر فى قوله (ع): «... و أن أتخير الكفاة جهدى و طاقتى ...». فإنه إشارة إلى أنه (ع) سوف ينطلق فى كل نصب و عزل- تماما كالإمام على (ع)- من مصلحة الامة، و على وفق رضا اللّه، و تعاليم رسوله. لا من مصالح شخصية، أو اعتبارات سياسية، أو قبلية، أو غير ذلك من الاعتبارات، التى لا يعترف بها الاسلام، و لا يقيم لها وزنا ...

و إذا ما قرأنا قوله (ع): «... و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا، و أعوذ باللّه من سخطه إلخ ...».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۳

فإننا ندرك للتوّ أنه (ع) يريد ضرب العقيدة، التى كان قد شجعها الحكام، و روّج لها علماء السوء ... من أن الخليفة، بل مطلق الحاكم فى منأى و مأمن من أى مؤاخذة، أو عقاب، مهما اقترف من جرائم، و أتاه من موبقات؛ فهو فوق القانون، و لا يجوز لأحد الخروج، أو الاعتراض عليه، فى أى من الظروف و الأحوال، حتى و لو رمى القرآن بالنبل، و قتل ابن بنت رسول اللّه، فضلا عما عدا ذلك من الجرائم و الموبقات ...

و الإمام ... الذى يعرف كيف كانت سيرة المأمون، و سائر خلفاء بنى العباس، و من لف لفهم، و التى عرفت فيما تقدم طرفا منها، و

الـذين كانوا يتمتعون بهذه الحصانة الزائفة ... قد أراد أن يوجه ضـربة قاضـية لهم جميعا، حتى للمأمون، و أشـياعه، و كل من كان من الطواغيت و الظلمـة على شـاكلتهم، و يبين لهم، و للملإ أجمع: أن الحاكم حارس للنظام و القانون، و لا يمكن أن يكون فوق النظام و القانون؛ و لذا فلا يمكن أن يكون فى منأى عن العقاب و القصاص، لو ارتكب أى جريمة، أو اقترف أية عظيمة.

فالمأمون، و آباؤه، و أشياعهم، كانوا يضـحون بكل شـىء فى سبيل أنفسـهم، و مصالحهم الشخصـية، و يقترفون كل عظيمة فى سبيل تـدعيم حكمهم، و تقويـة سلطانهم ... أما الامام (ع) فهو مسـتعد لأن يقدم نفسه- إن اقتضـى الأمر- للعقاب و النكال، عند صدور أية مخالفة، و حصول أى تجاوز عما يرضى اللّه تعالى، و عن سنة رسوله ...

و بعد كل ما تقدم ... نراه يعبر عن عدم رضاه بهذا الأمر، و عدم تهالكه عليه؛ لعلمه بعدم تماميته له؛ و يقول بصـريح العبارة: إنه أمر لا يتم؛ لأن «... الجفر و الجامعة يدلان على ضد ذلك ...». كما أن فى هذا تنويه مهمّ منه (ع) بذكر الركن الثانى من أركان إمامة أئمة

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۴

أهل البيت عليهم السلام، و هو أن اللّه تعالى اختصهم بأمور غيبية، و علوم لدنية، منعها عن سائر الناس.

و هـذان الكتابان: الجفر، و الجامعـة، هما من الكتب التى أملاها رسول اللّه (ص) على على أمير المؤمنين (ع)، و كتبها بخط يده. و قد أظهر الأئمـة عليهم السـلام بعض هـذه الكتب التى بخط على (ع)، و باملاء الرسول (ص) لعـدة من كبار شـيعتهم، و استشـهدوا بها فى موارد عديدة فى الأحكام «۱» ...

و فى الحقيقة ... إن الامام (ع)، و إن قبل ولاية العهد مكرها من المأمون ... و لكنه يريد بكلامه هذا، و استشـهاده بالجفر و الجامعة أن يقـول له، و لكـل من كـان على شـاكلته بصـريح العبـارة: «... قـد انبأنـا اللّه بأخبـاركم، و سـيرى اللّه عملكم، و رسـوله، و المؤمنون، و سـتردون إلى عـالم الغيب و الشـهادة فينبئكم بمـا كنتم تعملون، و يجزيكم على ظلمكم و بغيكم علينـا، و انتهـاككم الحرمـات منـا، و لعبكم بدمائنا و أعراضنا، و أموالنا ...».

ثم نراه يترقى فى صـراحته، حيث يقول: «... لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه ...». أى أنه لو لم يقبل بهـذا الأمر لتعرض لسخط المأمون ... و الكل يعلم ما ذا كان يعنى سـخط أولئك الحكام، الـذين كانوا لا يحتاجون إلى أى مبرر لاقترافهم أى جريمة، و اقدامهم على أى عظيمة ...

و أخيرا ... و رغم أن المأمون قد تقدم منه (ع)، و طلب منه أن يشـهد اللّه، و الحاضرين على نفسه ... نراه يأبى أن يكون المأمون، و لا أى من الحاضرين شاهدا على نفسه، و لا جعل لهم على نفسه سبيلا؛ لأنه

---

(۱) راجع: كتاب مكاتيب الرسول ج ۱ من ص ۵۹ حتى ص ۸۹، فقد اسـهب القول حول هذه الكتب، و استشهادات الأئمة بها، و غير ذلك ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۵

كـان يعلم بمـا كانت تكنه صـدورهم، و تضـطرم به قلوبهم عليه. بل جعل اللّه فقط شـهيدا عليه، و اسـتعان بالآيـة الكريمـة، التى تقطع الطريق على كل أحد، و تكتفى باللّه شهيدا، حيث قال: «و أشهدت اللّه على نفسى (و كفى باللّه شهيدا) ...».

و إذا كان لا بد من كلمة:

و إذا كان لا بـد فى نهايـة المطاف من كلمـة؛ فاننا نقول: إن أولئك الـذين عاشوا فى تلك الفترة، و وقفوا على الظروف و الملابسات التى اكتنفت هـذا الحـدث التـاريخى الهـام- إن هؤلاء و لا شك- كانوا أقـدر منا على فهم جميع ما كان يرمى إليه الامام (ع) من كل

كلمة، كلمة، مما كتبه على وثيقة العهد ...

و إذا كان هناك من يرى: أن بعض الفقرات تحتمل غير ما قلناه ...

فاننا نرى: أن كون بعض الفقرات الاخرى لا يحتمل غير ما قلناه، و أيضا بما أن ما ذكرناه هو الذى يساعد على الجو العام، الذى توحى به النصوص التاريخية الكثيرة جدا، و التى قدمناها و سيأتى شطر منها- إن ذلك- هو ما يجعلنا نجزم بأن ما فهمناه هو بعض ما كان يرهى إليه (ع) مما كتبه على وثيقة العهد ...

ملاحظات هامة:

إن من الامور الغريبة حقا أن نرى نفس الخليفة يكتب وثيقة العهد- الطويلة جدا!!- بخط يده ... و أغرب منه أنه تقدم إلى الامام (ع)، و قال له: «اكتب خطك بقبول هذا العهد. و أشهد اللّه و الحاضرين عليك،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۶

بما تعده فى حق اللّه و رعاية المسلمين «۱» ...».

و هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى المأمون، و أنه يريد تطويق هذا الموضوع من جميع جهاته، و إن استلزم ذلك كل تلك الامور؛ و إلا ... فما هو الداعى لأن يكتب له العهد بخط يده!!! ثم أن يتقدم إليه بنفسه!!! ... ثم ما الداعى لأن يطلب من الإمام ذلك!!!.

هذا ... و لا بأس أيضا بملاحظة تعبير المأمون ب «قبول»!!!. ثم ملاحظة أنه طلب منه أن يكتب هذا القبول ب «خط يده»!!!. ثم طلب منه أن يشهد اللّه و الحاضرين على نفسه!!!.

حقا ... إنها للعبقرية السياسية:

و على كل حال ... فلا شك أن المحاورات السياسية تعتبر من الصنائع المستظرفة؛ و ذلك لما تتضمنه من تعريضات و كنايات، حسبما تفرضه الاتجاهات السياسية، التى يلتزم بها المتحاورون ...

و لذا ... نلاحظ أنه (ع) ... و إن كان يضمن كلامه الشكر للمأمون، بل و يكتب تحت اسمه- حسب رواية الاربلى فقط-: بل جعلت فداك ...

و لكن يبطن كلامه، و يضمنه تعريضات عميقة؛ بلهجة معتدلة، لا عنف فيها، و ذلك يعنى: أن الإمام (ع) لم يتنازل عن مبدئه، و لا حاد عن نهجه، الذى اختطه لنفسه، بوحى من رسالة اللّه، و تعاليم محمد (ص)، و خطى جده على (ع) ... لم يحد عنه قيد شعرة، و لا هادن فيه، و لا حابى أحدا، حتى فى هذا الموقف ...

---

(۱) مآثر الانافة ج ۲ ص ۳۳۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۴۷

و لعمرى ... لو كان ما كتبه الإمام الرضا (ع) على وثيقة العهد من شخص عادى آخر، لكان يقال عنه الشيء الكثير تعظيما و تبجيلا؛ حيث إنه لم يضل عن خطته التى اختطها لنفسه، و لا حاد عن نهجه قيد أنملة ... مع أن المأمون كان قد فاجأه بطلب الكتابة على الوثيقة، و لم يكن هو مستعدا، و لا متوقعا لذلك؛ لأن العادة لم تكن قد جرت على ذلك ...

و هذا و لا شک مما یزید من عظمهٔ الإمام، و یعلی من شأنه، و یستدعی المزید من التعظیم و التبجیل له ...
و لکن الحقیقهٔ هی: أنه- و هو الإمام المعصوم- غنی عن کل تلکم التقریظات، و عن ذلکم التعظیم و التبجیل ...

الموقف التاسع:

اشارهٔ

شروطه (ع) علی المأمون لقبول ولایهٔ العهد، و هی:
«أن لا یولی أحدا، و لا یعزل أحدا، و لا ینقض رسما، و لا یغیر شیئا مما هو قائم، و یکون فی الأمر مشیرا من بعید «۱»»؛ فأجابه المأمون إلی ذلک کله!!!.
و فی ذلک تضییع لجملهٔ من أهداف المأمون ... إذ أن:

---

(۱) الفصول المهمهٔ، لابن الصباغ المالکی ص ۲۴۱، و نور الابصار من ص ۱۴۳، و عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۲۰، و ج ۲ ص ۱۸۳، و مواضع اخری، و مناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۶۳، و علل الشرائع ج ۱، ص ۲۳۸، و إعلام الوری ص ۳۲۰، و البحار ج ۴۹ ص ۳۴ و ۹۵، و غیرها، و کشف الغمهٔ ج ۳ ص ۶۹، و ارشاد المفید ص ۳۱۰، و أمالی الصدوق ص ۴۳، و اصول الکافی ص ۴۸۹، و روضهٔ الواعظین ج ۱ ص ۲۶۸، ۲۶۹، و معادن الحکمهٔ ص ۱۸۰، و شرح میمیهٔ أبی فراس ص ۱۶۵.
الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۴۸

۱- السلبیهٔ تعنی الاتهام:

فإن من الطبیعی أن تثیر سلبیته هذه الکثیر من التساؤلات لدی الناس، و لسوف تکون سببا فی وضع علامات استفهام کبیرهٔ، حول الحکم، و الحکام، و کل اعمالهم و تصرفاتهم؛ إذ أن السلبیهٔ إنما تعنی: أن نظام الحکم لا یصلح حتی للتعاون معه؛ بأی نحو من أنحاء التعاون؛ و إلا فلما ذا یرفض- حتی ولی العهد- التعاون مع نظام هو ولی العهد فیه، و یأبی التأیید لأی من تصرفاته و أعماله؟!! ...

۲- رفض الاعتراف بشرعیهٔ ذلک النظام:

و لقد قدمنا: أن من جملهٔ أهداف المأمون هو أن یحصل من الإمام (ع) علی اعتراف ضمنی بشرعیهٔ حکمه و خلافته، کما صرح هو نفسه بذلک «و لیعترف بالملک، و الخلافهٔ لنا».
و الإمام ... بشروطه تلک یکون قد رفض الاعتراف بشرعیهٔ النظام القائم، بأی نحو من أنحاء الاعتراف، و لم یعد قبوله بولایهٔ العهد یمثل اعترافا بذلک، و لا یدل علی أن ذلک الحکم یمثل الحکم الاسلامی الأصیل ...
هذا ... و قد عضد شروطه هذه، بسلوکه السلبی مع المأمون، و الهیئهٔ الحاکمهٔ، طیلهٔ فترهٔ ولایهٔ العهد، یضاف إلی ذلک تصریحاته المتکررهٔ، التی تحدثنا عنها فیما سبق ...

۳- النظام القائم لا يمثل وجهة نظره في الحكم:

و الأهم من كل ذلك: أن شروطه هذه كانت بمثابة الرفض القاطع لتحمل المسئولية عن أى تصرف يصدر من الهيئة الحاكمة. و ليس

للناس- بعد هذا- أن ينظروا إلى تصرفات و اعمال المأمون و حزبه، على أنها تحظى برضى الإمام (ع) و موافقته. و لا يمكن لها- من ثم- أن تعكس وجهة نظره (ع) فى الحكم و رأيه فى أساليبه، التى هى فى الحقيقة وجهة نظر الاسلام الصحيح فيه. الاسلام ... الذى يعتبر الائمة (ع) الممثلين الحقيقيين له، فى سائر الظروف، و مختلف المجالات ...

و انطلاقا مما تقدم: نراه (ع) يرفض ما كان يعرضه عليه المأمون، من: كتابة بتولية أو عزل إلى أى إنسان ... و يرفض أيضا: أن يؤم الناس فى الصلاة مرتين ... إلى آخر ما سيأتى بيانه.

و فى كل مرة كان يرفض فيها مطالب المأمون هذه نراه يحتج عليه بشروطه تلك؛ فلا يجد المأمون الحيلة لما يريده، و تضيع الفرصة من يده.

و لا بد من ملاحظة: أنه عند ما أصر عليه المأمون بأن يؤم الناس فى الصلاة، و رأى عليه السلام: انه لا بد له من قبول ذلك- نلاحظ-: أنه اشترط عليه أن يخرج كما كان يخرج جده رسول اللّه (ص)، لا كما يخرج الآخرون ...

و لم يكن المأمون يدرك مدى أهمية هذا الشرط، و لا عرف أهداف الإمام من وراء اشتراطه هذا؛ فقال له و لعله بدون اكتراث: أخرج كيف شئت ... و كانت نتيجة ذلك ... أنه (ع) قد أفهم الناس جميعا:

أن سلوكه و أسلوبه، و حتى مفاهيمه، تختلف عن كل أساليب و مفاهيم و سلوك الآخرين. و أن خطه هو خط محمد (ص)، و منهاجه هو منهاج على (ع)، ربيب الوحى، و غذى النبوة، و ليس هو خط المأمون و سواه من الحكام، الذين اعتاد الناس عليهم، و على تصرفاتهم و أعمالهم.

و لم يعد يستطيع المأمون، أن يفهم الناس: أن الحاكم: من كان، و مهما كان، هذا هو سلوكه، و هذه هى تصرفاته. و أن كل شخصية: من و مهما كانت، و إن كانت قبل أن تصل إلى الحكم تتخذ العدل،

و الحرية: و المساواة، و غير ذلك شعارات لها، إلا أنها عند ما تصل إلى الحكم، لا يمكن إلا أن تكون قاسية ظالمة، مستأثرة بكل شيء، و مستهترة بكل شيء؛ و لذا فليس من مصلحة الناس أن يتطلعوا إلى حكم أفضل مما هو قائم، حتى و لو كان ذلك هو حكم الإمام (ع) المعروف بعلمه و تقواه و فضله الخ ... فضلا عن غيره من العلويين أو من غيرهم- لم يعد يستطيع أن يقول ذلك- لأن الواقع الخارجى قد أثبت عكس ذلك تماما؛ إذ قد رأينا: كيف أن الإمام (ع) بشروطه تلك، و بسائر مواقفه من المأمون و نظام حكمه ... يضيع على المأمون هذه الفرصة، و لم تجده محاولاته فيما بعد شيئا. بل إن كثيرا منها كان سوءا و وبالا عليه، كما سيأتى ...

۴- لا مجال بعد للمأمون لتنفيذ مخططاته:

و لعل من الواضح: أن شروطه تلك قد مكنته من أن يقطع الطريق على المأمون، و لا يمكنه من استغلال الظروف لتنفيذ بقية حلقات مؤامرته؛ إذ لم يعد بإمكانه أن يصر على الإمام أن يقوم بأعمال تنافى و تضر بقضيته هو، و قضية العلويين، و من ثم تؤثر على الامة بأسرها ... وعدا عن ذلك فإن هذه الشروط، قد حفظت له (ع) حياته فى حمام سرخس، حيث كان المأمون قد حاك مؤامرته للتخلص من وزيره و ولى عهده مرة واحدة، كما سيأتى بيانه ... مما يعنى أن سلبيته (ع) مع النظام كانت أمرا لا بد منه؛ إذا أراد أن لا

یعرض نفسه إلی مشاکل، و أخطار هو فی غنی عنها ... و الـذی أمّن له هذه السـلبیة لیس إلا شـروطه تلک، التی جعلت من لعبة ولایة العهد لعبة باهتة مملة لا حیاة فیها، و لا رجاء ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۵۱

و لعل الأهم من کل ذلک ... أنها ضیعت علی المأمون الکثیر من أهدافه من البیعة، التی صرح الإمام (ع) أنه کان عارفا بها، و لم یکن له خیار فی تحملها، و الصبر علیها، إلی أن یقضی اللّه أمرا کان مفعولا ...

وعـدا عن ذلک کله أن تعاونه مع النظام إنما یعنی أن یحاول تصـحیح السـلوک، و تلافی الأخطاء، التی کان یقع فیها الحکم، و الهیئة الحاکمة ...

و ذلک معناه أن ینقلب جهاز الحکم کله ضد الإمام، و یجد المأمون- من ثم- العذر، و الفرصة لتصفیته (ع) من أهون سبیل؛ فشروطه تلـک أبعـدت عنه الخطر- إلی حـد مـا- الـذی کان یتهـدده من قبل المأمون، و أشـیاعه، و جعلته- کما قلنا- فی منأی و مأمن من کل مؤامراتهم و مخططاتهم ...

۵- الإمام ... لا ینفذ ارادات الحکم:

و لعـل من الأهمیـة بمکـان ... أن نشیر إلی أنه (ع) کان یریـد بشـروطه تلک أن یفهم المأمون: أنه لیس علی اسـتعداد لتنفیـذ إرادات الحکم، و الحاکم، و لا علی اسـتعداد لأن یقتنع بالتشـریفات، و الامور الشکلیة؛ فإنه ... بصفته القائد و المنقذ الحقیقی للامة؛ لا یمکن أن یرضـی بدیلا عن أن ینقذ الامة، و یرتفع بها من مسـتواها الذی أوصـلها إلیه الطواغیت و الظلمة، الذین جلسوا فی مکان رسول اللّه (ص)، و أوصیائه علیهم السلام، و حکموا بغیر ما أنزل اللّه ...

إنه یرید أن یخدم الامة، و یحقق لها مکاسب تضـمن لها الحیاة الفضـلی، و العیش الکریم، و لا یرید أن یخدم نفسه، و یحقق مکاسب شخصیة علی حساب الآخرین؛ و لذلک فهو لا یستطیع أن یقتنع بالسطحیات و الشکلیات التی لا تسمن، و لا تغنی من جوع ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۵۲

۶- لا زهد أکثر من هذا:

إنه مضافا إلی أن مجرد رفض الإمام کلا عرضـی المأمون: الخلافة، و ولایة العهد، دلیل قاطع علی زهده فیه ... فإن هذه الشـروط کان لهـا عظیم الفائـدة، و جلیـل الأثر فی الاظهار لکل أحـد أن الإمام لیس رجل دنیا، و لا طالب جاه و مقام. و ما أراده المأمون من إظهار الإمام علی أنه لم یزهد بالدنیا، و إنما الدنیا هی التی زهدت فیه ... لم یکن إلا هباء اشتدت به الریح فی یوم عاصف ... و لم تفلح بعد محاولات المأمون و عمله الدائب؛ من أجل تشویه الإمام و النیل من کرامته ...

و لقـد قـدمنا: أن الإمام (ع) قـد واجه نفس المأمون بحقیقـة نوایاه، و أفهمه أن خداعه لن ینطلی علیه، و لن تخفی علیه مقاصده؛ و لذا فان من الافضل و الأسـلم له أن یکف عن کل مؤامراته و مخططاته ... و إلا فإنه إذا ما أراد اجبار الإمام علی التعاون معه؛ فلسوف یجد أنه (ع) علی استعداد لفضحه، و کشف حقیقته و واقعه أمام الملأ، و افهام الناس السبب الذی من أجله یجهد المأمون لیزج بالإمام (ع) فی مجالات لا یرغب، بل و اشترط علیه أن لا یزجّ فیها- کما فعل فی مناسـبات عدیـدة- الأمر الذی لن یکون أبدا فی صالح المأمون، و نظام حکمه ...

و من هنـا رأیناه (ع) یجیب الریان عنـد ما سأله عن سـر قبوله بولایـة العهـد، و اظهاره الزهـد بالـدنیا- یجیبه-: ببیان أنه مجبر علی هـذا

الأمر، و یذکره بالشروط هذه، و التی تعنی أنه قد دخل فیه دخول خارج منه، کما تقدم ...

و هکذا ... و بعد أن کان (ع) سلبیا مع النظام، و بعد رفضه لکلا عرضی المأمون، و بعد أن اشترط هذه الشروط للدخول فی ولایة العهد؛ فلیس من السهل علی المأمون، و لا علی أی إنسان آخر أن ینسب

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۵۳

إلیه (ع): أنه رجل دنیا فقط، و أنه لیس زاهدا فی الدنیا، و إنما هی التی زهدت فیه.

و علی کل حال: و رغم کل محاولات المأمون تلک ... فقد استطاع الإمام (ع)؛ بفضل وعیه، و یقظته، و احکام خطته: أن یبقی القمة الشامخة للزهد، و الورع، و النزاهة، و الطهر، و کل الفضائل الانسانیة ...

و إلی الابد.

الموقف العاشر:

اشارة

موقفه (ع) فی صلاتی العید ... ففی إحداهما:

«بعث المأمون له یسأله: أن یصلی بالناس صلاة العید، و یخطب، لتطمئن قلوب الناس، و یعرفوا فضله، و تقر قلوبهم علی هذه الدولة المبارکة؛ فبعث إلیه الرضا (ع)، و قال: قد علمت ما کان بینی و بینک من الشرط فی دخولی فی هذا الأمر؛ فاعفنی من الصلاة بالناس.

فقال المأمون: إنما أرید بهذا أن یرسخ فی قلوب العامة، و الجند، و الشاکریة هذا الأمر؛ فتطمئن قلوبهم، و یقروا بما فضّلک اللّه تعالی به ...

و لم یزل یراده الکلام فی ذلک. فلما ألح علیه قال: یا أمیر المؤمنین، إن أعفیتنی من ذلک، فهو أحب إلیّ، و إن لم تعفنی خرجت کما کان یخرج رسول اللّه (ص)، و کما خرج أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (ع) قال المأمون: أخرج کیف شئت ...

و أمر المأمون القواد، و الحجاب، و الناس: أن یبکروا إلی باب أبی الحسن (ع)؛ فقعد الناس لأبی الحسن فی الطرقات، و السطوح: من الرجال، و النساء، و الصبیان، و صار جمیع القواد، و الجند إلی بابه (ع)؛ فوقفوا علی دوابهم حتی طلعت الشمس ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۵۴

فلما طلعت الشمس قام الرضا (ع) فاغتسل، و تعمم بعمامة بیضاء من قطن، و القی طرفا منها علی صدره، و طرفا بین کتفیه، و مس شیئا من الطیب، و تشمر. ثم قال لجمیع موالیه: افعلوا مثل ما فعلت ...

ثم أخذ بیده عکازة، و خرج، و نحن بین یدیه، و هو حاف قد شمر سراویله إلی نصف الساق، و علیه ثیاب مشمرة ...

فلما قام، و مشینا بین یدیه، رفع رأسه إلی السماء، و کبر أربع تکبیرات؛ فخیل إلینا: أن الهواء و الحیطان تجاوبه. و القواد و الناس علی الباب، قد تزینوا، و لبسوا السلاح، و تهیئوا بأحسن هیئة ...

فلما طلعنا علیهم بهذه الصورة: حفاة، قد تشمرنا. و طلع الرضا و وقف وقفة علی الباب، و قال: «... اللّه اکبر، اللّه اکبر علی ما هدانا، اللّه اکبر علی ما رزقنا من بهیمة الانعام، و الحمد للّه علی ما أبلانا». و رفع بذلک صوته، و رفعنا أصواتنا ...

فتزعزعت مرو بالبکاء، فقالها: ثلاث مرات؛ فلما رآه القواد و الجند علی تلک الصورة، و سمعوا تکبیره سقطوا کلهم عن الدواب إلی الأرض، و رموا بخفافهم، و کان أحسنهم حالا من کان معه سکین قطع بها شرابة جاجیلته و نزعها، و تحفی ... و صارت مرو ضجة واحدة، و لم یتمالک الناس من البکاء و الضجة.

فكان أبو الحسن يمشى، و يقف فى كل عشر خطوات وقفة يكبر اللّه أربع مرات؛ فيتخيل إلينا: أن السماء، و الأرض، و الحيطان تجاوبه.

و بلغ المأمون ذلك؛ فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: يا أمير المؤمنين: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، و خفنا كلنا على دمائنا؛ فالرأى أن تسأله أن يرجع ...

فبعث المأمون إلى الإمام يقول له: إنه قد كلفه شططا، و أنه ما

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۵۵

كان يحب أن يتعبه. و يطلب منه: أن يصلى بالناس من كان يصلى بهم ...

فدعا أبو الحسن بخفه؛ فلبسه، و رجع ...

و اختلف أمر الناس فى ذلك اليوم، و لم ينتظم فى صلاتهم إلخ ...» «۱».

و لقد قال البحرى يصف هذه الحادثة و الظاهر أنه يمين بن معاوية العائشى الشاعر على ما فى تاج العروس:

ذكروا بطلعتك النبى؛ فهللوالما طلعت من الصفوف و كبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لابسانور الهدى يبدو عليك فيظهر

و مشيت مشية خاشع متواضعللّه، لا يزهى، و لا يتكبر

و لو أنّ مشتاقا تكلف غير مافى وسعه لمشى إليك المنبر «۲» و مما يلاحظ هنا: أنه فى هذه المرة أرسل إليه من يطلب منه أن يرجع. و لكننا فى مرة أخرى نراه يسارع بنفسه، و يصلى بالناس، رغم تظاهره بالمرض ...

و على كل حال ... فإننا و إن كنا قد تحدثنا فى هذا الفصل، و فى فصل: ظروف البيعة و سنتحدث فيما يأتى عن بعض ما يتعلق بهذه الحادثة؛ إلا أننا سوف نشير هنا إلى نقطتين فقط ... و هما:

---

(۱) قد ذكرنا بعض مصادر هذه الرواية فى فصل: ظروف البيعة ... فراجع ...

(۲) مناقب آل أبى طالب، لابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۷۲. و لكن هذا الشعر ينسب أيضا للبحترى فى المتوكل عند ما خرج لصلاة العيد ... و انتحال الشعر، و كذلك الاستشهاد بشعر الآخرين فى المواضع المناسبة ظاهرة شائعة فى تلك الفترة و من يدرى فلعل الشعر للبحترى و نسب للبحرى أو لعله للبحرى و انتحله أو نسب للبحترى. و لعل البحترى قد صحف و صار: البحرى ... و لعل العكس.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۵۶

۱- الأثر العاطفى، و القاعدة الشعبية:

فنلاحظ: أننا حتى بعد مرور اثنى عشر قرنا على هذه الواقعة، لا نملك أنفسنا و نحن نقرأ وقائعها، من الانفعال و التأثر بها؛ فكيف إذن كانت حال أولئك الذين قدر لهم أن يشهدوا ذلك الموقف العظيم؟!!.

و غنى عن البيان هنا: أن شأن هذه الواقعة هو شأن واقعة نيشابور، من حيث دلالتها دلالة قاطعة على كل ما كان للرضا من عظمة و تقدير فى نفوس الناس و قلوبهم، و على مدى اتساع القاعدة الشعبية له (ع) ...

۲- لما ذا يجازف المأمون بارجاعه (ع):

و إذا كان هدف المأمون من الاصرار على الإمام بأن يصلى بالناس هو أن يخدع الخراسانيين و الجند و الشاكرية، و يجعلهم يطمئنون على دولته المباركة فإنه من الواضح أيضا أن إرجاع المأمون للإمام (ع) فى مثل تلك الحالة، و ذلك التجمع الهائل، و تلك الثورة العاطفية فى النفوس، كان ينطوى على مجازفة و مخاطرة لم تكن لتخفى على المأمون، و أشياعه؛ حيث لا بد و أن يثير تصرفه هذا حنق تلك الجماهير التى كانت فى قمة الهيجان العاطفى، و يؤكد كراهيتها له ... و على الأقل لن تكون مرتاحة لتصرفه هذا على كل حال ...

و بعد هذا ... فإنه إذا كان المأمون يخشى من مجرد اقامة الإمام للصلاة ... فلا معنى لأن يلح عليه هو بقبولها ... و كذلك لا معنى لأن يخشى ذلك الهيجان العاطفى، و تلك الحالة الروحية، التى أثارها فعل الإمام (ع) و تصرفه فى هذا الموقف ... فذلك إذن ما لم يكن يخافه و يخشاه ...

فمن أى شيء خاف المأمون إذن؟! إنه كان يخشى ما هو أعظم

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۵۷

و أبعد أثرا، و أشد خطرا ... إنه خشى من أن الرضا إذا ما صعد المنبر، و خطب الناس، بعد أن هيأهم نفسيا، و أثارهم عاطفيا إلى هذا الحد- خشى- أن يأتى بمتمم لكلامه الذى أورده فى نيشابور: «و أنا من شروطها ...» لا سيما و أنه ظهر إليهم على الهيئة التى كان يخرج عليها النبى محمد (ص)، و وصيه على (ع) و هو أمر جديد عليهم ... مما من شأنه أن يجعل المأمون و أشياعه لا يأمنون بعد على انفسهم، كما ذكر الفضل بن سهل ... و لسوف يحول الامام مروا من معقل للعباسيين و المأمون، و عاصمة، و حصن قوى لهم ضد أعدائهم- من العرب و غيرهم- سوف يحولها إلى حصن لأعداء العباسيين و المأمون، حصن لأئمة أهل البيت ... ففضل المأمون: أن يختار إرجاعه (ع) عن الصلاة، لأنه رأى أن ذلك هو أهون الشرّين و اقل الضررين.

و لقد جرب المأمون الرضا أكثر من مرة، و أصبح يعرف أنه مستعد لأن يعلن رأيه صراحة فى أى موقف تؤاتيه فيه الفرصة، و يقتضى الأمر فيه ذلك. و لم ينس بعد موقفه فى نيشابور، و لا ما كتبه فى وثيقة العهد، و لا غير ذلك من مواقفه (ع)، و تصريحاته فى مختلف الأحوال و الظروف ...

الموقف الحادى عشر:

و أخيرا ... فقد كان سلوك الإمام (ع) العام، سواء بعد عقد ولاية العهد له، أو قبلها، يمثل ضربة لكل خطط المأمون و مؤامراته. ذلك السلوك المثالى، الذى لم يتأثر بزبارج الحكم و بهارجه ...

و يكفى أن نذكر هنا ما وصفه به إبراهيم بن العباس، كاتب القوم و عاملهم، حيث قال:

«ما رأيت أبا الحسن جفا أحدا بكلامه قط، و ما رأيته قطع على

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۵۸

أحد كلامه حتى يفرغ منه، و ما رد أحدا عن حاجة يقدر عليها، و لا مد رجليه بين يدى جليس له قط، و لا اتكأ بين يدى جليس له قط، و لا شتم أحدا من مواليه و مماليكه قط، و لا رأيته تفل قط، و لا رأيته يقهقه فى ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم. و كان إذا خلا، و نصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه، حتى البواب و السائس.

و كان قليل النوم بالليل، يحيى اكثر لياليه من أولها إلى الصبح. و كان كثير الصيام؛ فلا يفوته صيام ثلاثة أيام فى الشهر، و يقول: ذلك صوم الدهر. و كان كثير المعروف و الصدقة فى السر، و اكثر ذلك يكون منه فى الليالى المظلمة؛ فمن زعم أنه رأى مثله فى فضله؛ فلا تصدقوه ...» «۱».

و هذه الصفات بلا- شك قد أسهمت اسهاما كبيرا فى أن يكون الإمام (ع) هو الارضى فى الخاصة و العامة، و أن تنفذ كتبه فى

المشرق و المغرب، إلى غیر ذلک مما تقدم ...

الحکم لیس امتیازا و إنما هو مسئولیة:

و قد اعترض علیه بعض أصحابه؛ عند ما رآه یأکل مع خدمه و غلمانه، حتى البواب و السائس؛ فأجابه (ع): «مه؛ إن الرب تبارک و تعالى واحد، و الام واحدة، و الأب واحد، و الجزاء بالأعمال ...» «۲» ...

و قال له أحدهم: أنت و اللّه خیر الناس، فقال له الإمام: «لا تحلف یا هذا، خیر منی من کان أتقى للّه تعالى، و اطوع له؛ و اللّه ما

---

(۱) کلام ابراهیم بن العباس هذا معروف و مشهور، تجده فی کثیر من کتب التاریخ و الروایة؛ و لذا فلا نرى أننا بحاجة إلى تعداد مصادره.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۰۱، و الکافی للکلینی، و مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۳۵۹

نسخت هذه الآیة: «و جعلناکم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن اکرمکم عند اللّه اتقاکم ...» «۱».

و قال لإبراهیم العباسی: إنه لا یرى أن قرابته من رسول اللّه (ص) تجعله خیرا من عبد أسود، إلا أن یکون له عمل صالح فیفضله به «۲».

و قال رجل له: ما على وجه الأرض اشرف منک أبا. فقال:

التقوى شرفتهم، و طاعة اللّه أحظتهم «۳».

و ما نرید أن نشیر إلیه و نؤکد علیه هنا، هو أنه (ع) یرید بذلک أن یفهم الملأ: أن الحکم لا یعطی للشخص- من کان، و مهما کان- امتیازا، و لا- یجعل له من الحقوق ما لیس لغیره، و إنما الامتیاز- فقط- بالتقوى و الفضائل الاخلاقیة ... و کل شخص حتى الحاکم سوف یلقى جزاء أعماله: إن خیرا فخیر، و إن شرا فشر؛ و علیه فما یراه الناس من سلوک الحکام، لیس هو السلوک الذی یریده اللّه، و تحکم به النوامیس الاخلاقیة، و الانسانیة. و الامتیازات التی یجعلونها لأنفسهم، و یستبیحون بها ما لیس من حقهم لا یقرها شرع، و لا یحکم بها قانون ...

و بکلمة مختصرة: إن الإمام (ع) یرى: أن الحکم لیس امتیازا، و إنما هو مسئولیة ...

و على کل حال ... فان سلوک الامام (ع)، لخیر دلیل على ما کان یتمتع به من المزایا الاخلاقیة، و الفضائل النفسیة ... و یکفی أنه لم یظهر منه (ع) طیلة الفترة التی عاشها فی الحکم إلا ما ازداد به فضلا بینهم، و محلا فی نفوسهم، على حدّ تعبیر أبی الصلت. و على حدّ تعبیر شخص

---

(۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۶، و مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

(۲) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۷.

(۳) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۶. و مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۳۶۰

آخر: أقام بینهم لا- یشرکهم فی مآثم من مآثم الحکم ... بل لقد کان لوجوده أثر کبیر فی تصحیح جملة من الأخطاء و الانحرافات التی اعتادها الحکم آنئذ ... حتى لقد استطاع أن یؤثر على نفس المأمون، و یمنعه من الشراب و الغناء، طیلة الفترة التی عاشها معه، إلى آخر ما هنالک، مما لسنا هنا فی صدد تتبعه و استقصائه ...

و فى نهاية المطاف نقول:

و حسبنا هنا ما ذكرنا من الأمثلة، التى نحسب أنها تكفى لأن تلقى ضوءا كاشفا على الخطة التى اتبعها الامام (ع) فى مواجهة خطط المأمون و مؤامراته ... تلك الخطة التى كانت تكفى لأن لا تبقى الصورة التى أرادها المأمون فى أذهان الناس، و لا مبرر للشكوك لأن تبقى تراود نفوسهم ...

و لقد نجحت تلك الخطة نجاحا أذهل المأمون، و أعوانه، و جعلهم يتصرفون بلا روية، و يقعون بالمتناقضات ... حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، حسبما صرح به المأمون نفسه ... و كانت النتيجة أن دبر فيه المأمون بما يحسم عنه مواد بلائه. كما وعد حميد بن مهران، و جماعة من العباسيين ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۶۱

القسم الرّابع من خلال الأحداث

اشارة

۱- مع بعض خطط المأمون ...

۲- كاد المريب أن يقول خذونى ۳- ما يقال حول وفاة الإمام ...

۴- دعبل و المأمون ...

۵- كلمة ختامية ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۶۳

مع بعض خطط المأمون

التوجيهات الراضية غير مقبولة:

كل ما تقدم يلقى لنا ضوءا على بعض نوايا المأمون تجاه الإمام (ع)، و على كثير من الأحداث التى اكتنفت ذلك الحدث التاريخى الهام ...

و إننا حتى لو سلمنا جدلا، و غضضنا النظر عن كل تلك الأسئلة، و علامات الاستفهام التى يمكن استخلاصها مما تقدم ... فإننا لا نستطيع- مع ذلك- أن نعتبر البيعة صادرة عن حسن نية، و سلامة طوية.

و لا أن نقبل بالتوجيهات الراضية عن تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، و بعدها تجاه الإمام، الذى كان يكبر المأمون ب «۲۲» سنة، و الذى كان مجبرا على قبول هذا الأمر، و مهددا بالقتل إن لم يقبل. و لم لا يتركه و شأنه ما دام أنه لا يريد أن يتقلد هذا الشرف الذى تتهافت النفوس عليه، و تزهق الأرواح من أجله؟! ...

نعم ... إننا لا نستطيع أن نسلم بذلك، و نحن نرى منه تلك التصرفات و المواقف المشبوهة، بل و المفضوحة تجاه الإمام (ع)، و التى لا تبقى مجالا للشك فى حقيقة نواياه و أهدافه من كل ما أقدم و ما كان عاقدا العزم على الاقدام ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۶۴

و هذا الفصل معقود للحديث عن بعض تلك التصرفات، و من أجل بيان تلك الخطط ...

المأمون يفضح نفسه:

و قـد تعجب إذا قلنا لك: إن المأمون نفسه يصـرح ببعض خططه، التى كانت تصـرفاته تـدور فى فلكها، و يعلن بعض الدوافع، و يبوح ببعض النوايا تجاه الإمام، و بالنسـبة لقضـية ولايـة العهـد فإليك ما أجاب به حميـد بن مهران، و جمعا من العباسـيين، عنـد ما عاتبوه و لاموه على ما أقدم عليه، من البيعة للرضا (ع)، يقول المأمون:

«... قـد كان هـذا الرجل مستترا عنا، يدعو إلى نفسه؛ فأردنا أن نجعله ولى عهدنا؛ ليكون دعاؤه لنا؛ و ليعترف بالملك و الخلافة لنا؛ و ليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى فى قليل و لا كثير، و أن هذا الأمر لنا دونه.

و قد خشينا إن تركناه على تلك الحال: أن ينفتق علينا منه ما لا نسده، و يأتى علينا ما لا نطيقه ...

و الآن ... فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، و أخطأنا فى أمره بما أخطأنا، و أشـرفنا من الهلاك بالتنويه باسمه على ما أشرفنا؛ فليس يجوز التهاون فى أمره. و لكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا، قليلا، حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه ...»

ثم طلب منه حميـد بن مهران: أن يسـمح له بمجادلـة الإمام (ع)، ليفحمه، و ينزله منزلته، و يبين للناس قصوره، و عجزه؛ فقال المأمون: «لا شىء أحب إلى من هذا».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۶۵

ثم كانت النتيجة عكس ما كان يتوقعه المأمون و العباسيون، و أشياعهم و باءوا كلهم بالفشل الذريع، و الخيبة القاتلة «۱» ...

و الذى يعنينا الحديث عنه هنا:

هو قوله: و قـد خشـينا إن تركنـاه على تلك الحال ... إلى آخر ما نقلناه عنه آنفا؛ فإنها أوضـحت أن المأمون الـذى كان يخشـى الإمام خشـية شديدة، كان يخطط أولا إلى أخذ زمام المبادرة من الإمام، و تحاشـى الاصـطدام معه ثم كان يخطط بعد ذلك إلى الوضع منه (ع) قليلا قليلا إلى آخر ما تقدم ...

و لا يرد: أن كلام المأمون مع حميد بن مهران ظاهره: أنه لم يكن يريد فى بادئ الأمر الحط من الإمام عليه السلام، و إنما بدا له ذلك حين قوى مركز الامام عليه السلام، و استحكم أمره ... لا يرد ذلك ...

لأن كلامه هـذا لا ينفى أنه كان يريد من أول الأمر ذلك، بل هو يؤكد ذلك، لأنه يصـرح فيه: أنه إنما قدم على ما أقدم عليه، عند ما رأى افتتان الناس به عليه السـلام، فأراد أن يعمل عملا يفقد الإمام عليه السـلام مركزه، و يقضى على كل نشاطاته، و يذهب بما له من القدرة و النفوذ نهائيا، و إلى الأبد.

و لقـد تحـدثنا فيما سـبق عن بعض تصـرفاته التى تـدور فى فلك خططه تلك مثل: فرضه للرقابة على الامام (ع)، و التضـييق عليه؛ فلا يصل إليه إلا من أحب، و عزله عن شـيعته و مواليه، و أيضا تفريقه الناس عنه، عنـد ما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس، و كذلك قضـية صلاة العيد، و غير ذلك مما تقدم.

---

(۱) راجع: شرح ميمية أبى فراس ص ۱۹۶، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۷۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۸۳، و مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۹۶ ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۶۶

و نزيد هنا بعض الامور الاخرى، التى و إن كان قد سـبق الحديث عن بعضـها؛ و لكنه كان حديثا من زاوية اخرى، و من أجل استفادة أمور غير الـامور التى نحـاول اسـتفادتها منهـا هنـا ... و ذلـك أمر طبيعى، و لاـ يكون تكرارا مـا دام أن الواقعـة الواحـدة قـد يكون لها

دلالات متعددة، و افادات مختلفة ... و لذا فإننا نقول:

لما ذا علی البصرة فالأهواز:

إن من جملة الامور التی کانت من جملة خطط المأمون للتأثیر علی مکانة الإمام (ع) و حتی علی معنویاته النفسیة ... الطریق الذی أمر رجاء ابن أبی الضحاک «۱» قرابة الفضل بن سهل، و الذی کان من قواد المأمون، و ولاته- أمره- بسلوکه، عند ما أرسله لیأتی بالإمام (ع) من المدینة إلی مرو مهما کلفه الأمر ...

فقد أمره: أن یجعل طریقه بالإمام «علی البصرة، و الاهواز، ففارس. و حذره کثیرا من المرور علی طریق الکوفة، و الجبل، و قم ...» «۲».

---

(۱) و ذکر أبو الفرج، و المفید: أن المرسل هو الجلودی، و لکن الصحیح هو الذی ذکرناه ...

إذ من الخطأ أن یرسله المأمون لاحضار الرضا علیه السلام؛ لأن ذلک یضر بقضیته، و یفسد علیه ما کان دبره؛ لأنه موجب لسوء ظن الرضا علیه السلام، و العلویین، و سائر الناس، و تنبههم مبکرا لحقیقة الأمر، و واقع القضیة ...

و ذلک لأن الجلودی هو الذی أمره الرشید: أن یغیر علی دور آل أبی طالب، و یسلب نساءهم إلخ ما تقدم ... کما أنه کان عدوا متجاهرا للامام، و قد سجنه المأمون بسبب معارضته للبیعة للرضا علیه السلام بولایة العهد!! و لعل سر خطأهم هو أن الجلودی کان والیا علی المدینة من قبل المأمون، حین استقدام المأمون للامام إلی مرو، حسبما جاء فی کتاب:

الامام الرضا ولی عهد المأمون ص ۳۵.

(۲) تهذیب التهذیب ج ۷ ص ۳۸۷، و تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۱۷۶، و ینابیع المودة ص ۳۸۴، و الخرائج و الجرائح طبعة حجریة ص ۲۳۶، و اثبات الوصیة ص ۲۰۵

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۶۷

بل لقد ورد: أن المأمون قد کتب إلی الرضا نفسه، یقول له:

«لا تأخذ علی طریق الجبل و قم. و خذ علی طریق البصرة، فالأهواز، ففارس ...» «۱».

و سر ذلک واضح؛ فإن أهل الکوفة، و قم، کانوا معروفین بالتشیّع للعلویین «۲» و أهل البیت. و مرور الامام (ع) من هذین البلدین، و خصوصا الکوفة، التی کانت تعتبر من المراکز الحساسة جدا فی الدولة ... سوف

و إعلام الوری ص ۳۲۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹، ۱۸۰، و الکافی ج ۱ ص ۴۸۶، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۴۰ و البحار ج ۴۹ ص ۹۱، ۹۲ ۱۱۸ و ۱۳۴، و کشف الغمة ج ۳ ص ۶۵، و غیر ذلک کثیر.

(۱) اصول الکافی ج ۱ ص ۴۸۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۹ و ۱۸۰، و شرح میمیة أبی فراس ص ۱۶۵، و معادن الحکمة ص ۱۸۰، و إثبات الوصیة للمسعودی ص ۲۰۴، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۷۳، و البحار ج ۴۹ ص ۱۳۴.

(۲) تشیع أهل الکوفة و قم أشهر من أن یحتاج إلی بیان، أو إقامة برهان ... لکننا نورد- مع ذلک- بعض الشواهد، تبصرة للقارئ، فنقول:

أما الکوفة: فقد تقدم قول محمد بن علی العباسی أنها و سوادها شیعة علی و ولده ... و فی الطبری، و ابن الأثیر، و غیرهما تجد قول عبد اللّه بن علی للمنصور، عند ما استشاره فی أمر محمد بن عبد اللّه بن الحسن: «... ارتحل الساعة حتی تأتی الکوفة، فاجثم علی أکتافهم، فانهم شیعة أهل هذا البیت، و أنصاره الخ ...». و فی قضیة وفاة السید الحمیری، التی ذکرها المرزبانی فی کتابه أخبار السید

الحمیری دلالة واضحة علی تشیع الکوفیین، و انحراف البصریین …

و لأجل ذلک نری المأمون یستقبل و فدا من أهل الکوفة فی منتهی الغلظة و الجفاء، فراجع مروج الذهب ج ۳ ص ۴۲۱. و فی البدایة و النهایة ج ۱۰ ص ۹۳: أن المنصور قد اعترف بأن لإبراهیم بن عبد اللّه بن الحسن فی الکوفة مائة ألف سیف مغمدة، و أعرب عن مخاوفه من تشیع أهل الکوفة للعلویین، و ولائهم لهم … بل إننا لا نستبعد أن یکون بناء

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۶۸

یکون من نتیجته: أن یستقبله أهلها بما یلیق بشأنه: من الاجلال، و الاعزاز و التکریم.

و لا شک أن الإمام (ع) سوف یستطیع أن یستقطب المزید من الناس،

المنصور لبغداد هو من أجل أن یبتعد عن الکوفة، و أهلها، و یأمن علی نفسه؛ قال البلاذری فی فتوح البلدان ص ۴۰۵: «أخذ المنصور أهل الکوفة بحفر خندقها. و ألزم کل امرئ للنفقة علیه أربعین درهما. و کان ذاما لهم؛ لمیلهم إلی الطالبیین، و إرجافهم بالسلطان …».

و قد تقدم أنه عند ما ذهب إلیهم العباس بن موسی، أخو الامام الرضا علیه السلام یدعوهم للبیعة، لم یجبه إلا البعض منهم، و قال له آخرون: «إن کنت تدعو للمأمون، ثم من بعده لأخیک؛ فلا حاجة لنا فی دعوتک. و إن کنت تدعو إلی أخیک، أو بعض أهل بیتک، أو إلی نفسک أجبناک …».

و علی کل حال … فقد کانت الکوفة مصدرا لثورات کثیرة علی الامویین و العباسیین علی حد سواء، تلک الثورات التی کانت کلها تقریبا بقیادة علوی، أو داعیة إلی علوی …

و لم ینس المأمون بعد ثورة أبی السرایا التی کادت تغیر الموازین، و تقلب ماجریات الأحداث … إلی غیر ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه …

و أما تشیع القمیین، فذلک أعرف و أشهر. و قضیتهم مع جبة دعبل التی أهداه إیاها الامام لا یکاد یجهلها أحد … و عند ما طلب المأمون من الریان أن یحدث بفضائل علی علیه السلام، و أجاب بأنه لا یحسن شیئا، قال المأمون: «سبحان اللّه!! ما أجد أحدا یعینی علی هذا الأمر، لقد هممت أن أجعل أهل قم شعاری و دثاری …» ….

و لعل تشیع أهل قم هذا هو الذی دفع بالمأمون لأن یوجه إلیهم عامله علی بن هشام؛ لینکل بهم، و یحاربهم حتی یهزمهم، و یدخل البلد، و یهدم سورها، و یجعل علی أهلها مبلغ سبعة ملایین درهم، بدلا من ملیونین، و هو ما لم یکن یدفعه أی بلد آخر یضاهی بلدهم فی عدد السکان و غیر ذلک من الممیزات، فکیف بالسبعة … و مع أنه کان قد خفض الخراج عن السواد، و بعض البلدان الاخری؛ فلما سمعوا بذلک طالبوا بتخفیض الخراج عنهم أیضا؛ ففعل ذلک … و کان تخفیضه عنهم بزیادة الملیونین إلی سبعة، کما قلنا … راجع فی تفصیل ذلک: الطبری ج ۱۱ ص ۱۰۹۳، و الکامل لابن الأثیر ج ۵ ص ۲۱۲، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۵، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۹۰، و تاریخ التمدن الاسلامی مجلد ۱ جزء ۲ ص ۳۳۷، و فتوح البلدان للبلاذری ص ۴۴۰، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۶۰.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۶۹

و یؤثر علیهم بما حباه اللّه من الفضائل و الکمالات الأخلاقیة، و بما آتاه اللّه من العلم و الحکمة، و الورع و التقوی، الذی سار ذکره فی الآفاق، حتی لا یکاد یجهله أحد … و إذا کان أهل نیشابور، بل و حتی أهل مرو، معقل العباسیین و المأمون، قد کان منهم تجاه الإمام ما لا یجهله أحد …

حتی إنهم کانوا بین صارخ، و باک و متمرغ فی التراب إلخ … و حتی لقد خاف المأمون و أشیاعه علی دمائهم- إذا کان هؤلاء هکذا- فکیف تری سوف تکون حالة أهل الکوفة و قم، معقلی العلویین، و المحبین لأهل البیت، و المتفانین فیهم، لو أنهم رأوا الإمام

(ع) بينهم، و بالقرب منهم ... يقول الراوندى فى ذلك: «إن المأمون أمر رجاء بن أبى الضحاك: أن لا يمر بالإمام عن طريق الكوفة؛ لئلا يفتتن به أهلها ...» «۱»!!.

و المأمون لا يريد أن يفتتن الناس بالامام، و إنما الذى يريده هو عكس ذلك تماما ... إنه يريد أن يضع من الامام لا أن يرفع ...

أما أهل البصرة: فعثمانية، يدينون بالكف، و يقولون: كن عبد اللّه المقتول، و لا تكن عبد اللّه القاتل ... بل لقد كانت البصرة معقلا مهما للعباسيين، الذين حرق دورهم زيد النار، ابن الامام الكاظم، كما قدمنا؛ و لهذا نلاحظ: أن دور البصريين فى التشيع لم يكن يضارع دور غيرهم، لا روائيا، و لا كلاميا ...

و أما ما ربما يحتمله البعض: من أن المأمون كان يأمل أن يخرج من البصرة، أو غيرها من يخلصه من الإمام (ع) نهائيا ... فلا أرى أنه يتفق مع أهداف و أغراض المأمون، التى كان يرمى إليها من وراء لعبته تلك ...

---

(۱) الخرائج و الجرائح، طبعة حجرية ص ۲۳۶.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۷۰

الإمام يرفض كل مشاركة تعرض عليه:

إنه برغم شروط الإمام على المأمون، و التى أشرنا إليها فيما سبق، فإننا نرى المأمون كل مدة يحاول أن يجرى اختبارا للامام، ليعرف حقيقة نواياه، و أنه هل أصبح له طمع بالخلافة، و طموح لها «۱»، ليعجل عليه بما يحسم عنه مواد بلائه ... أم لا.

فكان يأتى كل مدة إليه، يطلب منه أن يولى فلانا، أو أن يعزل فلانا، أو أن يصلى بالناس ... بل لقد طلب منه بعد مقتل الفضل أن يساعده فى إدارة شئون الخلافة «۲» بحجة أنه يعجز وحده أن يقوم بأعباء الحكم، و يدير دفة السلطان!! هذا ... إن لم نقل: أنه كان يريد من وراء ذلك: أن يجعل ذلك ذريعة للقضاء على الإمام، بحجة أنه نقض الشرط، و ليكون بذلك قد قضى على العلويين جميعا، و إلى الأبد.

أو على الأقل كان يريد بذلك: أن يوجد للامام أعداء فى الأوساط ذات القوة و النفوذ ...

و أيا ما كانت نوايا المأمون و أهدافه، فإن الإمام (ع) كان يرفض ذلك كله بكل عزم و إصرار، و يذكره بالشروط تلك، و يقول له: «إن وفيت لى وفيت لک ...» ... و هذا تهديد صريح له من الإمام (ع). و لا نعجب كثيرا- بعد أن اتضحت لنا نوايا المأمون و أهدافه- اذا رأينا المأمون يتحمل هذا التهديد، بل و يخضع له، و يقول: «بل أفى لک»!! ...

---

(۱) و ما أشبه الليلة بالبارحة، فقد رأينا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، يسأل ابن عباس عن على عليه السلام: إن كان لا يزال يطمح إلى الخلافة، و يأمل فيها ... أم لا!!.

(۲) الكافى ج ۸ ص ۱۵۱، و كشف الغمة ج ۳ ص ۶۸ و ۸۷ و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۴ و ۱۶۶ و ۱۶۷، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۴ و ۱۵۵ و ۱۷۱، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۷۱

و هكذا ... فقد كان الإمام (ع) يضيع على المأمون ما كان يحسب أنه فرصة مؤاتية له، و لا يمكنه من معرفة ما يريد معرفته، و لا من تنفيذ ما يريد تنفيذه ...

الاختبار لشعبية الإمام (ع):

کما أنه کان کل مدة یقوم بعملیة اختبار لشعبیة الإمام (ع)، و لمدی ما یتمتع به من تأیید فی الاوساط الشعبیة، لیعرف إن کان أصبح (ع) یشکل خطرا حقیقیا؛ لیعجل بالقضاء علیه أم لا ... فکان کل مدة یکلفه بأن یؤمّ الناس بالصلاة للعید، أو ما شاکل ... و هذا إن دل علی شیء، فإنما یدل علی مدی ما یعتمر قلب المأمون من الخوف و الخشیة منه (ع). (راجع: السبب الثالث من فصل البیعة، و الموقف العاشر فی فصل: خطة الإمام «ع»).

سؤال ... و جوابه:

و لعلک تقول: إذا کان المأمون یخشی الإمام (ع) إلی هذا الحد؛ لما یعلمه من نفوذه و مکانته؛ فلما ذا لا یتخلص منه بذلک الاسلوب التقلیدی الذی انتهجه أسلافه من الامویین، و العباسیین، و تبعهم علیه هو فیما بعد، و کذلک من أتی بعده ... و ذلک بأن یدس إلیه شربة من السم، و هو فی المدینة، من دون أن یحتاج إلی اشخاصه إلی مرو، و البیعة له بولایة العهد، و تزویجه ابنته، إلی غیر ذلک من الامور التی من شأنها أن تعزز من مرکز الإمام، و ترفع من شأنه، و توجه إلیه الانظار و القلوب، حتی یضطر فی نهایة الأمر لأن یعود إلی ما جرت علیه عادة أسلافه، و أتباعه!!.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۷۲

و لکن الجواب علی هذا قد اتضح مما قدمناه، فإن المأمون لم یکن یرید فی بادئ الأمر موت الامام، و لا کان هو یستطیع أن یفعل ذلک.

و لو أن ذلک کان قد حدث لوقع المأمون فی ورطة، لها أول و لیس لها آخر؛ حیث إنه کان بأمس الحاجة إلی حیاة الامام (ع)؛ و ذلک لما قدمناه من الأسباب و الظروف التی کانت تحتم علی المأمون أن یلعب لعبته تلک، التی و إن کانت تنطوی علی مخاطرة جریئة، إلا أنه کان- کما قدمنا- قد رسم الخطة، و أحکم التدبیر للتخلص من الامام (ع) بمجرد أن یحقق مآربه، و أهدافه، بالطریقة التی لا تثیر شک أحد، و لا توجب تهمة أحد؛ و قد حدث ذلک بالفعل، کما سیمر علینا ...

و أما کتمه لفضائل الإمام (ع):

و من جملة الامور التی کانت تدور فی فلک خطة المأمون، التی لخصها بأنه یرید الوضع من الامام قلیلا قلیلا، حتی یصوره أمام الرعیة بصورة من لا یستحق لهذا الأمر- محاولاته کتم فضائل الامام (ع) و مزایاه عن الناس ما استطاع إلی ذلک سبیلا ... و قد تقدم: أنه عند ما سأل رجاء بن أبی الضحاک، الذی تولی إشخاص الرضا (ع) من المدینة إلی مرو، عن حال الرضا (ع) فی الطریق؛ فأخبره عما شاهده من عبادته (ع)، و زهده و تقواه، و ما ظهر له من الدلائل و البراهین، قال له المأمون: «... بلی یا ابن أبی الضحاک، هذا خیر أهل الأرض، و أعلمهم، و أعبدهم؛ فلا تخبر أحدا بما شهدت منه؛ لئلا یظهر فضله إلا علی لسانی ...»!!.

و هکذا ... فإن المأمون و إن استطاع أن یمرر الکثیر، إلا أنه لم یکن یجد بدا فی کثیر من الأحیان من أن یظهر علی حقیقته و واقعه. و هذا هو أحد تلک المواقف التی مرت و سیمر معنا بعضها، التی اضطر فیها

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۷۳

المأمون لأن یکشف عن وجهه الحقیقی ... و إن کان قد حاول- مع ذلک- أن یتستر بما لا یسمن و لا یغنی من جوع.

و لا أعتقد أن المأمون کان یجهل: أن ما یأتی به لم یکن لینطلی کله علی أعین الناس، بل کان یعلم ذلک حق العلم، و لکن کما یقولون:

«الغریق یتشبث بالطحلب».

- و لکن ... بالرغم من محاولات المأمون تلک ... فإننا نری أن فضائل الإمام و مزایاه کانت کالعرف الطیب، لم تزل تظهر، و تنتشر و

تذاع ...

بل و لعل محاولات المأمون تلک، التی کانت ترمی للحط من الإمام و اسقاطه، قد أسهمت کثیرا و ساعدت علی إظهار فضائله، و شیوعها، کما سیتضح.

الشائعات الکاذبة!!

و کان بالاضافة إلی ما تقدم یحاول ترویج شائعات کاذبة، من شأنها أن تنفر الناس من العلویین عامة، و من الإمام (ع)، و سائر الأئمة علیهم السلام خاصة ...

فهذا أبو الصلت یسأل الإمام (ع)، فیقول: «یا ابن رسول اللّه، ما شیء یحکیه الناس عنکم؟! ...

قال (ع): ما هو؟! قال: یقولون: إنکم تدّعون: أن الناس لکم عبید!!.

قال (ع): یا عبد السلام، اذا کان الناس کلهم عبیدنا- علی ما حکوه- فممن نبیعهم؟!» إلخ «۱».

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۱ قسم ۱ ص ۴۵، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۰، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۸۴.

و نری أنه (ع) یقول- و عنده جماعة من بنی هاشم، فیهم إسحاق ابن عیسی العباسی-: «یا إسحاق، بلغنی أن الناس یقولون: إنا نزعم: أن الناس عبید لنا. لا ... و قرابتی من رسول اللّه ما قلته قط، و لا سمعته من آبائی قاله، و لا بلغنی عن أحد من آبائی قاله الخ ...».

و قد تقدمت هذه الروایة فی فصل: خطة الامام ...

کما أن هشام بن ابراهیم العباسی، الذی وضعه الفضل بن سهل لیراقب الرضا (ع)، و یضیق علیه، کان یشیع عن الرضا (ع): أنه أحل له الغناء، فلما سئل (ع) عن ذلک قال: «کذب الزندیق الخ «۱» ...».

بهذه الشائعات الکاذبة، و امثالها أراد المأمون الحط من کرامة الامام و تضعیف مرکزه، و زعزعة ثقة الناس به، و بالعلویین بصورة عامة ...

و لکن کما یقولون: حبل الکذب قصیر؛ إذ أن أقوال الامام (ع) و أفعاله و جمیع جهات سلوکه، سواء قبل تولیته للعهد أو بعدها ... کانت تناقض هذه الشائعات، و تدحضها «۲» ... الأمر الذی کان من شأنه

---

(۱) رجال المامقانی ج ۳ ص ۲۹۱، و قاموس الرجال ج ۹ ص ۳۰۹، و وسائل الشیعة ج ۱۲ ص ۲۲۷، و مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۴۵۲، عن رجال الکشی ص ۴۲۲. و البحار ج ۴۹ ص ۲۶۳، عن قرب الاسناد ص ۱۹۸.

و کان هشام بن ابراهیم هذا جریئا علی المأمون؛ لأنه هو الذی رباه، و شخص إلی خراسان فی فتنة ابراهیم بن المهدی، راجع الأغانی ط ساسی ج ۹ ص ۳۱. و یسمی: العباسی مع أنه لم یکن عباسیا: إما لأن المأمون ولاه تربیة ولده العباس، أو لأنه ألف کتابا فی امامة العباس نص علی ذلک الکشی ط النجف ص ۲۲۳ و غیره.

(۲) و کیف یمکن أن نصدق مثل هذا الذی لا یقره العقل، و لا یقبل به القرآن، علی الامام الذی کان یتخذ لنفسه أسلم، و أروع منهج، ألا- و هو منهج القرآن، حتی إنه عند ما أنکر رؤیة النبی للّه تعالی، و استدل علی ذلک بالآیات، و قال له أبو قرة: فتکذب بالروایات؟! قال الامام علیه السلام: إذا کانت الروایات مخالفة للقرآن کذبتها، و ما أجمع المسلمون

أن یثیر شکوک الناس، و ظنونهم فی المأمون نفسه؛ فلم یر بدا من أن یضرب عن هذا الاسلوب صفحا، و یتجه إلی غیره بتخیل أنه

أجدى و أكثر نفعا و أقل ضررا!! ...

و بقى فى كنانته سهم أخير، كان يحسب أنه سوف يصيب الهدف، و يحقق الغاية: التى هى تشويه سمعة الامام (ع)، و الحط من كرامته ...

ألا و هو:

التركيز على افحام الامام (ع):

فبدأ يجمع العلماء، و أهل الكلام من المعتزلة، و هم أصحاب جدل، و كلام، و استدلال، و تنبه للدقائق من الامور، ليحدق هؤلاء بالرضا (ع) و تجرى فيما بينهم و بينه محاورات، و مجادلات، من أجل أن ينقصوا منه مجلسا بعد مجلس، و أن يكسروه فى أعظم ما يدعيه هو و آباؤه (ع):

من العلم و المعرفة بآثار رسول اللّه (ص)، و علومه ... و الذى هو الشرط الأعظم لإمامة الإمام، على ما يدعيه الشيعة المفتونون بالرضا (ع)، و بسائر آبائه و أبنائه الأئمة الطاهرين ...

و حتى لا يبقى من ثم مجال لأبى نؤاس لأن يقول فيه عند ما رآه خارجا من عند المأمون:

مطهرون نقيّات ثيابهمتجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبهفما له فى قديم الدهر مفتخر

عليه: أنه لا يحاط به علما، و لا تدركه الابصار، و ليس كمثله شيء ... راجع: تفسير البرهان طبعة حجرية ص ۱۰۵۷، ۱۰۵۸. نقلا عن الكافى ... و مثل ذلك كثير لا مجال لاستقصائه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۷۶اللّه لما برى خلقا فأتقنهصفّاكم و اصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملأ الأعلى و عندكمعلم الكتاب و ما جاءت به السور «۱» هذه الأبيات التى سارت بها الركبان، و التى هى تعبير صادق عن هذه الحقيقة التى أشرنا إليها، و التى كانت تقض على المأمون و كل أسلافه و أتباعه مضاجعهم، و تنغص عليهم حياتهم ... و عليه:

و إذا استطاع المأمون أن يظهر للملإ أن الإمام (ع) صفر اليدين مما يدعيه، و يدعيه آباؤه من قبل، فإنه يكون قد قضى على المصدر الأول و الأساس لكل المشاكل، و الاخطار، و ينهار المذهب الشيعى حينئذ بانهيار فكرة الامامة فيه، التى هى المحور، و الاساس له، و يتحقق من ثم- حلمه الكبير، الذى طالما جهد و شقى من أجل تحقيقه.

و أعتقد: أنه لو كان تم له ما أراد، فلسوف لا يتعرض بعد هذا للامام (ع) بسوء، و أنه كان سوف يبقى على حياته (ع) إبقاء لحجته، و أنه خال من شرائط الإمامة، و ليأفل من ثم ... نجمه، و نجم العلويين من بعده ... و إلى الأبد ...

---

(۱) شهرة هذه الأبيات تغنينا عن ذكر مصادرها، و قد أعطاه عليه السلام ما كان معه، و هو مائة دينار، و البغلة التى كان يركبها ... لكن بعض الباحثين يرى أن أبا نؤاس لم يعش إلى زمان تولى الرضا العهد، بل مات قبل ذلك بثلاث سنوات أى فى سنة ۱۹۸ ه. و من ثم هو ينكر الحادثة الاخرى، التى تقول: إن البعض لام أبا نؤاس حيث لم يمدح الامام عليه السلام، فقال أبياته المشهورة: «قيل لى أنت أشعر الناس طرا فى فنون إلخ ...».

و لكن الظاهر أن هذا الباحث لم يطلع على عبارة ابن خلكان فى وفيات الأعيان، طبع سنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۴۵۷؛ فانه قال: «و فيه (أى فى الرضا عليه السلام) يقول أيضا- و له ذكر فى شذور العقود سنة احدى أو اثنتين و مائتين-: مطهرون نقيات إلخ ...».

بل يكفى دلالة على أنه عاش إلى ما بعد ولاية العهد ذكر هذه الأبيات، و تلك له و النص على أنه قد قالها فيه عليه السلام ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۳۷۷

و من أجل ذلک- بکل تأکید- أخذ یجمع العلماء «۱» و یجلبهم من أقاصی البلدان، و یأمرهم بتهیئة أشکل المسائل و أصعبها، و طرحها على الامام (ع) علّه یقطعه عن الحجة، و لو مرة واحدة؛ لیحط بذلک من کرامته، و یشوه سمعته، و یظهر عجزه و عیه، و یرى الناس أن ما یدعیه من العلم و المعرفة بآثار رسول اللّه و علومه لا حقیقة له، و لا واقع وراءه ...

قال الصدوق علیه الرحمة: «... کان المأمون یجلب على الامام (ع) من متکلمی الفرق، و أهل الأهواء المضلة کل من سمع به؛ حرصا على انقطاع الرضا (ع) عن الحجة مع واحد منهم إلخ ...» «۲».

و قال ابراهیم بن العباس: «سمعت العباس یقول: .... و کان المأمون یمتحنه (أی یمتحن الامام (ع)-) بالسؤال عن کل شیء؛ فیجیبه الجواب الشافی ...» «۳».

و قال أبو الصلت: «... فلما لم یظهر منه للناس إلا ما ازداد به فضلا عندهم، و محلا فی نفوسهم ... جلب علیه المتکلمین من البلدان؛ طمعا فی أن یقطعه واحد منهم؛ فیسقط محله عند العلماء؛ و بسببهم یشتهر نقصه عند العامة؛ فکان لا یکلمه خصم من الیهود، و النصارى، و المجوس، و الصابئین، و البراهمة، و الملحدین، و الدهریة، و لا خصم

---

(۱) مع أنه هو نفسه قد فرق عن الإمام تلامذته، عند ما أخبروه أنه یقوم بمهمة التدریس، کما أشرنا إلیه!! ...

(۲) مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۱۰۵، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۹، و عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۹۱.

(۳) الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۲۳۷، و إعلام الورى ص ۳۱۴، و أعیان الشیعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۰۷، و یراجع أیضا: مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۵۰، و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملی ،ص:۳۷۸

من فرق المسلمین المخالفین له إلا قطعه، و الزمه الحجة، و کان الناس الخ ...» «۱».

و قال المأمون لسلیمان المروزی: «... إنما وجهت إلیک لمعرفتی بقوتک، و لیس مرادی إلا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط ...» «۲».

و تقدم قوله لحمید بن مهران، عند ما طلب منه هذا أن یولیه مجادلته؛ لینزله منزلته: «ما من شیء أحب إلیّ من هذا ...».

بل لقد صرح المأمون نفسه: بأنه کان یرید أن یجعل من جهل الامام- نعوذ باللّه- ذریعة و وسیلة إلى خلعه؛ لیشتهر بین الناس أنه قد خلع بسبب جهله، و قلة معرفته؛ فقد ورد أنه عند ما أخبره الرضا بصفات حمل جاریته، قال المأمون:

«فقلت فی نفسی هذه و اللّه فرصة؛ إن لم یکن الأمر على ما ذکر، خلعته؛ فلم أزل أتوقع أمرها إلخ ...» «۳».

إلى غیر ذلک مما قد امتلأت به کتب الأخبار و السیر ...

و حتى مع الامام الجواد قد حاول ذلک:

و لا نستبعد أیضا: أن یکون قد حاول أن یلعب نفس هذه اللعبة مع

---

(۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹، و مثیر الاحزان ص ۲۶۳، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۰، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۲۸، و شرح میمیة أبی فراس ص ۲۰۴.

(۲) البحار ج ۴۹ ص ۱۷۸، و عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۱۷۹، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۹۷.

(۳) الغیبة للشیخ الطوسی ص ۴۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۲۴، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۷، و مناقب آل أبی طالب ج ۴ ص ۳۳۳ عن الجلاء و الشفاء ...

هذا ... و لا بأس بملاحظة قوله: إنها و اللّه فرصة!! ... الدالة على أنه كان يتحين الفرص لذلك.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۷۹

الإمام الجواد (ع) أيضا، و الذى كان لا يزال صغير السن؛ فأغرى العباسيين بأن يقفوا ذلك الموقف؛ ليفسح المجال ليحيى بن أكثم ليطرح مسائله الصعبة على الإمام الصغير؛ ليعجز عنها، و يظهر للملإ: أن إمام الشيعة طفل صغير، لا يعلم و لا يعقل شيئا، و ان كل ما يدعونه فى الامام ما هو إلا زخرف باطل، و ظل زائل ...

و يلاحظ: أنه قام بهذه اللعبة قبل أن يسلم إليه ابنته، التى كان قد عقد له عليها فى حياة أبيه الرضا (ع)، و جعل شرط تسليمها أن يغلب يحيى بن اكثم و يجيبه على مسائله!! و معنى ذلك: أنه لو توقف و لو فى مسألة واحدة لامتنع عن اعطائه زوجته، و كانت النتيجة هى: أن يشتهر ذلك بين الناس كلهم، و يصبح حديث كل الندوات و المحافل أن سبب عدم تسليمه زوجته هو جهله و عيّه ...

لكن الامام الجواد كان كأبيه قد أعاد على المأمون كيده و مكره، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ... و لقد سبقه إلى ذلك المنصور مع الامام الصادق (ع)؛ حيث أمر أبا حنيفة بتهيئة مسائل صعبة يلقيها على الامام؛ لأنه رأى أن الناس قد فتنوا به «۱» ... و جرى على منواله فى ذلك المعتصم مع الجواد أيضا، و غيره مع غيره ... و كان اللّه هو المؤيد و الناصر و المسدد ...

ملاحظة لا بد منها:

و مما يلاحظ هنا: أننا لا نجد أثرا لهذه المجالس العلمية و المناظرات، الكلامية للمأمون!! بعد موت الإمام (ع)، فبعد أن مات (ع) بسم المأمون، و هدأت ثائرة العلويين و الشيعة، أو صد الباب كليا تقريبا،

---

(۱) راجع: البحار ج ۴۷ ص ۲۱۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸۰

و انصرف عن ذلك نهائيا ... اللهم إلا بعض مناظرات نادرة و محدودة جدا فى بغداد، لا تقاس بتلك التى كانت تجرى فى مرو على الاطلاق ...

الإمام يقول: المأمون سوف يندم:

هذا ... و لم يكن من الغريب: أن يعلم الرضا (ع) بمقاصد المأمون، و حقيقة نواياه من مثل هذه التصرفات، و كان (ع) يقول: «... إذا سمع احتجاجى على أهل التوراة بتوراتهم، و على أهل الانجيل بإنجيلهم، و على أهل الزبور بزبورهم، و على الصابئين بعبرانيتهم، و على أهل الهرابذة بفارسيتهم، و على أهل الروم بروميتهم، و على أصحاب المقالات بلغاتهم؛ فإذا قطعت كل صنف، و دحضت حجته، و ترك مقالته، و رجع إلى قولى، علم المأمون أن الموضع الذى هو بسبيله ليس بمستحق له؛ فعند ذلك تكون الندامة منه ...» «۱».

نعم ... إنه سوف يندم كثيرا عند ما يرى: أن كل ما كان يدبره ينقلب عليه، و يؤدى إلى عكس النتيجة التى كان يرجوها منه ... حتى إن الناس كانوا يقولون: «و اللّه، إنه أولى بالخلافة من المأمون. فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه؛ فيغتاظ و يشتد حسده ...» «۲» ...

و هكذا ... فإن هذا القول يعتبر تحقيقا لنبوءة الإمام: من أن المأمون سوف يندم، إذا علم أن الموضع الذى هو بسبيله ليس بمستحق له ...

و لقد علم المأمون، و لكن بعد فوات الأوان بذلك، و بأنه قد ساعد بأعماله تلك على اتساع القاعدة الشعبية للإمام (ع)، و إظهار مزاياه

(۱) مسند الامام الرضا ج ۲ ص ۷۵، و البحار ج ۴۹ ص ۱۷۵، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۵۶.
(۲) كشف الغمة ج ۳ ص ۸۷، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۸۱

و فضائله، التى كان يجهد المأمون فى طمسها و إخفائها، بل لقد ساعد على ترسيخ عقيدة الشيعة فى نفوسهم، و شد إليها قلوب الكثيرين؛ حيث قد ثبت بالفعل: أن الإمام أعلم أهل الأرض على الاطلاق و أفضلهم و أتقاهم إلى آخر ما هنالك من الكمالات و الفضائل الأخلاقية، و لم يعد ذلك مجرد دعوى لا يدعمها دليل، و لا يؤيدها برهان ...

و كان على المأمون أن يتبع أسلوبا جديدا، يضمن له تحقيق غاياته فى التخلص من الإمام (ع)، و القضاء عليه اجتماعيا، و نفسيا، بل و حتى جسديا أيضا ...

و بقى فى كنانته سهم آخر، ظن أنه سوف يحقق له ما عجز كل ما سواه عن تحقيقه ... ألا و هو:

الاقتراح العجيب:

و كل قضايا المأمون تثير عجبا، و هو أن يذهب الإمام إلى بغداد، و قبل أن نتكلم عن هذا الاقتراح العجيب ... يحسن بنا أن نتكلم عن بغداد أولا، و عن موقفها من البيعة للرضا (ع)، و عن ردة الفعل فيها تجاه هذا الفعل الذى أقدم عليه المأمون من دون رضا منها ... فنقول:

موقف بغداد من المأمون و البيعة للرضا (ع):

تعتبر بغداد أهم معقل للعباسيين على الاطلاق و هى عاصمتهم، و حصنهم، الذى يلوذون به، و يلجئون إليه ...

و العباسيون هم الذين نقموا على المأمون بسبب جعل ولاية العهد للرضا (ع)، و خلعوا المأمون بمجرد سماعهم لذلك النبأ الذى نزل عليهم نزول

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۸۲

الصاعقة، فشغبوا فى بغداد، و أخرجوا الحسن بن سهل منها، و بايعوا لإبراهيم بن المهدى، المعروف: بابن شكلة المغنى، الذى كان عاملا للمأمون على البصرة «۱»، و الذى كان من ألدّ أعداء الإمام على بن أبى طالب و ولده ...

و موقف بغداد هذا لم يكن ليخفى على أحد، فكيف يخفى على المأمون، و قد رأينا: أن الإمام نفسه يخبر المأمون: بأن الناس- يعنى العباسيين، و مواليهم «۲»- ينقمون عليه مكان الإمام منه، و مكان بيعته له بولاية العهد «۳».

و الفضل بن سهل أيضا قال للمأمون: «... ثم أحدثت هذا الحدث الثانى إنك جعلت ولاية العهد لأبى الحسن، و أخرجتها من بنى أبيك.

و العامة و العلماء، و الفقهاء، و آل عباس، لا يرضون بذلك. و قلوبهم

(۱) مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ص ۲۸.
(۲) لأنهم هم فقط الذين كانوا ينقمون ذلك عليه، كما تدل عليه النصوص التاريخية. و لم يشر التاريخ، و لو من بعيد إلى شىء من ذلك من غيرهم على الاطلاق، بل نص على عكس ذلك كما عرفت، حتى من أهل بغداد أنفسهم ...
(۳) الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۲۵، و ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۹، و الكامل لابن الأثير ج ۵، و غير ذلك ...

و قال فی النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۷۴: «أنه بسبب ولایة العهد للرضا قامت الفتن، و اضطربت البلاد»، و قریب منه ما فی مقدمة ابن خلدون ص ۲۱۱، و واضح: أن ذلک قول مبالغ فیه ... حیث لم یحدث بسبب البیعة شیء أصلا إلا فی بغداد، و أما سائر البلاد، فقد خمدت الثورات فیها، و استوسقت للمأمون کما نص علیه الذهبی، و غیره حسبما تقدم، و حتی فی بغداد نفسها کان أکثرها یؤید المأمون فی ذلک باستثناء العباسیین، و من لف لفهم؛ قال فی تاریخ أبی الفداء ج ۲ ص ۲۲: «و امتنع بعض أهل بغداد عن البیعة» ... و یتفق المؤرخون: علی أن بغداد انقسمت إلی قسمین: قسم یقول: نلبس الخضرة، و نبایع، و قسم یأبی ذلک. إلی أن غلب الممتنعون؛ لأن من بینهم رجال الدولة، و بایعوا لإبراهیم بن المهدی ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸۳

متنافرة عنک، و الرأی: أن تقیم بخراسان، حتی تسکن قلوب الناس علی هذا إلخ ...» «۱».

و سیأتی أن المأمون قد کتب للعباسیین، بعد وفاة الإمام: أن الأشیاء التی کانوا ینقمونها علیه قد زالت ... إلی غیر ذلک مما لیس فی تتبعه کثیر فائدة ...

و أما نصب ابن شکلة:

لقد رضی العباسیون بابن شکلة حاکما علیهم، مع علمهم بانحرافه عن علی، و نصبه، بل لعل هذا هو أحد المرجحات لاختیارهم له ... و یکفی دلالة علی انحرافه عن علی (ع)، و ولده ما تقدم: من أن المأمون کان یظهر التشیع، و ابن شکلة یظهر التسنن «۲»، و أنه غیر المأمون بتشیعه فقال:

إذا الشیعی جمجم فی مقالفسرک أن یبوح بذات نفسه

فصل علی النبی و صاحبیهوزیریه و جاریه برمسه و غیره المأمون بنصبه، فقال:

إذا المرجی سرک أن تراهیموت لحینه من قبل موته

فجدد عنده ذکری علیوصل علی النبی و أهل بیته «۳» و قال ابراهیم هذا مرة للمأمون: إن علیا لیس من البلاغة فی شیء؛

---

(۱) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۶۶. و واضح أن من مصلحة الفضل: أن یضخم الأمر و یهول به علی المأمون؛ لأنه یرید أن یردعه عن الذهاب إلی بغداد، التی یعرف أنه سوف یتعرض فیها لأهوال و أخطار قد لا یکون له القدرة علی تحملها. الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ۳۸۳ و أما نصب ابن شکلة: ..... ص : ۳۸۳

(۲) استعمال المسعودی لکلمة «التسنن» هنا یفند ما ادعاه أحمد أمین المصری: من أنه هو المصطنع لهذه الکلمة، و أول من استعملها ... و الظاهر أنه قرأها فیه أو فی النجوم الزاهرة، أو وفیات الأعیان ترجمة علی بن الجهم أو غیرها ... ثم نسی.

(۳) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷ و راجع ص ۲۳۱/ ۲۳۲ من هذا الکتاب.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸۴

حیث إنه رآه فی منامه، فسأله مسألة؛ فقال له الإمام (ع): «سلاما سلاما» ... فعند ما أفهمه المأمون: أنه (ع) یشیر بذلک إلی قوله تعالی: «و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» خجل، و ندم علی إخباره المأمون بما کان «۱» ...

و عن صلاح الدین الصفدی فی شرح الجهوریة: أنه لما مات ابراهیم ابن المهدی سأل الواثق عن وصیته؛ فوجده قد أمر بمال عظیم: أن یفرق علی أولاد الصحابة، إلا أولاد علی (ع)؛ فقال الواثق: «و اللّه، لو لا إطاعة أمیر المؤمنین لما وقفت علیه، و لا انتظرت دفنه»، ثم انصرف الواثق و هو یقول: «منحرف عن شرفه، و خیر أهله؛ و اللّه، لقد أدلیته فی قبره کافرا.» «۲».

إلی غیر ذلک من الدلائل و الشواهد التی یطول بذکرها المقام ...

المأمون ... هو الذی ینقل لنا اقتراحه العجیب:

و لکن رغم موقف بغداد ذاک، و رغم أنه کان یعلم به، و یعلم بکل ما جری فی بغداد بسبب جعله ولایة العهد للرضا نری المأمون یحاول أن یرسل الامام إلی بغداد، لیکون وجها لوجه مع ألد أعدائه العباسیین، و فی نفس معقلهم، و محل قوتهم، و حیث لهم کل النفوذ و السیطرة.

یرسله- وحده!!- و یبقی هو خلیفته فی خراسان ...

و یرفض الامام، و یصر علی الرفض، حتی یئس المأمون من قبوله ...

یقول المأمون: «رحم اللّه الرضا (ع)، ما کان أعلمه، لقد

---

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۳ ص ۲۷۱، و نزهة الجلیس ج ۱ ص ۴۰۳.

(۲) نزهة الجلیس ج ۱ ص ۴۰۴.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸۵

أخبرنی بعجب. سألته لیلة، و قد بایع له الناس، فقلت: جعلت فداک، أری لک أن تمضی إلی العراق، و أکون خلیفتک بخراسان؛ فتبسم، ثم قال: لا ... لعمری ...» إلی أن یقول المأمون: «فجهدت الجهد کله، و أطمعته فی الخلافة، و ما سواها، فما أطمعنی فی نفسه ...» «۱».

و لما ذا هذا العرض:

عجیب إذن!! ... هکذا أصبحت الخلافة رخیصة إلی هذا الحد!! الخلافة ... التی لم یکن یعدلها عنده فی الدنیا شیء!!. الخلافة ... التی قتل من أجلها المئات و الالوف!!، و خرب المدن و دک الحصون!! ...

و التی قتل من أجلها أخاه، و من معه، و قواده، و وزراءه!! ... الخلافة هذه ... أصبحت رخیصة إلی حد أنه یبذلها- حسب منطقه- لرجل غریب!!، و فی مقابل أی شیء؟! فی مقابل أن یذهب إلی العراق!!.!.

و لقد عرفنا الخلافة التی بذلها، لکن ما سواها لم نستطع أن نعرفه بالتحدید!!.

و لما ذا یجهد الجهد کله؟! و لما ذا یبذل الخلافة؟!، و لما ذا یبذل ما سواها؟! لما ذا کل ذلک؟!!. أ لیس هو ذا القوة و السلطان؟!؛ فلم لا یجبر الإمام (ع) علی ذلک، کما أجبره علی قبول ولایة العهد؟!! ...

أ لم یکن باستطاعته أن یرسله مقیدا مصفدا بالحدید؟!! ... و لما ذا یسمح له بأن یعصیه و یخالف أمره؟! ... أ فلا یعتبر ذلک جریمة یستحق علیها أقسی العقوبات؛ باعتبار أنه یعرض الخلیفة و الخلافة، و هیبتهما للخطر؟! ...

---

(۱) الغیبة للطوسی ص ۴۸، و مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۷، و البحار ج ۴۹ ص ۵۸ و ۱۴۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸۶

نعم ... إنه یرید أن یذهب الإمام إلی بغداد، و لکنه یرید فی نفس الوقت أن یذهب راضیا و غافلا عما یهدف إلیه المأمون من وراء ذهابه هذا ... و إلا فإن ذهابه لن یجدیه نفعا؛ لأنه قد جرب معه الاکراه و الاجبار من قبل، فی قضیة ولایة العهد، و رأی أن الإمام قد اتخذ ذلک وسیلة من الوسائل المضادة، من أجل تضییع الفرصة علی المأمون ...

کما أن بذله للخلافة لم یکن مجازفة بها؛ لأنه کان مطمئنا إلی أن ما یبذله الیوم سوف یعود إلیه غدا ... و بالشکل الأفضل و الأکمل؛

لو أن الإمام (ع) قبل منه ما كان عرضه عليه ...

نعم ... إنه يريد أن يرسله إلى العراق- بغداد- و طلب منه أن يذهب وحده، و يبقى هو خليفة له فى خراسان؛ ليواجه المحنة، التى لن يكون له القدرة على تحملها، و الصمود فى وجهها ... و يتخلص المأمون منه بذلك من أهون سبيل ...

المأمون يتحرك نحو بغداد بنفسه:

لكن رفض الامام القاطع جعله يفكر فى الأمر بنحو آخر؛ فلقد تحرك هو بنفسه نحو بغداد، مصطحبا معه وزيره الفضل بن سهل و ولى عهده الامام الرضا (ع)، الذى كان هو الشجا المعترض فى حلق المأمون ...

و لقد كان من الممكن: أن يحتفظ بهما حتى يدخلوا بغداد، فتقوم قائمة بنى العباس، و يثورون، و يعصفون، و تعم الفوضى، و يختل النظام ... و قد يتخلص المأمون حينئذ من الامام (ع) على يد من يرتفع به حقده، و يخرجه غضبه عن طوره ...

و إن لم يكن ذلك، و جبنوا عن الإقدام عليه ... و بعد أن يكون الناس قد رأوا أن وجود الامام- و ليس قتل الأمين- هو المانع و العائق

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:٣٨٧

من عودة المياه إلى مجاريها بين المأمون، و بين العباسيين بنى أبيه، الذين أصبح يرى الناس: أن لهم- كغيرهم- الحق فى الخلافة ... فإن المأمون سوف يجد- من ثم- العذر و المبرر لخلعه من ولاية العهد؛ من أجل أن تستقر البلاد، و تذهب الأحقاد و الإحن، و تعود الامور إلى حالتها الطبيعية بينه و بين بنى أبيه، و المحبين و المتشيعين لهم ... و لتكون هذه- و بعد ملاحقتها بحملة دعائية واسعة- ضربة قاضية لسمعة الامام، و طعنة نجلاء فى كرامته، سوف يسعد المأمون بها أيّما سعادة ...

لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين:

لقد كان من الممكن ذلك ... و لكن المأمون لم يكن يثق بالعباسيين، الذين فى بغداد، أن يتفهموا حقيقة موقفه، و يدركوا ما ترمى إليه مخططاته ... فقد يثورون ضده هو، و يوصلون إليه ما يسوؤه و يزعجه؛ كما حدث ذلك من قبل ... فهو مع أنه لم يبايع للرضا بولاية العهد، إلا من أجل أن يحقن دماءهم، و مع أنه كان يدبر الأمر ليدوم لهم، و لعقبهم من بعدهم ... إلا أنهم لم يدركوا ذلك رغم أنه كتب إليهم به صراحة ... و استمروا على مناوءته و محاربته ...

و لا كان واثقا من سكوت الامام (ع):

كما أنه كان يخشى أن الامام، الذى رأى المأمون منه العجائب، و الذى أصبح قريبا من العباسيين، و أشياعهم، و قريبا من محبيه و مواليه أيضا- كان يخشى أن يتمكن- من قلب ما يدبره، و يخططه، و جعله وبالا عليه ... و قد تقدم ان أباه موسى (ع) قد أفسد على الرشيد قلوب شيعته، رغم أنه كان فى سجونه و تحت نظره و مراقبته الدقيقة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:٣٨٨

كما أنه لم ينس بعد أبدا: أنه قد أفسد عليه جلّ، إن لم يكن كل مؤامراته، و تدبيراته ... بل لقد كان يجعلها كلها فى صالحه هو، و دمارا، و وبالا على المأمون مدبرها، و مخططها الحقيقى ...

و قد يكون الامام مستعدا لقبول اقتراح من المأمون بالتنحى عن ولاية العهد. و لكن ذلك و لا شك سوف يعيد الامور إلى سيرتها الاولى. بل سوف يزيد الأمر تعقيدا، و الوضع خطورة عما كان عليه قبل البيعة له (ع) بولاية العهد. و لن يسكت العلويون و لا الخراسانيون، بل حتى و لا العرب عن أمر كهذا. و لن يعيد الامور إلى سيرتها الاولى بيعة أو مناورة أخرى من أى نوع كانت، و على

أی مستوی کانت.

کیف یخرج المأمون من المأزق إذن؟!

و هکـذا ... و بعـد أن رأی المأمون نفسه قـد فشل فی تحقیق الجزء الأهم من خطته، ألا و هو أن یضع منه (ع) قلیلا قلیلا، حتی یصوره أمام الرعیـة بصورة من لا یسـتحق لهـذا الأمر ... بل لقـد رأی نفسه یحصـد غیر ما یزرع، و أن النتائج التی کان یحصل علیها هی تماما عکس ما کان ینتظر و یؤمل؛ و ذلک بسبب وعی الإمام و حنکته، و یقظته ...

و رأی أنه قد حارب الإمام بجمیع الاسلحة التی کان یمتلکها، من المکر و الخدیعة، و الدهاء إلخ ... لکن أسلحة الإمام کانت أمضی و أقوی من کل ما کان یمتلکه المأمون. و من أین للمأمون علم الامام و زهده، و تقواه و فضله، و فضائله النفسیة، و شخصیته الفذة، و سائر صفاته و خصاله الحمیدة، صلوات اللّه و سلامه علیه؟ ...

و إذا کان قـد تأکـد لدیه أن محاولاته تلک لم تکن تثمر إلا أن یزداد الامام رفعة بین الناس، و محلا فی نفوسـهم، و إلا اتساع قاعدته الشعبیة

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۸۹

باطّراد. و أنه هو نفسه قد ساعد علی اتساعها ... حتی لقد اضطر هو نفسه لأن یستجیر بالامام لینقذه من أولئک الذین شغبوا علیه بسبب قتله الفضل ابن سـهل ... إلی آخر ما هنالک مما قدمناه ... إذا کان کذلک. فإنه قد أصـبح یری نفسه مسـتحقا لذلک التأنیب القاسـی الذی تلقاه من حمید بن مهران، و جمع من العباسیین؛ حیث قال له حمید: «... ما أخوفنی أن یخرج هذا الأمر عن ولد العباس إلی ولد علی، بـل مـا أخوفنی أن یتوصـل بسـحره إلی إزالـة نعمتک، و التوثب علی مملکتک. هل جنی أحـد مثل جنایتک؟!» ... و قـد تقـدم جواب المأمون لهم فی أول هذا الفصل؛ فلا نعید ...

و یلاحظ هنا: أن قول حمیـد بن مهران: «ما أخوفنی أن یخرج هـذا الأمر عن ولـد العباس إلی ولـد علی» قـد کان بعد البیعة للرضا (ع) بولایة العهد؛ فکأنه کان علی علم بخطة المأمون، و أهدافه من البیعة!! ...

نعود فنقول: إنه کما أصـبح یری نفسه مستحقا لذلک التأنیب القاسی أصبح أیضا یری: أن من الضروری العثور علی وسیلة تسهل علیه الخروج من ذلـک المـأزق الحرج، الـذی أوقع نفسه فیه ... حتی لاـ ینتهی به الأـمر إلی تلـک النهایـة المرعبـة، التی کـان یخشاها کل الخشیة، و تمتلیء نفسه فرقا و رعبا منها ...

فما هی تلک الوسیلة؟!، و أین یجدها؟! و هل یستطیع أن یحصل علیها؟! و کیف؟؟ ...

... و لقد وجد الوسیلة و هی سهلة جدا، و لکنها غیر مأمونة العواقب، و هذه الوسیلة هی:

تصفیة الإمام (ع) جسدیا:

و التدبیر فیه- و بسرعة- بما یحسم عنه مواد بلائه ... و واضح:

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۹۰

أن قتل الإمام (ع) جهارا سوف یثیر مشاعر العلویین و الشیعة، سواء من الخراسانیین، أو من غیرهم، بل هو یثیر الامـة بأسـرها. و لسوف یعطیهم، و خصوصا العلویین الفرصة، بل و الحق فی القیام بوجه نظام الحکم من جدید ... و بکلمة ... سوف یخسر المأمون حینئذ کل ما کان یری نفسه أنه قد ربحه، هذا إن لم تکن النتیجة أسوأ من ذلک بکثیر ...

و أسوأ مما یتصور.

و إذن ... فلا بد للقضاء علی الإمام من إعمال الحیلة، و احکام الخطة، و دراستها دراسة کافیة و وافیة.

قضية حمام سرخس:

و حاول أن يقضـى على الامام (ع)، و الفضل معا، مرة واحـدة فى حمام سـرخس. و لكن يقظة الامام (ع)، و وعيه قد حال دون ذلک؛ حيث إنه رفض الذهاب إلى الحمام. و أصر المأمون بدوره على ذلک، و أعاد عليه الرقعة مرتين!!. لکن الامام قد بيّن له بيانا قاطعا: أنه لن يـدخل الحمـام بـأى وجه من الوجوه ... كما أنه (ع) قـد حاول أن يـدفع المكيـدة عن الفضل؛ فقال للمأمون: «و لا أرى للفضل أن يـدخل الحمـام غـدا ...». لكن المأمون يصـر على أن يـدخل الفضل الحمام، و يمتنع من تحـذيره؛ حيث قال للامام: «و أما الفضل فهو أعلم و ما يفعله ...» «۱».

مقتل الفضل بن سهل:

و نجح المأمون فى تنفيذ أحد جزئى مهمته، و فشل فى تنفيذ الجزء

---

(۱) قد تقدم بعض مصادر هذا النص فى فصل: شخصية الامام الرضا، عند ذكر التجاء المأمون إلى الرضا (ع) عند ما شغب عليه الجند، بسبب مقتل الفضل.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۹۱

الآخر، و الأهم منها؛ فقد نجا الامام (ع) بفضل وعيه و يقظته، و وقع الفضل فى الشـرک وحده و قتل بتدبير من المأمون، فرضى بذلک العباسيون. و قتل قتله، فرضى الحسن بن سهل، و الخراسانيون.

و مجمـل قضـية قتل الفضل هنا: «أن المأمون لما رأى إنكار الناس ببغـداد لما فعله من نقل الخلافـة إلى بنى على، و أنهم نسـبوا ذلک إلى الفضل بن سـهل، و رأى الفتنة قائمة و لا يسـتطيع أن يقتل الفضل جهارا لمكان أخيه الحسن بن سهل، و كثرة من معه من الرجال «۱» فأعمل الفكرة فى ذلک، و دس جماعة لقتل الفضل ...

و الذين قتلوا الفضل كانوا خمسة اشخاص من حشم المأمون، أحدهم:

خاله غالب؛ فأخذوا و جىء بهم إليه؛ فقالوا: أنت أمرتنا بقتله!! ...

فقـال لهم: أنـا أقتلكم باقراركم، و أما ما ادعيتموه: من أنى أنا أمرتكم بـذلک؛ فـدعوى ليس لها بينـة. ثم أمر بهم فضـربت أعناقهم، و حمـل رءوسـهم إلى الحسن أخى الفضل، و أظهر الحزن عليه ...» «۲»!! كما أنه قـد اقصـى قوما من قواده سـماهم الشامتة؛ و اظهر عليه أشـد الجزع كما نص عليه اليعقوبى. و واضـح أن قتله لقتلة الفضل، ثم إرساله رءوسـهم إلى الحسن، ثم إظهاره للحزن عليه لخير دليل على دهائه و حنكته السياسية ...

بل ذكر المسعودى، و يظهر ذلک من غيره أيضا: أن المأمون قتل

---

(۱) راجع لطف التدبير ص ۱۶۴- ۱۶۶.

(۲) راجع فى ذلک: الآداب السلطانية ص ۲۱۸، و تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۴۹، و لطف التدبير ص ۱۶۴- ۱۶۶ و مآثر الانافة ج ۱ ص ۲۱۱، و الكامـل لابن الأثير ج ۵ ص ۱۹۱ و ۱۹۲، و الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۲۷، و وفيات الأعيان، طبع سـنة ۱۳۱۰ ج ۱ ص ۴۱۴، و مرآة الجنان ج ۲ ص ۷، و اثبات الوصية ص ۲۰۷.

و ليراجع تجارب الامم ج ۶ ص ۴۴۳.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۹۲

الفضل بن سهل بیده، و أنه باشر قتله بنفسه «۱»، و لعله اتهم هؤلاء من أجل أن یبعد التهمة عن نفسه لاسباب سیاسیة لا تکاد تخفی و من أهمها أن لا یفسد علیه الحسن بن سهل و من معه و الخراسانیین.

و تحسن الاشارة هنا إلی ما قدمناه من عرض المأمون علی الفضل أن یزوجه ابنته- علی الرغم من استهجان تزویج بنات الخلفاء من غیر ذوی قرباهم، فرفض الفضل العرض، و شکر المأمون، و جهد المأمون الجهد کله فی اقناعه، فلم یفلح!!. و قال له: لو صلبتنی ما فعلته «۲».

فإن عرضه هذا، و جهده فی اقناعه ما کان إلا شرکا منه للتجسس و الایقاع بالفضل علی یدها، کما فعل بالجواد و الرضا (ع) ... و عند ما لم یفلح فی اقناع الفضل، و فشلت مؤامرته، دبّر قضیة حمام سرخس، و نجح فی تدبیره ذاک کما عرفنا ...

و قبل أن نمضی فی الحدیث یحسن بنا أن نشیر الی ما ذکره الاصفهانی فی أغانیه، فیما یتعلق بمقتل الفضل، حیث قال ما ملخصه: إن ابراهیم ابن العباس الشاعر کان من خواص الفضل بن سهل. و جعله کاتبا لعبد العزیز بن عمران؛ فلما دبر المأمون قتل الفضل، و ندب إلیه عبد العزیز ابن عمران. علم ابراهیم بذلک، فأخبر به الفضل، فأظهره للمأمون، و عاتبه علیه ... و بعد قتل المأمون للفضل و لقتلته سأل من أین سقط الخبر للفضل؛ فعرف أنه من جهة ابراهیم؛ فطلبه؛ فاستتر، و تحمل ابراهیم بالناس علی المأمون. و جرد فی أمره هشام الخطیب المعروف بالعباسی،

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷، و یظهر أیضا من: الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۸.

(۲) الوزراء و الکتاب ص ۳۰۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۹۳

و کان جریئا علی المأمون، لأنه رباه، فلم یجبه المأمون الی ما سأل «۱».

إلی آخر ما قال.

ظاهرة قتل الوزراء:

و تحسن الاشارة هنا: إلی أن قتل الوزراء کان ظاهرة شائعة فی حیاة الخلفاء العباسیین؛ حتی إن أحمد بن أبی خالد الأحول امتنع بعد مقتل الفضل عن قبول اسم «وزیر»، مع قبوله بالقیام بکل أعمال الوزیر و وظائفه ...

و هنا لطائف و ظرائف تتعلق بهذا المطلب، لیس هنا محل ذکرها ...

و لنعد الآن للحدیث عن موقف المأمون فنقول:

لا بد من العودة الی سنة معاویة:

إنه رغم فشل المأمون فی قضیة حمام سرخس، لم ییأس، و لم یهن فی الوصول إلی ما کان یطمح إلی الوصول إلیه؛ فاستمر یعمل الحیلة و یدبر المکیدة للإمام (ع).

و کان علیه: أن لا یعرض نفسه للخطأ الذی وقع فیه فی قضیة الفضل؛ حیث أعلن القتلة فی وجهه بأنه هو الذی أمرهم بقتله؛ مما کان سببا فی ثورة الجند علیه، و تعرض لخطر عظیم جدا، لو لم یلتجئ الی الامام، الذی أنقذ موقفه، و فرق الناس عنه، کما تقدم ...

و لم یر وسیلة أسهل و أسلم من تلک التی سنها سلفه معاویة، الذی

---

(۱) الأغانی ط الساسی ج ۹ ص ۳۱.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۹۴

قدمنا فى فصل: آمال المأمون و آلامه: أن المأمون قد ارتضى سيرته، ورد سيرة أبى بكر و عمر و على و هذه الوسيلة هى: «السم» ... و دسّ إليه السم فى العنب، أو فى ماء الرمّان، و مضى الإمام (ع) شهيدا، صابرا محتسبا ... و هذه هى نفس الطريقة التى تخلص بواسطتها، من قبل: من محمد بن محمد، صاحب أبى السرايا، و لا نستبعد أنه قد دبر مثل ذلك فى محمد بن جعفر، الذى مات هو الآخر- كالرضا (ع) و الفضل بن سهل- فى طريق بغداد «۱».

كما و يلاحظ: أنه لما مات محمد بن جعفر نادى منادى المأمون: «ألا لا تسيئن الظن بامير المؤمنين؛ فان محمد بن جعفر جمع بين أشياء فى يوم واحد. و كان سبب موته أنه جامع و افتصد، و دخل الحمام فمات» «۲» و هكذا ... مات اللذان تكرههما بغداد، فى نفس طريق بغداد ... و لم يعد هناك ما يعكر صفو العلاقات بينه، و بين بنى أبيه العباسيين و أشياعهم، و أصبح باستطاعته ان يكتب إليهم: «... إن الأشياء التى كانوا ينقمونها عليه قد زالت، و أنهم ما نقموا عليه إلا بيعته لعلى بن موسى الرضا (ع)، و قد مات؛ فارجعوا إلى السمع و الطاعة، و انه يجعل ولاية العهد فى ولد العباس ...» «۳».

---

(۱) و لعل ابن قتيبة يشير إلى هذا فى معارفه طبع سنة ۱۳۰۰ ص ۱۳۳ حيث يقول: «و ظفر بمحمد بن جعفر، فحمله إلى المأمون مع عدة من أهل بيته، فلم يرجع منهم أحد ...»!!.

و لكننا نراه مع ذلك، عند ما يؤتى بجنازة محمد بن جعفر قد نزل بين العمودين، و حمله! و قال: هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة، و صلى عليه و قضى دينه!!! ... بل إننا لا نستبعد أن يكون هو المدبر لشائعة غلبة السوداء على الحسن بن سهل أخى الفضل. و هكذا ... فيكون قد قضى على كل أولئك الذين تكرههم بغداد و تخشاهم، و تخلص منهم واحدا بعد الآخر.

(۲) تاريخ جرجان ص ۴۰۴.

(۳) راجع فى ذلك: الطبرى ج ۱۱ ص ۱۰۳۰، و البداية و النهاية ج ۱۰ ص ۲۴۹،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۹۵

فرجعوا إليه، و انقادوا له، و لكن بعد التخلص ممن كان يكره و يكرهون، و يخاف و يخافون ...

رجع إلى بغداد، فأطاعته، و انقادت له؛ لأنه قضى على من كانت تخافهم، و تخشاهم، و حقق لها ما كانت ترجوه، و تصبو إليه، و غفرت له قتله أخاه، و نسيته حتى كأنه أمر لم يكن!! ... بل لقد أصبحت ترى أنه أفضل من أخيه الأمين؛ لأنه استطاع أن يثبت أقدام بنى أبيه فى الحكم و السلطان إلى ما شاء اللّه ...

رجع إلى بغداد، إلى بنى أبيه؛ لأن رجوعه إليهم كان ضروريا؛ من أجل أن يرجع إليهم اعتبارهم من جهة ... و لأنهم هم الدرع الواقى له، و الحصن الحصين من جهة أخرى ... هذا بالاضافة إلى أن خلافة لا تكون بغداد مقرا لها ليست فى الحقيقة بخلافة ... إلى غير ذلك من أمور و اعتبارات.

نبوءة الإمام (ع) قد تحققت:

هذا ... و كما تنبأ الامام (ع) من قبل بأن أمر البيعة لا يتم، و تنبأ أيضا بأنه يموت و يدفن بخراسان ... لم يكن ليصعب عليه أن يتنبأ بأن المأمون سوف يقدم فى النهاية على ما أقدم عليه: من الاعتداء على حياته (ع)، سيما و أنه كان على علم أكثر من أى إنسان آخر بحقيقة نوايا المأمون و أهدافه ... و بالفعل نرى الامام (ع) يصرح بذلك فى أكثر من مورد، و أكثر من مناسبة، حتى للمأمون نفسه، كما تقدم ...

و تاریخ الخلفاء ص ۳۰۷، و ابن الأثیر ج ۵ ص ۱۹۳، و الفخری فی الآداب السلطانیة ص ۲۱۸، و تاریخ أبی الفداء ج ۲ ص ۲۴، و تاریخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۰، و النجوم الزاهرة ج ۲ ص ۱۷۳، و تجارب الامم ج ۶ ص ۴۴۴. و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۹۶

و من جهة أخری؛ فرغم محاولات المأمون للتستر علی جریمته النکراء تلک خوفا من ثورة الرأی العام ضده ... فإنه لم یستطع إخفاء الحقیقة، و طمس الواقع بل شاع الأمر، و افتضح المأمون ... بل سیمر معنا أنه هو نفسه قد فضح نفسه ...

الحقد الدفین:

و أخیرا ... فإن ما أقدم علیه المأمون من الغدر بالامام (ع)، و دس السم إلیه لخیر دلیل علی فشل المأمون فی سیاسته، الفشل المزری و المهین ...

حتی إنه عند ما عجز عن أن ینال من الامام (ع) حیا، أراد أن ینال منه میتا؛ بدافع من حقده الدفین، الذی لم یعد یستطیع أن یتحمل مضاعفاته؛ فکتب إلی السری عامله علی مصر، یخبره بوفاة الرضا، و یأمره بغسل المنابر، التی دعی له علیها، فغسلت ... کما تقدم ... و هذا إن دل علی شیء؛ فإنما یدل علی أن الحقد کان قد أکل قلبه، و أعمت البغضاء بصره و بصیرته ...

کما أنه یدل علی خسّة فی النفس، و إسفاف فی التفکیر، و شعور بالعجز، و بالنقص أیضا ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۹۷

کاد المریب أن یقول: خذونی.

و مع غض النظر عن کل ما تقدم:

لسوف نغض النظر هنا عن تصریحات المأمون الدالة علی أنه سوف یدبر فی الإمام بما یحسم عنه مواد بلائه، و عن تأکیدات الإمام و تصریحاته بأنه سوف یموت شهیدا بسمّ المأمون، حتی لقد واجه نفس المأمون بذلک، لکنه تجاهل الأمر، و غیر الحدیث «۱» ...

و لسوف نغض النظر أیضا عن اعتراف المأمون نفسه بأن الإمام (ع) لم یمت حتف أنفه، و إنما مات مقتولا بالسم. و أن قتلته هما عبید اللّه، و الحمزة، ابنا الحسن «۲»، و اللذان لم یکن بینهما و بین الإمام (ع) ما یوجب ذلک ... بل إن کان لهما دور ما، فإنما هو باشارة من یهمه مثل هذا الأمر ...

بل لقد ورد: أن المأمون رمی بنفسه علی الأرض، و جعل یخور کما یخور الثور، و یقول: «ویلک یا مأمون، ما حالک، و علی ما

---

(۱) راجع: عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۴۰، و البحار ج ۴۹ ص ۱۴۹، و علل الشرائع ج ۱ ص ۲۳۷، و أمالی الصدوق ص ۴۲، ۴۳، و غیر ذلک ...

(۲) راجع: غیبة الشیخ الطوسی ص ۴۹، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۶.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۳۹۸

أقدمت. لعن اللّه فلانا و فلانا، فإنهما أشارا علی بما فعلت ...» «۱».

لسوف نغض النظر عن کل ما تقدم، و حتی عن رسالته للسری، عامله علی مصر، و التی أشرنا إلیها غیر مرة ...

و الذی نریده هنا:

و لا نريد هنا إلا أن نضع بعض علامات الاستفهام على بعض تصرفات المأمون، و أقواله حين وفاة الامام (ع)، حيث رأيناه: قد ارتبك فى أمر وفاة الرضا (ع) أشد ما يكون الارتباك ...

الأسئلة التى لن تجد جوابا:

فأول ما يطالعنا من الأسئلة هو أنه:

لما ذا يستر موت الرضا (ع) يوما و ليلة؟! «۲».

و لما ذا يقول للامام، و هو بعد لم يمت: «... ما أدرى أى المصيبتين على أعظم: فقدى إياك، أو تهمة الناس لى: أنى اغتلتك و قتلتك» «۳»؟!.

---

(۱) إثبات الوصية للمسعودى ص ۲۰۹.

(۲) مقاتل الطالبيين ص ۵۶۷، و كشف الغمة ج ۳ ص ۷۲، و روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۷، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۹، و إرشاد المفيد ص ۳۱۶.

(۳) مقاتل الطالبيين ص ۵۷۲، و ارشاد المفيد ص ۳۱۶، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۱، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۹. و عبارة مقاتل الطالبيين: «و أغلظ من ذلك على، و أشد:

أن الناس يقولون: إنى سقيتك سما» ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۳۹۹

و لما ذا يظهر التمارض، بعد أن أكل مع الإمام (ع) العنب «۱» ...؟!

و كيف مات الامام (ع) فى مرضه من العنب، و لم يمت المأمون منه أيضا؟! ...

و لما ذا يحضر محمد بن جعفر، و جماعة من آل أبى طالب، و يشهدهم على أن الرضا مات حتف أنفه، لا مسموما «۲»؟!!.

و لما ذا يبقى على قبره ثلاثة أيام!! يؤتى!! كل يوم برغيف واحد و ملح ليأكله!! ... الأمر الذى لم يفعله حتى عند ما مات أبوه الذى ولد منه، و أخوه الذى قتله، و فعل برأسه ما فعل؟!!.

و هل يمكن أن نصدقه حينما نسمعه يقول: «و قد كنت أؤمل أن أموت قبلك» «۳»!!. هذا مع علمه بأن الامام (ع) كان يكبره ب (۲۲) سنة؟!! أم أن وقع المصيبة جعله يتكلم بما لا معنى له، و لا واقع وراءه؟!!.

و لما ذا أيضا: يجبره على أكل العنب بعد امتناع الامام (ع) من أكله، ثم يقول له: «لا بد من ذلك، و ما يمنعك منه، لعلك تتهمنا بشىء؟!» و بعد أن أكل منه الامام (ع) قام، فقال له المأمون:

إلى أين؟ قال (ع): إلى حيث وجهتنى ...» «۴»؟!

و لما ذا؟ و لما ذا؟ إلى آخر ما هنالك مما يضيق عنه المقام ...

---

(۱) إعلام الورى ص ۳۲۵، و ارشاد المفيد ص ۳۱۶، و مقاتل الطالبيين ص ۵۶۶، و الخرائج و الجرائح طبعة حجرية ص ۲۵۸، و غير ذلك ...

(۲) روضة الواعظين ج ۱ ص ۲۷۷، و مقاتل الطالبيين ص ۵۶۷، و ارشاد المفيد ص ۳۱۶، و كشف الغمة ج ۳ ص ۷۲ و ۱۲۳، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۹، و إعلام الورى ص ۳۲۹.

(۳) نفس المصادر السابقة باستثناء كشف الغمة.

(۴) أمالی الصدوق ص ۳۹۳، و روضة الواعظین ج ۱ ص ۲۷۴، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۳، و إعلام الوری ص ۲۲۶، و البحار ج ۴۹ ص ۳۰۱، و غیر ذلک.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۰۰

کاد المریب أن یقول: خذونی:

و بعد ... فهذه بعض الأسئلة، التی تدور حول تصرفات المأمون عند استشهاد الامام (ع) ... تحتاج إلی جواب ... و أنی لها من المأمون الجواب الصحیح، و الصریح. و لکن مواقفه و تصرفاته هذه، هی الجواب الکافی و الشافی، فلقد قیل، و ما أصدق ما قیل: «کاد المریب ان یقول:

خذونی ... کما أن المؤرخین بدورهم قد أجابوا عنها بکل صراحة أحیانا، و باللف و الدوران- لأسباب مختلفة- أحیانا أخری ...

فإلی الفصل التالی، لنقف علی بعض أقوال و مواقف المؤرخین، بالنسبة لسبب وفاة الامام (ع) ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۰۱

ما یقال حول وفاة الامام (ع)

ما ذا تری بعض الفرق فی الحکام:

قبل کل شیء نود أن نشیر إلی أمر مهم، کنا قد أشرنا إلیه من قبل، و له- إلی حدّ ما- صلة فیما نحن بصدده ... و هو: أن بعض فرق المسلمین تری: أن الحکام تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و القیام ضدهم، و الوقوف فی وجههم بحال من الأحوال ...

مهما کانت هویتهم، و أیا کان سلوکهم، حتی و لو أنهم ارتکبوا أعظم المحرمات، و انتهکوا جمیع الحرمات ...

أی ... أنهم حتی لو قتلوا الابریاء- و لو کانوا أبناء محمد-، و هدموا الکعبة ... مع ذلک کله- تجب طاعتهم، و لا تجوز مخالفتهم، و لا الوقوف فی وجههم ...

هکذا ... تعتقد الفرق الاسلامیة- کما قلنا- ... و من المؤسف جدا أن من هؤلاء الفرق: أهل الحدیث، و عامة أهل السنة، قبل الامام الاشعری، و بعده. و هو أیضا قائل بهذه المقالة و معتقد بهذه العقیدة ...

و لقد أیدوا هذه العقیدة بمختلف أنواع التأیید، حتی لقد وضعوا فی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۰۲

تأییدها الروایات علی لسان النبی (ص)، مع عدم تنبههم إلی أن ذلک ینافی صریح القرآن، و یصادم حکم العقل و الوجدان ...

انعکاسات هذه العقیدة علی التراث:

و طبیعی أن ینعکس ذلک إلی حد کبیر علی کتابهم و مؤرخیهم «۱»، و حتی علی علمائهم، و فقهائهم أیضا، حیث کان لا بد لهم من التستر علی کل هفوات أولئک الحکام، و کل مخازیهم و موبقاتهم، مما کان من نتیجته- بطبیعة الحال- إخفاء کثیر من الحقائق، و طمسها، حتی إذا لم یتمکنوا من ذلک، تراهم یحاولون اللف و الدوران، و توجیهها بما لا یسمن و لا یغنی من جوع ... هذا إن لم تخولهم غیرتهم، و تدفعهم حمیتهم إلی تشویهها، و التغییر و التبدیل فیها؛ بحیث تبدو مستهجنة، و غریبة، و لتسقط من ثم عن الاعتبار ... و قد یختلقون فی کثیر من الأحیان فی مقابلها، ما ینسجم مع نظرتهم الضیقة، و تعصبهم المقیت، أو یوافق هوی نفوسهم، و یرضی حکامهم، الذین کانوا یرون أنهم یقربونهم من اللّه زلفی ...

إخفاء كل الحقائق عن الأئمة عليهم السلام:

و لقد أراد الحكام- لسبب أو لآخر- إخفاء كل الحقائق التى ترتبط بالأئمة الأطهار عليهم السلام، أو تشويهها، فكان لهم ما أرادوا، و وجدوا من العلماء، و الكتاب، و المؤرخين، من لا يألوا جهدا، و لا يدخر وسعا من أجل تنفيذ إرادتهم تلك، التى يرون: أنها إرادة اللّه

---

(۱) راجع تمهيد الكتاب ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۰۳

- حسب عقيدة الجبر التى ابتدعوها- ... حتى إنك قد لا تجد فى كثير من الكتب التاريخية، حتى اسم الأئمة الأطهار عليهم السلام. فضلا عن شرح أحوالهم، و بيان نشاطاتهم ...

و ليس ذلك لأنهم عليهم السلام كانوا غير مشهورين، و لا معروفين ...

أو لأنهم ممن لا يعتنى بشأنهم، و لا يلتفت إليهم ... لا ... أبدا. فقد كان ذكرهم يسرى فى جميع الآفاق فى الدولة الاسلامية المترامية الأطراف:

إما حبا و تشيعا، و اما عداء و نصبا ...

و قد ذكر الجاحظ فى رسالته: «فضل هاشم على عبد شمس»- و هو الكاتب المعروف فى عصره، و بعد عصره ... و حتى الآن، و الذى تعرض فى كتبه لمختلف الموضوعات التى شاع التكلم بها فى زمانه، و منها موضوع رسالته المشار إليها ... و الذى كان يظهر الحياد فى كتاباته، و إن كان المعتزلة- أهل نحلته- مثل الاسكافى و غيره يتهمونه بالنصب و العداء لأهل البيت عليهم السلام، و مما يدل على نصبه و تعصبه: أنه قد ألّف كتابا فى نقض فضائل الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) «۱»- الجاحظ هذا- يقول فى رسالته المشار إليها:

«... و من الذين يعد من قريش، أو من غيرهم، ما بعد الطالبيون فى نسق واحد، كل واحد منهم: عالم، زاهد، ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء، و منهم مرشحون: ابن، ابن، ابن، ابن ... هكذا إلى عشرة ... و هم: الحسن بن على، بن محمد، ابن على، بن موسى، بن جعفر، بن محمد، بن على، بن الحسين، ابن على. و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب، و لا من العجم إلخ ...» «۲».

---

(۱) مروج الذهب ج ۳ ص ۲۳۷.

(۲) آثار الجاحظ ص ۲۳۵.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۰۴

هذا ... و يجب أن لا يفوتنا هنا: التنبيه على أن الجاحظ كان فى البصرة، و الامام العسكرى (ع) كان فى سامراء، موضوعا تحت الرقابة الشديدة.

و توفى الجاحظ قبل وفاة العسكرى بخمس سنين ...

و قد كان عمره (ع) عند ما ألف الجاحظ رسالته فى حدود اثنتين و عشرين سنة، لو فرض ان الجاحظ كان قد ألفها فى آخر يوم من أيام حياته ...

و لم يكن الامام العسكرى اعرف، و لا أشهر من آبائه الطاهرين (ع)، سيما الامام على، و الحسن، و الصادق، و الرضا عليهم السلام ...

بل كان الأئمة (ع)، بعد الرضا (ع)- مع نباهة شأنهم، و علو أمرهم- يسمون: ب «ابن الرضا»، و ذلك يدل على أنه (ع) كان أنبه من أبنائه الطاهرين، فكان يقال ذلك- يعنى: ابن الرضا- للجواد، و الهادى بعده، بل و للعسكرى أيضا «۱»، و يؤيد ذلك قول أبى الغوث، اسلم بن مهموز المنبجى فى داليته المعروفة، التى يمدح فيها أئمة سامراء عليهم السلام:

إذا ما بلغت الصادقين بنى الرضافحسبك من هاد يشير إلى هاد «۲» نعم ... إن هؤلاء الأئمة، الذين كان يسرى ذكرهم فى الآفاق، قد لا تجد حتى أسماءهم فى كثير من الكتب التاريخية ... مع أنك تجد ما شاء اللّه: من قصص المغنين، و الجوارى، و الاعراب، بل و حتى قطاع الطرق، مما لا يسمن، و لا يغنى من جوع ...

---

(۱) راجع: قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۲۴۸، و الرسالة التى فى آخر ج ۱۱ من قاموس الرجال ص ۵۸.

(۲) سفينة البحار ج ۲ ص ۵۲۹، و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۱۳۳.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۰۵

كل ذلك خيانة للحقيقة، و تخليا عن الأمانة، التى أخذوا على أنفسهم أداءها للأجيال التى تأتى بعدهم؛ حيث كان عليهم: أن يصدعوا بالحق، و يظهروا الواقع، مهما كانت الظروف، و أيا كانت الأحوال ...

و إلا ... فيجب أن لا يتصدوا للكتابة، و يبوءوا باثم الخيانة ...

هذا ... و لم يكن المجال مفسوحا أمام شيعة أهل البيت (ع)، ليتمكنوا من إظهار الحقائق كاملة؛ و ذلك بسبب ملاحقة الحكام لهم، و محاولات القضاء عليهم أينما كانوا، و حيثما وجدوا، و بأى ثمن كان ... و من قبلهم القضاء على أئمتهم أئمة الهدى، و قادتهم، القادة إلى الحق ...

و يبقى هنا سؤال:

لما ذا إذن كان يهتم الخلفاء بالعلماء، و يرسلون إليهم يستدعونهم من مختلف الأقطار و الأمصار؟! ... و كيف لا يتنافى ذلك مع اضطهادهم الأئمة، أئمة أهل البيت، و شيعتهم و مواليهم؟!، و محاولاتهم تصغير شأنهم، و طمس ذكرهم؟!.

سرّ اهتمام الخلفاء بأهل العلم:

و للإجابة على هذا السؤال نقول: إن سرّ اضطهادهم لأهل البيت (ع) يعود: أولا: إلى أن الحق فى الحكم كان لأهل البيت، من كل جهة، فالقضاء عليهم معناه القضاء على ذلك الحق، و تكريس الامور لهم، و فى صالحهم ...

و ثانيا: إلى أن الأئمة عليهم السلام ما كانوا يؤيدون أولئك الحكام، و لا يرضون عن أعمالهم، و سلوكهم الذى كان يتنافى مع مبادئ الاسلام و تعاليمه ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۰۶

و ثالثا: إلى أن الأئمة عليهم السلام بسلوكهم المثالى، و بشخصياتهم الفذة كانوا يشكلون أكبر مصدر للخطر عليهم، و على حكمهم ذاك غير الأصيل ...

إلى غير ذلك من أمور يمكن استخلاصها من الفصول الاولى من الكتاب ...

و أما السبب فى تشجيعهم- فى تلك الحقبة من الزمن للعلم و العلماء فإنه يعود إلى أهداف سياسية معينة، و فى الحدود التى كانت لا تشكل عليهم خطرا فى الحكم؛ لأن الحكم كان فى نظرهم هو كل شىء، و ليس قبله و لا بعده شىء، و كل ما فى الوجود يجب أن يكون من أجله، و فى خدمته، حتى العلماء و المفكرون ...

و لم يكن جمعهم للعلماء من حولهم، و الاتيان بهم من كل حدب و صوب، إلا:

۱- ليكون أولئك العلماء، الذين يمثلون الطليعة الواعية فى الامة تحت نظرهم، و سيطرتهم ...

۲- ليتمكنوا بواسطتهم من تنفيذ الكثير من مخططاتهم، و الوصول إلى كثير من مآربهم، كما تشهد به الأحداث التاريخية الكثيرة ...

۳- لیظهروا للناس بمظهر المحبین للعلم و العلماء؛ لیقوی مرکزهم فی نفوسهم، و تتأکد ثقتهم بهم؛ إذ کان لا بد لهم، بعد أن ترکوا أهل البیت علیهم السلام، من الاستعاضة عنهم بغیرهم، و دفع شکوک و شبهات الناس عن أنفسهم ...

۴- محاولة التشویش بذلک علی أهل البیت علیهم السلام، و طمس ذکرهم، و اخفاء أمرهم، ما استطاعوا إلی ذلک سبیلا ... و لکن ...

یأبی اللّه إلا أن یتم نوره ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۰۷

و یتفرع علی ما سبق:

و إذا تحقق لدینا أنهم إنما کانوا یقدرون العلم و العلماء لاهداف سیاسیة معینة کما أوضحنا ... فلسوف لا نستغرب إذا رأینا: أنهم کانوا إذا شعروا بالخطر یتهددهم من قبل أیة شخصیة، و لو کانت علمیة، لا یترددون فی القضاء علیها، و التخلص منها، بأی وسیلة کانت ...

قال أحمد أمین: إن المنصور کان «یقرب المعتزلة إذا شاء، و یقرب المحدثین و الفقهاء، ما لم تقض تعالیم أحدهم بشیء یمس سلطانه؛ فهناک التنکیل ...» «۱».

و قال السید أمیر علی: «... کان خلفاء بنی العباس یسحقون کل اختلاف معهم فی الرأی بصرامة. و حتی الفقهاء المعاصرون کانوا عرضة للعقاب؛ إذا تجرءوا علی الافصاح عن رأی لا یتفق و مصلحة الحاکمین ...» «۲» ...

و لقد رأینا المنصور یدس السم لأبی حنیفة، و یضیق علی الإمام الصادق- الذی لم یبایع لمحمد بن عبد اللّه العلوی-، و ضیق علی من تلاه من ذریته، و لا حق تلامذته و محبیه ...

لکنه لم یقتل عمرو بن عبید، و لا أهانه بل مدحه بقوله:

کلکم یطلب صیدغیر عمرو بن عبید ...

رغم أن عمرا هذا کان قد بایع لمحمد بن عبد اللّه العلوی، و رغم أن مذهبه یفرض علیه الخروج علی النظام؛ لأن من أصول المعتزلة الخمسة،

---

(۱) ضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۰۲، و لا بأس أیضا بمراجعة ج ۲ ص ۴۶ و ۴۷.

(۲) روح الاسلام ص ۳۰۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۰۸

التی یکون الانسان بها معتزلیا هو: الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، و عملا بهذا الأصل کان عمرو هذا قد خرج مع یزید الناقص سنة ۱۲۶ ه.

علی الولید بن یزید- لم یفعل المنصور مع ابن عبید إلا کل ما یقتضی الاجلال و التکریم بخلاف ما فعله مع أولئک- لأن عمرا- بخلافهم- قد تخلی عن مذهبه، و مالأ النظام، و کان المنصور، و من تبعه من الخلفاء یستفیدون منه، و من أضرابه، و لم یروا بأسا فی مبایعته لمحمد لکنهم لما لم یکونوا یستفیدون من أولئک نکلوا بهم، و فعلوا بهم الافاعیل رغم امتناعهم عن مبایعة محمد ... و إلا فما قیمة عمرو هذا عند واحد من تلامذة الصادق، کزرارة، و هشام، و محمد بن مسلم، و أضرابهم «۱» ...

عود علی بدء:

قلنا: إن الحكام كانوا يريدون- لسبب أو لآخر- اخفاء كل الحقائق التى ترتبط بالأئمة عليهم السلام، أو تشويهما؛ فكان لهم ما أرادوا على أيـدى حفنـة ممن يطلق عليهم اسم: «علمـاء»، فتلاعبوا، و دسوا، و شوهوا ما شاءت لهم قرائحهم، و أوحاه لهم تعصـبهم المـذهبى المقيت ...

و لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن ابن الأثير، و الطبرى،

---

(۱) يرى البعض: أن الخلفاء كانوا يحاولون القاء أسباب النزاع بين العلماء؛ بهـدف صرفهم عن واقع الامة، و عما يجرى و يحدث فى مخادع الخلفاء، و داخل قصورهم. و لعل ذلك هو السـر فى عنايتهم بالترجمـة، و إدخال الثقافات الغربية إلى البلاد الاسـلامية ... و لذا رأينا الكثيرين من المؤرخين غير راضين عن أعمال الترجمة تلك كالمقريزى فى النزاع و التخاصم ص ۵۵، و غيره ... و لكل ما ذكرنا شواهد تاريخية كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، و لعلنا نوفق لذلك فى مجال آخر ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۰۹

و أبو الفـداء، و ابن العبرى، و اليافعى و ابن خلكان ... كانوا من أولئك الـذين ظلموا الحقيقـة و التاريـخ، بل و أنفسـهم، عند ما أرخوا للامة الاسلامية، و كتبوا فى أحوالها، و أوضاعها السالفة، دون أن يراعوا الانصاف و الحيدة فيما أرخوا، و فيما كتبوا ...

و لعل من جملة سقطات هؤلاء الشنيعة، التى لم يخف على أحد تعصبهم فيها، و انقيادهم للحكام، و الهوى الأعمى فى بيانها، قضية: «كيفية وفاة الإمام الرضا (ع) ...»؛ حيث ذكروا: أن سبب وفاته (ع) هو أنه: «أكل عنبا؛ فأكثر منه؛ فمات ...» «۱».

و كأنّ ابن خلدون، الاموى النزعة، يريد أن يتابعهم فى ذلك؛ حيث قال فى تاريخه: «و لما نزل المأمون مدينة طوس، مات على الرضـا فجأة، آخر صفر من سنة ثلاث و مائتين، من عنب أكله ...» «۲».

و لعله نسى ما ذكره هو نفسه من ثورة ابراهيم بن موسى على المأمون لاتهامه اياه بقتل أخيه. كما سيأتى.

ما عشت أراک الدهر عجبا:

و هو كلام عجيب حقا:

فهل يعقل و يتصور أن يصدر هذا العمل من أى إنسان عادى، فضلا عن الإمام، الذى شهد بعلمه، و حكمته، و زهده، كل من عرفه، و كل من أتى من المؤرخين على ذكره؟!.

---

(۱) الكامـل ج ۵ ص ۱۵۰، و الطـبرى ج ۱۱ ص ۱۰۳۰، و تاريـخ أبو الفداء ج ۲ ص ۲۳، و مختصـر تاريخ الدول ص ۱۳۴، و مرآة الجنان ج ۲ ص ۱۲، و وفيات الأعيان طبع سنة ۱۳۱۰ ه ج ۱ ص ۳۲۱. لكن بعضهم قد حكى سمه بلفظ: قيل ...

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۲۵۰.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۱۰

أ فهل يمكن أن يسـمح أحـد لنفسه أن يصدق بأن شـخصا عاقلا، و حكيما، كالإمام (ع)، يسـمح لنفسه بالاقدام على الانتحار من كثرة الأكل؟!.

و هل عرف عن الإمام فى سابق عهده: أنه كان اكولا، أو نهما إلى هذا الحد؟!، أى إلى حد أنه ينتهى به ذلك إلى قتل نفسه؟! ...

أم أن الزهد و التقوى و العلم، فضلا عن العقل و الحكمة ... تقضى و تحتم عليه أن يأكل هذا المقدار الهائل، الذى من شأنه أن يؤدى بحياته؟!.

أم أن الإمام (ع) قد نسى ما كتبه فى رسالته الذهبية، التى كتبها للمأمون، و التى هى من أشهر و أجلّ الوثائق المأثورة عنه؟! ...

أم أنه (ع) لم یکن قد رأی العنب فی حیاته؛ فأراد أن یغتنم هذه الفرصة الذهبیة، لینال أکبر قدر تصل إلیه یده؟! …

لا … لا هذا، و لا ذاک، و لا ذلک …

و إنما العصبیة المذهبیة، و الهوی الأعمی … هما اللذان فرضا علی الإمام (ع) أن یأکل العنب، و یکثر منه، و یموت هذه المیتة … حتی و لو لم یقبل بها العقل، و یصدق بها الوجدان …

إن الإمام (ع) لو کان هو الحاکم، و المتسلط لم یمت هذه المیتة، بل کان مات علی حسب ما اشتهی، و بالکیفیة التی أراد …

دعک من هؤلاء و أمثالهم؛ فإننی لا أری: أن کلاما کهذا یستحق من العنایة أکثر من ذلک … بل لا أری أنه یستحق شیئا من العنایة علی الاطلاق …

دعک منه … و ذره لأهله فی سنبله!! …

و تعال معی لننظر الی ما یقوله الآخرون، ممن أرخو للامة، و تحدثوا عن ماضیها؛ فقد نجد فی کلامهم ما ینقع الغلة، و یشفی الغلیل …

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۱

قول فریق آخر من المؤرخین:

و إننا بعد القاء نظرة سریعة و عابرة علی أقوال المؤرخین فی هذا المجال، نستطیع أن نلاحظ: إلی أی حد اضطربت کلماتهم فی هذه القضیة، و تباینت اتجاهاتهم …

فعدا عن أولئک القلة الذین تحدثنا عنهم آنفا نری:

فریقا ثانیا قد أوردوا خبر وفاته مجردا عن بیان السبب، ثم سکتوا، أو عقبوا ذلک بقولهم: «و قیل: إنه مات مسموما» و من هؤلاء الیعقوبی فی تاریخه ج ۳ ص ۸۰. و إن کان یظهر من عبارته اختیار مسمومیته، و ابن العماد فی شذرات الذهب، و غیرهم.

و لعل هؤلاء ممن جازت علیهم لعبة المأمون، و انطلت علیهم حیلته، و أقنعتهم الحجج الواهیة الآتیة التی یسوقها الفریق القائل ببراءة المأمون من دم الرضا (ع) … أو لعلهم لم یکونوا بصدد بحث هذا الأمر و تمحیصه …

أو لأنهم لم یستطیعوا أن یصدعوا بالحقیقة؛ لما کانوا یخشونه من سطوة الحکام، و بطشهم. و لم یریدوا أن یحرفوا الکلم عن مواضعه، فآثروا السکوت، و اهمال ذلک، علی أمل أن یقیض اللّه من یصدع بالحق و یکشف عن الواقع … إلی غیر ذلک من الاحتمالات، التی قد یجد بعضها شواهد تاریخیة کثیرة …

رأی فریق ثالث فی ذلک:

و هناک فریق آخر یری أنه (ع) مات مسموما، و أن الذی دس إلیه السم هم العباسیون … و هذا هو رأی السید أمیر علی، و أشار إلیه

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۲

أحمد أمین «۱» أیضا …

و هذا الرأی لیس له أی شاهد أو سند تاریخی إلا ما نقل عن الاربلی انه قال: «فلما رأوا أن الخلافة قد خرجت إلی أولاد علی، سقوا علی بن موسی سما؛ فتوفی بطوس فی رمضان» «۲». و هو عدا عن أنه کلام مبهم؛ فإن، الشواهد کلها علی خلافه … کما قدمنا و سیأتی …

و لذا فهو لا یحتاج إلی کبیر عناء فی رده و تفنیده …

و رأی آخر یقول:

إنه (ع) مات مسموما من قبل المأمون، و لکن بإشارة الفضل، و اغرائه.

و نری نحن بدورنا: أن المأمون لم یکن بحاجة إلی حث و اغراء، بعد أن کان یری أن وجود الإمام (ع) یشکل خطرا محققا علیه، و علی کل بنی أبیه من بعده. و نحن- و إن کنا لا نستبعد أن یکون هذا الرأی قد جاء بدافع من حب تبرئة المأمون- السلطة- إلا أننا لا نضایق فی أن الفضل، الذی قتل قبل الإمام (ع) بمدة!!! کان من الراغبین فی التخلص من الإمام، و لا سیما إذا لاحظنا: أنه کان یشکل عقبة کبری فی طریق نفوذه و قوته و سلطانه ... و لکننا لا نوافق علی أن المأمون کان لا یرید ذلک، و إنما فعله استجابة لرغبة الفضل، الذی کان قد قتل قبل ذلک بزمان!!! ...

---

(۱) روح الاسلام للسید أمیر علی ص ۳۱۱، ۳۱۲. و أما أحمد أمین فقد أشار إلیه فی عبارته الآتیة عما قریب بقوله: «فان کان حقا قد سم، یکون سمه أحد غیر المأمون؛ من دعاة البیت العباسی».

(۲) الامام الرضا ولی عهد المأمون ص ۱۰۲، عن خلاصة الذهب المسبوک ص ۱۴۲.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۳

و قد تحدثنا فی فصل: أسباب البیعة لدی الآخرین، و غیره من الفصول، و سیأتی الحدیث بما فیه الکفایة إن شاء اللّه تعالی ...

و رأی فریق خامس یقول:

إنه (ع) قد مات حتف أنفه، و لا یقبل أبدا بأنه (ع) مات مسموما، و یورد لذلک الحجج و البراهین التی رأی أنها کافیة للدلالة علی أنه (ع) لم یمت مسموما.

و نذکر من هؤلاء سبط ابن الجوزی، حیث قال- بعد أن أورد خبر وفاته، و حکی القیل بأنه دخل الحمام ثم خرج، فقدم له طبق فیه عنب قد أدخلت فیه الابر المسمومة، من غیر أن یظهر أثرها، فأکله، فمات- قال بعد ذلک: «و زعم قوم: أن المأمون سمه، و لیس بصحیح؛ فإنه لما مات علی توجع له المأمون، و أظهر الحزن علیه، و بقی أیاما لا یأکل طعاما، و لا یشرب شرابا «۱»، و هجر اللذات إلخ ...» «۲».

لکن عبارة سبط ابن الجوزی هذه تقتضی أنه ینکر أن یکون المأمون هو الذی سمه، و لا ینکر أن یکون (ع) قد مات بسم غیر المأمون.

و قد تابعه الاربلی فی کشف الغمة علی ذلک، محتجا بعین ما احتج به، و أضاف إلی ذلک: أن سمه إیاه یتنافی مع اکرامه له، و أنه کان ینبه علی علم الرضا، و شرف نفسه و بیته إلخ ...

---

(۱) فی تاریخ الیعقوبی ج ۳ ص ۸۱: أن المأمون بقی ثلاثة أیام مقیما عند قبر الرضا (ع)، یؤتی کل یوم برغیف و ملح؛ فیأکله. ثم انصرف فی الیوم الرابع.

(۲) تذکرة الخواص ص ۳۵۵.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۴

و أما أحمد أمین فیقول: إن ذلک بعید؛ لأن المؤرخین «یروون حزن المأمون الشدید علیه، کما یروون أن المأمون بعد موته، و بعد انتقاله إلی بغداد ظل یلبس الخضرة ... إلی أن قال: فإن کان حقا قد سم، یکون قد سمه أحد غیر المأمون، من دعاة البیت العباسی ...»

ثم استشهد لذلک أیضا بمناظرة المأمون للعلماء فی تفضیل الإمام علی (ع)، و التی ذکرها ابن عبد ربه فی العقد الفرید، و بأنه ظل

یظهر العطف علی العلویین، رغم کثرة خروجهم علیه «۱».

و صاحب کتاب عصر المأمون یستند فی استبعاده لذلک إلی تلک الرعایة التی أظهرها المأمون له، و ذلک الاحترام و التقدیر، الذی کان یحیطه به، و خصوصا بعد أن توثقت عری المودة بینهما بالمصاهرة ... و یضیف إلی ذلک أیضا: أن نفسیة المأمون، و خلقه، یأبیان- علی زعمه- علیه ذلک ...

و عقد ولایة العهد له من بعده هو عند هؤلاء الدلیل القاطع علی حسن نیة المأمون، و سلامة طویته ...

و الدکتور أحمد محمود صبحی یری: أن قضیة مسمومیة الرضا (ع) هی من مختلقات الشیعة «الذین لم یجدوا تناقضا بین الحظوة التی کان ینالها من المأمون، ثم مبایعته له بولایة العهد، و تزویجه أخته «۲»، و بین أن یدس له المأمون السم فی العنب، ثم یصلی علیه، و یدفنه بجوار قبر أبیه الرشید؛ فقد أصبح مقدرا علی الأئمة منذ الحسن: أن یکون قاتلوهم هم: الخلفاء، أو بإیعاز منهم ...» «۳».

---

(۱) ضحی الإسلام ج ۳ ص ۲۹۵، ۲۹۶.

(۲) قد اتفق المؤرخون تقریبا علی أن المأمون قد زوج للرضا علیه السلام «ابنته» و لیس اخته.

و لم یذکر أنها اخته إلا شاذ منهم لا یعتد به، و هو الذی یتشبث به الدکتور هنا، و لعله لأنهم رأوا عدم انسجام سن الامام مع سن ابنته آثروا أن یجعلوها اخته ... و أیا کانت الحقیقة فان مقصود المأمون هنا حاصل ...

(۳) نظریة الإمامة ص ۳۸۷.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۵

هذه هی الحجج، التی حاول هؤلاء إقامتها علی صحة ما ذهبوا إلیه، من براءة المأمون من دم الامام (ع).

ملخص ما سبق:

و من أجل التسهیل علی القارئ نعود فنوجز ما ذکروه من الأدلة فی النقاط التالیة:

۱- عقده له ولایة العهد من بعده ...

۲- إکرامه و تقدیره له، و تنبیهه علی شرفه، و علمه و فضله، و بیته.

۳- تزویجه ابنته، الأمر الذی کان سببا فی توثیق عری المودة بینهما.

۴- احتجاجه علی العلماء فی تفضیل علی (ع) علی جمیع الخلق ...

۵- إظهاره الحزن و التوجع لوفاته، و هجره الطعام و الشراب، و اللذات لذلک.

۶- دفنه له بجوار أبیه الرشید، و صلاته علیه ...

۷- بقاؤه بعد وفاته علی لباس الخضرة حتی دخل بغداد ...

۸- إنه ظل یظهر العطف علی العلویین رغم کثرة خروجهم علیه ...

۹- إن نفسیة المأمون و خلقه یأبیان علیه ذلک ...

۱۰- إن ذلک من مختلقات الشیعة؛ حیث کتب علی أئمتهم بعد الحسن أن یموتوا بسم الخلفاء، أو بإیعاز منهم ...

آفة ذلک: هل هو الجهل، أم التعصب:

هذا ملخص أدلة ما ذهبوا إلیه من عدم دس المأمون السم للإمام (ع)، و نحسب أن هؤلاء: إما أنهم لم یطلعوا علی الحقائق اطلاعا

کافیا، یخولهم

الحیاة السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۶

إصدار أحکام صائبهٔ، فی قضایا هی من أکثر المسائل التاریخیهٔ تعقیدا، بل و غموضا و ابهاما، کقضیهٔ حقیقهٔ ظروف و علاقات المأمون بالرضا؛ فحکموا علی الامور حکما سطحیا، لا یلبث أن ینهزم أمام المنطق السلیم و النظر الصائب.

و إما أنهم جروا علی دیدن أسلافهم فی التعصب علی الأئمهٔ (ع)، و المجاراهٔ لأهوائهم، و لخلفائهم فی طمس معالم الحقیقهٔ، التی کان یضر أولئک الخلفاء أکثر من غیرهم إظهارها، و معرفهٔ الناس لها ...

نحن ... و ما یقوله هؤلاء:

إن کل ما ذکره هؤلاء لا یمکن أن یمنع المأمون من التدبیر فی الإمام بما یحسم عنه مواد بلائه ... کما دبر من قبل بوزیره الفضل بن سهل، الذی أراد أن یزوجه ابنته، و کما دبر فی قائده الکبیر هرثمهٔ بن أعین، الذی قتله فور وصوله إلی مرو، دون أن یستمع لشکواه، أو یصغی إلی دفاعه عن نفسه «۱»، و کما دبر فیما بعد بطاهر و أبنائه «۲» و غیرهم،

---

(۱) هکذا ذکر بعض المؤرخین. و قال ابن خلدون فی تاریخه ج ۳ ص ۲۴۵ و ۲۴۹: إنه حبس، ثم دس علیه المأمون من قتله ... و فی معارف ابن قتیبهٔ ص ۱۳۳ طبع سنهٔ ۱۳۰۰ ه.

قال: «... فلما سمع حاتم بن هرثمهٔ ما صنع أبوه کاتب الأحرار هناک، و الملوک، و دعاهم إلی الخلاف؛ فبینما هو علی ذلک أتاه الموت؛ فیقال: إن سبب خروج بابک کان ذلک ...».

و من یدری فلعل المأمون قد دبر بحاتم بما یحسم عنه مواد بلائه ... کما دبر فی الکثیرین قبله و بعده ...

و فی البدایهٔ و النهایهٔ ج ۱۰ ص ۲۴۶: أن أهل بغداد ثاروا، و أعلنوا العصیان بسبب قتل هرثمهٔ. هذا ... و یقال: إن الفضل بن سهل قد عمل علی قتل هرثمهٔ. و لا بأس بمراجعهٔ تاریخ ابن الوردی ج ۱ ص ۲۸۹، و غیره ...

(۲) فی البدایهٔ و النهایهٔ ج ۱۰ ص ۲۶۰، و مرآهٔ الجنان ج ۲ ص ۳۶، و وفیات الأعیان ج ۱ ص ۲۳۷، طبع سنهٔ ۱۳۱۰: إن سبب وفاهٔ طاهر هو أن المأمون عند ما ولاه

الحیاة السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۱۷

و غیرهم، ممن کان یختلهم واحدا فواحدا- علی حد تعبیر عبد اللّه بن موسی فی رسالته له- سواء من العلویین أو من غیرهم ...

مع أن هؤلاء کانوا وزراءه و قواده، و لهم من الفضل علیه، و علی دولته ما لا یمکن أن یخفی علی أحد؛ فإنهم هم الذین وطدوا له دعائم حکمه، و بسطوا نفوذه و سلطانه علی البلاد، و أذلوا له العباد، و قامت دولته بأسیافهم، و علی أکتافهم ...

لقد ختلهم واحدا فواحدا ... مع أنه کان یظهر لهم من الحب و التقدیر ما لا یقل عما کان یظهره للامام ... و حسبنا أن نذکر هنا: أنه قتل أخاه و عمل برأسه ما تقدمت الاشارهٔ إلیه من أجل الملک و السلطان فکیف لا یقتل الرضا من أجل الملک و السلطان، أیضا ... ثم یتستر علی فعلته بتلک الظواهر التی لا تضره؟! أم یعقل أن یکون الرضا أعز من هؤلاء جمیعا ... و حتی أعز علیه من أخیه الذی قتله؟! ...

و أما تظاهره بالحزن و الاسی لوفاهٔ الامام (ع) إلخ ... فما أدری إن کان هؤلاء یریدون من ذلک الأفعی الداهیهٔ: أن یظهر الفرح و الاستبشار بموت الامام (ع)!!.

و هل نسوا أنه قتل الفضل ثم تظاهر بالحزن العظیم علیه «۱» و تتبع قتلته

خراسان، أهداه غلاما ليخدمه، و دفع إليه سما لا يطاق، فسمه الخادم فى كامخ، فمات من ليلته. و فى الفخرى فى الآداب السلطانية ص ۲۲۴: أن الذى أهداه الغلام هو أحمد ابن أبى خالد وزير المأمون، ليقتله إذا فارق الطاعة؛ فقتله بأمر من المأمون ... و فى تاريخ اليعقوبى ج ۳ ص ۱۹۲: أن المأمون تآمر عليه فقتله ... و المؤرخون متفقون على أن المأمون كان يضمر له الشر و الخيانة ...

و النتيجة هى: أن طاهرا يموت- بتدبير من المأمون بهذه الكيفية الغامضة، و يبقى المأمون نفسه بعيدا عن الشكوك و الشبهات.

(۱) التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۳۲۲، و مآثر الانافة ج ۱ ص ۲۱۱.

و قد تكلمنا عن كيفية قتل الفضل فى ما تقدم فلا نعيد ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۱۸

و قتلهم. و أرسل رءوسهم إلى أخيه الحسن بن سهل، ثم تزوج ابنة الحسن هذا؟!. و لكنه عاد فغض من الحسن بن سهل حينما ظفر بابراهيم ابن شكلة، و أسقطه و حجبه و عزله عما كان فى يده «۱».

و قتل طاهرا ثم أرسل يحيى بن اكثم إلى الرقة، لينوب عنه فى تقديم التعازى، لولده عبد اللّه، ثم ولى أبناءه مكانه، ثم غدر بهم واحدا بعد الآخر ...؟! «۲».

و قتل محمد بن جعفر، ثم جاء و جمل نعشه، و قال: إن هذه رحم مجفوة منذ مأتى سنة؟! ...

و غيرهم و غيرهم، ممن لا- مجال هنا لتتبع أسمائهم و أحوالهم ... أما مواقفه و تصريحاته عند وفاة الإمام، فالظاهر أنهم لم يقيموا لها وزنا، و لا أعارها أى منهم أذنا صاغية، أو قلبا واعيا؟! ...

و كيف يتفق كل ما ذكرناه- و خصوصا ما فعله مع أخيه حيا، أو ميتا، و تخريبه بغداد، و أيضا قتله لسبعة من أخوة الإمام و اضطهاده للعلويين كما سنبينه، و كتابه للسرى عامله على مصر يأمره فيه بغسل المنابر إلخ ... كيف يتفق كل ذلك، و سائر أفاعيله التى قدمنا شطرا منها مع خلق المأمون و نفسيته؟! ... و لا يتفق قتله الإمام (ع) مع نفسيته و خلقه الكريم؟!. و هل قتل أولئك مع إظهار المحبة و الاكرام لهم

---

(۱) لطف التدبير ص ۱۶۶.

(۲) و لقد كان يؤكد براءته من تلك الجرائم بأساليب مختلفة اخرى، و يرضى جميع الأطراف، فهو يرضى العباسيين بقتل الرضا. و يرضى العلويين باستقدام الجواد- ولد الرضا- من المدينة، و إكرامه إياه. و يقتل الفضل، و يرضى الحسن أخاه، بما ذكرنا، و يقتل طاهرا، و يرضى أبناءه بتوليتهم مكانه، و يبقى يستعين بهم طيلة فترة حكمه تقريبا ...

حيث يغدر بهم واحدا واحدا كما ذكرنا، و على هذه فقس ما سواها مما يدل على مدى حنكة المأمون و دهائه السياسى ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۱۹

لا يتنافى مع نفسيته و خلقه الكريم؛ و يتنافى قتل الإمام مع الاكرام و المحبة له و للعلويين مع نفسيته و خلقه الكريم أيضا؟! ...

و أيضا هل بعد كل ذلك، يمكن أن يقال: إن مصاهرته للإمام تمنعه من الغدر به، و دس السم إليه؟! و لقد بينا فى فصل: ظروف البيعة بعض أهدافه من تزويجه، و تزويج ولده الجواد، و تزويج الفضل أيضا ... و تحدثنا أيضا عن السبب فى لباسه الخضرة، و دوافع ولاية العهد، و غير ذلك من أمور.

بل نجرؤ على القول هنا: إن المأمون قد اكره الامام (ع) على هكذا زواج؛ إذ كيف يمكن أن نتصور رجلا حكيما عاقلا، زاهدا فى الدنيا ... يقدم و يرغب فى زواج طفلة و من هى بالنسبة إليه بمنزلة حفيدته، بل أصغر؛ حيث كان يكبرها بحوالى أربعين سنة ... ثم لا يكون هناك سرّ آخر يكمن وراء مثل هكذا زواج؟!، إلا- أن يدعى هؤلاء: أن ذلك يتفق مع العقل و الحكمة، و ينسجم مع زهد الامام فى الدنيا، و انصرافه عنها ...

و إذا كان ثمـة سرّ آخر يكمن وراء ذلك الزواج، فان ما تجدر الاشارة إليه هنا هو أنه (ع) لم يكن يستطيع التصـريح بحقيقة الأمر، و واقع القضية إلى آخر ما قدمناه فى فصل: ظروف البيعة.

و أما قوله بتفضيل على (ع) على جميع الخلق ... فاننا إن لم نقل:

أنه كان من ضمن المخطط، الذى كان قد رسمه للوصول إلى مآربه و أهدافه- كما اتضح فى فصل ظروف البيعة ... فاننا- و نحن نرى تباين مواقفه و تصريحاته- نرى أنفسنا مضطرين إلى القول: بأنه لم يكن ينطلق فى مواقفه السياسية من مواقف عقائدية ...

و أما إكرامه للعلويين ... فقد تقدم تصـريحه فى كتابه للعباسـيين: بأن ذلك ما كان منه إلا سياسة و دهاء ... و تقدم أنه بعد وفاة الرضا (ع)

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۰

قد أخذهم بلبس السواد، و منعهم من الدخول عليه ... و أنه كان يختلهم واحدا فواحدا حسب ما كتب إليه عبد اللّه بن موسى.

و سيأتى بيان أنه قتل سبعة من اخوة الإمام (ع) ... و أنه أمر الولاة و الحكام بالقبض على كل علوى ...

و أما ما ذكره أحمد أمين: من كثرة خروج العلويين عليه ...

فإننا لم نجـد، و لم نسـمع ذكرا فى التاريـخ لثورة قامت ضـد المأمون، بعد وفاة الرضا (ع) إلا ثورة عبد الرحمن بن أحمد فى اليمن، و التى كانت باتفاق المؤرخين بسبب جور العمال، و ظلمهم ... و سوى ثورة إخوة الإمام الرضا (ع) طلبا بثأر أخيهم كما سيأتى ...

و لم يبق ثمـة إلا نسبة فكرة اغتيال الرضا (ع) إلى الشـيعة ... و أنهم انما اختلقوها و ابتـدعوها بدافع من الشـعور بالحاجة إلى مثل هذه التزويرات؛ إذ قد كتب إلخ ...

فهى دعوى تكـذبها جميع الشواهد و الدلائل التاريخية ... هذا بالاضافة إلى أن السـنة قد اتهموا المأمون بهذه التهمة، قبل اتهام الشـيعة له بهـا، و الشـيعة إنمـا يعتمـدون فى ذلك على كتب أهل السـنة، التى اسـتفاضت فى اتهام المأمون بـذلك، و التى يؤيـدها الكثير مما قدمناه فى هذا الكتاب، و غيره ...

و هكـذا ... يتضـح أن كـل مـا ذكره هؤلاـء لاـ يصـلح ما نعا و لا دليلا على أن المأمون لم يكن وراء استشـهاد الإمام (ع) ... بل جميع الـدلائل و الشواهد متضافرة على خلاف ذلك حسبما فصـلناه فى الفصـلين المتقدمين و غيرهما، و لو لا أن تعداد مواقف المأمون مع الإمام و تصـريحاته يسـتلزم تكرارا نربأ بالقارئ الفطن أن يضطرنا إليه ... لا استطعنا أن نحشد الكثير الكثير من الدلائل و الشواهد، التى تؤكد سوء نية المأمون، و خبث طويته تجاه الإمام (ع) ... فما استند إليه هؤلاء فى حكمهم ذاك،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۱

لا يصـلح للاسـتناد إليه، و لا للاعتماد عليه، و إن صـيغ بعبارات منمقـة، و أساليب مختلفـة، فيها الاغراق و المبالغة أحيانا، و يبدو عليها الاتزان و الموضوعية أحيانا أخرى ...

و بعد ... فعلى المكابر: أن يجيب على السؤال التالى:

و إلا ... فاننا نرى: أن لنا كل الحق فى توجيه السؤال التالى إلى كل من يكابر، و يصر على براءة المأمون، و حسن نيته، و السؤال هو: إنه إذا كان قد عرض ولاية العهد. بعد وفاة الرضا (ع) على عبد اللّه بن موسـى؛ فلما ذا لم يجعل ولد الرضا «الجواد» وليا لعهده، مع أنه كان زوج ابنته، و ولـد ولى عهـده، الذى أظهر عليه الحزن و الجزع، و مع أنه كان قد اعترف له بالعلم، و الفضل و التقدم، كما اعترف لأبيه من قبل!!! ...

و لا مجال هنا للإصـغاء للقول: بأن الجواد (ع) لم يكن يصلح لولاية العهد، بالنظر لصغر سنه ...، إذ أن جعله وليا للعهد لا يعنى تسليمه بالفعل أزمة الحكم و السلـطان ... و قد أخذ الخلفاء، حتى أبوه الرشيد، و أخوه الأمين البيعة لمن كانوا أصغر من الجواد سنا، و لمن لم

یکن له من العقل و الحکمهٔ و الدرایهٔ ما کان للجواد (ع) ...

هـذا بالاضافهٔ إلی أن صـغر سـنه لم یکن لیضـره، بعـد أن کـان من أهـل بیت زقوا العلم زقـا، و بعـد أن شـهد المـأمون، و اعـترف له العباسـیون بالعلم و الفضل، بعـد ذلک المجلس الـذی أجاب فیه یحیی بن اکثم عن مسائله، حیث کان العباسـیون قـد بذلوا له الأموال الطائلهٔ لیقطعه عن

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۲۲

الحجهٔ!! «۱». راجع فصل: مع بعض خطط المأمون لتعرف أهداف المأمون من هذه المناظرهٔ ...

رأی الفریق السادس: الرأی الحق:

و أما ذلک الفریق الـذی یری: أنه (ع) مات مسـموما دون شک، و الذین أشار إلیهم سـبط ابن الجوزی بقوله: «و زعم قوم أن المأمون قد سمه»- أما هؤلاء، فکثیرون:

و یمکننا أن نقول: إن ذلک مما تسالم علیه الشـیعهٔ رضوان اللّه علیهم، ما عـدا المرحوم الإربلی فی کشف الغمـهٔ، و نسب ذلک أیضـا إلی السـید ابن طاوس، و إلی الشیخ المفید قدس سره، و لکن ربما یستظهر من المفید أنه یذهب إلی مسمومیته؛ حیث ذکر أنهما- أی المأمون و الرضا- قد اکلا معا عنبا، فمرض الرضا، و تمارض المأمون!! ...

و اتفاق الشیعهٔ علی ذلک لخیر دلیل علی أنه (ع) قد قضی شهیدا؛ لأنهم هم أعرف و أخبر بأحوال ائمتهم من غیرهم، و لیس لدیهم ما یوجب کتم الحقائق، أو تشویهها. فإذا ما سنحت لهم فرصهٔ لاظهارها أظهروها، دون تکتم علی شیء، أو تشویه لشیء ...

و من أهل السنهٔ، و غیرهم، طائفهٔ کبیرهٔ من العلماء، و المؤرخین، یعتقدون بأنه (ع) لم یمت حتف أنفه، أو علی الأقل یرجحون ذلک، و إن لم یغین کثیر منهم من فعل ذلک، أو أمر به ... و نذکر من هؤلاء علی سبیل المثال لا الحصر:

---

(۱) راجع الصواعق المحرقـهٔ، و الفصول المهمهٔ، لابن الصـباغ، و ینابیع المودهٔ للحنفی، و اثبات الوصـیهٔ للمسـعودی، و البحار، و اعیان الشیعهٔ، و إحقاق الحق ج ۲ نقلا عن:

أخبار الدول للقرمانی، و نور الأبصار، و أئمهٔ الهدی للهاشمی، و الاتحاف بحب الأشراف و مفتاح النجا فی مناقب أهل العبا إلخ ...

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۲۳

ابن حجر فی صواعقه ص ۱۲۲.

و ابن الصباغ المالکی فی الفصول المهمهٔ ص ۲۵۰ و المسعودی فی اثبات الوصیهٔ ص ۲۰۸، و فی التنبیه و الاشراف ص ۲۰۳، و مروج الذهب ج ۳ ص ۴۱۷، و إن کان فی مکان آخر من مروجه قد حکی ذلک بلفظ: قیل ...

و القلقشندی فی مآثر الانافهٔ فی معالم الخلافهٔ ج ۱ ص ۲۱۱.

و القندوزی الحنفی فی ینابیع المودهٔ ص ۲۶۳، و غیرها ...

و جرجی زیدان فی تاریخ التمدن الاسلامی المجلد الثانی جزء ۴ ص. ۴۴.

قال: «و فکر فی بیعته علی الرضا، فأعظم أن یرجع عنها، و خاف إذا رجع أن یثور علیه أهل خراسان، فیقتلوه، فعمد إلی سیاسهٔ الفتک، فدس إلیه من أطعمه عنبا مسموما، فمات».

و ذکر ذلک أیضا فی آخر صفحهٔ من کتابه: الأمین و المأمون.

و أبو بکر الخوارزمی یقول فی رسالته: «و سم علی بن موسی الرضا بید المأمون» و قد تقدم شطر کبیر من هذه الرسالهٔ ... و یؤید قوله هذا بعض ما تقدم بالاضافهٔ إلی عدهٔ روایات لیس هنا محل ذکرها ...

و أحمد شلبى فى: التاريخ الاسلامى و الحضارة الاسلامية ج ۳ ص ۱۰۷ يقول: إن ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلص من الرضا، و خلع الخضرة إلخ ...

و أبو الفرج الأصفهانى يقول فى مقاتل الطالبيين: «و كان المأمون عقد له على العهد من بعده، ثم دس إليه- فيما ذكر- بعد ذلك سما فمات».

و ذكر استشهاده أيضا أبو زكريا الموصلى فى تاريخ الموصل ۱۷۱/ ۳۵۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۴

و ابن طباطبا فى الآداب السلطانية ص ۲۱۸.

و الشبلنجى فى نور الابصار ص ۱۷۶، ۱۷۷ طبع سنة ۱۹۴۸ يروى ذلك أيضا.

و يروى ابن حجر عن الحاكم فى تاريخ نيسابور أنه قال: «استشهد على بن موسى الرضا بسناآباد» ...

و هو نفسه ينقل عن ابن حبان أنه (ع) مات مسموما بماء الرمان «۱».

و السمعانى أيضا فى أنسابه ج ۶ ص ۱۳۹، يذهب إلى استشهاده (ع).

و ينقل القندوزى ذلك عن محمد پارسا البخارى فى كتاب فصل الخطاب.

كما و ينقله عن اليافعى؛ فراجع ص ۳۸۵ من ينابيع المودة ...

و فى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال ص ۲۷۸ ينقل ذلك عن سنن ابن ماجة القزوينى ...

و ينقل ذلك أيضا عن السلامى فى كتابه الذى ألفه فى تاريخ خراسان «۲».

و عن البيهقى فى تاريخ بيهق.

و عارف تامر فى كتابه: الامامة فى الاسلام ص ۱۲۵ يقول بذلك أيضا ...

و نقله فى احقاق الحق (الملحق) ج ۱۲ ص ۳۴۶ فصاعدا عن:

النبهانى فى جامع كرامات الأولياء ج ۲ ص ۳۱۱.

و عن السيد عباس بن على بن نور الدين فى نزهة الجليس ج ۲ ص ۶۵.

و عن المناوى فى الكواكب الدرية ج ۱ ص ۲۵۶.

و عن ابن طلحة فى مطالب السؤل ص ۸۶ ...

---

(۱) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ۷ ص ۳۸۸، و أعيان الشيعة ج ۴ قسم ۲ ص ۱۵۴.

(۲) راجع: البحار ج ۴۹ ص ۱۴۳، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۶۶.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۵

و عن الهاشمى الأفغانى فى كتابه: «أئمة الهدى ص ۱۲۷.

و عن البدخشى فى: مفتاح النجا ص ۱۸۱ (مخطوط).

و عن الجوزجانى الحنفى فى: طبقات ناصرى ص ۱۱۳.

و ذكر ذلك أيضا صاحب كتاب عيون الحدائق ص ۳۵۷.

و أخيرا فقد قال الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه: الصلة بين التصوف و التشيع ص ۲۲۶: «... و مات الرضا مسموما، كما يرى أكثر المؤرخين».

و هذا غيض من فيض ... و حسبنا ما ذكرنا هنا؛ فإننا لو أردنا تتبع ما قيل حول وفاة الإمام، لاحتجنا إلى وقت طويل ...

هذا كله ... بالنسبة إلى أقوال المؤرخين ...

صدى قتل الرضا فى نفس زمن المأمون:

و أما إذا راجعنا كتب التاريخ أنفسها؛ فإننا نستطيع أن نقول: إن استشهاد الإمام (ع) بالسم على يد المأمون كان شائعا و معروفا بين الناس فى ذلك الزمان، أعنى: زمن المأمون نفسه، و متسالما عليه فيما بينهم ...

فلقد تقدم فى الفصل السابق: أن المأمون قد اعترف بأن الناس يتهمونه: بأنه قد اغتاله و قتله بالسم!!.

و ورد أيضا أن الخلق عند وفاة الرضا (ع) اجتمعوا و قالوا: إن هذا قتله و اغتاله- يعنون المأمون-، و اكثروا من القول و الجلبة، حتى أرسل إليهم المأمون محمد بن جعفر، عم أبى الحسن يخبرهم:

أن أبا الحسن لا يخرج فى ذلك اليوم؛ خوفا من الفتنة «۱» ...

---

(۱) مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۳۰، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۹، ۳۰۰، و عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۴۲.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۶

كما و أن عبد اللّه بن موسى يصرح فى رسالته التى أرسلها إلى المأمون بأنه قد بلغه ما فعله بالرضا من اطعامه العنب المسموم، و ستأتى هذه الرسالة بتمامها فى أواخر هذا الكتاب ...

و سئل أبو الصلت الهروى: «كيف طابت نفس المأمون بقتل الرضا مع إكرامه إياه و محبته له؟!.» فجاء فى آخر جوابه قوله: «فلما أعيته الحيلة فى أمره اغتاله؛ فقتله بالسم ...» «۱».

فإن هذا السؤال يكشف عن أن ذلك كان معروفا آنذاك بين الناس لكن الناس كانوا فى حيرة من ذلك؛ بسبب ما كانوا يرونه من اكرام المأمون للرضا (ع) فى الظاهر ...

و عن الطالقانى: «إنه كان متى ظهر للمأمون من الرضا علم و فضل، و حسن تدبير حسده على ذلك، و حقده عليه، حتى ضاق صدره منه؛ فغدر به فقتله».

بل لقد ذكر ابن خلدون: أن سبب خروج إبراهيم ابن الإمام موسى (ع) على المأمون هو أنه اتهم المأمون بقتل أخيه على الرضا (ع) «۲».

و يؤيد ذلك: أنه قد نقل الاتفاق من كل من ترجم لإبراهيم هذا على أنه مات مسموما، و أن المأمون هو الذى دس إليه السم، و قد أنشد ابن السماك الفقيه، حينما ألحده:

مات الإمام المرتضى مسموماو طوى الزمان فضائلا و علوما

قد مات بالزوراء مظلوما كماأضحى أبوه بكربلاء مظلوما

---

(۱) عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۳۹، و البحار ج ۴۹ ص ۲۹۰، و مسند الامام الرضا ج ۱ ص ۱۲۸، ۱۲۹.

(۲) تاريخ ابن خلدون ج ۳ ص ۱۱۵.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۷

إلى آخر الأبيات «۱» ... و ابراهيم هذا هو الذى كان قد خرج على المأمون فى اليمن قبل ذلك أيضا. كما أن المأمون قد دس السم إلى أخية زيد ابن موسى «۲»، الذى كان قد خرج عليه قبلا بالبصرة، و إن كان اليعقوبى يذكر أن المأمون قد عفا عن زيد و ابراهيم «۳» ... لكن من الواضح أن عفوه عنهما فى الظاهر بسبب خروجهما عليه فى البصرة و اليمن، لا ينافى أنه دس إليهما السم بعد ذلك

بأعوام؛ بسبب مطالبتهما بدم أخيهما الرضا (ع).

كما أن بعض المصادر التاريخية تذكر: أن «أحمد بن موسى» أخا الامام الرضا ... لما بلغه غدر المأمون بأخيه الرضا، و كان آنذاك فى بغداد، خرج من بغداد للطلب بثأر أخيه، و كان معه ثلاثة آلاف من العلوية. و قيل: اثنا عشر ألفا ...

و بعد وقائع جرت بينه و بين «قتلغ خان»، الذى أمره المأمون فيهم بأمره، و الذى كان عاملا للمأمون على شيراز ... استشهد أصحابه، و استشهد هو، و أخوه «محمد العابد» أيضا «۴» ...

---

(۱) حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲ ص ۴۰۸، و البحار ج ۴۸ ص ۲۷۸ باختصار.

و لكن فى وفيات الأعيان ج ۱ ص ۴۹۱ و صفة الصفوة ج ۳ ص ۱۷۷ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۳۱۶، و مرآة الجنان ج ۱ ص ۳۹۳، و الطبرى فى أحداث سنة ۱۸۳:

أن وفاة محمد بن السماك كانت سنة ۱۸۳ ه. و أما وفاة ابراهيم فهى إما سنة ۲۱۰، أو سنة ۲۱۳؛ فلا يمكن أن يكون ابن السماك هو المتولى لحده، فضلا عن أن ينشد الشعر المذكور ... اللهم إلا أن يكون ابن السماك اثنين، أحدهما الفقيه، و الآخر: القصاص، أو لعل هناك تصحيف عمدى، أو عفوى من الراوى ...

(۲) البحار ج ۴۸ ص ۳۱۵، و كذا هامش ص ۳۸۶ منه و شرح ميمية أبى فراس ص ۱۷۸ و عمدة الطالب ص ۲۲۱. و حياة الامام موسى بن جعفر.

(۳) مشاكلة الناس لزمانهم ص ۲۹.

(۴) راجع: كتاب قيام سادات علوى ص ۱۶۹ (فارسى)، و أعيان الشيعة ج ۱۰ من المجلد ۱۱ ص ۲۸۶، ۲۸۷، نقلا عن كتاب: الانساب، لمحمد بن هارون الموسوى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۲۸

و أيضا ... فإن شرطة المأمون قد قتلوا «هارون بن موسى» أخا الرضا؛ حيث إن هارون هذا كان فى القافلة التى كانت تقصد خراسان، و كانت تضم (۲۲) علويا، و على رأسها السيدة فاطمة أخت الرضا (ع) «۱».

فأرسل المأمون إلى هذه القافلة؛ فقتل و شرد كل من فيها، و جرحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه و هو يتناول الطعام فقتلوه «۲». و أما زعيمة القافلة السيدة فاطمة بنت موسى (ع)؛ فيقال إنها هى الاخرى قد دس إليها السم فى ساوة؛ و لهذا لم تلبث إلا أياما قليلة و استشهدت «۳».

و آخر من يذكره المؤرخون من ضحايا المأمون: «حمزة بن موسى»، أخا الإمام (ع)؛ حيث ذكروا أنه كان من جملة من قتلهم أتباع المأمون «۴».

فيكون المأمون قد قتل ستة، بل سبعة من إخوة الإمام (ع)؛ لأنهم طالبوه بدم أخيهم، أو كادوا. و ألحق بهم ما شاء اللّه ممن تابعهم، أو خرج معهم ...

و يقول الكاتب الفارسى، على أكبر تشيد: «إن كثيرا من العلويين كانوا قد قصدوا خراسان، أيام تولى الإمام العهد من المأمون، لكن أكثرهم لم يصل؛ و ذلك بسبب استشهاد الإمام (ع)، و أمر المأمون الحكام، و أمراء البلاد بقتل، أو القبض على كل علوى.» «۵».

النيشابورى. و راجع أيضا: مدينة الحسين (السلسلة الثانية) ص ۹۱، و البحار ج ۸ ص ۳۰۸، و حياة الامام موسى بن جعفر ج ۲ ص ۴۱۳ و فرق الشيعة هامش ص ۹۷ عن بحر الأنساب ط بمبئى و غير ذلك.

(۱) قيام سادات علوى ص ۱۶۱.

(۲) جامع الأنساب ص ۵۶، و قیام سادات علوی ص ۱۶۱، و حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲.

(۳) قیام سادات علوی ص ۱۶۸.

(۴) حیاة الامام موسی بن جعفر ج ۲.

(۵) قیام سادات علوی ص ۱۶۰.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۲۹

و فی الشعر أیضا نجد ما یدل علی ذلک:

بل إن دعبلا المعاصر للإمام و المأمون، یرثی الإمام (ع) فیقول:

شککت: فما أدری أمسقی شربةفأبکیک أم ریب الردی فیهون

أیا عجبا منهم: یسمونک الرضاو یلقاک منهم کلحة و غضون فدعبل لم یکن شاکا فی الأمر. بدلیل البیت الثانی، أعنی قوله:

أیا عجبا منهم یسمونک إلخ ... و بدلیل مرثیته الاخری للإمام، التی یقول فیها:

لم یبق حی من الأحیاء نعلمهمن ذی یمان و لا بکر و لا مضر

إلاـو هم شرکاء فی دمائهمکما تشارک أیسار علی جزر الی آخر الأبیات ... و مهما شککت فی شیء، فإننی لا أشک فی أن أقوال دعبل هذه هی التی دعتهم لاتهامه بالزندقة، و المروق من الدین ...

و یقول السوسی:

بأرض طوس نائی الأوطانإذ غره المأمون بالأمانی

حین سقاه السم فی الرمان «۱»

و القاضی التنوخی أیضا یقول:

و مأمونکم سم الرضا بعد بیعةفآدت له شم الجبال الرواسب «۲» و أبو فراس أیضا یقول فی شافیته:

باءوا بقتل الرضا من بعد بیعتهو أبصروا بعض یوم رشدهم و عموا

---

(۱) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۷۴.

(۲) مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۲۸، و فی الغدیر ج ۳ ص ۳۸۰ هکـذا: «تود ذری شم الجبال إلخ ...».، و لعل الصواب فیه: «تهد ذری الخ ...».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۳۰ عصابة شقیت من بعد ما سعدتو معشر هلکوا من بعد ما سلموا

لا بیعة ردعتهم عن دمائهمو لا یمین، و لا قربی، و لا ذمم و هکـذا ... یتضح بما لا مجال معه للشک: أن کون المأمون هو الذی اغتال الإمام قد کان معروفا لدی الناس، و شائعا بینهم منذ ذلک الحین ...

و لا غرابة فی ذلک فلقد کان وعد حاجبه، و جمعا من العباسیین بأنه سوف یدبر فی الإمام بما یحسم عنه مواد بلائه!!.

الإمام و آباؤه علیهم السلام یخبرون بشهادته:

و بعـد کـل ما تقـدم ... نری أنه لا بـد لنا قبل أن نأتی علی آخر هـذا الفصل من الاشارة إلی أن الإمام نفسه قـد أخبر أکثر من مرة بأنه سوف یقضی شهیدا بالسم، بل لقد أخبر بذلک آباؤه الطاهرون، و غیرهـم ممن عاشوا فی ذلک الزمان ...

و نستطیع أن نقسم هذه الروایات الکثیرة جدا إلی ثلاث طوائف:

۱- طائفة وردت علی لسان النبی (ص)، و الأئمة (ع): یخبرون فیها عن استشهاد الإمام الرضا (ع) فی طوس، و هذه علی ما یبدو خمسة أحادیث.

۲- طائفة وردت عن الإمام نفسه، یخبر فیها بهذا الأمر، و بأن المأمون نفسه هو الذی سوف یقدم علی ذلک، و أنه سوف یدفن فی طوس إلی جنب هارون ...

و هذه الطائفة کثیرة جدا- و فی بعضها یصرح بذلک للمأمون نفسه، کما ألمحنا إلیه- حتی إنه زاد فی قصیدة دعبل؛ من أجل تتمیم قصیدته قوله:

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۳۱ و قبر بطوس یا لها من مصیبةألحت علی الأحشاء بالزفرات «۱» ۳- تلک الطائفة التی تشرح لنا کیفیة دس السم إلیه. و أنه بالعنب، أو بادخال الابر المسمومة فیه، أو بالرمان، أو بهما معا، أو بغیر ذلک ...

و هذه الطائفة کثیرة أیضا، و قد ورد بعضها عن الإمام نفسه. و قال بعض الکتاب: إنه تتبع هذه الروایات، فوجد انها تنتهی إلی ستة أشخاص، هم:

أبو الصلت عبد السلام الهروی، و الریان بن شبیب، و هرثمة بن أعین «۲» و محمد بن الجهم، و علی بن الحسین الکاتب، و عبد اللّه بن بشیر «۳» ...

و لکننی قد راجعت بدوری هذه الروایات؛ فوجدت: أن عددا آخر غیر هؤلاء قد رووا ذلک أیضا ...

و حتی الزیارة تؤکد علی استشهاده (ع):

و أخیرا ... فقد ورد فی الزیارة الجوادیة قول الامام الجواد (ع):

---

(۱) ینابیع المودة ص ۴۵۴، و مناقب ابن شهرآشوب ج ۴ ص ۳۳۸، و البحار ج ۴۹ ص ۲۳۹، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۳، ۲۶۴.

(۲) لم یکن هرثمة حیا حین وفاة الامام، لأنه بعد مقتل أبی السرایا ذهب إلی مرو، فلم یمهله المأمون، و تخلص منه بعد أیام قلائل من وصوله، فروایته لکیفیة وفاة الامام علیه السلام لا تصح، إلا أن یکون هرثمة اثنین ... هذا و یلاحظ بعض التشابه بین روایة هرثمة، و روایة أبی الصلت ... فلعل الأمر قد اشتبه علی الراوی، أو أنه قد ذکر اسم هرثمة لحاجة فی نفسه قضاها ...

(۳) القائل بذلک هو علی موحدی فی کتابه: ولایة عهدی امام رضا ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۳۲

«السلام علیک من إمام عصیب، و امام نجیب، و بعید قریب، و مسموم غریب «۱» ...»

و فی کامل الزیارة لابن قولویه، و هو من الکتب المعتمدة، و الموثوقة، و غیره: قد ورد قولهم (ع) فی زیارته: «قتل اللّه من قتلک بالأیدی و الألسن «۲»». و فقرة أخری فی زیارته تقول: «السلام علیک أیها الشهید السعید، المظلوم المقتول ... إلی أن قال: لعن اللّه أمة قتلتک، لعن اللّه أمة ظلمتک «۳»».

و أما قولهم (ع): أیها الصدیق الشهید، فهی موجودة فی غیر مورد من زیارته، و فی مختلف الکتب الموردة لها.

القمة الشامخة الخالدة:

و الآن ... و بعد أن أصبح الصبح واضحا لکل ذی عینین، و بان و ظهر ما جهد المأمون و من یدور فی فلکه فی إخفائه و طمسه- الآن- قد آن لنا أن نقول:

فلیکد المأمون کیده، و لیسع سعیه، و لیناصب جهده؛ فلقد بقی الإمام (ع)، رغم کل مؤامراته و دسائسه: قمة شامخة، لم تدنسه

الاهواء، و لم تنل منه العوادی ... و یبقی- و إلی الأبد- کعبهٔ الزوار، و مهوی الأفئدهٔ، من شرق الأرض و غربها ...
أما المأمون ... فیبوء بعارها و شنارها، و یذهب إلی ... لعنهٔ اللّه و التاریخ.

---

(۱) البحار ج ۱۰۲ ص ۵۳.
(۲) کامل الزیارات ص ۳۱۳، و مفاتیح الجنان ص ۵۰۱، و عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۷۰
(۳) عیون أخبار الرضا ج ۲ ص ۲۶۹.
الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۳۳

دعبل و المأمون!!:

الموقف الجریء

جاء فی أمالی الشیخ ج ۱ ص ۹۸، ۹۹، و أمالی المفید ص ۲۰۰، ۲۰۱، و ط الحیدریهٔ فی النجف ص ۱۹۲- ۱۹۳ و الاغانی ۸ ص ۵۷، و الغدیر ج ۲ ص ۳۷۵، ۳۷۶ عنه، و عن ابن عساکر فی تاریخه ج ۵ ص ۲۳۳ و أخبار شعراء الشیعهٔ للمرزبانی ص ۹۴- ۹۵ ما یلی:
عن یحیی بن أکثم، قال: إن المأمون أقدم دعبل رحمه اللّه، و آمنه علی نفسه؛ فلما مثل بین یدیه، و کنت جالسا بین یدی المأمون؛ فقال له: أنشدنی قصیدتک «الرائیهٔ»؛ فجحدها دعبل، و أنکر معرفتها؛ فقال له: لک الأمان علیها کما آمنتک علی نفسک؛ فأنشده:
تأسفت جارتی لما رأت زوریو عدت الحلم ذنبا غیر مغتفر
ترجو الصبا بعد ما شابت ذوائبهاو قد جرت طلقا فی حلبهٔ الکبر
أجارتی: إن شیب الدهر یعلمنیذکر المعاد، و أرضانی عن القدر
لو کنت ارکن للدنیا و زینتهاإذن بکیت علی الماضین من نفر
الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۳۴ أخنی الزمان علی أهلی فصدعهمتصدع الشعب لاقی صدمهٔ الحجر
بعض أقام، و بعض قد أصار بهداعی المنیهٔ و الباقی علی الأثر
أما المقیم: فأخشی أن یفارقنیو لست أوبهٔ من ولی بمنتظر
أصبحت أخبر عن أهلی و عن ولدیکحالم قص رؤیا بعد مدکر
لو لا تشاغل عینی بالاولی سلفوامن أهل بیت رسول اللّه لم أقر
و فی موالیک للحرین مشغلهٔمن أن تبیت لمشغول علی أثر
کم من ذراع لهم بالطف بائنهٔو عارض بصعید الترب منعفر
أمسی الحسین و مسراهم لمقتلهو هم یقولون هذا سید البشر
یا أمهٔ السوء ما جازیت أحمد فیحسن البلاء علی التنزیل و السور
خلفتموه علی الأبناء حین مضیخلافهٔ الذئب فی إنفاد ذی بقر قال یحیی: و أنفذنی المأمون فی حاجهٔ؛ فقمت، فعدت إلیه، و قد انتهی إلی قوله:
لم یبق حی من الأحیاء نعلمهمن ذی یمان، و لا بکر، و لا مضر
إلا و هم شرکاء فی دمائهمکما تشارک أیسار علی جزر
قتلا، و أسرا، و تخویفا و منهبهٔفعل الغزاهٔ بأهل الروم و الخزر

أرى أمية معذورين إن قتلواو لا أرى لبنى العباس من عذر

قوم قتلتم على الاسلام أو لهم‌حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر

أبناء حرب، و مروان، و أسرتهم‌بنو معيط، ولاة الحقد و الوغر

اربع بطوس على قبر الزكى بهاإن كنت تربع من دين على وطر

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۳۵ قبران فى طوس: خير الناس كلهم‌و قبر شرهم، هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكى و لاعلى الزكى بقرب الرجس من ضرر

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت‌له يداه؛ فخذ من ذاك أو فذر قال: فضرب المأمون بعمامته الأرض، و قال:

«صدقت و اللّه يا دعبل».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۳۶

كلمة ختامية:

و فى الختام:

فإننى أرجو أن اكون قد وفقت فى هذه الدراسة، للكشف عن الحقائق التى أريد لها أن تبقى طى الكتمان ... و أن يكون القارئ قد وجد فيها ما يصح أن يكون جوابا على الاسئلة الكثيرة، التى قد يثيرها لديه هذا الحدث التاريخى الهام، الذى لم يكن طبيعيا و عادّيا، كسائر ما يجرى و ما يحدث ...

الإكثار من النصوص التاريخية فى الكتاب:

و لعل المطلع على هذا الكتاب يكون قد لاحظ: أننى أكثرت فيه من النصوص التاريخية، و لم يكن هدفى من ذلك إلا أن لا يجد القارئ كبير عناء فى استخلاص الحقائق، بعيدا عن نزوات العاطفة، و عثرات الميول ...

و لا شك أنه يكون قد لاحظ أيضا: أننى لم أحاول انتقاء ألفاظه، و لا صياغة جمله صياغة فنية أنيقة ... و إذا كنت مقتنعا بأن ذلك من مميزاته، و حسناته؛ لاعتقادى بأن ذلك هو ما تفرضه طبيعة البحث

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۳۷

الموضوعى الهادئ ... فلسوف لا أستغرب، و لا أتألم إذا كان هناك الكثيرون، ممن يعتقدون أنه عيب و نقص، كان بالامكان تجنبه، و الابتعاد عنه ... و مع ذلك: فلن أجد نفسى مغبونا حين أقدم- بإخلاص- اعتذارى لهم، و طلب المسامحة، و غض النظر منهم ...

رجاء و اعتذار:

و إذا كان يجوز لى أخيرا: أن أطلب من إخوانى الاعزاء شيئا؛ فان رجائى الأكيد من كل من يقرأ كتابى هذا: أن يتحفنى بملاحظاته، و أن ينبهنى لما يجده، أو يراه خطأ، أو نقصا؛ فان الإنسان- إلا من اصطفى اللّه- معرض للخطأ و للصواب ... و إذا كان كثيرا ما يكون له فضل فيما أصاب؛ فكثيرا ما يكون له العذر أيضا فيما أخطأ ...

شكر و تقدير:

هذا ... و لا يسعنى هنا الا أن أتقدم بجزيل شكرى، و عميق تقديرى لسماحة حجة الاسلام المحقق السيد مهدى الروحانى، و

لأصحاب السماحة و الفضيلة، من أساتذتى و إخوانى، الذين تفضلوا بمطالعة هذا الكتاب؛ حيث كان لآرائهم الصائبة، و توجيهاتهم السديدة، و ملاحظاتهم الدقيقة أكبر الأثر على هذا الكتاب، إن فى الشكل، و إن فى المحتوى ...

و أخيرا ... فإننى أتقدم أيضا بخالص شكرى، و فائق تقديرى للقارئ الكريم، الذى جعلنى مدينا له، بما منحنى من وقته، و عقله، و فكره ...

و أرجو أن أكون قد وفقت للفوز بثقته أيضا ...

و لا أطيل عليك- قارئى الكريم-؛ فقد كان الفراغ من نقله إلى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۳۸

المبيضة ليلة الأحد السابع من صفر، الساعة التاسعة منها سنة ۱۳۹۶ ه.

ق. الموافق ۸ شباط سنة ۱۹۷۶ م ش.

و الحمد للّه، و له المنة، و صلاته و سلامه على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين ...

نزيل قم المقدسة جعفر مرتضى الحسينى العاملى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۳۹

رسالة نقد، و جوابها

اشارة

و بعد ... فان سماحة الأخ الجليل، و الفاضل النبيل، الشيخ عفيف النابلسى حفظه اللّه، قد تفضل مشكورا برسالة ... أبدى فيها رضاه و اعجابه بالكتاب، ثم أشار فيها إلى المآخذ التالية:

۱- لقد ورد فى ص ۱۳۳: أن زبيدة، زوجة الرشيد، كانت تتشيّع ...

مع أن سلوكها، و ظروفها، و أجواءها، و أيضا تاريخ أهلها و ذويها- كل ذلك يبعدها كل البعد عن نسبة التشيع لها؛ لا بمعناه الخاص، و لا العام، الذى يعنى الوقوف مع الامام الكاظم عليه السلام ضد خصومه، و التعاطف معه، و الاستنكار للظلم ...

و إرادة الرشيد طلاقها لعله لمضايقتها له، فى محاولاتها منعه من التمتع بحسناوات القصر ... و أما إحراق قبرها فهو لعدم تمييز العامة بين قبرها، و بين قبور آل بويه ...

۲- جاء فى ص ۱۳۳ أيضا: أن نكبة البرامكة يقال: ان سببها هو تشيعهم للعلويين، و هذا لا يتلاءم مع موقف يحيى حينما شكا إلى الرشيد أمر الكاظم عليه السلام، و شحن صدره غيظا على العلويين، و بالأخص على الامام الرضا عليه السلام منهم ... مع أن هذا ينافى ما ذكر فى ص ۲۶۳ من أن البرامكة كانوا أعداء لأهل البيت عليهم السلام ...

۳- ما جاء فى هامش ص ۳۵۵ من عدم الجزم بأن الابيات، التى أولها:

ذكروا بطلعتك النبى محمدا إلخ ...

هى للبحترى، و قد كان اللازم الجزم بذلك؛ لانسجام هذه الابيات مع سائر ابيات قصيدة البحترى ... هذا بالاضافة إلى أن الشاعر يقول: (حتى انتهيت الى المصلى لابسا) و معلوم أن الامام عليه السلام لم يصل إلى المصلى، بل رجع من وسط الطريق ... الأمر الذى يدل على أن الأبيات قد قيلت فى غير الامام عليه السلام، و قضية صلاته ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۰

أما نحن فنقول:

و نستمیح سماحة الأخ العذر، إذا أشرنا الی ما یلی ...

۱- أما بالنسبة إلی النقطة الأولی، و هی تشیع زبیدة، فاننا نقول: إننا لربما نجدهم فی کتب التاریخ یقولون عن مثل المغیرة بن شعبة، و الاشعث بن قیس و امثالهما ممن بایع علیا علیه السلام فی خلافته، و کذلک کل من ناصر قضایا أهل البیت سیاسیا، و بذل نفسه فی سبیلها: إنه من شیعة علی علیه السلام و أهل البیت ... من دون نظر إلی سلوکه، و میوله، و عقائده، و مذهبه ... و هذا الاطلاق کان فی الصدر الأول طبعا ... و المقصود منه: أنه من أتباع علی و أهل البیت و انصارهم ...

و إذا تجاوز ناتلک المرحلة ... فاننا لا بد و أن نؤکد علی الفرق بین کلمتی «شیعی»، و «تشیع» ... فان «الشیعی» فی اصطلاحهم هو من کان من الامامیة، أو الزیدیة، أو الکیسانیة، أو غیرهم من فرق الشیعة.

و کلمة: «یتشیع»، أو «فیه تشیع» یقصد منها فی کتب المتقدمین من أهل السنة- کما یری العلامة المحقق السید مهدی الروحانی- کل من کان یحب علیا علیه السلام، و أهل بیته الطاهرین، صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین ... و نشأت هذه الکلمة علی شکل تهمة و طعن؛ بتاثیر من الاجهزة الحاکمة، کمعاویة و المروانیین بعده، ثم کل الحکام المعادین لأهل البیت علیهم السلام؛ فکانت المحبة لأهل البیت- مجرد المحبة- تعدّ عند الناس أتباع السلطة الحاکمة جریمة کبری، و عظیمة لا تغفر ... قال الکمیت رحمه اللّه ...

بأی کتاب أم بأیة سنةتری حبهم عارا علی و تحسب

و طائفة قد کفرتنی بحبکمو طائفة قالوا مسیء و مذنب

یعیبوننی من خبّهم و ضلالهمعلی حبکم، بل یسخرون و أعجب فمحبة آل الرسول کانت فی دولة بنی أمیة تعدّ تشیعا، استبشاعا لها، و تقبیحا لأمرها، ثم زالت بشاعتها فی عصر بنی العباس لأمور تاریخیة ذات طابع خاص، حتی کان یطلق علی کل من کان من غیر الشیعة کلمة «التشیع» ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۴۱

و لأجل هذا قال ابن الندیم فی الفهرست: إن الامام الشافعی کان شدید التشیع، و قالوا فی محمد بن جریر الطبری: فیه تشیع یسیر، و موالاة لا تضر ... مع أن من الواضح: انهما لیسا من الشیعة ... و هذا الاطلاق یوجد کثیرا فی کتب التراجم و الرجال فی مقام الجرح و التعدیل ...

و علی کل حال ... فان هذا الفرق بین «الشیعة» و «المتشیعة» قد خفی علی سیدنا آیة اللّه الامام شرف الدین رحمه اللّه؛ حیث إنه ... قد ذکر عددا ممن کان فیه «تشیّع» فجعلهم من «الشیعة» ...

و لعل الذی أوقعه فی الاشتباه هو أن بعض «أهل الجرح و التعدیل» ممن تغلب علیه نزعة النصب، قد عدّ جماعة من هؤلاء «المتشیعة» من الروافض، توهینا لنزعتهم، و تسفیها لرأیهم فی محبة علی علیه السلام و أهل بیته الطاهرین.

و هارون الرشید کان ناصبیا، و قد تقدم فی فصل «موقف العباسیین من العلویین» و غیره بعض مواقفه و أفعاله ... فلعله لما رأی حب زوجته لأهل البیت أراد طلاقها ...

و واضح ... أن «التشیع» علی النحو الذی ذکرناه، لا یتنافی، و لا یتعارض مع الاعلان عن مواقف هی ضد الجهة التی یتعاطف معها، بوحی من مصالحه المعیشیة و الأمنیة و نحوها ... کما أنه لا یتنافی، و لا یتعارض مع عدم الالتزام العملی بالتعالیم المذهبیة، بل إنه قد یکون مستهترا عملا، و ینتهج سلوکا شاذا، و بعیدا عن روح و تعالیم الدین الحنیف. و مع ذلک یدّعی أنه ملتزم بدین، و منتم إلی مذهب، شأن الکثیرین من السیاسیین من المعاصرین و غیرهم ... کما أنه لا ملازمة بین التشیع و بین وجوب القیام بثورة مسلحة ضد نظام الحکم القائم ... و علیه ... فتشیّع زبیدة ربما یکون مقتصرا علی هذا التعاطف و الحب لأهل البیت، و لا یتنافی ذلک مع ما ذکره سماحة الأخ الکریم.

کما أن من البعید جدا: أن لا یکون قبر زبیدة، أعظم عباسیة فی التاریخ متمیزا، و معروفا لدی الناس، حتی العامة منهم ... کما أن

تعليل طلاقه لها بأنها:

كانت تضايقه، و تمنعه من التمتع بحسناوات القصر، ما هو إلا اجتهاد فى مقابل النص!! ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۲

۲- و أما البرامكة، فان ما ذكره الأخ لم يغب عن بالى وقتها، و هو صحيح مائة بالمائة ... و لكنه لا يعنى أن النص الآخر كذب محض؛ إذ ربما يكون القصد منه: ليس أنهم كانوا يتشيعون حقيقة، و إنما المراد أنه: حين رأى الرشيد نفوذهم و قوتهم، و خافهم على الملك، تعلل عليهم بذلك؛ ليقتلهم، و يتخلص منهم ...

كما أنه ليس من البعيد ... أنهم كانوا يجارون التيار، فيتظاهرون بالتشيع للعلويين؛ ليحافظوا على مكانتهم فى العامة ... فى نفس الوقت الذى كانوا يتآمرون فيه على آل على عليه السلام، و يبغون لهم فيه الغوائل، تماما، كما كان المتوكل يكرم الهادى عليه السلام فى الظاهر، و يبغى له الغوائل فى الباطن و الشواهد التاريخية على مثل هذا كثيرة جدا ...

۳- و أما قضية الشعر ... فاننا لا نصرّ على أنه للبحرى ... و إن كنا قد اشرنا إلى أن من الجائز أن يكون البحترى قد أخذه على سبيل الاستشهاد، و التضمين؛ فان ذلك أمر شائع و معروف بين الشعراء ... كما أننى قد بينت أن من الجائز أن يكون البحترى قد صحف عمدا أو سهوا فصار: البحرى ... كما أنه قد يكون العكس هو الصحيح. و أما أنه لم يصل الى المصلى، فان للشاعر ان يدعى ذلك اذا كان الامام (ع) قد قرب منه على سبيل المبالغة.

و بعد ... فاننا نستميح الأخ الشيخ العذر، و نسأل اللّه له دوام التوفيق و التسديد.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى ...

۲۲/ ۱/ ۱۴۰۰ ه. ق.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۳

وثائق هامة

اشارة

۱- رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع).

۲- وثيقة ولاية العهد.

۳- رسالة المأمون الى العباسيين.

۴- رسالة عبد اللّه بن موسى إلى المأمون.

۵- رسالة سفيان إلى هارون.

قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۵

رسالة الفضل بن سهل الى الامام (ع)

هذه الرسالة:

هذه الرسالة هى التى أرسلها الفضل بن سهل إلى الامام (ع)، يطلب فيها منه القدوم، من أجل عقد ولاية العهد له ...

و قد اطلعت عليها فى وقت متأخر، و تحدثت عن بعض ما يمكن استخلاصه منها فى بعض فصول الكتاب ...

و نظرا لأهميتها ... فقد آثرت أن أجعلها مع الوثائق الهامة، ليطلع عليها القارئ بنفسه ...

و قد أورد هذه الرسالة أبو القاسم عبد الكريم بن محمد، بن عبد الكريم الرافعى، الشافعى، القزوينى، المتوفى سنة ۶۲۳ ه. فى كتابه: «التدوين».

و الكتاب موجود منه نسختان خطيتان: إحداهما فى مكتبة «ناصرية» القسم الثانى رقم ۷۸۲ فى لكنهو. و الاخرى: خطية أيضا موجودة فى الاسكندرية ... و هناك نسختان مصورتان عنهما: إحداهما: فى مكتبة دفتر تبليغات اسلامى فى قم مصورة عن نسخة لكنهو، و الاخرى: الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ۴۴۵ هذه الرسالة: ..... ص : ۴۴۵

مكتبة المرعشى النجفى العامة فى قم مصورة فى طهران عن نسخة الاسكندرية.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۶

و هى فى النسخة المصورة عن لكنهو موجودة فى المجلد الثانى ... و فى المصورة عن مكتبة الاسكندرية موجودة فى ج ۴ ص ۵۱. و نقلها عن هذه النسخة السيد المرعشى النجفى فى ج ۱۲ من ملحقات الإحقاق ص ۳۸۱، ۳۸۲:

نص الرسالة:

قال فى التدوين: و النص لنسخة: لكنهو:

و لما عزم المأمون على تفويض العهد إليه (أى إلى الرضا)، بسعى ذى الرئاستين الفضل بن سهل ... كتب إليه ذو الرئاستين:

بسم اللّه الرحمن الرحيم:

لعلى بن موسى الرضا، و ابن رسول اللّه المصطفى، المهتدى بهديه، المقتدى بفعله، الحافظ لدين اللّه، الخازن لوحى اللّه، من وليه الفضل ابن سهل، الذى بذل فى رد حقه إليه مهجته، و وصل ليله فيه بنهاره ...

سلام عليك أيها المهتدى و رحمة اللّه و بركاته.

فانى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو، و أسأله أن يصلى على محمد عبده و رسوله.

أما بعد:

فإنى أرجو أن اللّه قد أدّى لك، و أذن لك فى ارتجاع حقك ممن استضعفك، و أن يعظم منه عليك، و أن يجعلك الامام الوارث.

و يرى أعداك، و من رغب عنك، منك ما كانوا يحذرون ...

و إن كتابى هذا عن إزماع من أمير المؤمنين، عبد اللّه الامام المأمون

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۷

و منى: على رد مظلمتك عليك، و إثبات حقوقك فى يديك، و التخلى منها إليك، على ما أسأل اللّه الذى وقف عليه: أن تبلغنى ما أكون بها أسعد العالمين، و عند اللّه من الفائزين، و لحق رسول اللّه من المؤدين.

و لك عليه من المعاونين، حتى أبلغ فى توليتك و دولتك كلتا الحسنتين «۱».

فإذا أتاك كتابى- جعلت فداك- و أمكنك أن لا تضعه من يدك، حتى تسير إلى باب أمير المؤمنين، الذى يراك شريكا فى أمره، و شفيعا فى نسبه، و أولى الناس بما تحت يده ... فعلت ما أنا بخيرة اللّه محفوفا، و بملائكته محفوظا، و بكلاءته محروسا. و إن اللّه كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائدة عليك، و صلاح الامة بك ...

و حسبنا اللّه و نعم الوكيل، و السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته ...

و كتبت بخطى ...

(۱) الظاهر انها: الحسنيين، لأنها اقتباس من الآية الكريمة ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۸

وثيقة ولاية العهد

مصادر الوثيقة:

نذكر من المصادر التى أوردت هذه الوثيقة، على سبيل المثال لا الحصر:
القلقشندى فى صبح الأعشى ج ۹ من ص ۳۶۲، إلى ص ۳۶۶، و أكملها بذكر ما كتبه الرضا (ع) و الشهود فى نفس الجزء من ۳۹۱ و حتى ۳۹۳، و أوردها أيضا فى مآثر الانافة فى معالم الخلافة ج ۲ من ص ۳۲۵ حتى ص ۳۳۶.، و هى أيضا فى شرح ميمية أبى فراس من ۲۹۹ إلى ۳۰۳. و فى نور الابصار ۱۴۲، ۱۴۳، و فى البحار ج ۴۹ ص ۱۴۸، إلى ۱۵۳، و مسند الإمام الرضا ج ۱ قسم ۱ من ص ۱۰۲ إلى ص ۱۰۷، و الفصول المهمة لابن الصباغ ابتداء من ص ۲۹۳، و وسيلة النجاة لمحمد مبين الهندى ابتداء من ص ۳۸۷، طبع لكنهو، و رواها أيضا الكاشانى فى معادن الحكمة، و الشبراوى فى الاتحاف بحب الاشراف مختصرا و ابن شهر اشوب فى مناقب آل أبى طالب، و الاربلى فى كشف الغمة، و السيد الامين فى المجالس السنية، و أعيان الشيعة، و ابن الجوزى فى التذكرة، و ذكر الأخيران إنها قد ذكرها عامة المؤرخين. و عن التفتازانى إن الوثيقة كانت موجودة فى عهده، و الاربلى أيضا يقول

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۴۹

بأنها كانت موجودة فى عهده، و أنه فى سنة سبعين و ستمائة اطلع على وثيقة العهد الأصلية، و نقلها فى كتابه حرفا فحرفا ... و أشار إليها أيضا ابن الطقطقى فى الفخرى فى الآداب السلطانية.
و غير هؤلاء كثير ... و نحن نذكر الوثيقة موافقة لما فى صبح الاعشى، و مآثر الانافة، فنقول:

نص الوثيقة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ:* هذا كتاب كتبه عبد اللّه بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، لعلى بن موسى بن جعفر، ولى عهده ...
أما بعد:
فإن اللّه عز و جل اصطفى الاسلام دينا، و اصطفى من عباده رسلا دالين عليه، و هادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، و يصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة اللّه إلى محمد (ص)، على فترة من الرسل، و دروس من العلم، و انقطاع من الوحى، و اقتراب من الساعة، فختم اللّه به النبيين، و جعله شاهدا لهم، و مهيمنا عليهم. و أنزل عليه كتابه العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحل و حرم، و وعد و أوعد، و حذر و أنذر، و أمر به، و نهى عنه؛ لتكون له الحجة البالغة على خلقه؛ ليهلك من هلك عن بينة، و يحيا من حىّ عن بينة، و إن اللّه لسميع عليم ...
فبلغ عن اللّه رسالته، و دعا إلى سبيله بما أمره به: من الحكمة، و الموعظة الحسنة، و المجادلة بالتى هى أحسن، ثم بالجهاد و الغلظة،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۵۰

حتى قبضه اللّه إليه، و اختار له ما عنده (ص)؛ فلما انقضت النبوة، و ختم اللّه بمحمد (ص) الوحى و الرسالة، جعل قوام الدين، و نظام أمر المسلمين بالخلافة، و اتمامها و عزها، و القيام بحق اللّه فيها بالطاعة، التى يقام بها فرائض اللّه تعالى و حدوده، و شرائع الاسلام و سننه، و يجاهد بها عدوه ...

فعلى خلفاء اللّه طاعته فيما استحفظهم و استرعاهم من دينه و عباده، و على المسلمين طاعة خلفائهم، و معاونتهم على إقامة حق اللّه و

عدله، و أمن السبیل، و حقن الدماء، و صلاح ذات البین، و جمع الالفة.

و فی خلاف ذلک اضطراب حبل المسلمین، و اختلالهم، و اختلاف ملتهم، و قهر دینهم، و استعلاء عدوهم، و تفرق الکلمة، و خسران الدنیا و الآخرة فحق علی من استخلفه اللّه فی أرضه، و ائتمنه علی خلقه، أن یجهد اللّه نفسه، و یؤثر ما فیه رضا اللّه و طاعته، و یعتد لما اللّه مواقفه علیه، و مسائله عنه. و یحکم بالحق، و یعمل بالعدل فیما أحله اللّه و قلده؛ فإن اللّه عز و جل یقول لنبیه داود: «یا داود إنا جعلناک خلیفة فی الأرض فاحکم بین الناس بالحق، و لا تتبع الهوی، فیضلک عن سبیل اللّه، إن الذین یضلون عن سبیل اللّه لهم عذاب شدید بما نسوا یوم الحساب».

و قال اللّه عز و جل: «فو ربک لنسألنهم أجمعین عما کانوا یعملون»، و بلغنا أن عمر بن الخطاب قال: «لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات، لتخوفت أن یسألنی اللّه عنها».

و أیم اللّه، إن المسئول عن خاصة نفسه، الموقوف علی عمله فیما بینه و بین اللّه، لیعرض علی أمر کبیر، و علی خطر عظیم، فکیف بالمسؤول عن رعایة الامة. و باللّه الثقة، و إلیه المفزع و الرغبة فی التوفیق و العصمة، و التسدید و الهدایة إلی ما فیه ثبوت الحجة، و الفوز من اللّه بالرضوان و الرحمة ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۱

و أنظر الامة لنفسه، و أنصحهم للّه فی دینه و عباده، من خلائقه فی أرضه، من عمل بطاعة اللّه و کتابه، و سنة نبیه (ص) فی مدة أیامه، و بعدها، و أجهد رأیه فیمن یولیه عهده، و یختاره لامامة المسلمین و رعایتهم بعده، و ینصبه علما لهم، و مفزعا فی جمع الفتهم، و لمّ شعثهم، و حقن دمائهم، و الأمن بإذن اللّه من فرقتهم، و فساد ذات بینهم و اختلافهم، و رفع نزغ الشیطان و کیده عنهم، فإن اللّه عز و جل جعل العهد بعد الخلافة من تمام الاسلام و کماله، و عزه، و صلاح أهله، و ألهم خلفاءه من توکیده لمن یختارونه له من بعدهم من عظمت به النعمة، و شملت فیه العافیة، و نقض اللّه بذلک مکر أهل الشقاق و العداوة، و السعی و الفرقة، و التربص للفتنة.

و لم یزل أمیر المؤمنین منذ أفضت إلیه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقها، و ثقل محملها، و شدة مؤونتها، و ما یجب علی من تقلدها من ارتباط طاعة اللّه، و مراقبته فیما حمله منها، فأنصب بدنه، و أسهر عینه، و أطال فکره فیما فیه عز الدین، و قمع المشرکین، و صلاح الامة، و نشر العدل، و إقامة الکتاب و السنة. و منعه ذلک من الخفض و الدعة، و مهنأ العیش، علما بما اللّه سائله عنه، و محبة أن یلقی اللّه مناصحا له فی دینه، و عباده، و مختارا لولایة عهده، و رعایة الامة من بعده: أفضل من یقدر علیه: فی دینه و ورعه، و علمه، و أرجاهم للقیام فی أمر اللّه و حقه، مناجیا بالاستخارة فی ذلک، و مسألته إلهامه ما فیه رضاه و طاعته، فی آناء لیله و نهاره. معملا فی طلبه و التماسه فی أهل بیته: من ولد عبد اللّه بن العباس، و علی بن أبی طالب فکره، و نظره. مقتصرا ممن علم حاله و مذهبه منهم علی علمه، و بالغا فی المسألة عمن خفی علیه أمره جهده و طاقته ... حتی استقصی أمورهم معرفة، و ابتلی أخبارهم مشاهدة، و استبرأ أحوالهم معاینة، و کشف ما عندهم مساءلة، فکان خیرته بعد

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۲

استخارته اللّه، و إجهاده نفسه فی قضاء حقه فی عباده و بلاده، فی البیتین جمیعا:

علی بن موسی، بن جعفر، بن محمد ابن علی، بن الحسین، بن علی، بن أبی طالب لما رأی من فضله البارع، و علمه النافع، و ورعه الظاهر، و زهده الخالص، و تخلیه من الدنیا، و تسلمه من الناس ...

و قد استبان له ما لم تزل الأخبار علیه متواطئة، و الألسن علیه متفقة، و الکلمة فیه جامعة، و لما لم یزل یعرفه به من الفضل: یافعا، و ناشئا، و حدثا، و مکتهلا، فعقد له بالعقد و الخلافة من بعده «۱» ...

واثقا بخیرة اللّه فی ذلک، إذ علم اللّه أنه فعله إیثارا له، و للدین، و نظرا للاسلام و المسلمین، و طلبا للسلامة، و ثبات الحجة، و النجاة فی الیوم الذی یقوم الناس فیه لرب العالمین.

و دعا أمیر المؤمنین ولـده، و أهل بیته، و خاصـته، و قواده، و خـدمه فبایعوا مسارعین مسـرورین، عالمین بإیثار أمیر المؤمنین طاعة اللّه علی الهوی فی ولده و غیرهم، ممن هو أشبک منه رحما، و أقرب قرابة.

و سماه «الرضا» «۲»؛ إذ کان رضا عند أمیر المؤمنین.

---

(۱) فی بعض نسخ کشف الغمة فی الهامش: أنه (ع) کتب بقلمه الشریف تحت قوله:

«و الخلافة من بعده» قوله: «بل جعلت فداک».

(۲) فی بعض نسخ کشف الغمة فی الهامش: أنه (ع) کتب بقلمه الشریف تحت کلمة:

«الرضا» قوله: «رضی اللّه عنک و أرضاک، و احسن فی الدارین جزاک» و فی اخری:

أنه کتب تحت ذکر اسـمه علیه السـلام بقلمه الشریف: «و صلتک رحم، و جزیت خیرا»، و کتب بقلمه الشریف تحت الثناء علیه: «أثنی اللّه علیک فأجمل، و أجزل لدیک الثواب فأکمل».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۳

فبایعوا معشـر أهل بیت أمیر المؤمنین، و من بالمدینة المحروسة، من قواده و جنده، و عامة المسلمین، لأمیر المؤمنین، و للرضا من بعده علی ابن موسـی علی اسـمه و برکته، و حسن قضائه لدینه و عباده، بیعة مبسوطة إلیها أیدیکم، منشرحة لها صدورکم، عالمین بما أراد أمیر المؤمنین، بها، و آثر طاعة اللّه، و النظر لنفسه و لکم فیها، شاکرین اللّه علی ما ألهم أمیر المؤمنین بها: من قضاء حقه فی رعایتکم، و حرصه علی رشدکم و صلاحکم، راجین عائدة ذلک فی جمع الفتکم، و حقن دمائکم، و لمّ شعثکم، و سد ثغورکم، و قوة دینکم، و رغم عدوکم، و استقامة أمورکم.

و سارعوا إلی طاعة اللّه، و طاعة أمیر المؤمنین؛ فإنه الأمن إن سارعتم إلیه، و حمدتم اللّه علیه، عرفتم الحظ فیه إن شاء اللّه.

و کتب بیده یوم الاثنین، لسبع خلون من شهر رمضان، سنة إحدی و مائتین ...

قال القلقشندی: «ثم إنه تقدم إلی علی بن موسی، و قال له:

اکتب خطک بقبول هذا العهد، و أشهد اللّه، و الحاضرین علیک بما تعده فی حق اللّه، و رعایة المسلمین، فکتب علی الرضا تحته إلخ ...».

صورة ما کان علی ظهر العهد، بخط الامام علی بن موسی الرضا علیهما السلام بسم اللّه الرحمن الرحیم:

الحمـد للّه الفعـال لما یشاء، و لا معقب لحکمه، و لا رادّ لقضائه، یعلم خائنـة الأعین، و ما تخفی الصـدور. و صـلاته علی نبیه محمـد، خاتم النبیین، و آله الطیبین الطاهرین ...

أقول- و أنا علی بن موسی الرضا بن جعفر-: إن أمیر المؤمنین عضده اللّه بالسداد، و وفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غیره؛

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۴

فوصل أرحاما قطعت، و أمن أنفسا فزعت، بل أحیاها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغیا رضا رب العالمین، لا یرید جزاء من غیره، و سیجزی اللّه الشاکرین، و لا یضیع أجر المحسنین ...

و إنه جعل إلیّ عهـده، و الإمرة الکبری- إن بقیت- بعـده، فمن حلّ عقدة أمر اللّه بشدها، و فصم عروة أحب اللّه إیثاقها، فقد أباح اللّه حریمه، و أحـل محرمه، إذ کـان بـذلک زاریا علی الإمام، منتهکا حرمـة الإسـلام. بـذلک جری السالف، فصبر منه علی الفلتات، و لم یعترض علی العزمات، خوفا من شتات الدین، و اضطراب حبل المسلمین، و لقرب أمر الجاهلیة، و رصد فرصة تنتهز، و بائقة تبتدر ...

و قد جعلت اللّه علی نفسـی، إن استرعانی أمر المسـلمین، و قلدنی خلافته: العمل فیهم عامة، و فی بنی العباس بن عبد المطلب خاصـة بطـاعته، و طاعـة رسوله (ص)، و أن لا أسـفک دما حراما، و لا أبیـح فرجا، و لا مالا، إلا ما سـفکته حـدود اللّه، و أباحته فرائضه. و أن

أتخير الكفاة جهدى و طاقتى. و جعلت بذلك على نفسى عهدا مؤكدا، يسألنى اللّه عنه؛ فإنه عز و جل يقول: «و أوفوا بالعهد، إن العهد كان مسئولا».

و إن أحدثت، أو غيرت، أو بدلت، كنت للغير مستحقا، و للنكال متعرضا. و أعوذ باللّه من سخطه، و إليه أرغب فى التوفيق لطاعته، و الحول بينى و بين معصيته، فى عافية لى و للمسلمين ...

و الجامعة و الجفر يدلان على ضد ذلك، و ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم، إن الحكم إلا للّه، يقضى بالحق «۱»، و هو خير الفاصلين ...

---

(۱) الظاهر أن الصواب هو «يقص الحق»، كما فى معالم الانافة.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۵۵

لكننى امتثلت أمر أمير المؤمنين، و آثرت رضاه، و اللّه يعصمنى و إياه، و أشهدت اللّه على نفسى بذلك، و كفى باللّه شهيدا ...

و كتبت بخطى، بحضرة أمير المؤمنين، أطال اللّه بقاءه، و الفضل ابن سهل، و سهل بن الفضل، و يحيى بن اكثم، و عبد اللّه بن طاهر، و ثمامة بن أشرس، و بشر بن المعتمر، و حماد بن النعمان، فى شهر رمضان، سنة إحدى و مائتين ...

الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب، ظهره، و بطنه.

و هو يسأل اللّه: أن يعرف أمير المؤمنين، و كافة المسلمين بركة هذا العهد، و الميثاق. و كتب بخطه فى تاريخ المبيّن فيه ...

عبد اللّه بن طاهر بن الحسين، أثبت شهادته فيه بتاريخه.

شهد حماد بن النعمان بمضمونه: ظهره و بطنه، و كتب بيده فى تاريخه.

بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك.

الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين، أطال اللّه بقاءه قراءة هذه الصحيفة، التى هى صحيفة الميثاق. نرجو أن نجوز بها الصراط، ظهرها و بطنها، بحرم سيدنا رسول اللّه (ص)، بين الروضة و المنبر، على رءوس الأشهاد، بمرأى و مسمع من وجوه بنى هاشم، و ساير الأولياء و الأجناد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۵۶

المسلمين، و لتبطل الشبهة التى كانت اعترضت آراء الجاهلين: «و ما كان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه» ...

و كتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه «۱».

انتهى ...

---

(۱) و فى هامش نسخة مصححة قال مصححها: «قال العبد الفقير إلى اللّه تعالى، الفضل بن يحيى عفى اللّه عنه: قابلت المكتوب الذى كتبه الامام على بن موسى الرضا صلوات اللّه عليه، و على آبائه الطاهرين بأصله الذى كتبه الامام المذكور (ع) بيده الشريفة، حرفا فحرفا. و الحقت ما فات منه، و ذكرت أنه من خطه. و ذلك يوم الثلاثاء، مستهل المحرم، من سنة تسع و تسعين و ست مائة الهلالية بواسط، و الحمد للّه، و له المنة ...» انتهى أقول: و الذى الحقه هو ما قدمناه فى هوامش الصفحات المتقدمة ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۷

رسالة المأمون الی العباسیین

مصادر الکتاب:

هذا الکتاب مذکور فی طرائف ابن طاوس، الترجمة الفارسیة من ص ۱۳۱، إلی ص ۱۳۵، نقلا عن کتاب ندیم الفرید، لابن مسکویه، صاحب کتاب حوادث الاسلام ... و فی البحار للعلامة المجلسی ج ۴۹ من ص ۲۰۸ إلی ص ۲۱۴، و فی قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۳۵۶، إلی ۳۶۰، و فی ینابیع المودة للقندوزی الحنفی ص ۴۸۴، ۴۸۵ مختصرا، و نقل فی الغدیر ج ۱ ص ۲۱۲ قسما منه عن عبقات الأنوار للهندی ج ۱ ص ۱۴۷، و أشار إلیه غیر واحد من المؤلفین ...

نص الکتاب:

کتب العباسیون کتابا إلی المأمون، و طلبوا منه الاجابة علیه؛ فأجابهم بما یلی:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم: و الحمد للّه رب العالمین، و صلی اللّه علی محمد و آل محمد، علی رغم أنف الراغمین ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۸

أما بعد:

عرف المأمون کتابکم، و تدبیر أمرکم، و مخض زبدتکم، و أشرف علی قلوب صغیرکم و کبیرکم، و عرفکم مقبلین و مدبرین، و ما آل إلیه کتابکم قبل کتابکم، فی مراوضة الباطل، و صرف وجوه الحق عن مواضعها، و نبذکم کتاب اللّه و الآثار، و کلما جاءکم به الصادق محمد (ع)، حتی کأنکم من الامم السالفة، التی هلکت بالخسفة، و الغرق، و الریح، و الصیحة، و الصواعق، و الرجم ...

أ فلا یتدبرون القرآن أم علی قلوب أقفالها؟ ... و الذی هو أقرب إلی المأمون من حبل الورید، لو لا أن یقول قائل: إن المأمون ترک الجواب عجزا لما أجبتکم؛ من سوء أخلاقکم، و قلة أخطارکم، و رکاکة عقولکم، و من سخافة ما تأوون إلیه من آرائکم؛ فلیستمع مستمع، فلیبلغ شاهد غائبا ...

أما بعد:

فإن اللّه تعالی بعث محمدا علی فترة من الرسل، و قریش فی أنفسها، و أموالها، لا یرون أحدا یسامیهم، و لا یباریهم، فکان نبینا (ص) أمینا من أوسطهم بیتا، و أقلهم مالا؛ فکان أول من آمن به خدیجة بنت خویلد؛ فواسته بمالها. ثم آمن به أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب سبع سنین، لم یشرک باللّه شیئا طرفة عین، و لم یعبد وثنا، و لم یأکل ربا، و لم یشاکل الجاهلیة فی جهالاتهم، و کانت عمومة رسول اللّه إما مسلم مهین، أو کافر معاند، إلا حمزة؛ فإنه لم یمتنع من الاسلام، و لا یمتنع الاسلام منه، فمضی لسبیله علی بینة من ربه ...

و أما أبو طالب: فإنه کفله و رباه، و لم یزل مدافعا عنه، و مانعا منه؛ فلما قبض اللّه أبا طالب، فهمّ القوم، و أجمعوا علیه لیقتلوه؛

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۵۹

فهاجر إلی القوم الذین تبؤوا الدار و الإیمان من قبلهم، یحبون من هاجر إلیهم، و لا یجدون فی صدورهم حاجة مما أوتوا، و یؤثرون علی أنفسهم، و لو کان بهم خصاصة، و من یوق شح نفسه فأولئک هم المفلحون ...

فلم یقم مع رسول اللّه (ص) أحد من المهاجرین کقیام علی بن أبی طالب (ع): فإنه آزره و وقاه بنفسه، و نام فی مضجعه. ثم لم یزل بعد مستمسکا بأطراف الثغور، و ینازل الأبطال، و لا ینکل عن قرن، و لا یولی عن جیش، منیع القلب، یؤمر علی الجمیع، و لا یؤمر علیه

أحد. أشد الناس وطأة على المشركين، و أعظمهم جهادا فی اللّه، و أفقههم فی دين اللّه، و أقرأهم لكتاب اللّه، و أعرفهم بالحلال و الحرام.

و هو صاحب الولاية فی حديث «غدير خم»، و صاحب قوله:

«أنت منی بمنزلة هارون من موسی، إلا أنه لا نبی بعدی»، و صاحب يوم الطائف. و كان أحب الخلق إلی اللّه تعالی، و إلی رسول اللّه (ص).

و صاحب الباب، فتح له، و سد أبواب المسجد. و هو صاحب الراية يوم خيبر. و صاحب عمرو بن عبد ود فی المبارزة. و أخو رسول اللّه (ص) حين آخی بين المسلمين ...

و هو منيع جزيل. و هو صاحب آية: «و يطعمون الطعام على حبه مسكينا، و يتيما، و أسيرا». و هو زوج فاطمة سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء أهل الجنة، و هو ختن خديجة (ع). و هو ابن عم رسول اللّه (ص)، رباه و كفله. و هو ابن أبی طالب فی نصرته و جهاده. و هو نفس رسول اللّه (ص) فی يوم المباهلة.

و هو الذی لم يكن أبو بكر و عمر ينفذان أمرا حتی يسألانه عنه؛ فما رأی إنفاذه أنفذاه، و ما لم يره رداه. و هو دخل من بنی هاشم فی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶۰

الشوری، و لعمری لو قدر أصحابه على دفعه «۱» عنه (ع)، كما دفع العباس رضوان اللّه عليه، و وجدوا إلی ذلك سبيلا لدفعوه.

فأما تقديمكم العباس عليه؛ فإن اللّه تعالی يقول: «أ جعلتم سقاية الحاج، و عمارة المسجد الحرام كمن آمن باللّه و اليوم الآخر، و جاهد فی سبيل اللّه، لا يستوون عند اللّه».

و اللّه، لو كان ما فی أمير المؤمنين من المناقب و الفضائل، و الآی المفسرة فی القرآن خلة واحدة فی رجل من رجالكم، أو غيره، لكان مستأهلا متأهلا للخلافة، مقدما على أصحاب رسول اللّه بتلك الخلة، ثم لم يزل الامور تتراقی به إلی أن ولی أمور المسلمين، فلم يعن بأحد من بنی هاشم إلا بعبد اللّه بن عباس، تعظيما لحقه، و وصلة لرحمه، و ثقة به، فكان من أمره الذی يغفر اللّه له ...

ثم ... نحن و هم يد واحدة- كما زعمتم- حتی قضی اللّه تعالی بالأمر إلينا، فأخفناهم، و ضيقنا عليهم، و قتلناهم أكثر من قتل بنی أمية إياهم ... و يحكم، إن بنی أمية إنما قتلوا من سل منهم سيفا، و إنا معشر بنی العباس قتلناهم جملا، فلتسألن أعظم الهاشمية بأی ذنب قتلت، و لتسألن نفوس ألقيت فی دجلة و الفرات، و نفوس دفنت ببغداد و الكوفة أحياء، هيهات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، و من يعمل مثقال ذرة شرا يره ...

و أما ما وصفتم فی أمر المخلوع، و ما كان فيه من لبس؛ فلعمری ما لبّس عليه أحد غيركم؛ إذ هونتم عليه النكث، و زينتم له الغدر، و قلتم له: ما عسی أن يكون من أمر أخيك، و هو رجل مغرب، و معك الأموال و الرجال، نبعث إليه، فيؤتی به؛ فكذبتم، و دبرتم،

---

(۱) فی الترجمة الفارسية هكذا: «على دفع على (ع) عنها إلخ ...».

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶۱

و نسيم قول اللّه تعالی: «و من بغی عليه لينصرنه اللّه ...».

و أما ما ذكرتم: من استبصار المأمون فی البيعة لأبی الحسن الرضا (ع)؛ فما بايع له المأمون إلا مستبصرا فی أمره، عالما بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلا، و لا أظهر عفة، و لا أورع ورعا، و لا أزهد زهدا فی الدنيا، و لا أطلق نفسا، و لا أرضی فی الخاصة و العامة، و لا أشد فی ذات اللّه منه. و إن البيعة له لموافقة رضا الرب عز و جل. و لقد جهدت و ما أجد فی اللّه لومة لائم ...

و لعمری، لو كانت بيعتی بيعة محاباة، لكان العباس ابنی، و سائر ولدی أحب إلی قلبی، و أجلی فی عينی، و لكن أردت أمرا، و أراد اللّه أمرا؛ فلم يسبق أمری أمر اللّه.

و أما ما ذكرتم: مما مسكم من الجفاء فى ولايتى، فلعمرى ما كان ذلك إلا منكم بمظافرتكم عليه، على (خ د)، و ممايلتكم إياه، فلما قتلته و تفرقتم عباديد، فطورا أتباعا لابن أبى خالد، و طورا أتباعا لأعرابى، و طورا أتباعا لابن شكلة، ثم لكل من سل سيفا على. و لو لا أن شيمتى العفو، و طبيعتى التجاوز ما تركت على وجهها منكم أحدا، فكلكم حلال الدم، محل بنفسه ...

و أما ما سألتم: من البيعة للعباس ابنى ... أ تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير؟! ويلكم، إن العباس غلام حدث السن، و لم يؤنس رشده، و لم يمهل وحده، و لم تحكمه التجارب. تدبره النساء، و تكفله الاماء، ثم ... لم يتفقه فى الدين، و لم يعرف حلالا من حرام، إلا معرفة لا تأتى به رعية، و لا تقوم به حجة، و لو كان مستأهلا، قد أحكمته التجارب، و تفقه فى الدين، و بلغ مبلغ أمير العدل فى الزهد فى الدنيا، و صرف النفس عنها ... ما كان له عندى فى الخلافة، إلا ما كان لرجل من عك و حمير، فلا تكثروا من هذا المقال، فإن لسانى لم

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶۲

يزل مخزونا عن أمور و أنباء، كراهية أن تخنث النفوس عند ما تنكشف، علما بأن اللّه بالغ أمره، و مظهر قضاه يوما ...

فإذ أبيتم إلا- كشف الغطاء، و قشر العظاء، فالرشيد أخبرنى عن آبائه، و عما وجده فى كتاب الدولة، و غيرها: أن السابع من ولد العباس، لا تقوم لبنى العباس بعده قائمة، و لا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودّعها، فإذا أودع فودعاها، و إذا فقدتم شخصى، فاطلبوا لأنفسكم معقلا، و هيهات، ما لكم إلا السيف، يأتيكم الحسنى الثائر البائر، فيحصدكم حصدا، أو السفيانى المرغّم، و القائم المهدى لا يحقن دماءكم إلا بحقها ...

و أما ما كنت أردته من البيعة لعلى بن موسى، بعد استحقاق منه لها فى نفسه، و اختيار منى له، فما كان ذلك منى إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، و الذائد عنكم، باستدامة المودة بيننا و بينهم. و هى الطريق أسلكها فى إكرام آل أبى طالب، و مواساتهم فى الفيء بيسير ما يصيبهم منه.

و إن تزعموا: أنى أردت أن يؤول إليهم عاقبة و منفعة، فإنى فى تدبيركم، و النظر لكم و لعقبكم، و ابنائكم من بعدكم ... و أنتم ساهون، لاهون، تائهون، فى غمرة تعمهون، لا تعلمون ما يراد بكم، و ما أظللتم عليه من النقمة، و ابتزاز النعمة. همة أحدكم أن يمسى مركوبا، و يصبح مخمورا تباهون بالمعاصى، و تبتهجون بها، و آلهتكم البرابط، مخنثون، مؤنثون لا يتفكر متفكر منكم فى إصلاح معيشة، و لا استدامة نعمة، و لا اصطناع مكرمة، و لا كسب حسنة يمد بها عنقه، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم ...

أضعتم الصلاة، و اتبعتم الشهوات، و اكببتم على اللذات، فسوف تلقون غيا. و أيم اللّه، لربما أفكر فى أمركم، فلا أجد أمة من الامم استحقوا

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶۳

العذاب، حتى نزل بهم لخلة من الخلال، إلا أصيب تلك الخلة بعينها فيكم، مع خلال كثيرة، لم أكن أظن أن إبليس اهتدى إليها، و لا أمر بالعمل بها. و قد أخبر اللّه تعالى فى كتابه العزيز عن قوم صالح:

أنه كان فيهم تسعة رهط يفسدون فى الارض و لا- يصلحون، فأيكم ليس معه تسعة و تسعون من المفسدين فى الأرض، قد اتخذتموهم شعارا، و دثارا، استخفافا بالمعاد، و قلة يقين بالحساب. و أيكم له رأى يتبع، أو روية تنفع، فشاهت الوجوه، و عفرت الخدود.

و أما ما ذكرتم: من العثرة كانت فى أبى الحسن (ع) نور اللّه وجهه، فلعمرى. إنها عندى للنهضة و الاستقلال، الذى أرجو به قطع الصراط، و الأمن و النجاة من الخوف يوم الفزع الاكبر. و لا أظن عملا هو عندى أفضل من ذلك، إلا أن أعود بمثلها إلى مثله، و أين لى بذلك، و أنى لكم بتلك السعادة ...

و أما قولكم: إنى سفهت آراء آبائكم، و أحلام أسلافكم، فكذلك قال مشركوا قريش: «إنا وجدنا آباءنا على أمة، و إنا على آثارهم مقتدون». ويلكم، إن الدين لا يؤخذ إلا من الأنبياء، فافقهوا، و ما أراكم تعقلون ...

و أما تعييركم إياى: بسياسة المجوس إياكم، فما أذهبكم الانفة «۱» من ذلك، و لو ساستكم القردة و الخنازير، و ما أردتم إلا أمير المؤمنين ...

و لعمرى، لقد كانوا مجوسا فأسلموا، كآبائنا، و أمهاتنا فى القديم، فهم المجوس الذين أسلموا و أنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسى أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، و يأمرون بالمعروف، و يتقربون من الخير، و يتباعدون من الشر، و يذبون عن حرم المسلمين،

---

(۱) الظاهر أن الصواب: «فما أذهبكم عن الأنفة».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۶۴

يتباهجون بما نال الشرك و أهله من النكر، و يتباشرون بما نال الاسلام و أهله من الخير ... منهم من قضى نحبه، و منهم من ينتظر، و ما بدلوا تبديلا.

و ليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون فى عقله و تدبيره: إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. و اللّه، لو أن بنى أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من معايب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعارا و دثارا، و صناعة و أخلاقا ...

ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، و إذا مسه الخير منع، و لا تأنفون، و لا ترجعون إلا خشية، و كيف يأنف من يبيت مركوبا، و يصبح باثمه معجبا، كأنه قد اكتسب حمدا، غايته بطنه و فرجه، لا يبالى أن ينال شهوته بقتل ألف نبى مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه فى فاحشة، تنظفه المخمورة، و تربده المطمورة، فشتت الأحوال ... فإن ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات و الفضائح، و ما تهذرون به من عذاب ألسنتكم ... و إلا فدونكم تعلوا بالحديد ...

و لا قوة إلا باللّه، و عليه توكلى، و هو حسبى».

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۶۵

رسالة عبد اللّه بن موسى الى المأمون

النص الأول للرسالة:

قال أبو الفرج الاصفهانى، صاحب كتاب «الأغانى»، فى كتابه:

مقاتل الطالبيين ص ۶۳۰، ۶۳۱، فى معرض حديثه عن عبد اللّه بن موسى، بن عبد اللّه بن الحسن، بن على بن أبى طالب (ع)، الذى كان قد توارى فى أيام المأمون:

«... و أخبرنى جعفر بن محمد الورّاق الكوفى، قال: حدثنى عبد اللّه بن على بن عبيد اللّه العلوى الحسينى، عن أبيه، قال:

كتب المأمون إلى عبد اللّه بن موسى، و هو متوار منه، يعطيه الأمان، و يضمن له: أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلى بن موسى، و يقول:

«... ما ظننت أن أحدا من آل أبى طالب يخافنى، بعد ما عملته بالرضا ...».

و بعث الكتاب إليه. فكتب إليه عبد اللّه بن موسى:

«... وصل كتابك، و فهمته، تختلنى فيه عن نفسى ختل القانص، و تحتال على حيلة المغتال، القاصد لسفك دمى ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶۶

و عجبت من بذلک العهد، و ولایته لی بعدک؛ کأنک تظن أنه لم یبلغنی ما فعلته بالرضا!! ففی أی شیء ظننت أنی أرغب من ذلک؟!.

أ فی الملک الذی قد غرتک نضرته و حلاوته؟!. فو اللّه، لأن أقذف- و أنا حی- فی نار تتأجج أحب إلیّ من أن ألی أمرا بین المسلمین، أو أشرب شربة من غیر حلها، مع عطش شدید قاتل ..

أم فی العنب المسموم، الذی قتلت به الرضا؟!.

أم ظننت أن الاستتار قد أملنی، و ضاق به صدری؟!. فو اللّه، إنی لذلک، و لقد مللت الحیاة، و أبغضت الدنیا، و لو وسعنی فی دینی أن أضع یدی فی یدک، حتی تبلغ من قبلی مرادک، لفعلت ذلک، و لکنّ اللّه قد حظر علیّ المخاطرة بدمی. و لیتک قدرت علی، من غیر أن أبذل نفسی لک، فتقتلنی، و لقیت اللّه عز و جل بدمی، و لقیته قتیلا مظلوما؛ فاسترحت من هذه الدنیا ...

و اعلم: أنی رجل طالب النجاة لنفسی، و اجتهدت فیما یرضی اللّه عز و جل عنی، و فی عمل أتقرب به إلیه؛ فلم أجد رأیا یهدی إلی شیء من ذلک، فرجعت إلی القرآن، الذی فیه الهدی و الشفاء، فتصفحته سورة سورة، و آیة آیة، فلم أجد شیئا أزلف للمرء عند ربه، من الشهادة فی طلب مرضاته ...

ثم تتبعته ثانیة، أتأمل الجهاد أیّه أفضل، و لأی صنف، فوجدته جل و علا یقول: «قاتلوا الذین یلونکم من الکفار، و لیجدوا فیکم غلظة»، فطلبت أی الکفار أضر علی الإسلام، و أقرب من موضعی، فلم أجد أضر علی الاسلام منک، لأن الکفار أظهروا کفرهم، فاستبصر الناس فی أمرهم، و عرفوهم فخافوهم ... و أنت ختلت المسلمین بالإسلام، و أسررت الکفر، فقتلت بالظنة، و عاقبت بالتهمة، و أخذت مال اللّه من غیر حله، فأنفقته فی غیر حله، و شربت الخمر المحرمة صراحا،

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۶۷

و أنفقت مال اللّه علی الملهین، و أعطیته المغنین، و منعته من حقوق المسلمین، فغششت بالاسلام، و أحطت بأقطاره إحاطة أهله، و حکمت فیه للمشرک، و خالفت اللّه و رسوله فی ذلک، خلافة المضاد المعاند، فان یسعدنی الدهر، و یعنّی اللّه علیک بأنصار الحق، أبذل نفسی فی جهادک، بذلا یرضیه منی، و ان یمهلک، و یؤخرک، لیجزیک بما تستحقه فی منقلبک، أو تختر منی الأیام قبل ذلک، فحسبی من سعیی ما یعلمه اللّه عز و جل من نیتی، و السلام ...».

و ثمة نص آخر:

و کان أبو الفرج قد ذکر قبل ذلک أی فی ص ۶۲۸، ۶۲۹ من نفس الکتاب نصا آخر هو إما رسالة أخری ... أو نص آخر لهذه الرسالة نفسها ... و الظاهر أنه رسالة اخری ... و کیف کان فقد قال أبو الفرج:

«و کان عبد اللّه تواری فی أیام المأمون، فکتب بعد وفاة الرضا یدعوه إلی الظهور، لیجعله مکانه، و یبایع له، و اعتد علیه بعفوه عمن عفا من أهله، و ما أشبه هذا من القول:

فأجابه عبد اللّه برسالة طویلة یقول فیها:

فبأی شیء تغرنی؟ ما فعلته بأبی الحسن- صلوات اللّه علیه- بالعنب الذی أطعمته إیاه فقتلته.

و اللّه، ما یقعدنی عن ذلک خوف من الموت، و لا کراهة له، و لکن لا أجد لی فسحة فی تسلیطک علی نفسی، و لو لا ذلک لأتیتک حتی تریحنی من هذه الدنیا الکدرة.

و یقول فیها:

هبنی لا ثأر لی عندک و عند آبائک المستحلین لدمائنا، الآخذین حقنا،

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۶۸

الـذين جاهروا فى أمرنا فحـذرناهم، و كنت ألطف حيلـة منهم بما اسـتعملته من الرضـى بنا و التستر لمحننا، تختل واحدا فواحدا منا. و لكننى كنت امرأ حبب إلىّ الجهاد، كما حبب إلى كل امرئ بغيته، فشـحذت سـيفى، و ركبت سـنانى على رمحى، و استفرهت فرسى، لم أدر أى العـدوّ أشـد ضـررا على الإسـلام، فعلمت أن كتاب اللّه يجمع كل شـىء، فقرأته، فإذا فيه: «يا أيها الـذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار، و ليجدوا فيكم غلظة» ...

فمـا أدرى من يلينـا منهم، فأعـدت النظر، فوجـدته يقول: «لاـ تجـد قومـا يؤمنون باللّه و اليوم الآخر يوادّون من حاد اللّه و رسوله، و لو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم»، فعلمت أن علىّ أن أبدأ بما قرب منى ...

و تدبرت، فإذا أنت أضـر على الاسـلام و المسلمين من كل عدو لهم، لأن الكفار خرجوا منه، و خالفوه، فحذرهم الناس، و قاتلوهم، و أنت دخلت فيه ظاهرا، فأمسك الناس، و طفقت تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضررا عليه ...» ... ثم قال أبو الفرج:

و هى رسالة طويلة أتينا بها فى الكتاب الكبير ...

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۶۹

رسالة سفيان الى هارون

مصادر الرسالة:

ذكر هذه الرسالة الدميرى فى حياة الحيوان ج ۲ ص ۱۸۸، ۱۸۹، نقلا عن ابن بليان، و الامام الغزالى، و دحلان فى الفتوحات الاسلامية ط مصطفى محمد ج ۲ ص ۴۴۹ حتى ۴۵۳.

و أشـار إليها ابن خلـدون فى مقـدمته، ص ۱۷ مسـتدلا بها على تـدين الرشـيد و التزامه ... و ذكر جرجى زيـدان شـطرا منها فى كتابه: تاريخ التمدن الاسـلامى المجلد الأول، جزء ۲ ص ۳۸۵، ۳۸۶، و المجلـد الثانى جزء ۴ ص ۴۸۰. و نحن نـذكرها هنا عن الدميرى مع بعض تعديلات عن دحلان.

مناقشة لا بد منها:

و لكن الرسالة تذكر أن الذى كاتبه الرشـيد، و المجيب له هو سفيان الثورى ... و هذا لا يمكن أن يكون صحيحا؛ فان سفيان قد توفى فى خلافة المهدى متخفيا، فى سنة ۱۶۱ ه؛ و هارون لم يتولّ الخلافة إلا فى سنة ۱۷۰ ه.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۷۰

و لعل الصواب: هو أن مرسلها هو: إمام مكة سفيان بن عيينة، المتوفى سنة ۱۹۸ ه. عن إحدى و تسعين سنة ...

و لعـل الراوى قـد اشتبه عليه الأـمر، عفوا، أو عمـدا!! لحاجـة فى نفسه قضاهـا ... و أيّاما كانت الحقيقـة؛ فإن هـذه الرسالـة تعتبر وثيقة تاريخية هامة؛ لأنها تصور لنا حقيقة الوضع فى تلك الفترة من الزمن ...

و تعطينا شأنها شأن رسالة الخوارزمى، و رسالة عبد اللّه بن موسى إلى المأمون صورة واضحة عما كان يمارسه خلفاء ذلك الوقت من مآثم، و ما يرتكبونه من موبقات ...

نص الرسالة:

و ملخص حكايـة هـذه الرسالة هى: أن الرشـيد أرسل إلى سـفيان الثورى!!- و قد قلنا: إن الظاهر: أنه ابن عيينة- كتابا يتودد إليه فيه، و

یطلب منه أن یقدم علیه.

فلما وصل الکتاب إلی سفیان، رماه من یده، و قال لإخوانه:

لیقرأه بعضکم؛ فإنی أستغفر اللّه أن أمس شیئا مسه ظالم ...

فلما قرءوه، أمرهم أن یکتبوا إلی الظالم فی الجواب ما یلی:

«من العبد المیت سفیان، إلی العبد المغرور بالآمال هارون، الذی سلب حلاوة الإیمان، و لذة قراءة القرآن ...

أما بعد:

فإنی کتبت إلیک أعلمک: أنی قد صرمت حبلک، و قطعت ودّک، و قلیت موضعک، و أنک جعلتنی شاهدا علیک؛ بإقرارک علی نفسک فی کتابک: بما هجمت علی بیت مال المسلمین؛ فأنفقته فی غیر حقه،

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۷۱

و أنفذته بغیر حکمه، و لم ترض بما فعلته و أنت ناء عنی، حتی کتبت إلی تشهدنی علی نفسک، فأما أنا فإنی قد شهدت علیک، أنا و إخوانی الذین حضروا قراءة کتابک، و سنؤدی الشهادة غدا بین یدی اللّه الحکم العدل ...

یا هارون، هجمت علی بیت مال المسلمین بغیر رضاهم. هل رضی بفعلک المؤلفة قلوبهم، و العاملون علیها فی أرض اللّه، و المجاهدون فی سبیل اللّه، و ابن السبیل؟ أم رضی بذلک حملة القرآن، و أهل العلم؟! أم رضی بفعلک الأیتام و الأرامل؟!.

أم رضی بذلک خلق من رعیتک؟! ...

فشد یا هارون مئزرک، و أعدّ للمسألة جوابا، و للبلاء جلبابا، و اعلم أنک ستقف بین یدی اللّه الحکم العدل؛ فاتق اللّه فی نفسک، إذا سلبت حلاوة العلم و الزهد، و لذة قراءة القرآن، و مجالسة الأخیار، و رضیت لنفسک أن تکون ظالما، و للظالمین إماما ...

یا هارون، قعدت علی السریر، و لبست الحریر، و أسبلت ستورا دون بابک، و تشبهت بالحجبة برب العالمین. ثم أقعدت أجنادک الظلمة دون بابک و سترک، یظلمون الناس و لا ینصفون. و یشربون الخمر، و یحدون الشارب. و یزنون، و یحدون الزانی، و یسرقون، و یقطعون السارق. و یقتلون، و یقتلون القاتل.

أ فلا کانت هذه الأحکام علیک، و علیهم، قبل أن یحکموا بها علی الناس؟! فکیف بک یا هارون غدا، إذا نادی المنادی من قبل اللّه: احشروا الظلمة، و أعوانهم أین الظلمة، و أعوان الظلمة؛ فتقدمت بین یدی اللّه، و یداک مغلولتان إلی عنقک، لا یفکهما إلا عدلک و انصافک، و الظالمون حولک، و أنت لهم إمام، أو سائق إلی النار.

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۷۲

و کأنی بک یا هارون ... و قد أخذت بضیق الخناق، و وردت المساق، و أنت تری حسناتک فی میزان غیرک، و سیئات غیرک فی میزانک علی سیئاتک، بلاء علی بلاء، و ظلمة فوق ظلمة؛ فاتق اللّه یا هارون فی رعیتک، و احفظ محمدا (ص) فی أمته. و اعلم أن هذا الأمر لم یصر إلیک، إلا و هو صائر إلی غیرک، و کذلک الدنیا تفعل بأهلها، واحدا بعد واحد؛ فمنهم من تزود زادا نفعه، و منهم من خسر دنیاه و آخرته، و إنی أحسبک یا هارون ممن خسر دنیاه و آخرته.

و إیاک، ثم إیاک أن تکتب إلیّ بعد هذا؛ فإنی لا أجیبک ...

و السلام ...» ...

ثم بعث بالکتاب منشورا، من غیر طیّ، و لا ختم ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۷۳

قصیدة الأمیر أبی فراس الحمدانی

نقاط رئيسية:

كنت قد وعدت القارئ الكريم فى فصل: سياسة العباسيين ضد العلويين، بأن أورد فى أواخر هذا الكتاب قصيدة الأمير أبى فراس الحمدانى المعروفة ب: «الشافية».

و قد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد ... و قبل ذلك، لا بأس بالإشارة إلى:

أن أبا فراس قد ولد فى سنة ۳۲۰ ه.، و توفى فى سنة ۳۵۷ ه. عليه الرحمة و الرضوان ...

و فى زمانه: كان بنو العباس الخلفاء، و آل بويه السلاطين، و آل حمدان الامراء ...

ولاء ... و شجاعة:

و أما عن سبب نظم هذه القصيدة، فهو أن أبا فراس وقف على قصيدة ابن سكرة، التى يتحامل فيها على العلويين، و التى أولها: الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۷۴ بنى على دعوا مقالتكملا ينقض الدر وضع من وضعه فحمى أبو فراس، و نظم هذه القصيدة، التى سارت بها الركبان.

و دخل بغداد، و أمر أن يشهر فى المعسكر خمسمائة سيف، و قيل: أكثر من ذلك ... ثم أنشد هذه القصيدة، و خرج من الناحية الاخرى «۱» و قد شرح هذه القصيدة عدد من الادباء و العلماء، منهم ابن خالويه، و منهم محمد بن أمير الحاج حسينى.

و القصيدة هى:

الدين مخترم و الحق مهتضمو فىء آل رسول اللّه مقتسم

و الناس عندك لا ناس فيحفظهمسوم الرعاء و لا شاء و لا نعم

إنى أبيت قليل النوم أرّقنىقلب تصارع فيه الهم و الهمم

و عزمة لا ينام الدهر صاحبهاإلا على ظفر فى طيه كرم

يصان مهرى لأمر لا أبوح بهو الدرع و الرمح و الصمصامة الخذم

و كل مائرة الضبعين مسرحهارمث الجزيرة و الخذراف و العنم

و فتية قلبهم قلب إذا ركبوايوما و رأيهم رأى إذا عزموا

يا للرجال أ ما للّه منتصرمن الطغاة، أ ما للدين منتقم

بنو على رعايا فى ديارهمو الأمر تملكه النسوان و الخدم

---

(۱) راجع: شرح الشافية، لمحمد بن أمير حاج حسينى ص ۶، و قاموس الرجال ج ۱۰ ص ۱۵۷، و رجال المامقانى ج ۳ ص ۳۰ من باب الكنى، و رجال أبى على ص ۳۴۹، و الغدير ج ۳ ص ۴۰۳ و الكنى و الألقاب ج ۱ ص ۱۳۷، و الفتونى فى كشكوله، و غير ذلك.

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۷۵ محلئون فأصفى وردهم و شلعند الورود و أوفى شربهم لمم

فالأرض إلا على ملاكها سعةو المال إلا على أربابه ديم

فما السعيد بها إلا الذى ظلمواو ما الشقى بها إلا الذى ظلموا

للمتقين من الدنيا عواقبهاو إن تعجل فيها الظالم الأثم

لا يطغين بنى العباس ملكهمبنو على مواليهم، و إن رغموا
أ تفخرون عليهم لا أبا لكمحتى كأن رسول اللّه جدكم
و ما توازن يوما بينكم شرفو لا تساوت لكم فى موطن قدم
و لا لكم مثلهم فى المجد متصلو لا لجدكم مسعاة جدهم
و لا لعرقكم من عرقهم شبهو لا نثيلتكم من أمهم أمم
قام النبى بها «يوم الغدير» لهمو اللّه يشهد، و الأملاك، و الامم
حتى إذا أصبحت فى غير صاحبهاباتت تنازعها الذؤبان و الرخم
و صيروا أمرهم شورى كأنهملا يعلمون ولاة الحق أيهم
تاللّه ما جهل الاقوام موضعهالكنهم ستروا وجه الذى علموا
ثم ادعاها بنو العباس ملكهمو ما لهم قدم فيها، و لا قدم
لا يذكرون إذا ما معشر ذكرواو لا يحكم فى أمر لهم حكم
و لا رآهم أبو بكر و صاحبهأهلا لما طلبوا منها و ما زعموا
فهل هم يدعوها غير واجبةأم هل أئمتهم فى أخذها ظلموا
الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۷۶ أمّا على فقد أدنى قرابتكمعند الولاية إن لم تكفر النعم
أ ينكر الحبر عبد اللّه نعمتهأبوكم، أم عبيد اللّه، أم قثم
بئس الجزاء جزيتم فى بنى حسنأباهم العلم الهادى، و أمهم
لا بيعة ردعتكم عن دمائهمو لا يمين، و لا قربى و لا ذمم
هلا صفحتم عن الاسرى بلا سببللصافحين ببدر عن أسيركم
هلا كففتم عن الديباج سوطكمو عن بنات رسول اللّه شتمكم
ما نزهت لرسول اللّه مهجتهعن السياط فهلّا نزّه الحرم
ما نال منهم بنو حرب و ان عظمتتلك الجرائر إلا دون نيلكم
كم غدرة لكم فى الدين واضحةو كم دم لرسول اللّه عندكم
أ أنتم آله فيما ترون و فى أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
هيهات لا قربت قربى، و لا رحميوما إذا أقصت الأخلاق و الشيم
كانت مودة سلمان لهم رحماو لم تكن بين نوح و ابنه رحم
يا جاهدا فى مساويهم يكتمهاغدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم
ذاق الزبيرى عبء الحنث و انكشفتعن ابن فاطمة الأقوال و التهم
ليس الرشيد كموسى فى القياس و لامأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم «۱»
باءوا بقتل الرضا من بعد بيعتهو أبصروا بعض يوم رشدهم و عموا
يا عصبة شقيت من بعد ما سعدتو معشر هلكوا من بعد ما سلموا
لبئسما لقيت منهم و ان بليتبجانب الطف تلك الأعظم الرمم

---

(۱) كان هذا البيت مقدما على الذى قبله فى بعض مصادر هذه القصيدة. لكن الصواب تأخيره؛ ليتحد السياق، و ينسجم المعنى ...

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۷۷ لا عن أبی مسلم فی نصحه صفحواو لا الهبیریّ نجی الحلف و القسم

و لا الأمان لأهل الموصل اعتمدوافیه الوفاء، و لا عن غیهم حلموا

أبلغ لدیک بنی العباس مألکهٔلا تدّعوا ملکها ملاکها العجم

أی المفاخر أمست فی منابرکمو غیرکم آمر فیها، و محتکم

أنّی یفیدکم فی مفخر علمو فی الخلاف علیکم یخفق العلم

یا باعهٔ الخمر کفوا عن مفاخرکملمعشر بیعهم یوم الهیاج دم

خلوا الفخار لعلامین إن سئلوایوم السؤال، و عمّالین إن علموا

لا یغضبون لغیر اللّه إن غضبواو لا یضیعون حکم اللّه إن حکموا

تنشی التلاوهٔ فی أبیاتهم سحراو فی بیوتکم الأوتار و النغم

إذا تلوا آیهٔ غنی إمامکم:قف بالدیار التی لم یعفها قدم

منکم علیهٔ أم منهم، و کان لکمشیخ المغنین ابراهیم، أم لهم

ما فی بیوتهم للخمر معتصرو لا بیوتهم للشر معتصم

و لا تبیت لهم خنثی تنادمهمو لا یری لهم قرد له حشم

الرکن، و البیت، و الاستار منزلهمو زمزم و الصفا، و الحجر، و الحرم

و لیس من قسم فی الـذکر نعرفهإلا و هم دون شک ذلک القسم و بـذلک ینتهی هـذا الکتاب، و الحمد للّه أولا و آخرا، و صـلی اللّه علی خیر خلقه أجمعین، محمد و آله الطیبین الطاهرین ...

جعفر مرتضی الحسینی العاملی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۷۹

فهارس الکتاب:

اشارهٔ

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۸۱

مصادر الکتاب

الکتب التی راجعناها لهذا الکتاب کثیرهٔ، نذکر منها ما یلی:

حرف الألف ۱- آثـار الجاحظ للجاحظ ۲- الابانـهٔ لأبی الحسن الاشـعری ۳- الإتحـاف بحب الاشـراف للشبراوی الشافعی ۴- إثبات الوصیهٔ للمسعودی ۵- الاحتجاج للطبرسی ۶- أحسن التقاسیم للمقدسی ۷- إحقاق الحق (الملحق) للمرعشی النجفی ۸- أخبار السید الحمیری للمرزبانی ۹- أخبار شـعراء الشیعهٔ للمرزبانی ۱۰- الأخبار الطوال للـدینوری ۱۱- الاختصاص للشـیخ المفید ۱۲- الأدب فی ظل التشیع للشیخ عبد اللّه نعمهٔ

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۸۲

۱۳- الارجوزة المختارة للقاضی النعمان ۱۴- الارشاد للشیخ المفید ۱۵- أساس الاقتباس للقاضی اختیار الدین ۱۶- الاسلام و النصرانیة للشیخ محمد عبده ۱۷- الأعلام للزرکلی ۱۸- اعلام الناس للإتلیدی ۱۹- إعلام الوری للطبرسی ۲۰- أعیان الشیعة للسید الأمین ۲۱- الأغانی للأصفهانی ۲۲- الأمالی للسید المرتضی ۲۳- الأمالی للقالی ۲۴- الأمالی للصدوق ۲۵- الأمالی للشیخ الطوسی ۲۶- الأمالی للشیخ المفید ۲۷- امبراطوریة العرب لجون باجوت جلوب ۲۸- أمراء الشعر العربی فی العصر العباسی لأنیس المقدسی ۲۹- الإمامة للشیخ محمد حسن آل یاسین ۳۰- الإمامة فی الإسلام لعارف تامر ۳۱- الإمامة و السیاسة لابن قتیبة ۳۲- الإمام الحسین للعلائلی ۳۳- الإمام الصادق و المذاهب الاربعة للشیخ أسد حیدر ۳۴- الإمام علی الرضا ولی عهد المأمون ۳۵- الامین و المأمون لجرجی زیدان ۳۶- الأنساب للسمعانی ۳۷- أنساب الاشراف للبلاذری

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۸۳

- ب- ۳۸- کتاب بغداد لطیفور ۳۹- بحار الانوار للمجلسی ۴۰- البدایة و النهایة لابن کثیر ۴۱- البرهان فی تفسیر القرآن للبحرانی ۴۲- البصائر و الذخائر لأبی حیان ۴۳- البلدان للهمدانی ۴۴- البیان المغرب لابن عذاری ۴۵- البیان و التبیین للجاحظ- پ- ۴۶- پند تاریخ لخسروی (فارسی)- ت- ۴۷- التاج للجاحظ ۴۸- تاج العروس للزبیدی ۴۹- تاریخ ابن الوردی لابن الوردی ۵۰- التاریخ الاسلامی و الحضارة الإسلامیة لأحمد شلبی ۵۱- تاریخ بغداد للخطیب البغدادی ۵۲- تاریخ التمدن الاسلامی لجرجی زیدان ۵۳- تاریخ جرجان للسهمی ۵۴- تاریخ الجنس العربی لمحمد عزة دروزه ۵۵- تاریخ الحکماء للقفطی ۵۶- تاریخ الخلفاء للسیوطی ۵۷- تاریخ الخمیس للدیار بکری

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۸۴

۵۸- تاریخ الرسل و الملوک للطبری ۵۹- تاریخ الشیعة للمظفر ۶۰- تاریخ کربلاء لعبد الجواد الکلیدار ۶۱- تاریخ الموصل لابن زکریا ۶۲- تاریخ الیعقوبی لابن واضح ۶۳- تأویل مختلف الحدیث لابن قتیبة ۶۴- تتمة المنتهی للشیخ عباس القمی (فارسی) ۶۵- تجارب الامم لابن مسکویه ۶۶- التدوین للرافعی (مخطوط) ۶۷- تذکرة الخواص لابن الجوزی ۶۸- التربیة الدینیة للفضلی ۶۹- التنبیه و الاشراف للمسعودی ۷۰- تهذیب التهذیب لابن حجر العسقلانی- ث- ۷۱- ثمرات الأعواد للهاشمی النجفی- ج- ۷۲- جامع الأنساب لروضاتی (فارسی) ۷۳- جامع الرواة للاردبیلی ۷۴- جعفر بن محمد لعبد العزیز سید الأهل ۷۵- الجواری (سلسلة اقرأ رقم ۶۰) جبور عبد النور- ح- ۷۶- الحسنیون فی التاریخ للساعدی

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۸۵

۷۷- الحضارة الاسلامیة فی القرن الرابع الهجری لآدم متز ۷۸- حلیة الأولیاء لأبی نعیم ۷۹- حیاة الامام موسی بن جعفر للقرشی ۸۰- حیاة الحیوان للدمیری- خ- ۸۱- الخرائج و الجرائح للراوندی ۸۲- الخراج لأبی یوسف ۸۳- خلاصة تذهیب تهذیب الکمال للخزرجی الأنصاری ۸۴- خمسون و مائة صحابی مختلق للعسکری- د- ۸۵- دائرة المعارف لوجدی ۸۶- الدرة النجفیة للشیخ یوسف البحرانی ۸۷- دیوان ابن المعتز لابن المعتز شرح و تقدیم میشیل نعمان ۸۸- دیوان السید الحمیری للسید ۸۹- دیوان الطغرائی للطغرائی- ر- ۹۰- ربیع الابرار للزمخشری ۹۱- رجال الکشی ۹۲- رجال المامقانی ۹۳- رسائل الخوارزمی ۹۴- رسالة فی بنی أمیة للجاحظ

الحیاة السیاسیة للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۸۶

۹۵- رسائل الجاحظ تحقیق عبد السلام هارون ۹۶- روح الاسلام للسید أمیر علی ۹۷- روض الأخیار المنتخب من ربیع الابرار لابن قاسم ۹۸- روضة الواعظین للفتال النیسابوری- ز- ۹۹- زندگانی حضرة إمام علی بن موسی الرضا لعطائی خراسانی (فارسی) ۱۰۰- زهر الآداب للقیروانی ۱۰۱- زینة المجالس لحسینی- س- ۱۰۲- سبائک الذهب للسویدی ۱۰۳- السرائر (المستطرفات) لابن إدریس

۱۰۴- سفينة البحار للشيخ عباس القمى ۱۰۵- السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب ۱۰۶- السيادة العربية و الشيعة و الاسرائيليات لفان فلوتن- ش- ۱۰۷- شذرات الذهب لابن العماد ۱۰۸- شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ۱۰۹- شرح ميمية أبى فراس لحاج حسينى ۱۱۰- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱۱۱- الشعر و الشعراء لابن قتيبة ۱۱۲- شيخ الامة: الإمام أحمد بن حنبل لعبد العزيز سيد الأهل

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۸۷

- ص- ۱۱۳- صبح الأعشى للقلقشندى ۱۱۴- صفة الصفوة لابن الجوزى ۱۱۵- الصلة بين التصوف و التشيع للشّيبىّ ۱۱۶- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمى- ض- ۱۱۷- ضحى الإسلام لأحمد أمين ۱۱۸- ضيافة الاخوان لرضى الدين القزوينى- ط- ۱۱۹- طبقات الحنابلة لأبى يعلى الحنبلى ۱۲۰- طبقات الشعراء لابن المعتز ۱۲۱- الطبقات الكبير لابن سعد ۱۲۲- طبيعة الدعوة العباسية لفاروق عمر ۱۲۳- الطرائف لابن طاوس (الفارسية)- ع- ۱۲۴- العبر فى أخبار من غبر للذهبى ۱۲۵- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر و هو تاريخ ابن خلدون ۱۲۶- العتب الجميل على أهل الجرح و التعديل لمحمد بن عقيل ۱۲۷- العثمانية للجاحظ ۱۲۸- عصر المأمون للرفاعى ۱۲۹- العقد الفريد لابن عبد ربه

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۸۸

۱۳۰- العقد الفريد للملك السعيد لمحمد بن طلحة الوزير ۱۳۱- علل الشرائع للصدوق ۱۳۲- العمدة لابن رشيق ۱۳۳- عمدة الطالب لابن مهنا ۱۳۴- عيون الأخبار لابن قتيبة ۱۳۵- عيون أخبار الرضا للصدوق ۱۳۶- عيون المعجزات للشيخ حسن بن عبد الوهاب ۱۳۷- العيون و الحدائق لمؤلف مجهول- غ- ۱۳۸- غاية الاختصار لتاج الدين بن محمد بن زهرة ۱۳۹- غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام للشيخ ياسين العمرى الخطيب الموصلى ۱۴۰- الغدير للامينى ۱۴۱- الغيبة للطوسى- ف- ۱۴۲- الفتوحات الاسلامية لدحلان ۱۴۳- الفتوح لابن أعثم ۱۴۴- فتوح البلدان للبلاذرى ۱۴۵- الفخرى فى الآداب السلطانية لابن الطقطقى ۱۴۶- فرج المهموم فى تاريخ علماء النجوم لابن طاوس ۱۴۷- فرق الشيعة للنوبختى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۸۹

۱۴۸- الفصول المختارة من العيون و المحاسن للسيد المرتضى ۱۴۹- الفصول المهمة لابن الصباغ ۱۵۰- الفهرست لابن النديم ۱۵۱- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر- ق- ۱۵۲- القرآن الكريم ۱۵۳- قاموس الرجال للتسترى ۱۵۴- قيام سادات علوى لعلى اكبر تشيد (فارسى)- ک- ۱۵۵- الكافى للكلينى ۱۵۶- كامل الزيارات لابن قولويه ۱۵۷- الكامل فى التاريخ لابن الأثير ۱۵۸- الكامل فى اللغة و الأدب للمبرد ۱۵۹- كشف الغمة للإربلى ۱۶۰- كفاية الطالب للكنجى ۱۶۱- الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمى ۱۶۲- كنز الفوائد للكراجكى- ل- ۱۶۳- لطائف أخبار الاول للإسحاقى ۱۶۴- لطف التدبير لأبى عبد اللّه الاسكافى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۹۰

- م- ۱۶۵- مآثر الانافة فى معالم الخلافة للقلقشندى ۱۶۶- مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهرى ۱۶۷- مجمع الفوائد و مجمل العوائد السيد مصطفى مرتضى (مخطوط) ۱۶۸- المحاسن للبرقى ۱۶۹- المحاسن و المساوى للبيهقى ۱۷۰- محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للخضرى ۱۷۱- مختصر التاريخ للكازرونى ۱۷۲- مختصر تاريخ الدول لابن العبرى ۱۷۳- مختصر تاريخ العرب للسيد أمير على ۱۷۴- المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ: أبى الفداء ۱۷۵- مدينة الحسين للسيد محمد حسن الكليدار ۱۷۶- مدينة العلم مجلة (السنة الاولى) ۱۷۷- مرآة الجنان لليافعى ۱۷۸- مروج الذهب للمسعودى ۱۷۹- المستطرف للأبشيهى ۱۸۰- مسند الإمام الرضا للعطاردى ۱۸۱- مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبى ۱۸۲- مصباح المتهجد للكفعمى ۱۸۳- مطالب السئول لمحمد بن طلحة ۱۸۴- معادن الحكمة للكاشانى

الحياة السياسية للإمام الرضا(ع)، مرتضى العاملى ،ص:۴۹۱

۱۸۵- المعارف لابن قتیبهٔ ۱۸۶- معانی الاخبار للصدوق ۱۸۷- معاهد التنصیص لعبد الرحیم العباسی ۱۸۸- مفاتیح الجنان للشیخ عباس القمی ۱۸۹- مقاتل الطالبیین لأبی الفرج الأصفهانی ۱۹۰- مقالات الاسلامیین لأبی الحسن الأشعری ۱۹۱- مقتبس الأثر و مجدد ما دثر للأعلمی ۱۹۲- مقدمهٔ ابن خلدون ۱۹۳- مکاتیب الرسول للأحمدی ۱۹۴- الملل و النحل للشهرستانی ۱۹۵- مناقب آل أبی طالب لابن شهر اشوب ۱۹۶- من تاریخ الأدب العربی لطه حسین ۱۹۷- من تاریخ الزندقهٔ و الالحاد لعلی الوردی ۱۹۸- منجد الاعلام لفردینان توتل ۱۹۹- المهدیهٔ فی الاسلام لسعد محمد حسن ۲۰۰- الموفقیات للزبیر بن بکار ۲۰۱- میزان الاعتدال للذهبی- ن- ۲۰۲- النجوم الزاهرهٔ لابن تغری بردی ۲۰۳- النزاع و التخاصم للمقریزی ۲۰۴- نزههٔ المجالس للصفوری الشافعی ۲۰۵- النصائح الکافیهٔ لمن یتولی معاویهٔ لمحمد بن عقیل ۲۰۶- النص و الاجتهاد للسید شرف الدین ۲۰۷- نظریهٔ الامامهٔ لدی الشیعهٔ لاحمد محمود صبحی

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۹۲

۲۰۸- نهایهٔ الارب للنویری ۲۰۹- نهج البلاغهٔ جمعه: الشریف الرضی ۲۱۰- نور الابصار للشبلنجیّ ۲۱۱- نور القبس المختصر من المقتبس (للمرزبانی) للحافظ الیغموری- ه- ۲۱۲- الهادی (مجلهٔ) ۲۱۳- الهاشمیات للکمیت- و- ۲۱۴- الوافی للفیض ۲۱۵- الورقهٔ لابن الجراح ۲۱۶- الوزراء و الکتاب للجهشیاری ۲۱۷- وسائل الشیعهٔ للحر العاملی ۲۱۸- وفیات الأعیان لابن خلکان ۲۱۹- وقعهٔ صفین لنصر بن مزاحم ۲۲۰- الولاهٔ و القضاهٔ للکندی ۲۲۱- ولایهٔ عهدی امام رضا لعلی موحدی (فارسی)- ی- ۲۲۲- یادبود هشتمین امام (فارسی) لعلی غفوری ۲۲۳- ینابیع المودهٔ للقندوزی الحنفی

الحیاهٔ السیاسیهٔ للإمام الرضا(ع)، مرتضی العاملی ،ص:۴۹۳

و هناک مصادر عدیدهٔ أخری أهملنا ذکرها إیثارا للاختصار؛ و لان اکثرها مشار إلیه فی هوامش الکتاب ... هذا ...

و نود هنا أن نشیر إلی أننا قد اعتمدنا فی بعض المصادر، کالطبری، و حیاهٔ الحیوان، و العقد الفرید، و الکامل فی التاریخ، و نور الأبصار، و غیر ذلک ... علی طبعات مختلفهٔ، حسب ما تیسر لنا فی الاوقات المختلفهٔ ...

و الحمد للّه و صلاته علی عباده الذین اصطفی ...

تعريف مركز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبهٔ/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلّامهٔ فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج/۱ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائمیّهٔ "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیهٔ الله" الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذهٔ هذه المدینهٔ، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرهٔ الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحهٔ صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۳۸۰ الهجریّهٔ القمریّهٔ)، مؤسَّسهً و طریقهً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز " القائمیّهٔ "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّهٔ الشمسیّهٔ (=۱۴۲۷ الهجریّهٔ القمریّهٔ) تحتَ عنایهٔ سماحهٔ آیهٔ الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَهِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّهٔ و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّهٔ، ثقافیّهٔ و علمیّهٔ...

الأهداف: الدّفاع عن ساحهٔ الشیعهٔ و تبسیط ثَقافهٔ الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و

عموم النـاس إلى التّحَرّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّافعـة – مکـانَ البَلاـتیـثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلّاب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شـَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی

بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.